منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الخامس

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۵

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم،

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲/خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين علیه السلام و أوامره

و من خطبه له علیه السلام و هی الرابعه و الستون من المختار فی باب الخطب

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمـد للّه الّذى لم تسـبق له حال حالا فيكون أوّلا قبل أن يكون آخرا، و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا، كلّ مسـمّى بالوحده غيره قليـل و كلّ عزيز غيره ذليل، و كلّ قوىّ غيره ضـعيف، و كلّ مالك غيره مملوك، و كلّ عالم غيره متعلّم، و كلّ قادر غيره يقـدر و يعجز، و كلّ سـميع غيره يصّم عن لطيف الأصوات، و يصـمّه كبيرها، و يـذهب عنه ما بعد منها، و كلّ بصـير غيره يعمى عن خفىّ الألوان و لطيف الأجسام، و كلّ ظاهر غيره غير باطن، و كلّ باطن غيره غير ظاهر، لم يخلق ما خلقه لتشديـد سـلطان، و لا تخوّف من عواقب

ص:٢

زمان، و لا استعانه على ندّ مثاور، و لا شريك مكاثر، و لا ضدّ منافر، و لكن خلايق مربوبون، و عباد داخرون، لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن، و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن، لم يؤده خلق ما ابتدء، و لا تدبير ما ذرء، و لا وقف به عجز عمّا خلق، و لا ولجت عليه شبهه فيما قضا و قدّر، بل قضاء متقن، و علم محكم، و أمر مبرم، المأمول مع النّقم، المرهوب مع النّعم.

اللغه

(صمت) الاذن صمما من باب تعب بطل سمعها و يسند الفعل إلى الشّخص أيضا فيقال صمّ يصمّ صمما و يتعدّى بالهمزه فيقال أصمّه اللّه و لا يستعمل الثّلاثى متعدّيا و (النّد) المثل و (المثاور) من الثّوران و هو الوثب و الهيجان يقال ثاوره مثاوره و ثوارا و اثبه و (المكاثر) فى أكثر النّسخ بالثاء المثلثه و فى نسخه الشّارح المعتزلى بالموحّده و معناهما قريب، يقال كاثروهم فكثروهم غالبوهم فى الكثره فغلبوهم و يقال كابرته مكابره غالبته مغالبه و عاندته و (الدّاخر) الذّليل و (اده) الامر يؤده اثقله و (ذرء) خلق و (المبرم) كالمحكم لفظا و معنا

الاعراب

لفظه غير فى الموارد الثّمانيه إمّا بالرّفع كما فى أكثر النّسخ على أنّها صفه لكلّ، و إمّا بالنّصب كما فى بعض النّسخ على الاستثناء أو على أنّها حال ممّا اضيف إليه كلّ، و العامل معنى الاضافه كما هو مذهب البعض فى غير المغضوب حيث قال بكونه حالا من الذين و أنّه عمل فيه معنى الاضافه، و لكن خلايق اه بتخفيف لكن و الغائه عن العمل و رفع ما بعدها على كونه خبرا لمبتدأ محذوف، قالوا: و حقّ لكن أن تقع بين كلامين متغايرين معنى بالنّفى و الاثبات، و لا يلزم التغاير اللّفظى

ص:٣

إذ يقـال جـاء زيـد و لكن عمروا لم يجىء، و قـد يقـال زيـد حاضـر و لكن عمروا غـايب، و لا ـ يلزم أيضا أن يكون بينهما تضادّ حقيقى بل التّنافى بوجه ما قال تعالى:

«إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَشْكُرُونَ » فانّ عدم الشّكر لا يناسب الافضال، بل اللاّيق به ان يشكر، و كلام أمير المؤمنين عليه السّـلام من هـذا القبيـل، قوله فيقال: فى الموضـعين بنصب المضارع و انتصابه بعـد فاء السّـببيّه مع تقـدّم النّفى قاعده كليّه، و قضاء متقن خبر لمبتدأ و هكذا ما بعده، و قوله المأمول مع النّقم أيضا خبر أى هو المأمول و المرهوب.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه مشتمله على نكات لطيفه من العلوم الالهيّه متضمّنه لجمله من الصّفات الكماليه.

الاولى ما اشار إليه بقوله (الحمـد للّه الـذى لم يسـبق له حال حالا فيكون أوّلا قبل أن يكون آخرا، و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا) و المستفاد منه شيئان الاول أنّه سبحانه متّصف بالأوّليه و الآخريه و الظاهريّه و الباطنيه الثانى أنّ اتّصافه تعالى بها ليس على نحو السبق و اللحوق و القبليّه و البعديّه أمّا الأوّل فقد أشير إليه فى سوره الحديد قال سبحانه «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَىْ ءٍ عَلِيمٌ » و اختلف فى معنى هذه الصّـفات فقال الصّدوق فى التّوحيد: هو الأوّل بغير ابتداء، و الآخر بغير انتهاء، و الظـاهر بآيـاته التى أظهرهـا من شواهـد قـدرته و آثـار حكمته و بيّنات حجّته التى عجز الخلق جميعا عن إبـداع أصـغرها و إنشاء أيسرها و أحقرها عندهم كما قال عزّ و جلّ:

«إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ » فليس شـىء من خلقه إلاّ و هو شاهد له على وحدانيّته من جميع جهاته و أعرض تبارك و تعالى عن وصف ذاته و هو ظاهر بآياته محتجب بذاته

و معنی ثان أنّه ظاهر غالب قادر علی ما یشاء و منه قوله عزّ و جلّ: «فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ »، أی غالبین لهم و الباطن معناه أنّه قد بطن عن الأوهـام و هو بـاطن لاـ یحیـط به محیـط لأنّه قـدم أی تقـدم الفکر فجنّب عنه، و سـبق العلوم فلم یحط به، وفات الأوهام فلم یکتنهه، و حارت عنه الأبصار فلم تـدرکه، فهو باطن کلّ باطن، و محتجب کلّ محتجب، بطن بالذّات و ظهر بالآیات، فهو الباطن بلا حجاب و الظاهر بلا اقتراب.

و معنی ثـان أنّه بـاطن کـلّ شـیء أی خبیر بصـیر بمـا یسـرّون و ما یعلنون و لکلّ ما ذرء، و بطانه الرّجل و لیتجه من القوم الـذین یـداخلهم و یـداخلونه فی دخله أمره، و المعنی أنّه عـالم بسـرایرهم لا أنّه عزّ و جلّ یبطن فی شـیء یواریه و فی مجمع البیان: هو الأوّل أی أوّل الموجودات، و تحقیقه أنّه سابق لجمیع الموجودات بما لا یتناهی من تقـدیر الأوقات، لأنّه قدیم و ما عداه محدث و القـدیم یسـبق المحدث بما لا یتناهی من الاوقات، و الآخر بعد فناء کلّ شـیء لأنّه یفنی الأجسام کلّها و ما فیها من الأعراض و یبقی وحده.

و قیـل الأوّل قبل کلّ شـیء بلا ابتـداء، و الآخر بعـد کلّ شـیء بلا انتهاء، و الظاهر هو العالی الغالب علی کلّ شـیء، فکلّ شـیء دونه، و الباطن العالم بما بطن فلا أحد أعلم منه عن ابن عباس و قیل: الظاهر بالأدلّه و الشّواهد، و الباطن الخبیر بکلّ شیء و قیل: معنی الظاهر و الباطن إنّه العالم بما ظهر، و العالم بما بطن و قیل: الظاهر بأدلته و الباطن من احساس خلقه و قیل الأوّل بلا ابتـداء، و الآخر بلا انتهاء، و الظاهر بلا اقتراب، و الباطن بلا احتجاب و قیل الأوّل ببرّه إذ هداک، و الآخر بعفوه إذ قبل توبتک، و الظاهر باحسـانه و توفیقه إذا أطعته، و البـاطن بستره إذا عصـیته عن السـدی و قیـل الأـوّل بـالخلق، و الآـخر بالرّزق، و الظاهر بالاحیاء، و البـاطن بالامـاته عن ابن عمر و قیـل: هو الـذی أوّل الأـوّل و أخّر الآخر و أظهر الظاهر و أبطن الباطن عن الضّـحاک و قیل الأوّل بالأزلیّه، و الآخر بالأبدیّه، و الظاهر بالأحدیّه،

و الباطن بالصّمديّه عن أبى بكر الوراق و قيل إنّ الواوات مفتّحه و المعنى هو الأوّل و الآخر و الظاهر و الباطن، لأنّ من كان منّا أولا لا يكون آخرا، و من كان ظاهرا لا يكون باطنا، عن عبد العزيز بن يحيى و قيل هو الأوّل القديم، و الآخر الرّحيم و الظاهر الحكيم، و الباطن العليم عن يمان و أمّا الثانى فتحقيقه ما ذكره الشّارح البحرانى و هو أنّه لمّا ثبت أنّ السّبق و المقارنه و القبليه و البعديّه امور تلحق الزمان لذاته و تلحق الزمانيات به و ثبت أنّه تعالى منزه عن الزّمان إذ كان من لواحق الحركه المتأخّره عن وجود الجسم المتأخّر عن وجود اللّه سبحانه كما علم ذلك فى موضعه، لا جرم لم تلحق ذاته المقدّسه و مالها من صفات الكمال و نعوت الجلال شىء من لواحق الزّمان، فلم يجز إذن أن يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا أو كونه قادرا قبل كونه مريدا أو كونه حيّا قبل كونه عالما و لا كونه أوّلا للعالم قبل كونه آخرا له قبليه و سبقا زمانيا بقى أن يقال إنّ القبليه و البعديّه قد يطلق بمعان آخر كالقبليّه بالشّرف و الذّات و الفضيله و العليه، و قد بيّنا أنّ كلّ ما يلحق ذاته المقدّسه من الصّفات فاعتبارات ذهنيّه تحدّثها العقول عند مقايسته إلى مخلوقاته و شىء من تلك الاعتبارات لا تفاوت أيضا بالقبليّه و البعديّه بأحد المعانى المذكوره بالنّظر إلى ذاته المقدسه فلا يقال مثلا: هو المستحقّ لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده و إلّا لكان كمال ذاته قابلا للزياده و النّقصان، بل استحقاقه بالنّظر إلى ذاته لما يصحّ أن يعتبر لها استحقاق وجه بالنّظر إلى جميعها دائما فلا حال يفرض إلّا و هو يستحق فيه أن يعتبر له الأوّليّه و الآخريّه معا استحقاقا أوّليّا ذاتيا، لا على وجه التّرتيب و إن تفاوت الاعتبارات بالنّظر إلى اعتبارنا، و هذا بخلاف غيره من الامور الزّمانيه، فانّ الجوهر مثلا يصدق عليه كونه أوّلا من العرض و لا يصدق عليه مع ذلك أنّه آخر له حتّى لو فرضنا عدم جميع الاعراض و بقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الأوليّه متقدّم.

و قال الصّدر الشّيرازى فى شرح الكافى: هو الأوّل و الآخر لأنّه مبدء كلّ شىء و غايته، و الظاهر و الباطن لأنّ غايه ظهوره منشأ بطونه بل حيثيه ظهوره بعينها حيثيه بطونه، فهو الظاهر من حيث هو الباطن، و الباطن من حيث هو الظاهر و الثانيه أن (كلّ مسمّى بالوحده غيره قليل) و المراد بذلك أنّه سبحانه مع اتّصافه بالوحده لا يتّصف بالقلّه كما يتّصف بها غيره من المتّصفين بالوحده بيان ذلك أنّ الوحده قد يطلق و يراد بها الوحده التى هى مبدء الكثره و هى العادّ و المكيال لها سواء كانت فى المتّصل كالذّراع الواحد و الفرسخ الواحد يعدّان بوحدتيهما الأذرع و الفراسخ الكثيره، أو فى المنفصل كالعشره الواحده و المأه الواحده يعدّان العشرات الكثيره و المآت الكثيره، و هى أشهر أقسام الوحده، و قد يطلق و يراد بها الوحده النّوعيّه و الوحده الجنسيّه، و هى الوحده المبهمه التى يوصف بها الأنواع و الأجناس و الابهام فى الجنس أشدّ و هى غير الوحده بالنّوع و الوحده بالجنس لأنّ معروض هاتين الكثير من الأشخاص و الأنواع و معروض الوحده الجنسيه و النوعيّه المعنى الواحد المبهم.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ الوحده بالمعانى المذكوره لا يجوز اتّصافه تعالى بها اما الاول فلأنّ الوحده بالمعنى المذكور قليل بالنّسبه إلى الكثره التى هى عادّ لها و القله و الكثره من أوصاف الممكن و اما الاخران فلأنّ الواجب سبحانه لا يكون نوعا و لا جنسا و لا ـ يندرج تحت نوع و لا ـ جنس، لأنّ ذلك كله من خصايص الامكان، و لمّا كان أكثر النّاس لا يتصوّر من الوحده إلّا المعنى الأوّل بل لا يفهمون من كونه تعالى واحدا إلّا هذا المعنى لا جرم جعل نفيها عنه مخصوصا بالذّكر دفعا لما يتوهّمون و إبطالا لما يزعمون.

روى الصّدوق فى التّوحيد باسناده عن شريح بن هانى، عن أبيه قال: إنّ اعرابيّا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إنّ اللّه واحد؟ فحمل النّاس عليه و قالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: دعوه فانّ الذى يريده الاعرابى هو الذى نريده من

القوم، ثمّ قال: يا أعرابى إنّ القول فى أنّ اللّه واحد على أربعه أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على اللّه عزّ و جلّ و وجهان يثبتان فيه.

فأمّا اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الاعداد، أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثه، و قول القائل هو واحد من النّاس يريد به النّوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه و جلّ ربّنا عن ذلك و تعالى.

و أمّا الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلك ربّنا، و قول القائل إنّه أحدىّ المعنى يعنى به أنّه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم و كذلك ربّنا عزّ و جلّ.

(و) الثالثه أنّ (كل عزيز غيره ذليل) قد يفسّر العزيز الذى هو من أسمائه سبحانه بأنّه الذى لا يعاد له شىء أو الغالب غير المغلوب و قال فى التّوحيد العزيز معناه أنّه لا يعجزه شىء و لا يمتنع عليه شىء، فهو قاهر الأشياء غالب غير مغلوب، و قد يقال فى المثل من عزّبزّ أى من غلب سلب، و قوله عزّ و جلّ حكايه عن الخصمين و عزّنى فى الخطاب، أى غلبنى، و معنى ثان أنّه الملك و يقال للملك عزيز كما قال اخوه يوسف ليوسف: يا أيّها العزيز، و المراد يا أيّها الملك.

أقول: و الظاهر أنّ المعنى الثّانى أيضا مأخوذ من الأوّل، و عليه فالعزيز فى اللغه هو مطلق الغالب، فاذا استعمل فى اللّه سبحانه، و وصفناه به يراد به الغالب المطلق أعنى الغالب غير المغلوب، و إذا وصف به أحد من الخلق فالمراد به الغالب بالنّسبه إلى من دونه و إن كان مغلوبا بالنّسبه إلى من فوقه و ذليلا بالقياس إليه و يوضح ذلك أنّ السّحره قالوا:

«بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ » فوصفوا فرعون بالعزّه و قد صار مغلوبا لموسى و ذليلا عند إله موسى مقهورا تحت قدرته.

ص:٨

(و) الرابعه أنّ (كلّ قويّ غيره ضعيف) القوه هى مبدء الأفعال الشّاقه و إذا وصف اللّه بها فتعود إلى تمام القدره و إذا نسبت إلى غيره فالمراد بها القوه الجسمانيه كقوّه البطش المعروف من المخلوقات و لا يصحّ نسبتها بهذا المعنى إليه سبحانه إذ البرهان قائم على أنّ كل قوّه جسمانيه متناهيه محتمله للزياده و النّقصان فيحتاج إلى محدّد يحدّدها فيقوى عليها و يقهرها على الحدّ الذى لها، و تلك القوه الاخرى أيضا إن كانت متناهيه كان حكمها كذلك إلى أن ينتهى إلى قوّه غير جسمانيّه و لا متناهيه دفعا للتّسلسل أو الدّور، و أيضا ما يحتمل الزّياده كالأعداد و الأجسام و المقادير و الحركات و الأزمنه و ما يتعلّق بها كالقوى و الكيفيات فهى ناقصه أبدا غير تامّه، و كلّ ناقص محتاج إلى إكمال و مكمل فلا يكون قديما واجبا لذاته.

و إلى ذلك أشار أبو جعفر الثّانى عليه السّلام فى روايه الكافى بقوله: و كذا سمّينا ربّنا قويّا لا بقوّه البطش المعروف من المخلوق، و لو كانت قوّته قوّه البطش المعروف من المخلوق لوقع التّشبيه و لاحتمل الزّياده، و ما احتمل الزّياده احتمل النّقصان، و ما كان ناقصا كان غير قديم، و ما كان غير قديم كان عاجزا.

(و) الخامسه أنّ (كلّ مالك غير مملوك) إذ كلّ ما سواه مستند إلى وجوده و فى تصريف قدرته و مشيّته نافذ فيه أمره، جار فيه حكمه، فهو المالك للكلّ بالاستحقاق و على الاطلاق و الكلّ مملوك له و إن صدق عليه فى العرف أنّه مالك بالقياس إلى من دونه و ما فى يده.

(و) السادسه أنّ (كلّ عالم غيره متعلّم) إذ علمه عين ذاته و علم غيره محتاج إلى التّعلّم من الغير و الاستفاده منه، ثمّ الغير من الغير إلى أن ينتهى إلى علمه سبحانه.

(و) السابعه أنّ (كلّ قادر غيره يقدر و يعجز) لأنّ قدرته عين ذاته فيستحيل عليه العجز و أمّا قدره غيره و هى القوّه الجسمانيه المنبثّه فى الأعضاء المحركه لها نحو الأفاعيل الاختياريه المقابله للعجز تقابل العدم و الملكه فهى خارجه عن ذات

القـادر قابله للوجود و العـدم، فاذا القادر المطلق هو مسـتند كلّ مخترع اختراعا ينفرد به و يسـتغنى فيه عن معاونه الغير و ليس هو إلاّـ اللّه سـبحانه، و أمّا غيره من المتصـفين بالقـدره فهو و إن كان فى الجمله صاحب قـدره إلاّ أنّ قـدرتها ناقصه لتنا و لها بعض الممكنـات و قصورهـا عن البعض الآخر، لأنّه بالـذّات مسـتحقّ بالعجز و عـدم القـدره و إنّما اسـتحقاقه لها من وجوده تعالى فهو الفاعل المطلق الذى لا يعجزه شـيء عن شيء و لا يستعصى على قدرته شيء فان قلت: فهل يقدر أن يدخل الدّنيا كلها فى بيضه لا تصغر الدّنيا و لا يكبر البيضه؟ قلت: لا، و لا يلزم منه نقص على عموم القدره، بيان ذلك على ما حقّقه بعض علمائنا المحقّقين أنّ معنى كونه قادرا على كلّ شيء أنّ كلّما له مهيّه إمكانيه أو شيئيّه تصوريه فيصحّ تعلّق القدره به، و أمّا الممتنعات فلا مهيّه لها و لا شـيئيّه حتّى يصحّ كونها مقدوره له تعالى، و ليس فى نفى مقدوريّته نقص على عموم القدره بل القدره عامّه و الفيض شامل و الممتنع لاـ ذات له و إنّما يخترع العقل فى وهمه مفهوما يجعله عنوانا لأمر باطل الـذّات كشـريك البارى و اللاّ شـيء و اجتماع النّقيضـين أو يركب بين معـانى ممكنه آحادهـا تركيبا ممتنعا، فانّ كلاّ من المتناقضـين كالحركه و السّـكون أمر ممكن خارجا و عقلا، و كـذا معنى التّركيب و الاجتماع أمر ممكن عينا و ذهنا و أمّا اجتماع المتناقضـين فلا ذات له لا فى الخارج و لا فى العقل، لكن العقـل يتصوّر مفهوم اجتمـاع النّقيضـين على وجه التّلفيق و يجعله عنوانـا ليحكم على افراده المقـدّره بامتناع الوجود و كون الكبير مع كبره فى الصّغير من هذا القبيل.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ إدخال الدّنيا على كبرها فى البيضه مع بقاء البيضه على صـغرها أمر محال، و المحال غير مقدور إذ لا ذات له و لا شيئيّه.

و إلى ذلك وقعت الاشاره فيما رواه الصّـدوق فى كتاب التّوحيـد باسـناده عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدّنيا فى

بیضه من غیر أن یصغر الدّنیا أو تکبر البیضه؟ فقال علیه السّلام: إنّ اللّه تبارک و تعالی لا ینسب إلی العجز و الذی ذکرت لا یکون.

فانّ مقصوده علیه السّلام إنّ ما سأله الرّجل أمر ممتنع بالذّات محال و المحال غیر مقدور علیه و أنّ اللّه علی کلّ شیء قدیر.

و مثله ما رواه أیضا مسندا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أنّه جاء رجل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: أ یقدر اللّه أن یدخل الأرض فی بیضه و لا یصغر الأرض و لا یکبر البیضه؟ فقال: و یلک إنّ اللّه لا یوصف بالعجز و من أقدر ممّن یلطف الأرض و یعظم البیضه.

فانّ هذه الرّوایه دالّه علی أنّ إدخال الکبیر فی الصغیر غیر ممکن إلاّ بأن یصغر الکبیر بنحو التکائف و التخلل و نحوهما، أو یعظم الصّغیر، و أنّ تصغیر الأرض إلی حدّ تدخل فی بیضه أو تعظیم البیضه إلی حدّ یدخل فیه الأرض غایه القدره.

(و) الثامنه أنّ (کلّ سمیع غیره یصم عن لطیف الأصوات و یصمّه کبیرها و یذهب عنه ما بعد منها) بیان ذلک أنّ السّمع عباره عن قوّه مودعه فی العصبتین المفروشتین علی سطح باطن الصّماخین کجلد الطبل النّافذتین من الدّماغ إلیهما بهما یدرک الأصوات، و الصّوت عباره عن هیئه فی الهواء حاصله من تموّجه النّاشی من حرکه شدیده مسبّبه عن قرع أحد الجسمین فی الآخر الذی هو امساس عنیف، و عن قلع أحدهما عن الآخر الذی هو تفریق عنیف بشرط مقاومه المقروع للقارع و المقلوع للقالع.

ففی الأوّل ینفلت الهواء من بین الجسمین بشدّه، و فی الثّانی یلج بینهما بشدّه و یحصل من انفلاته و ولوجه تموّج و حرکه علی هیئه مستدیره نحو ما یتصوّر عند وقوع الحجر فی الماء فاذا انتهی ذلک التموّج إلی الهواء الذی فی الأذن یحرّک ذلک الهواء الراکد حرکه مخصوصه بهیئه مخصوصه، فتنفعل العصبه المفروشه علی الصماخ عن هذه الحرکه و تدرکها القوّه السّامعه و یسمّی هذا الادراک سمعا

ص:۱۱

إذا عرفت ذلک فنقول: إن إدراک هـذه القوّه للأصوات مشـروط بأن یکون الصّوت قریبا لا بعیدا جدّا، و أن یکون مع قربه على حدّ الاعتدال أی لا یکون قویا کثیرا و لا ضـعیفا کذلک، لأنّه إذا کان ضـعیفا لا یحصل بسببه تموّج الهواء کما أنّه لو کان بعیدا لا یصل الهواء المتموّج إلى الصّـماخ، و عنـد قربه و قوّته ربّما یحـدث الصّـمم لشدّه قرعه للصّـماخ و تفرّق اتّصال الرّوح الحامل لقوّه السّمع عنه بحیث یبطل استعدادها لتادیه القوّه إلى الصّماخ.

و إلى الأوّل أشار علیه السّـلام بقوله:یصم عن لطیف الأصوات،تشبیها لعجز السامعه عن إدراک الصّوت بخفائها و ضعفه بالصّمم و الى الثانی بقوله: و یذهب عنه ما بعد منها و إلى الثالث بقوله و یصمّه کبیرها.

و لمـا کـان اللّه سـبحانه و جلّت عظمته منزّهـا عن الجسـمیّه و آلاـت الجسم و کـان سـمعه عباره عن علمه بالمسـموعات على ما حقّقناه فی شـرح الفصل السّادس من فصول الخطبه الاولى لا جرم اختصّ الأوصاف المذکوره أعنی العجز عن إدراک الضّعیف و الصّمم بسماع القوى و عدم التّمکن من إدراک البعید بمن کان له هذه الآلات و استحالت فی حقّه سبحانه إذ العلم لا یتفاوت بالنّسبه إلى القریب و البعید و الضّعیف و الشّدید:

«لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ یَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى ».

(و) التاسعه أنّ (کلّ بصیر غیره یعمى عن خفیّ الألوان و لطیف الأجسام).

و الظاهر أنّ المراد بالألوان الخفیّه الألوان الغیر المـدرکه بالابصار لانتفاء شـرط الادراک و هو الضوء، و یقابلها الألوان الظاهره و هی التی یدرکها الباصره، و على هذا فیکون کلامه علیه السّلام دلیلا على بطلان القول بعدم وجود اللّون فی الظلم.

توضیح ذلک أنّ الشّیخ الرّئیس و أتباعه ذهبوا إلى أنّ الألوان غیر موجوده

بالفعل فی حال کونها مظلمه معلّلا-بأنّا لانراها فی الظلمه فهو إمّا لعدمها أو لوجود عایق عن الابصار و الثّانی باطل لأنّ الظلمه عدمیّه و الهواء نفسه غیر مانع من الرؤیه کما إذا کنت فی غاره مظلم و فیه هواء کله علی تلک الصّفه فاذا صار المرئی مستنیرا رأیته و لا یمنعک الهواء الواقف بینه و بینک.

و ردّه المتأخّرون بأنّه لا شک أن اللّون له مهیّه فی نفسه و أنّه یصحّ کونه مرئیا فلعل الموقوف علی وجود الضوء هو هذا الحکم، و بالجمله للجسم مراتب ثلاث استعداد أن یکون له لون معیّن، و وجود ذلک اللون بالفعل، و کونه بحیث یصحّ أن یری فلم لا یجوز أن یکون الموقوف علی وجود الضوء هذا الحکم الثالث لا أصل اللّون.

إذا عرفت ذلک فنقول:إنّ معنی قوله:هو أنّ کلّ بصیر غیره تعالی لا یمکن له إدراک الألوان الخفیّه أی الألوان فی حال کونها مظلمه لانتفاء شرط الادراک الذی هو الضّوء کما أنّ الأعمی لا یمکن له إدراکها لانتفاء قوه الابصار له، فکنّی عن عدم إدراک البصیر لها بالعمی لشبهه بالأعمی فی مشارکتها فی عدم التّمکن من الادراک، و إن کان عدم التّمکن فی حقّ الاوّل من جهه انتفاء الشّرط و فی الثّانی من جهه انتفاء الآله أعنی البصر هذا.

و لعلّ المراد من لطیف الأجسام الأجسام الرّقیقه القوام کالبعوضه و الذّره و نحوهما، و لما کان بصیرّیته سبحانه عباره عن علمه بالمبصرات حسبما حقّقنا أیضا فی شرح الفضل السّادس من فصول الخطبه الاولی، اختصّ العجز عن إدراک الألوان الخفیّه و الأجسام اللطیفه بغیره سبحانه و أما هو سبحانه فلا تفاوت فی علمه بین الخفیّ و الجلیّ و اللّطیف و الکثیف.

«وَ یَعْلَمُ ما فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ إِلاّ یَعْلَمُها وَ لا حَبَّهٍ فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ ».

هذا و یشهد بما ذکرته فی تفسیر معنی السّمیع و البصیر و الجسم اللطیف ما رواه

فی الکافی عن محمّد بن أبی عبد اللّه، رفعه إلی أبی هاشم الجعفری، قال: کنت عند أبی جعفر الثانی علیه السّلام فسأله رجل فقال: أخبرنی عن الرّب تبارک و تعالی له أسماء و صفات فی کتابه إلی أن قال: فقال الرّجل: فکیف سمّینا ربّنا سمیعا؟ فقال:

لأنّه لا یخفی علیه ما یدرک بالاسماع و لم نصفه بالسّمع المعقول فی الرّأس، و کذلک سمّیناه بصیرا لانّه لا یخفی علیه ما یدرک بالابصار من لون أو شخص أو غیر ذلک و لم نصفه بصر لحظه العین، و کذلک سمّیناه لطیفا لعلمه بالشّیء اللطیف مثل البعوضه و أخفی من ذلک و موضع النّشو منها و العقل و الشّهوه للسفاد و الجذب علی نسلها و اقام بعضها علی بعض و نقلها الطعام و الشّراب إلی أولادها فی الجبال و المفاوز و الأودیه و القفار.

قال بعض شارحی الحدیث یعنی أنّه یعلم أعضاء البعوضه کالجناح و الرّجل و العین، و قواها کالسّمع و البصر، و أحوالها کالادراک و الاراده و الشّهوه و المحبّه و الشّفقه و الالفه و الغضب و النّفره و العداوه، و أفعالها کالحرکه و السّکون و السفاد و نقل الطعام و الشّراب إلی الاولاد و غیر ذلک من أمورها کموتها و حیاتها و نفعها و ضرّها و آجالها و مقادیر أعمارها، و أرزاقها و غیرها من لطایف صنعه و دقایق خلقه، فهو تعالی لطیف لعلمه بلطایف الامور.

(و) العاشره أنّ (کلّ ظاهر غیره غیر باطن و کلّ باطن غیره غیر ظاهر) یعنی أنّ من الممکنات ما هو ظاهر جلیّ لا یتّصف بالبطون و الخفاء کالشّمس و القمر و نحوهما و منها ما هو باطن خفیّ لا یتّصف بالظهور و الجلاء کالهیولی و العدم و ما تحت الثری، و أمّا اللّه الحیّ القیّوم العظیم الشّأن فهو متّصف بالظهور و البطون معا، فهو فی کمال ظهوره باطن و فی غایه بطونه ظاهر، بل هو أجلی الأشیاء و أظهرها، و منتهی ظهوره صار سببا لخفائه.

و تحقیق ذلک علی ما حقّقه صدر المتألهین و أو ضحه بالمثال تقریبا للأفهام و تشحیذا للأذهان هو: إنّا إذا رأینا إنسانا یکتب أو یخیط کان کونه حیّا عالما قادرا مریدا عندنا من أظهر الأشیاء، و هذه الصّفات أجلی عندنا من سایر صفاته

الظاهره و الباطنه إذ لا نعرف بعضها كشهوته و غضبه و خلقه و صحته و مرضه، و نشك فى بعضها كمقدار طوله و عرضه و لون بشرته و غير ذلك، و أمّا حياته و علمه و قدرته و إرادته فانّه جليّ عندنا من غير أن يتعلّق الحسّ الظاهر بها لأنها غير محسوسه بشيء من الحواس الظاهره و ليس عليها مع هذا الوضوح و الجلاء إلاّ دليل واحد و هو الكتابه أو الخياطه.

و أمّا وجود اللّه تبارك و تعالى و قدرته و علمه و إرادته و حياته فيشهد له جميع ما فى الكون، و كلّما نشاهده أو ندركه بالحواسّ الظاهره و الباطنه من حجر و مدر و نبات و شجر و حيوان و أرض و سماء و كوكب و بحر و برّ و نار و هواء بل أوّل شاهد عليه أنفسنا و أوصافنا و تقلب أحوالنا من الصّغر و الكبر و القوّه و الضّعف و الصّحه و السّقم و الرّضا و الغضب و الفرح و الحزن و الحبّ و البغض و الشّهوه و الكراهه و الاناه و الاراده و الرّغبه و الرّهبه و الرّجاء و اليأس إلى غير هذه.

و أظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا، ثمّ أحوالنا و محسوساتنا باحدى الحواسّ ثمّ مدركاتنا بالعقل و البصيره، و كلّ واحد من هذه المدركات له دليل واحد و شاهد واحد، و جميع ما فى العالم شواهد ناطقه و أدلّه شاهده بوجود خالقها و مدّبرها و دالّه على علمه و قدرته و لطفه و حكمته، فانّه كانت حياه الكاتب ظاهره عندنا و ليس لها شاهد إلاّ حركه يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصوّر شيء داخل نفوسنا و خارجها إلاّ و هو شاهد عليه، و ما من ذرّه إلاّ تنادى بلسان حالها أنّه ليس وجودها و لا حركتها بذاتها و أنّها تحتاج إلى موجد و محرّك.

فاذا علمت هذا فنقول: لما لم يبق فى الوجود مدرك و لا محسوس و لا معقول و لا حاضر و لا غايب إلاّ و هو شاهد على وجوده معروف لعظم ظهوره فانبهرت العقول و دهشت عن إدراكه فانّ ما يعجز عنه فهم عقولنا له علتان احداهما خفائه فى نفسه كالهيولى و العدم و الزّمان و الحركه و العدد و النّسبه و غيرها و الثانيه غايه جلائه و وضوحه و قصور القوّه الادراكيه كمثال نور الشّمس و بصر الخفّاش، فانّ بصره

ضعیف یبهره نور الشّمس فی النّهار إذا أشرقت و لهذا إذا امتزج الضّوء بالظلام و ضعف ظهوره أبصر باللیل.

فکذلک عقول البشر ضعیفه و جمال الحضره الالهیّه فی غایه الاشراق و نهایه الشّمول و الاستغراق حتّی لم یشذّ عن ظهوره ذرّه من السّماوات و الأرض، فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بشدّه ظهوره و اختفی عن البصایر باشراق نوره.

و أیضا الأشیاء قد یستبان بأضدادها و ما عمّ وجوده و شموله حتّی لا ضدّ له کأصل الوجود عسر إدراکه، فلو لا غروب لنور الشّمس و لا احتجاب له عن بعض مواضع الارض لکنّا ظننّا أن لا هیئه فی الاجسام إلاّ سطوحها و ألوانها، و لکن لما غابت الشّمس و اظلمت بعض المواضع أدرکنا تفرقه بین الحالین، و عرفنا وجود النّور بعدمه عند الغروب، و لو لا عدمه ما کنا نطلع علیه إلاّ بعسر شدید هذا.

مع أنّ النّور أظهر المحسوسات و اللّه سبحانه أظهر الاشیاء و به ظهرت الانوار کلّها، و لو کان له عدم أو غیبه أو تغیّر لانهدمت الأرض و السّماء و لا نعدمت الأشیاء کلّها و بطل الملک و الملکوت، و لادرکت به الفرق بین الحالتین، و لو کان بعض الأشیاء موجودا به و بعضها موجودا بغیره لادرکت التّفرقه فی الدّلاله، و لکن وجوده دائم فی الأحوال و دلالته عامه علی نسق واحد فی الأشیاء، فلا جرم أورث شدّه الظهور خفائه.

(و) الحادیه عشر أنّه تعالی (لم یخلق ما خلقه لتشدید سلطان و لا تخوف من عواقب زمان و لا استعانه) منه (علی ندّ) و نظیر (مثاور) أی مواثب (و لا شریک) و مثل (مکاثر) أی متعرّض للغلبه (و لا ضدّ منافر) أی مسارع إلیه بالمعادات، و المراد بذلک کلّه بیان أنّ اللّه سبحانه لیس لفعله داع و غرض غیر ذاته، و أشار إلیه بنفی أقسام الدّواعی و الأغراض و ما یلحقها من العوارض و الحالات.

و البرهان علی ذلک أنّه تعالی لو فعل لغرض لا یخلو إما أن یکون وجود ذلک الغرض و عدمه بالنّسبه إلیه علی سواء أولا یکون کذلک، و الأوّل باطل و إلاّ لکان

حصول الغرض له دون عدمه ترجيحا من غير مرجّح، و الثّانى أيضا باطل لأنهما إذا لم يستويا فى حقه تعالى كان حصول الغرض أولى به من لا حصوله فحينئذ يكون ذاته يستفيد من فعله غرضا معتبرا فى كماله و يكون بدونه فاقد كمال و عادم مقصد فيكون ناقصا فى ذاته تعالى عن النقصان علوّا كبيرا.

كيف و كلّ كمال للمعلول فانّما حصل له من جهه علّه الموجبه فلا يمكن أن يرجع المعطى للكمال إلى أن يستفيد من مستفيده شيئا من الكمال الذى أفاده له، فقد علم علما كليّا أنّ العله الفاعله ليس لها غرض و لا مقصود صحيح فى مفعوله، بل إن كان غرض و مقصد للعالى فلا بدّ أن يكون ذلك له فيما هو أعلى و أجلّ منه، فلا التفات للعالى إلى السّافل بل إلى ما هو أعلى منه و إذ ليس للأوّل تعالى ما هو أعلى منه لأنّه أعلى العوالى و مبدء المبادى فليس لفعله غايه غير ذاته، و لاله محبّه و ابتهاج بالقصد الأوّل إلاّ لذاته الذى هو منبع كلّ خير و كمال، و بتوسط ابتهاجه يحبّ و يريد ما يصدر عن ذاته بالقصد الثانى لأنّ كلّ ما يصدر عن المحبوب محبوب بالتبع.

فان قيل: ليست أولويه الغرض بالنسبه إلى ذاته تعالى، بل بالنّسبه إلى مخلوقاته و عباده، فيكون غرضه تعالى فى فعله الاحسان إلى الغير و إيصال المنفعه إليه.

قيل: حصول الاحسان إلى الغير أو المنفعه أو أىّ شىء كان و لا حصوله إن كانا بالنّسبه إلى ذاته على سواء عاد حديث الرّجحان بلا مرجّح، و إن كان أحدهما أولى به عاد حديث الاستكمال بغيره و النّقصان فى ذاته و لكن فيه تأمّل تعرف وجهه فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثّمانين فى التنبيه الذى فى ذيله، و تمام التّحقيق فى كون أفعاله تعالى معلّله بالاغراض يأتى إن شاء اللّه هناك هذا.

و إذا عرفت أنّه سبحانه لا يفعل لغرض ظهر لك أنّ خلقه الخلق لم يكن لتشديد سلطان، و لا خوف من عواقب زمان، و لا غير ذلك ممّا ذكره عليه السّلام و ما لم يذكره، إذ كلّ ذلك اغراض زايده على ذاته مضافا إلى قيام الدّليل القاطع على نفى هذه الأغراض المخصوصه المذكوره و راء الدّليل العام الذى ذكرنا و هو:

أنّ تشديد السّلطان إنما يحتاج إليه ذو النقصان فى ملكه و الضّعف فى

سلطنته، و لمّا كان تعالى شأنه هو الغنىّ المطلق فى كلّ شىء عن كلّ شىء و كان كلّ ما عداه مقهورا تحت قدرته نافذا فيه حكمه بالايجاد و الابقاء و الافناء، لم يحتج فى سلطانه إلى أحد من خلقه.

و أمّا التّخوف من عواقب الزّمان فلأنّ الضّرر و الانتفاع و ما يلحقهما من الخوف و الرّجاء و غيرهما إنّما هى من لواحق الممكنات القابله للنقصان و الكمال و ما هو فى معرض التّغير و الزّوال فى الذّات و الصّفه و الفعل، و واجب الوجود بحسب جميع الجهات وجوب بلا إمكان و وجود بلا عدم و تمام بلا نقص، فلا يمكن أن يكون غرضه من الايجاد دفع ذلك الخوف عن نفسه.

و أمّا الاستعانه على الضّد و النّد و الشّريك فلأنّ الاستعانه هو طلب العون من الغير و هو من لوازم الضّعف و العجز و هما من تناهى القوّه و القدره، و إذ لا ضعف و لا عجز لكماله سبحانه قوه و قدره فلا يتصور فى حقّه الاستعانه: و أيضا لا ضدّ له و لا ندّ و لا شريك حتّى يحتاج فى دفعهم إلى الاستعانه، لأنّ كلّ شىء هو مخلوق له، و المخلوق لا يكون ضدا لخالقه و لا ندّا و لا شريكا، بل المخلوقات يكون بعضها بالنّسبه إلى بعض على هذه الصّفات و اللّه سبحانه منزّه عن صفات المخلوقين و خواصّ المحدثين.

و إليه أشار بقوله (و لكن خلايق مربوبون و عباد داخرون) يعنى و لكنّهم خلايق مربوبون لهم ربّ قاهر و عباد داخرون لهم معبود غالب فهم مقهورون مملوكون محتاجون إلى ربّهم لا يملكون لأنفسهم نفعا و لا ضرّا و لا موتا و لا حياه و لا نشورا.

و الثانيه عشر أنّه تعالى (لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كاين، و لم ينأ عنها فيقال هو منها باين) يعنى أنّه سبحانه أقرب إلى الأشياء من كلّ قريب و لكن لا بحلول فيها، و أبعد منها من كلّ بعيد و لكن لا بمباينه عنها، و ذلك لأنّه تعالى جعل لكلّ شىء حدا محدودا و ليس له حدّ و نهايه فلا يكون حالاّ فى موضع أو محلّ و إلاّ لكان وجوده فيه و اختصاصه به كاختصاص الحال بالمحل و المتمكّن بالمكان، و ذلك

محال فى حقّه إذ هو خالق المحل و المكان فيلزم افتقاره إلى ما يفتقر إليه و هو محال.

و أمّا انّه ليس بناء عن الأشياء أى بعيد فلأنّه لو كان بعيدا لزم أن يكون مباينا منها زايلا عنها، و ذلك أيضا ممتنع. لأنّ قوام الأشياء بوجوده سبحانه و ما يتقوّم به وجود الشيء لا يكون بعيدا عنه، و قد مضى تحقيق الكلام على ذلك ممّا لا مزيد عليه فى شرح الفصل الخامس و السّادس من فصول الخطبه الاولى عند بيان معنى قوله: و من قال فيم فقد ضمنه، و قوله: مع كلّ شيء لا بمقارنه و غير كلّ شيء لا بمزايله، فتذكّر.

و الثالث عشر أنّه (لم يؤده) اى لم له و لم يعيه (خلق ما ابتدء) و اخترع (و لا) يكله (تدبير ما ذرء) و برء (و لا وقف به عجز عمّا خلق) حتّى اكتفى بما خلق و لم يخلق أزيد من ذلك (و لا ولجت) أى دخلت (عليه شبهه فيما قضا و قدّر بل) ايجاده ما أوجد باقتضاء تامّ و حكمه بالغه و قضاؤه (قضاء متقن) خال عن التزلزل و الاضطراب (و علم محكم) برىء من فساد الشكّ و عروض الشبهه و الغلط (و امر مبرم) موثق لا ـ يحتمل الزّياده و النّقصان و المقصود بذلك كلّه تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين و توضيح ذلك محتاج إلى تحقيق الكلام فى معنى الجملات الثلاث أمّا الأولى فالمقصود بها أنّه تعالى لا يلحقه فى خلقه ثقل و إعياء و تعب و كلل كما قال تعالى:

«أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ یَعْیَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلی أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتی بَلی إِنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ ».

و قال: «وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ».

و إنّما لم يلحقه الامور المذكوره لأنّ خلقه سبحانه و ايجاده و تدبيره ليس بتوسّط آله جسمانيّه و لا استعمال رويّه نفسانيّه حتّى يطرئه التّعب و الانفعال و الثّقل و الكلال، بل فعله الافاضه و صنعه الابداع النّاشى عن محض علمه و إرادته، و نحن لو كنّا بحيث لو وجد من نفس علمنا و إراد تناشىء لم يلحقنا من وجوده تعب و انفعال

لكنّا نحتاج فى أفعالنا إلى حركه و استعمال آله، على أنّ علمنا و إرادتنا زايده على ذواتنا، فاللّه تعالى أولى بأن لا يلحقه تغيّر من صنعه و إنّما قال: خلق ما ابتدء ليكون سلب الاعياء عنه أبلغ إذ ما ابتدء من الأفعال يكون المشقه فيها أتمّ إذ الأفعال ربّما يكون بسبب اعتياد الفاعل أقلّ اتعابا و إعياء، و تدبيره تعالى لما ذرء يعود إلى تصريفه لجميع الذّوات و الأفعال و الصّفات تصريفا كلّيا و جزئيّا على وفق حكمته و عنايته من غير مباشره.

و أما الثانيه فالمراد بها أنّ وقوفه عمّا خلق و اكتفائه بما أوجد ليس بعجزه عن الزّايد و فتوره بسبب ما خلق من خلق ما سواه، لأنّ العجز و الفتور من جهه تناهى القوّه الجسمانيّه و انفعالها و تأثرها ممّا يمانعها فى التأثير و هو منزّه عن جميع ذلك و أمّا الثّالثه فاشاره إلى كمال علمه و امتناع طريان الشّبهه عليه فى مقضياته و مقدراته، و ذلك لأنّ الشّبهه إنّما تعرض العقل فى الامور المعقوله الصّرفه الغير الضّروريّه بصحبه الوهم، لأنّ الوهم لا يصدق حكم العقل إلاّ فى المحسوسات لا فى المعقولات فيعارضه و يدخل الشّبهه عليه فى المعقولات المحضه و لا يصدقه، فالعقل حال استفصاله وجه الحقّ فيها يكون معارضا بالأحكام الوهميّه، فاذا كان المطلوب غامضا فربّما كان فى الاحكام الوهميّه ما يشبه بعض أسباب المطلوب فيتصوّر النّفس بصورته و يعتقد لما ليس بمبدء مبدء، فينتج الباطل فى صوره المطلوب و ليس به.

و لمّا كان البارى جلّ شأنه منزّها عن صحبه القوى المتعلّقه بالأبدان التى رئيسها الوهم و كان عامه لذاته لم يجز أن يعرض لقضائه و لا لقدره و صمه شبهه أو يدخل عليه شكّ و ريب، لكونها من عوارض العقل المقترنه بها، و لهذا قال:

قضاء متقن، و علم محكم، و أمر مبرم، اى ليس فى قضائه تزلزل و تلعثم، و لا فى علمه إمكان شبهه و تردّد، و ليس لأمره رادّ و مانع.

الرابعه عشر انه تعالى هو (المأمول مع النقم المرهوب مع النّعم) يعنى أنّ العبد لمّا كان حال نزول البليّه و حلول النّقمه يستغفره سبحانه و يدعوه و يأمله و يفزع

إليه لدفع البليّه و رفع الرّزيّه، كان هو المأمول له مع النّقم كما أنّه حال إفاضه النّعمه و العطيّه يستعدّ بالغفله للاعراض عن شكرها، فيكون عند ذلك أهلا لان ينزل عليه بوادر النّقمه من اللّه سبحانه كان هو المرهوب منه مع النّعم فهو المأمول و المرهوب معا، و ما عداه فحلول نقمته غير مجامع لامل رحمته، و قيام نعمته معاند لشمول رهبته، فلا مأمول و لا مرهوب فی كلا الحالين سواه، و لا ملجأ و لا منجأ إلّا هو، و إلى هذا المعنى ينظر شعر الشّارح المعتزلی:

و حقّ فضلك ما استيأست من نعم تسرى إلیّ و إن حلّت بی النّقم

و لا أمنت نكالا منك أرهبه و إن ترادفت الآلاء و النعم

الترجمه

از جملهٔ خطب آن حضرت است در بيان صفات كمال، و نعوت جلال الهی می فرمايد كه: حمد و ثنا خداوند معبود بحقی را سزاست كه پيشی نگرفته است مر او را حالی بر حالی تا اين كه باشد اول پيش از آنكه باشد آخر و باشد ظاهر پيش از آنكه باشد باطن، هر ناميده شده بوحدت كه غير اوست متّصف است بصفت قلّت، و هر عزيزی كه غير اوست موصوفست بصفت ذلت، و هر صاحب قوتی كه غير اوست ضعيف است و حقير، و هر مالكی كه غير اوست مملوكست و عبد، و هر عالمی كه غير اوست متعلمست و آموزنده، و هر قادری كه غير اوست گاهی قادر می شود و گاهی عاجز، و هر صاحب سمعی كه غير اوست عاجز است از ادراك آوازهای آهسته و كر ميكند او را آوازهای بزرگ، و می رود از او آوازهای دور، و هر صاحب بصری كه غير اوست كور است از رنگهای خفی و پنهان و از جسمهای لطيف و رقيق القوام، و هر ظاهری كه غير اوست غير باطن است، و هر باطنی كه غير اوست غير ظاهر است، بلكه اوست ظاهر و باطن و آشكار و نهان

از همه گان بی نياز و بر همه مشفقاز همه عالم نهان و بر همه پيدا

نيافريد آنچه كه آفريد آنرا بجهه تقويت سلطنت و نه از برای خوف از عاقبت زمانه و نه بواسطهٔ ياری خواستن بر دفع همتای بر جهنده و نه بر دفع شريک غلبه كننده و نه

ص:۲۱

بر دفع ضـد مفاخرت نماینده، و لکن آنچه که خلق شده اند خلقانی هستند پرورش یافتگان، و بندگانی هستند خوار شدگان، حلول نکرده است خدا در چیزها تا گفته شود که حاصل است در آنها، و دور نشده است از أشیا تا گفته شود که از آنهاست جدا، عاجز و سنگین نگردانید او را آفریدن آنچه که ابتدا کرده او را در ایجاد و نه تدبیر و اصلاح حال آنچه که آفریده او را، و باز نداشت او را عجز و ناتوانی از آنچه که خلق فرمود، و داخل نشد بر او شبهه در آنچه که حکم کرده و تقدیر نمود بلکه حکم او حکمی است محکم و استوار، و علم او علمی است بغایت پایدار و امر او امریست مستحکم و باقرار، امید گرفته شده است او در حال نقمت و بلیّه، و ترسیده شده است از او در حال نعمه و رفاهیّت

و من كلام له عليه السّلام و هو الخامس و الستون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

كان يقول لأصحابه فی بعض أيّام صفين و هو اليوم الّذی كانت عشيّته ليله الهرير على ما نسبه الشّارح المعتزلی إلى كثير من الرّوايات أو اليوم السّابع من الحرب، و كان يوم الخميس سابع شهر صفر على ما ستطلع عليه فی روايه نصر بن مزاحم بسنده الآتی عن أبی عمر قال: إنّه خطب هذا اليوم فقال:

معاشر النّاس استشعروا الخشيه، و تجلببوا السّكينه، و عضّوا على النّواجذ، فإنّه أنبى للسّيوف عن الهام، و أكملوا اللّامه، و قلقلوا السّيوف فی أغمادها قبل سلّها، و الحظوا الخزر، و اطعنوا الشّزر، و نافحوا بالظّبا، و صلوا السّيوف بالخطا، و اعلموا أنّكم بعين اللّه و مع ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فعاودوا الكرّ، و استحيوا من الفرّ، فإنّه عار فی الأعقاب،

ص:۲۲

و نار يوم الحساب، و طيبوا عن أنفسكم نفسا، و امشوا إلى الموت مشيا سحجا، و عليكم بهذا السّواد الأعظم، و الرّواق المطنّب، فاضربوا ثبجه فإنّ الشيطان كامن فى كسره، قد قدّم للوثبه يدا، و أخّر للنّكوص رجلا، فصمدا صمدا حتّى يتجلّى لكم عمود الحقّ «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ ».

اللغه

(المعشر) الجماعه و (الشّعار) من اللباس ما يلى شعر الجسد و (تجلببوا) مثل تدحرجوا مأخوذ من الجلباب بالكسر و هو القميص أو ثوب واسع للمرأه دون المخلقه أو المخلقه(۱) أو الخمار أو ثوب كالمقنعه تغطى به المرأه رأسها و ظهرها و صدرها، و فى المصباح انّه ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء، و قال ابن فارس ما يغطى به من ثوب و غيره و الجمع الجلابيب و (السكينه) الوقار فى الحركه و التأنّى فى السّير و (عضعضت) اللقمه و بها و عليها أمسكتها بالانسان و (النّواجذ) جمع ناجذ و هى أواخر الأضراس تنبت بعد البلوغ و الحلم و كمال العقل، و قيل الاضراس كلّها نواجذ، و قيل هى الضواحك التى تبد و عند الضحك، و عن البارع النّواجذ للانسان و الحافر و هى من ذوات الخفّ الانياب و (نبا) السّيف عن الضّريبه بتقديم النّون على الباء نبوا من باب قتل رجع من غير قطع فهو ناب و نبا السّهم عن الهدف لم يصبه و (الهام) جمع هامه و هى رأس كلّشىء.

و (اللأمه) باللّام و الهمزه السّاكنه على وزن تمره الدّرع و قيل جمع آلات الحرب و (القلقله) التحريك و (الغمد) بالكسر جفن السّيف و (سلّ) السّيف اخراجه من الغمد و (لحظته) بالعين و لحظت إليه لحظا من باب نفع راقبته، و يقال

ص:۲۳

۱- (۱) الملحفه صحيح فى الموضعين منه.

نظرت إليه بمؤخّر العين عن يمين و يسار و هو أشدّ التفاتا من الشّزر و (الخزر) بقتح الخاء و الزاء المعجمتين مصد خزرت العين خزرا من باب تعب صغرت و ضاقت، و الموجود فى النّسخ الخزر بسكون الزّاء و لعلّه لملاحظه السجعه الثّانيه و (اطعنوا) بضم العين من باب قتل و بالفتح من باب نفع.

و (الشّزر) بالفتح فالسكون الطعن عن اليمين و اليسار و لا يستعمل الطعن تجاه الانسان شزرا قيل أكثر ما يستعمل فى الطعن عن اليمين خاصّه و (المنافحه) المضاربه و المدافعه و (الظبا) جمع ظبه بالتخفيف و بضمّ الظاء فيهما حدّ السيف و (صلوا) أمر من وصل الشىء بالشىء جعله متّصلا به و (الخطا) جمع خطوه بالضمّ فيهما و (الكرّ) الرّجوع و (الاعقاب) إمّا جمع عقب بالضمّ و بضمتين أى العاقبه أو جمع عقب ككتف أو عقب بالفتح أى الولد، و ولد الولد و (السّجح) بضمّتين السّهل و (سواد) النّاس عامتهم.

و (الرّواق) ككتاب الفسطاط و الفئه و قيل هو ما بين يدى البيت و (المطنب) المشدود بالأطناب و (ثبج) الشىء بالتحريك وسطه و (كمن) من باب نصر و سمع استخفى و (كسر) الخباء بالكسر الشّقه السّفلى ترفع احيانا و ترخى اخرى و (الوثبه) الطفره و (النكوص) الرجوع و (الصّمد) القصد و (انجلى) الشىء و تجلّى أى انكشف و ظهر و (و ترت) زيدا حقه واتره من باب وعد نقصته

الاعراب

معاشر النّاس منصوب على النداء، و الخزر و الشّزر صفتان لمصدرين محذوفين اى الحظو الحظا خزر او اطعنوا طعنا شزرا، و اللام للعهد و طيبوا عن أنفسكم نفسا يقال طاب نفسى بالشىء و طبت به نفسا إذا لم يكرهك عليه أحد و تعديته بعن لتضمين معنى التّجافى و التّجاوز، و نفسا منصوب على التّميز و لذلك وحّده لأنّ حقّ التّميز أن يكون مفردا مع الأمن من اللبس، قال البحرانى: و المراد بالنّفس الاولى الزّايله بالقتل و بالثّانيه النفس المدبره لهذا البدن، و صمدا صمدا منصوبان على المصدريّه و العامل محذوف و التّكرار للتّاكيد و التّحريص، و الواو فى قوله:

و أنتم الأعلون للحال

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المراد بهذه الخطبه تعليم رسوم الحرب و آدابها و الارشاد إلى كيفيّه المحاربه و القتال، إذ فى مراعاتها و الملازمه عليها رجاء الفتح و الظفر من اللّه المتعال فقوله (معاشر النّاس استشعروا الخشيه) أى اجعلوا الخوف و الخشيه من اللّه سبحانه شعارا لكم لازما على أنفسكم لزوم الشّعار على الجسد (و تجلببوا السّكينه) أى اتّخذوا الوقار و الطمأنينه فى السّير و الحركه غطاء لكم محيطا بكم إحاطه الجلباب بالبدن.

(و عضّوا على النّواجذ) و هذا الأمر إمّا محمول على الحقيقه لأنّ العضّ يورث تصلّب الأعضاء و العضلات فتكون على مقاومه السّيف أقدر و يكون تأثيره فيه أقلّ، و يشهد به ظاهر التّعليل بقوله(فانّه)أى العضّ(أنبا للسّيوف عن الهام) و إمّا كنايه عن شدّه الاهتمام بأمر الحرب أو الصّبر و تسكين القلب و ترك الاضطراب فانّه أشدّ ابعادا لسيف العدوّ عن الرأس و أقرب إلى النّصر (و أكملوا اللأمه) و المراد باكمالها على التفسير الأوّل أعنى كونها بمعنى الدّرع هو أن يراد عليها البيضه و السّواعد و نحوهما، و على التفسير الثانى اتخاذها كامله شامله للجسد (و قلقلوا السّيوف فى اغمادها قبل سلّها) ليسهل السّل وقت الحاجه، فانّ طول مكثها فى الاغماد ربّما يوجب الصّداء فيصعب السّل وقت الاحتياج (و الحظوا الخزر) لأنّ النّظر بمؤخّر العين أماره الغضب كما أنّ النّظر بتمام العين إلى العدوّ علامه الفشل (و اطعنوا الشّزر) لأنّ الطعن عن اليمين و الشّمال يوسع المجال على الطاعن و أكثر المناوشه للخصم فى الحرب يكون عن يمينه و شماله، و يمكن أن تكون الفايده أنّ احتراز العدوّ عن الطعن حذاء الوجه أسهل و الغفله عنه أقلّ (و نافحوا بالظبا) قيل: المعنى قاتلوا بالسّيوف و أصله أن يقرب أحد المتقابلين إلى الآخر بحيث يصل نفح كلّ منهما أى ريحه و نفسه إلى صاحبه، و قيل: أى ضاربوا بأطراف السّيوف و فايدته أنّ مخالطه العدوّ و القرب الكثير منه يشغل عن

التّمكّن من حربه، و أيضا لا يؤثّر الضّرب مع القرب المفرط كما ينبغى (و صلوا السّيوف بالخطا) يعنى إذا قصرت السّيوف عن الضّريبه فتقدّموا تلحقوا و لا تصبروا حتّى يلحقكم العدوّ، و هذا التّقدم يورث الرّعب فى قلب العدوّ، و إلى ذلك ينظر قول حميد بن ثور الهلالى:

و وصل الخطا بالسّيف و السّيف بالخطا إذا ظنّ أنّ المرء ذا السيف قاصر

و قال آخر:

نصل السّيوف إذا قصرن بخطونا يوما و نلحقها إذا لم تلحق

و قال آخر:

و إذا السّيوف قصرن طوّلها لنا حتّى تناول ما نريد خطانا

و قال رابع:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فتضارب

و روى عنه عليه السّلام أنّه قيل له فى بعض الغزوات: ما أقصر سيفك؟ قال عليه السّلام:

اطوله بخطوه (و اعلموا أنّكم بعين اللّه) يراكم و يسمع كلامكم و يعلم أعمالكم و يشهد أفعالكم، و هذا تمهيد للنّهى عن الفرار و تنبيه على أنّ اللّه سبحانه ينصرهم و يحفظهم (و) أنّه يجب عليهم التّثبت و الثّبات (مع ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) الذى طاعته كطاعته و حربه كحربه (فعاودوا الكرّ) أى الحمله و الرّجوع عند التّحرف للقتال أو التّحيز إلى فئه أو عند الفرار جبنا لو اتّفق و المراد لا تقصروا على حمله واحده لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا و احملوا كرّه بعد اخرى (و استحيوا من الفرّ فانّه) أى الفرار قبيح من جهتين:

إحداهما أنّه (عارفى الأعقاب) يعنى أنّه عار فى عاقبه الأمر و يتحدّث النّاس به فى مستقبل الزّمان، هذا على كون الاعقاب جمع عقب بالضّم، و أمّا على كونها جمع عقب بفتح العين فالمعنى أنّه عار فى أولادكم يعيرون به بعدكم و من هنا روى أنّ أعرابيّا رأى رجلا من أولاد أبى موسى الأشعرى يمشى و يتبختر فى مشيه، قال:

ما له كان أباه غلب عمرو بن العاص فى التّحكيم(۱)

۱- (۱) فاعل طول، منه.

(و) الجهه الثانيه أنّه (نار يوم الحساب) أى يوجب استحقاق النّار لكونه من المعاصى الكبيره كما يشير إليه قوله سبحانه: «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَهٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ » (و طيبوا عن أنفسكم نفسا) أى طيّبوا أنفسكم متجاوزين عن نفوسكم الزّايله و وطنوا قلوبكم على بذلها فى سبيل اللّه و ارضوا به للحياه الباقيه و اللذات الدّائمه (و امشوا إلى الموت مشيا سحجا) سهلا بدون تكلّف.

(و عليكم بهذا السّواد الأعظم) أى معظم القوم المجتمعين على معاويه (و الرّواق المطنب) اراد به مضرب معاويه و كان فى قبه عاليه بأطناب عظيمه، و حوله من أهل الشّام و صناديدهم مأئه ألف كانوا تعاهدوا أن لا ينفرجوا عنه أو يقتلوا (فاضربوا ثبجه) أى وسطه(فانّ الشّيطان كامن فى كسره)المراد بالشّيطان إمّا معاويه أو عمرو بن العاص، و إطلاق الشيطان عليهما لشباهتهما بالشيطان فى الاضلال عن سبيل اللّه سبحانه، و الاظهر أنّ المراد به معناه الحقيقى لأنّ المعاويه كان بارزا فى الصدر لا كامنا فى الكسر إلاّ أن يكون ذلك لبيان جبنه و لا ينافى إراده الحقيقهقوله (قد قدّم للوثبه يدا و أخّر للنكوص رجلا) لأنّ إبليس كان من رفقاء معاويه و أصحابه كان يثب لوثوبهم و يرجع برجوعهم، و يمكن أن يراد بوثبته طمعه فى غلبه أصحاب معاويه و تحريصه لهم على القتال، و بالنكوص ما يقابله(فصمدا صمدا حتى ينجلى لكم عمود الحقّ)أى اقصدوهم قصدا و اصبروا على الجهاد إلى أن يظهر لكم نور الحق.

قال المجلسى: عمود الحق لعلّه للتشبيه بالفجر الأوّل، و فيه اشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كما ينبغى (و أنتم الأعلون) أى الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحقّ (و اللّه معكم) لأنكم أنصاره (و لن يتركم أعمالكم) أى لا ينقصكم اللّه جزاء أعمالكم و هذه اللفظه اقتباس من الآيه الشريفه فى سوره محمّد و هو قوله سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ ماتُوا وَ هُمْ كُفّارٌ »

«فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّٰهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ ».

تکمله

هـذه الخطبه مرويه فى البحار من كتاب بشاره المصطفى عن إبراهيم بن الحسين البصرى، عن محمّد بن الحسين بن عتبه، عن محمّد بن أحمد بن مخلد، عن أبى المفضل الشيبانى، عن محمّد بن محمّد بن معقل، عن محمّد بن أبى الصحبانى، عن البزنطى، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمه مولى عبد اللّه بن العباس رضى اللّه عنه قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب ما كشفت النساء ذيولهنّ عن مثله، لا و اللّه ما رأيت فارسا محدثا يوزن به لرأيته يوما و نحن معه بصفين و على رأسه عمامه سوداء و كأنّ عينيه سراجا سليط يتوقدان من تحتها يقف على شرذمه يخصمهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم و طلعت خيل لمعاويه تدعى بالكتيبه الشهباء عشره آلاف دارع على عشره آلاف أشهب، فاقشعرّ النّاس لها لما رأوها و انحاز بعضهم إلى بعض فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

فيم النخع و الخنع يا أهل العراق هل هى إلاّ أشخاص ماثله فيها قلوب طائره لو مسّها قلوب أهل الحقّ لرأيتموها كجراد بقيعه سفته الرّيح فى يوم عاصف، ألا فاستشعروا الخشيه فتجلببوا السّكينه و ادرعوا الصبر و خضوا الأصوات و قلقلوا الأسياف فى الاغماد قبل السلّه و انظروا الشزر و اطعنوا الوجر و كافحوا بالظبا و صلوا السيوف بالخطا، و النبال بالرّماح، و عاودوا الكرّ و استحيوا من الفرّ فانه عار فى الأعقاب، و نار يوم الحساب، و طيبوا عن أنفسكم نفسا، و امشوا إلى الموت مشيه سجحا، فانكم بعين اللّه عزّ و جلّ و مع أخى رسول اللّه.

و عليكم بهذا السرادق الأولم، و الرواق المظلم، فاضربوا ثبجه فانّ الشيطان راقد فى كسره نافش حضنيه مفترش ذراعيه، قد قدّم للوثبه يدا و أخّر للنكوص رجلا، فصمدا صمدا حتى ينجلى لكم عمود الحقّ و أنتم الأعلون و اللّه معكم و لن

ص:۲۸

يتركم أعمالكم، ها أنا شاد فشدّوا بسم اللّه حم لا ينصرون.

ثمّ حمل عليهم أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه و على ذرّيته حمله و تبعه خويله لم تبلغ المأه فارس فأجالهم فيها جولان الرّحى المسرحه بثفالها، فارتفعت عجاجه منعتنى النظر، ثمّ انجلت فأثبت النظر فلم نر إلاّ رأسا نادرا و يدا طايحه، فما كان بأسرع أن ولوا مدبرين كأنهم حمر مستنفره فرّت من قسوره، فاذا أمير المؤمنين عليه السّلام قد أقبل و سيفه ينطف و وجهه كشقّه القمر و هو يقول:

«فَقاتِلُوا أَئِمَّهَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ».

و رواها فى البحار أيضا من تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن ابن عباس نحوه، و لا بأس بتفسير بعض ألفاظها الغريبه فأقول «السليط» الزّيت «و النخع و الخنع» الذّلّ و الخضوع «و المائله» القائمه أو المتمثله بالمشبهه بالانسان و فى بعض النسخ مائله من الميل أى عادله عن الحقّ فيها «قلوب طائره» أى من الخوف و «سفت» الرّيح التراب بالتخفيف ذرته و «القيعه» الأرض المستوى و «الوجر» بالجيم و الرّاء المهمله قال فى القاموس أو جره الرّمح طعنه به فى فيه و «المكافحه» المضاربه و المدافعه تلقاء الوجه و «النبال بالرّماح» أى ارموهم بالنبال فاذا قربتم فاستعملوا الرّماح و العكس أظهر أى إذا لم تصلوا الرّماح فاستعملوا النبال كأنكم و صلتموها بها فيكون النسب بالفقره السّابقه و «الاولم» الأسود صوره أو معنا كالمظلم «نافش» حضنيه فى بعض النسخ نافج و هو الأظهر لأنّ الأوّل غير مناسب للمقام يقال نفجت الشىء رفعته و كنى به عن التعظم و التكبر و «شدّ» فى الحرب يشدّ بالكسر حمل على العدوّ «و حم لا ينصرون» عن ابن الأثير فى النهايه فى حديث الجهاد إذ أبيتم فقولوا حم لا ينصرون، قيل معناه اللهمّ لا ينصرون و يريد به الخبر لا الدّعاء و إلاّ لقال لا ينصروا مجزوما، فكأنه قال و اللّه لا ينصرون، و قيل إنّ السور التى أوّلها حم سور لها شأن فنبه أنّ ذكرها لشرف شأنها مما يستظهر به على استنزال

النصر من اللّه، و قوله لا ينصرون كلام مستأنف كأنه حين قال قولوا حم قيل ما ذا يكون إذا قلناها قال لا ينصرون و «الخويله» إما تصغير الخيل على غير قياس أو تصغير الخول بمعنى الخدم و الحشم و «الثّفال» جلده تبسط تحت رحى اليد ليقع عليها الدّقيق و يسمى الحجر الأسفل ثقالا بها و «العجاجه» الغبار و «ندر» الرّأس سقط و «طاح» يطوح و يطيح هلك و أشرف على الهلاك و ذهب و سقط و «القسوره» الاسد و «سيفه ينطف» أى يقطر دما و «الشقّه» بالكسر القطعه المشقوقه و نصف الشّىء إذا شقّ.

تذييل

قد مضى طرف من وقايع صفين فى شرح بعض الخطب السّابقه، فذكرنا فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السّادسه و العشرين كيفيه ارسال أمير المؤمنين جرير ابن عبد اللّه البجلى إلى معاويه بالرّساله و كيفيه بيعه عمرو بن العاص لمعاويه، و فى شرح كلامه الثّالث و الأربعين تفصيل قصّه جرير و مكالماته مع معاويه و يأسه من بيعته حتّى رجع إلى العراق و انجرّ الأمر إلى حرب صفين، و فى شرح الخطبه الثامنه و الأربعين كيفيّه خروج أمير المؤمنين عليه السّلام من كوفه متوّجها إلى صفّين، و فى شرح الخطبه الاحدى و الخمسين نزوله عليه السّلام بصفّين و غلبه أصحاب معاويه على الشريعه و فتح الفرات، و فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين قصّه ليله الهرير و كيفيه التّحكيم إلى آخر الحرب.

فأحببت أن أورد هنا بقيّه تلك الواقعه و هى من فتح الشريعه إلى ليله الهرير لاقتضاء المقام ذلك و ليكون شرحنا ذلك مشتملا على تمام تلك الوقعه و لو اجمالا و يستغنى الناظر به عن الرجوع الى غيره و لا يشذّ عنه جمل تلك الوقعه.

فأقول: روى المحدّث العلامه المجلسى فى البحار و الشّارح المعتزلى جميعا من كتاب صفين لنصر بن مزاحم أنّه وصل أمير المؤمنين عليه السّلام إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنه سبع و ثلاثين.

قال نصر: و لمّا ملك أمير المؤمنين الماء بصفين ثمّ سمح لأهل الشّام بالمشاركه

ص:۳۰

فيه و المساهمه رجاء أن يعطفوا إليه و استماله لقلوبهم و إظهارا للمعدله و حسن السيره فيهم، مكث أيّا ما لا يرسل إلى معاويه و لا يأتيه من عند معاويه أحد و استبطأ أهل العراق إذنه لهم فى القتال و قالوا: يا أمير المؤمنين خلّفنا ذرارينا و نسائنا بالكوفه و جئنا إلى أطراف الشّام لنتّخذها وطنا، ائذن لنا فى القتال فانّ النّاس قد قالوا قال عليه السّلام ما قالوا؟ فقال قائل منهم إنّ النّاس يظنّون أنّك تكره الحرب كراهيّه للموت و أنّ من النّاس من يظنّ أنّك فى شكّ من قتال أهل الشّام.

أقول: فأجابهم بجواب مرّ ذكره فيما سبق و هو الكلام الرّابع و الخمسون.

قال نصر: فقال عليه السّلام و متى كنت كارها للحرب قط إنّ من العجب حبّى لها غلاما و يفعا و كراهتى لها شيخا بعد نفاد العمر و قرب الوقت و أمّا شكّى فى القوم فلو شككت فيهم لشككت فى أهل البصره فو اللّه لقد ضربت هذا الامر ظهرا و بطنا فما وجدت أن يسعنى إلاّ القتال أو أن أعصى اللّه و رسوله و لكنى استأنى(۱) بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدى فيهم طايفه فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لى يوم خيبر:

لأن يهدى اللّه بك رجلا واحدا خير لك ممّا طلعت عليه الشّمس.

قال نصر: فبعث علىّ إلى معاويه بشر بن عمرو و سعيد بن قيس و شيث بن ربعى فقال ائتوا هذا الرّجل فادعوه إلى الطاعه و الجماعه و إلى اتباع أمر اللّه سبحانه، فقال شيث يا أمير المؤمنين ألانطمعه فى سلطان توليه اياه و منزله يكون له بها اثره عندك إن هو بايعك؟ قال: ائتوه الآن و القوه و احتجّوا عليه و انظروا ما رأيه فى هذا، فدخلوا عليه فابتدأ بشر بن عمرو بن محصن فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد يا معاويه فانّ الدّنيا عنك زايله و انك راجع إلى الآخره و أنّ اللّه مجازيك لعملك و محاسبك بما قدمت يداك، و إنّنى انشدك اللّه أن تفرّق جماعه هذه الامه و أن تسفك دمائها بينها.

فقطع معاويه عليه الكلام فقال: فهلاّ أوصيت صاحبك؟ فقال: سبحان اللّه إنّ صاحبى ليس مثلك صاحبى أحقّ النّاس بهذا الأمر فى الفضل و الدّين و السّابقه فى

۱- (۱) اى اطلب التانى.

الاسلام و القرابه من الرّسول، قال معاويه فتقول ما ذا! قال: أدعوک إلی تقوی ربک و إجابه ابن عمک إلی ما یدعوک إلیه من الحقّ فانّه أسلم لک فی دینک و خیر لک فی عاقبه أمرک قال و بطل دم عثمان لا و الرّحمن لا أفعل ذلک ابدا.

فذهب سعید بن قیس لیتکلّم فبدره شبث بن ربعی فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

یا معاویه قد فهمت ما رددت علی ابن محصن انّه لا یخفی علینا ما تطلب إنک لا تجد شیئا تستغوی به النّاس و لا شیئا تستمیل به أهوائهم إلاّ أن قلت لهم قتل امامکم مظلوما فهلمّوا نطلب بدمه فاستجاب لک سفله طغام رذال، و قد علمنا أنّک بطأت عنه بالنّصر و أحببت له القتل لهذه المنزله التی تطلب، و ربّ مبتغ أمرا و طالب له یحول اللّه دونه و ربّما أوتی المتمنّی امنیته و ربّما لم یؤتها، و و اللّه مالک فی واحده منهما خیر، و اللّه إن أخطاک ما ترجو انّک لشرّ العرب حالا و لئن أصبت ما تتمّناه لا تصیبه حتّی تستحقّ صلی النّار، فاتّق اللّه یا معاویه ودع ما أنت علیه و لا تنازع الأمر أهله.

فحمد معاویه اللّه و أثنی علیه و قال: أمّا بعد، فانّ أوّل ما عرفت به سفهک و خفّه علمک قطعک علی هذا الحسیب الشّریف سیّد قومه منطقه ثمّ عتبت بعد فیما لا علم لک به، و لقد کذبت و لؤمت أیّها الأعرابی الجلف الجافی فی کلّ ما وصفت، انصرفوا من عندی فانّه لیس بینی و بینکم إلاّ السّیف و عضب.

فخرج القوم و شبث یقول: أعلینا تهوّل بالسّیف أما و اللّه لنعجلنه إلیک، قال نصر: خرج قرّاء أهل العراق و قرّاء أهل الشام فعسکروا فی ناحیه صفین فی ثلاثین ألفا.

قال: و عسکر علیّ علیه السّلام علی الماء و عسکر معاویه فوقه علی الماء و مشت القراء بین علیّ و معاویه، منهم عبیده السّلمانی، و علقمه بن قیس النخعی، و عبد اللّه بن عتبه، و عمار بن عبد القیس فدخلوا علی معاویه فقالوا: یا معاویه ما

الـذی تطلب؟ قـال: اطلب بـدم عثمـان، قـالوا: ممّن تطلب بـدم عثمان؟ قال: أطلبه من علی، قالوا أو علیّ قتله؟ قال: نعم هو قتله و آوی قتلته، فانصرفوا من عنده فدخلوا علی علیّ و قالوا: إنّ معاویه زعم أنّک قتلت عثمان، قال: اللهمّ لکذب علیّ لم أقتله.

فرجعوا إلی معـاویه فـأخبروه فقال: إن لم یکن قتله فقـد أمر و مالا، فرجعوا إلیه و قالوا: یزعم أنّک إن لم تکن قتلت بیـدک فقد أمرت و مـا لئت علی قتـل عثمان فقال: اللهمّ لکـذب فیما قال، فرجعوا إلی معاویه فقالوا: إن علیّا یزعم أنّه لم یفعل، فقال معاویه: إن کان صادقا فلیقدنا من قتله عثمان فانّهم فی عسـکره و جنده و أصحابه و عضده فرجعوا إلی علیّ فقالوا: إنّ معاویه یقول لک إن کنت صادقـا فـادفع إلینـا قتله عثمان أو مکنّا منهم، فقال لهم: إنّ القوم تأوّلوا علیه القرآن و وقعت الفرقه و قتلوه فی سـلطانه و لیس علی ضربهم قود فخصم علی معاویه.

فقـال لهم معاویه: إن کان الأمر کما تزعمون فلم ابتزّ الأمر دوننا علی غیر مشوره منّا و ممّن ههنا معنا، فقال: علیّ علیه السّلام إنّ النّاس تبع المهاجرین و الأنصار و هم شـهود للمسلمین فی البلاد علی ولاتهم و امراء دینهم، فرضوا بی و بایعونی و لست استحلّ أن أدع ضـرب معاویه یحکم علی هـذه الامه و یزکیهم و یشقّ عصاهم، فرجعوا إلی معاویه فأخبروه بذلک فقال: لیس کما یقول فما بال من هو منّا من المهاجرین و الأنصار لم یدخلوا فی هذا الأمر، فانصرفوا إلیه علیه السّلام فأخبروه بقوله، فقال: و یحکم هذا للبدریّین دون الصّحابه و لیس فی الأرض بدریّ إلاّ و قد بایعنی و هو معی او قد أقام و رضـی فلا یعرّکم من أنفسـکم و دینکم قال نصر: فراسلوا بذلک ثلاثه أشهر ربیع الآخر و جمادیین و هم مع ذلک یفرغون الفرغه فیما بینهما و یرجف بعضهم إلی بعض و یحجز القراء بینهم.

قال: فرغوا فی ثلاثه أشهر خمسا و ثمانین فرغه کلّ فرغه یرجف بعضهم الی بعض و یحجز القراء بینهم لا یکون بینهم قتال.

قال نصر: خرج أبو امامه الباهلی و أبو الدّرداء فدخلا علی معاویه فقالا: یا

معاويه على م تقاتل هـذا الرّجل فو اللّه لهو أقدم منك سـلما و أحقّ منك بهذا الأمر و أقرب من رسول اللّه فعلى م تقاتله؟ اقاتله على دم عثمان و أنّه آوى قتلته فقولوا له فليقدنا من قتلته و أنا أوّل من بايعه من أهل الشّام.

فانطلقوا إلى على فأخبروه بقول معاويه فقال عليه السّلام: إنّما يطلب الذين ترون فخرج عشـرون ألفا و أكثر متسـربلين الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق فقالوا: كلّنا قتله فان شاءوا فليروموا ذلك منّا، فرجع أبو امامه و أبو الدرداء فلم يشـهدا شيئا فى القتال حتّى إذا كان رجب و خشى معاويه أن يتابع القراء عليا أخذ فى المكر و أخذ يحتال للقرّاء.

قال: فكتب فى سـهم من عبـد اللّه النّاصح أنّى اخبركم أنّ معاويه يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم، ثمّ رمى بالسّهم فى عسكر علىّ فوقع السّهم فى يد رجل فقرأه ثمّ أقرئه صاحبه فلما قرأه و قرأه النّاس و قرأه من أقبل و أدبر قالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاويه فلم يزل السهم يقرأ و يرتفع حتّى رفع إلى علىّ عليه السّلام.

و قـد بعث معاويه مأتى رجل من العمله إلى عاقول من النهر بأيديهم المزور و الزمل يحفرون فيها بحيال عسـكر علىّ، فقال علىّ: و يحكم إنّ الذى يعالج معاويه لا يسـتقيم له و لا عليه إنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتهوا عن ذلك و دعوه، فقالوا له و اللّه يحفرون و اللّه لنرتحلن و إن شئت فأقم، فارتحلوا و صعدوا بعسكرهم مليّا و ارتحل علىّ فى اخريات النّاس و هو يقول:

فلو أنى أطعت عصمت(۱) قومى إلى ركن اليمامه(۲) أو شام

و لكنّى متى ابرمت امرا منيت بخلف آراء الطغام(۳)

قال فارتحل معاويه و نزل بمعسكر على الذى كان فيه، فدعا علىّ عليه السّلام الأشتر

۱- (۱) و روى عصبت بدله منه.

۲- (۲) اليمامه ناحيه من الحجاز و اليمن و الشام على فعال الشامى كاليمان، بحار.

۳- (۳) الطغام بالغين المعجمه - اوغاد الناس.

فقال: ألم تغلبنى على رأيى أنت و الأشعث برأيكما، فقال الأشعث أنا أكفيك يا أمير المؤمنين سأداوى ما افسدت اليوم من ذلك، فجمع كنده فقال لهم: يا معشر كنده لا تفضحونى اليوم و لا تخزونى فانّما أنا قارع بكم أهل الشّام، فخرجوا معه رجاله يمشون و بيده رمح له يلقيه على الأرض و يقول، امشوا قيس رمحى هذا، فيمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه و يمشون معه حتّى أتى معاويه وسط بنى سليم واقفا على الماء، و قد جاءه أدانى عسكره.

فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء ساعه و انتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، و أقبل الأشتر فى جنده من أهل العراق فحمل إلى معاويه و الأشعث يحارب فى ناحيه اخرى فانحاز معاويه فى بنى سليم فردّو اوجوه إبله قدر ثلاث فراسخ، ثمّ نزل و وضع أهل الشّام أثقالهم و الأشعث يهدر و يقول ارضيتك يا أمير المؤمنين و قال الأشتر يا أمير المؤمنين قد غلب اللّه لك على الماء.

قال نصر: و كان كلّ واحد من علىّ و معاويه يخرج الرّجل الشريف فى جماعه و يقاتل مثله و كانوا يكرهون أن يزاحفوا بجميع الفيلق مخافه الاستيصال و الهلاك، فاقتتل الناس ذا الحجه كلّه فلما انقضى تداعوا إلى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضى المحرم لعل اللّه أن يجرى صلحا او اجتماعا، فكفّ الناس فى المحرم بعضهم عن بعض.

قال نصر: حدّثنا عمر بن سعد عن أبى المجاهد عن المحل بن خليفه، قال: لما توادعوا فى المحرّم اختلفت الرّسل فيما بين الرّجلين رجاء الصّلح، فأرسل علىّ إلى معاويه عدى بن حاتم، و شيث بن ربعى، و يزيد بن قيس، و زياد بن حفصه فلمّا دخلوا عليه حمد اللّه تعالى عدىّ بن حاتم و أثنى عليه و قال أمّا بعد:

فقد اتيناك لندعوك إلى أمر يجمع اللّه به كلمتنا و امّتنا و يحقن دماء المسلمين ندعوك إلى أفضل النّاس سابقه و أحسنهم فى الاسلام آثارا، و قد اجتمع له النّاس و قد أرشدهم اللّه بالذى رأوا و اوتوا فلم يبق أحد غيرك و غير من معك، فانته يا معاويه من قبل أن يصيبك اللّه و أصحابك بمثل يوم الجمل.

فقال له معاويه: كأنّك إنّما جئت متهدّدا و لم تأت مصلحا هيهات يا عدىّ انّى لابن حرب ما يقعقع(۱) لى بالشّنئآن، أما و اللّه إنّك من المجلبين على عثمان و إنّك لمن قتله و إنّى لأرجو أن تكون ممّن يقتله اللّه فقال له شيث بن ربعى و زياد بن حفصه و تنازعا كلاما واحدا: أتيناك فيما يصلحنا و إيّاك فأقبلت تضرب لنا الأمثال، دع مالا ينفع من القول و الفعل و أجبنا فيما يعمّنا و إيّاك نفعه.

و تكلّم يزيد بن قيس فقال: إنّا لم نأتك إلّا لنبلّغك الذى بعثنا به إليك و لنؤدّى عنك ما سمعناه منك و لم ندع أن ننصح لك و أن نذكر ما ظننّا أنّ لنا فيه عليك حجّه أو أنّه راجع بك إلى الالفه و الجماعه، إنّ صاحبنا من قد عرفت و عرف المسلمون فضله و لا أظنّه يخفى عليك أنّ أهل الدّين و الفضل لا يعدلونك بعلىّ و لا يساوون بينك و بينه، فاتّق اللّه يا معاويه و لا تخالف عليّا فانّا و اللّه ما رأينا رجلا قط أعلم بالتّقوى و لا أزهد فى الدّنيا و لا أجمع لخصال الخير كلّها منه فحمد اللّه معاويه و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فانّكم دعوتم إلى الجماعه و الطاعه فأمّا التى دعوتم إليها فنعمّاهى و أمّا الطاعه لصاحبكم فانّا لا ترضى به إنّ صاحبكم قتل خليفتنا و فرّق جماعتنا و آوى ثارنا و قتلتنا، و صاحبكم يزعم أنّه لم يقتله فنحن لا نردّ ذلك عليه أرأيتم قتله صاحبنا ألستم تعلمون أنّهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به و نحن نجيبكم إلى الطاعه و الجماعه فقال له شيث: ايسرك باللّه يا معاويه إن أمكنت من عمّار بن ياسر فقتلته؟ قال:

و ما يمنعنى من ذلك، و اللّه لو أمكننى صاحبكم من ابن سميه ما أقتله بعثمان، و لكن كنت أقتله بنائله مولى عثمان، فقال شيث: و إله السّماء ما عدلت معدلا و لا و الذى لا إله إلّا هو لا يصل إليك قتل ابن ياسر حتّى يندر الهام عن كواهل الرّجال، و تضيق الأرض الفضاء

۱- (۱) القعقعه تحريك الشىء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح و غيره و الشنان جمع الشن و هى القربه اليابسه و هم يحركونها اذا ارادوا حث الابل على السير لتفزع فتسرع، بحار

علیک بما رحبت.

فقال معاویه: إذا کان ذلک کانت علیک أضیق ثمّ رجع القوم عن معاویه فبعث معاویه إلی زیاد بن حفصه من بینهم فأدخله علیه فحمد معاویه اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: أمّا بعد یا أخا ربیعه فانّ علیّا قطع أرحامنا و قتل إمامنا و آوی قتلته و إنّی أسألک النّصره علیه باسرتک و عشیرتک، و لک علی عهد اللّه و میثاقه إذا ظهرت أن أولیّک أیّ المصرین أحببت.

قال زیاد: فلمّا قضی معاویه کلامه حمدت اللّه و أثنیت علیه ثمّ قلت: أمّا بعد فانّی لعلی بیّنه من ربّی و بما أنعم اللّه علیّ فلن أکون ظهیرا للمجرمین، ثمّ قمت فقال معاویه لعمرو بن العاص و کان إلی جانبه: مالهم غضبهم اللّه ما فی قلوبهم ما قلبهم إلاّ قلب رجل واحد قال نصر: و بعث معاویه حبیب بن مسلمه الفهری إلی علیّ و شرجیل بن السّمط و معن بن یزید فدخلوا علیه، فتکلّم حبیب و حمد اللّه و أثنی علیه و قال أمّا بعد فانّ عثمان بن عفّان کان خلیفه مهدیّا یعمل بکتاب اللّه و ینیب إلی أمر اللّه فاستثقلتم حیاته و استبطأتم وفاته، فعدوتم علیه فقتلتموه، فادفع إلینا قتله عثمان لنقتلهم به، فان قلت إنّک لم تقتله فاعتزل أمر النّاس فیکون أمرهم هذا شوری بینهم یولّ النّاس أمرهم من أجمع رأیهم علیه.

فقال له علیّ علیه السّلام: و من أنت لا امّ لک و الولایه و العزل و الدّخول فی هذا الأمر اسکت فانّک لست هناک و لا بأهل لذاک، فقام حبیب بن مسلمه و قال و اللّه لترانی حیث تکره، فقال علیّ و ما أنت و لو أجلبت بخیلک و رجلک اذهب فصوّب و صعّد ما بدا لک فلا أبقی اللّه لک إن أبقیت، فقال شرجیل بن السّمط إن کلّمتک فلعمری ما کلامی لک إلاّ نحو کلام صاحبی فهل عندک جواب غیر الذی أجبته؟ قال: نعم، قال فقله، فحمد علیّ اللّه و أثنی علیه ثمّ قال أمّا بعد فانّ اللّه سبحانه بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله فانقذ به من الضّلاله و نعش به من الهلکه و جمع به بعد الفرقه، ثمّ قبضه اللّه إلیه و قد أدّی ما علیه فاستخلف النّاس ابا بکر ثمّ

ص:۳۷

استخلف أبو بکر عمر، فأحسنا السّیره و عدلا فی الامّه و قد وجدنا علیهما أن تولیا الأمر دوننا و نحن آل الرّسول و أحقّ بالأمر فغفرنا ذلک لهما، ثمّ ولی أمر النّاس عثمان فعمل بأشیاء عابها النّاس علیه فساء إلیه ناس فقتلوه ثمّ أتانی النّاس و أنا معتزل أمرهم فقالوا لی: بایع فأبیت علیهم، فقالوا لی:

بایع فانّ الامّه لا ترضی إلّا بک و إنّا نخاف إن لم تفعل تفرّق النّاس، فبایعتهم فلم یرعنی إلّا شقاق رجلین قد بایعا و خلاف معاویه إیّای الذی لم یجعل اللّه له سابقه فی الدّین و لا سلف صدق فی الاسلام، طلیق بن طلیق، و حزب من الأحزاب، لم یزل للّه و لرسوله عدوّا هو و أبوه حتّی دخلا فی الاسلام کارهین مکرهین فیا عجبا لکم و لانقیادکم تدعون إلی «اهل» بیت نبیّکم الذین لا ینبغی شقاقهم و لا خلافهم و لا أن تعدلوا به أحدا من النّاس إنّی أدعوکم إلی کتاب اللّه عزّ و جلّ و سنّه نبیکم و إماته الباطل و إحیاء معالم الدّین، أقول قولی هذا و أستغفر اللّه لنا و لکلّ مؤمن و مؤمنه و مسلم و مسلمه.

فقال له شرجیل و معن بن یزید: أشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فقال: لا أقول ذلک، قالا: فمن لا یشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء، ثمّ قاما فانصرفا فقال علیّ:

«إِنَّکَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتی وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِینَ وَ ما أَنْتَ بِهادِی الْعُمْیِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاّ مَنْ یُؤْمِنُ بِآیاتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ».

ثمّ أقبل علی أصحابه فقال: لا یکن هؤلاء فی ضلالتهم بأولی بالجدّ منکم فی حقکم و طاعه إمامکم ثمّ مکث النّاس إلی انسلاخ المحرّم فلمّا انسلخ و استقبل النّاس صفرا من سنه سبع و ثلاثین بعث علیّ نفرا من أصحابه حتّی إذا کانوا فی عسکر معاویه بحیث یسمعونهم الصّوت قام مرثدین الحرث (یزید بن الحارث خ) الخثیمی(۱)

ص:۳۸

۱- (۱) اراد طلحه و الزبیر، منه

فنادی عند غروب الشّمس: یا أهل الشّام إنّ أمیر المؤمنین علیا و أصحاب رسول اللّه یقولون لکم: إنّا و اللّه لم نکفّ عنکم شکافی أمرکم و لا إبقاء علیکم و إنّما کففنا عنکم لخروج المحرّم، و قد انسلخ، و إنا قد نبذنا إلیکم علی سواء فانّ اللّه لا یحبّ کید الخائنین، قال فسار النّاس إلی رؤسائهم و امرائهم.

قال نصر: و أمّا روایه عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبی الزّبیر أنّ نداء ابن مرثد الخثعمی کانت صورته: یا أهل الشّام ألا إنّ أمیر المؤمنین یقول لکم. إنّی قد استأنیت لکم لتراجعوا إلی الحقّ و تنیبوا إلیه احتججت علیکم بکتاب اللّه و دعوتکم إلیه، فلم تتناهوا عن طغیان، و لم تجیبوا إلی حقّ، فانّی قد نبذت إلیکم علی سواء إنّ اللّه لا یحبّ الخائنین قال: فسار النّاس إلی رؤسائهم و خرج معاویه و عمرو بن العاص یکتبان الکتائب و یعبآن العسکر، و أوقدوا النّیران و جاءوا بالشّموع و بات علیّ لیلته تلک کلّها یعبی النّاس و یکتب الکتائب و یدور فی النّاس و یحرّضهم قال نصر: فخرجوا أوّل یوم من صفر سنه سبع و ثلاثین و هو یوم الأربعاء فاقتتلوا، و علی من خرج یومئذ من أهل الکوفه الاشتر، و علی أهل الشام حبیب بن مسلمه فاقتتلوا قتالا شدیدا جلّ النهار، ثمّ تراجعوا و قد انتصف بعضهم من بعض ثمّ خرج فی الیوم الثانی هاشم بن عتبه فی خیل و رجال حسن عددها و عدتها، فخرج إلیه من أهل الشام أبو الأعور السلمی، فاقتتلوا یومهم ذلک، تحمل الخیل علی الخیل و الرجال علی الرجال ثمّ انصرفوا و قد صبر القوم بعضهم لبعض و خرج فی الیوم الثّالث عمّار بن یاسر و خرج إلیه عمرو بن العاص فاقتتل النّاس کأشدّ قتال کان، و جعل عمّار یقول: یا أهل الاسلام أ تریدون أن تنظروا إلی من عاد اللّه و رسوله و جاهدهما و بغی علی المسلمین و ظاهر المشرکین فلمّا أراد اللّه أن یظهر دینه و ینصر رسوله أتی إلی النّبی فأسلم و هو و اللّه فیما یری ذاهب غیر راغب، ثم قبض اللّه رسوله، و إنا و اللّه لنعرفه بعداوه المسلم و مودّه المجرم، ألا و إنّه معاویه فقاتلوه و العنوه، فانّه ممن یطفی نور اللّه و یظاهر أعداء اللّه

قال: و كان مع عمّار زياد بن النّضر على الخيل فأمره أن يحمل فى الخيل فحمل فصبروا له، و شدّ عمار فى الرّجاله فأزال عمرو بن العاص عن موقفه و رجع النّاس يومهم ذلك.

قال نصر: و حدّثنى أبو عبد الرّحمن المسعودى، عن يونس الأرقم، عمّن حدّثه من شيوخ بكر بن وائل، قال: كنّا مع علىّ بصفين فرفع عمرو بن العاص شقه خميصه سوداء فى رأس رمح فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول اللّه، فلم يزالوا يتحدّثون حتّى وصل ذلك إلى علىّ فقال: أ تدرون ما هذا اللّواء إنّ عمرا أخرج له رسول اللّه هذه الشّقه فقال: من يأخذها بما فيها، فقال عمرو ما فيها يا رسول اللّه؟ فقال: لا تقاتل بها مسلما و لا تقرّبها من كافر، فأخذها فقد و اللّه قربها من المشركين و قاتل بها اليوم المسلمين، و الذى فلق الحبّه و برء النّسمه ما أسلموا و لكنّهم استسلموا و أسرّوا الكفر، فلما وجدوا أعوانا أظهروه قال نصر: فامّا اليوم الرّابع فانّ محمّد بن الحنفيه خرج فى جمع من أهل العراق فاخرج إليه معاويه عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فى جمع من أهل الشام، فاقتتلوا، ثمّ إنّ عبيد اللّه بن عمر أرسل إلى محمّد بن الحنفيه أن اخرج إلىّ ابارزك، فقال: نعم ثمّ خرج إليه فبصر بهما علىّ عليه السّلام فقال: من هذان المتبارزان؟ قيل: محمّد بن الحنفيه و عبيد اللّه بن عمر فحرّك دابته ثمّ دعا محمدا إليه فجاءه فقال أمسك و ابى فأمسكها فمشى راجلا بيده سيفه نحو عبيد اللّه و قال له: ابارزك فهلمّ إلىّ قال: لا ابارزك، ثمّ رجع إلى صفه فرجع علىّ عليه السّلام فقال ابن الحنفيه: يا أبت لم تمنعنى من مبارزته فو اللّه لو تركتنى لرجوت أن أقتله، قال: يا بنىّ لو بارزته أنا لقتلته و لو بارزته أنت لرجوت لك أن تقتله و ما كنت آمن أن يقتلك، فقال: يا أبت أتبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللئيم عدوّ اللّه، و اللّه لو أبوه يسألك المبارزه لرغبت بك عنه قال نصر: و أما اليوم الخامس فانه خرج فيه عبيد اللّه بن العباس فخرج إليه الوليد بن عقبه فأكثر من سب بنى عبد المطلب و قال: يا بن عباس قطعتم أرحامكم و قتلتم إمامكم فكيف رأيتم صنع اللّه بكم لم تعطوا ما طلبتم و لم تدركوا ما أملتم، فأرسل

ص:۴۰

إليه ابن عباس ابرز إليّ فأبى أن يفعل، و قاتل ابن عباس ذلك اليوم قتالا شديدا ثمّ انصرفوا و كلّ غير غالب و خرج ذلك اليوم سمره بن أبرهه بن الصباح الحميرى فلحق بعليّ عليه السّلام فى ناس من قراء أهل الشام ففتّ (۱) ذلك فى عضد معاويه و عمرو بن العاص و قال عمرو: يا معاويه إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلاله من محمد صلّى اللّه عليه و آله قرابه قريبه و رحم ماسه و قدم فى الاسلام ليس لأحد مثله و قد سار إليك بأصحاب محمّد المعد و دين و فرسانهم و قرائهم و أشرافهم و قدمائهم فى الاسلام، و لهم فى النفوس مهابه و مهما نسيت فلا تنس فانك على الباطل و إنّ عليا على الحقّ فبادر الأمر قبل اضطرا به عليك، فقام معاويه فى أهل الشام خطيبا و حثهم على القتال فخطب عليّ عليه السّلام أصحابه.

قال نصر: قال أبو (ابن خ) سنان الأسلمى كأنى أنظر إليه متكئا على قوسه و قد جمع أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هم يلونه كانه أحبّ أن يعلم الناس أنّ الصحابه متوافرون معه فقال بعد حمد اللّه و الثناء عليه أما بعد:

فانّ الخيلاء من التجبّر و إنّ النخوه من التكبر و إنّ الشيطان عدوّ حاضر يعدكم الباطل، الا إنّ المسلم أخ المسلم فلا تنابذوا و لا تجادلوا ألا إنّ شرايع الدين واحده و سبله قاصده، من أخذ بها لحق و من فارقها محق و من تركها مرق، ليس المسلم بالخائن إذا او من، و لا بالمخلف إذا وعد، و لا الكاذب إذا نطق، نحن أهل بيت الرّحمه، و قولنا الصدق، و فعلنا القصد، و منا خاتم النبيين، و فينا قاده الاسلام، و فينا حمله الكتاب، أدعوكم إلى اللّه و إلى رسوله و إلى جهاد عدوّه و الشدّه فى أمره و ابتغاء مرضاته و إقام الصلاه، و ايتاء الزّكاه، و حجّ البيت و صيام شهر رمضان، و توفير الفيء على أهله

۱- (۱) يقال فت ذلك فى عضده اضعفه، ق

ألا ـ و إنّ من أعجب العجايب ان معاويه بن أبى سفيان الاموى و عمرو بن العاص السّهمى أصبحا يحرّضان على طلب الدّين بزعمهما، و لقد علمتم أنّى لم أخالف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قط، و لم أعصه فى أمر قط، أقيه بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال، و ترعد منها الفرائض بنجده أكرمنى اللّه سبحانه بها و له الحمد.

و لقد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إنّ رأسه لفى حجرى، و لقد و ليت غسله بيدى و حدى يقبله الملائكه المقرّبون معى، و أيم اللّه ما اختلف أمّه بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء اللّه.

قال أبو سنان. فاشهد لقد سمعت عمّار بن ياسر يقول: أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم إنّ الامه لم تستقم عليه أوّلا، و لن تستقيم عليه آخرا.

قال نصر: قال زيد بن وهب: إنّ عليّا عليه السّلام قال فى هذه اللّيله: حتّى متى لا نناهض القوم بأجمعنا، فقام فى النّاس عشيّه الثلثاء بعد العصر فقال:

الحمد للّه الذى لا يبرم ما نقض، و لا ينقض ما أبرم، و لو شاء ما اختلف اثنان من هذه الامه، و لا من خلقه، و لا تنازع البشر فى شيء من أمره، و لا جحد المفضول ذا الفضل فضله، و لقد ساقتنا و هولاء القوم الأقدار حتّى لفّت بيننا فى هذا الموضع و نحن من ربّنا بمرئى و مسمع، و لو شاء لعجل النقمه و لكان منه التّغير حتّى يكذب اللّه الظالم و يعلم الحقّ أين مصيره، و لكنّه جعل الدّنيا دار الأعمال، و جعل الآخره دار الجزاء و القرار، ليجزى الذين أساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

ألاّ ـ إنّكم لاقوا العدّو غدا إنشاء اللّه فأطيلوا اللّيله القيام، و أكثروا تلاوه القرآن، و اسألوا اللّه الصّبر و النّصر، و القوهم بالجدّ و الحزم، و كونوا صادقين.

قال: فوثب النّاس إلى رماحهم و سيوفهم و نبالهم يصلحونها، و خرج عليه السّلام فعبى النّاس ليلته تلك كلها حتّى أصبح، و عقد الألويه و أمر الامراء و بعث إلى أهل الشّام مناديا ينادى اغدوا على مصافكم، فضجّ أهل الشّام فى معسكرهم و اجتمعوا إلى معاويه فعبى خيله و عقد ألويته و أمر امرائه و كتب كتائبه، و كان أهل الشّام

أكثر من أهل العراق بالضّعف، و نصب لمعاويه منبر فقعد عليه فى قبّه ضربها ألقى عليها الثياب و الارائک و أحاط به أهل اليمن، و قال لا تقربنّ هذا المنبر أحد لا تعرفونه إلّا قتلتموه كائنا من كان.

ثمّ تناهض القوم سادس صفروا قتلوا إلى آخر نهارهم و انصرفوا عند المساء و كلّ غير غالب، فأما اليوم السّابع فكان القتال فيه شديدا و الخطب عظيما، و كان عبد اللّه بن بديل الخزاعى على ميمنه العراق، فزحف نحو حبيب بن مسلمه و هو على مسيره أهل الشّام حتّى اضطرهم إلى قبّه معاويه وقت الظهر.

قال نصر: و حدّثنا عمر بن سعد عن عبد الرّحمن بن أبى عمرو عن أبيه أنّ عليّا خطب هذا اليوم فقال: معاشر النّاس استشعروا الخشيه و تجلببوا السّكينه إلى آخر ما مر فى المتن.

و روى نصر باسناده المذكور أيضا أنّه خطب ذا اليوم و قال: أيّها الناس إنّ اللّه تعالى ذكره قد دلكم على تجاره تنجيكم من العذاب، و تشفى بكم على الخير، ايمان باللّه و رسوله و جهاد فى سبيله، و جعل ثوابه مغفره الذّنوب و مساكن طيّبه فى جنات و رضوان من اللّه أكبر و أخبركم بالذى يحبّ فقال: إنّ اللّه يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفّا كأنهم بنيان مرصوص فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص و قدموا الدراع و أخروا الحاسر(۱) و عضّوا على الأضراس فانّه أنبا للسّيوف عن الهام، و أربط للجاش و أسكن للقلوب و أميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل و اولى بالوقار و التووا فى أطراف الرّماح فانّه امور للاسنّه و رايتكم فلا تميلوها و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلّا بأيدى شجعانكم المانعى الذّمار(۲) و الصّبر عند نزول الحقائق أهل الحفاظ الذين يحفون برايتكم و يكتنفونها، يضربون خلفها و أمامها و لا تضيّعوها.

و هلّا أجزء كلّ أمره مسلم منكم قرنه و واسا أخاه بنفسه، و لم يكل قرنه إلى

۱- (۱) الحاسر من لا مغفر له و لا درع له و لا جنه له، ق

۲- (۲) الذمار بالكسر ما يلزمک حفظه و حمايته، ق

أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فكسب بـذلك اللائمه و يأتى به دنائه أنّى هـذا و كيف يكون هكـذا، هـذا يقابل اثنين، و هذا ممسك يـده قـد خلّى قرنه إلى أخيه هاربا منه أو قائما ينظر إليه، من يفعل هـذا مقته اللّه فلا تعرضوا لمقت اللّه فانّما مردّكم إلى اللّه قال اللّه تعالى لقوم عابهم:

«لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلّا قَلِيلًا ».

و أيم اللّه إن فررتم من سيف «اللّه خ ل» العاجله لا تسلمون من سيف الآخره فاستعينوا بالصّدق و الصّبر فانّه بعد الصّبر ينزل النصر.

قال نصر: ثمّ قام قيس بن سعد و خطب خطبه بليغه حث النّاس فيها على الجهاد، ثمّ قام الاشتر رضى اللّه عنه بمثل ذلك، و كذا يزيد بن قيس الأرحبى و غيرهم.

و روى عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام، و زيد بن الحسن قالا ـ طلب معاويه إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشّام، فقال: يا معشر أهل الشّام سوّوا صفوفكم قص الشّارب، و أعيرونا جماجمكم ساعه، فانه قد بلغ الحقّ مقطعه فلم يبق إلّا ظالم أو مظلوم.

قال نصر: و أقبل أبو الهيثم بن التّيهان و كان من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله بدريّا عقبيّا يسوّى صفوف أهل العراق و هو يقول: يا معشر أهل العراق إنّه ليس بينكم و بين الفتح العاجل إلا ساعه من النّهار، فارسوا أقدامكم و سوّوا صفوفكم و أعيروا ربّكم جماجمكم و استعينوا باللّه ربّكم، و اصبروا إنّ الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده و العاقبه للمتقين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبى أنّ أوّل فارسين التقيا فى هذا اليوم و هو اليوم السّابع و كان من الأيام العظيمه ذا أهوال شديده حجر بن عدىّ من أصحاب علىّ عليه السّلام و ابن عمّ حجر المسمّى بحجر أيضا من أصحاب معاويه كليهما

من كنده، فأطعنا برمحهما، و خرج خزيمه الأسدى من عسكر معاويه فضرب حجر ابن عدى ضربه برمحه فحمل أصحاب علىّ عليه السّلام فقتلوا خزيمه و نجى ابن عمّ حجر هاربا فالتحق بصف معاويه، ثمّ برز ثانيه فبرز إليه الحكم بن أزهر من أهل العراق فقتله.

ثمّ إنّ عليّا دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان فى يده إلى أهل الشّام، فقال عليه السّلام: من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما فى هذا المصحف؟ فسكت النّاس و أقبل فتى اسمه سعيد فقال: أنا صاحبه، و قال ثانيا: فلم يجبه إلاّ الفتى، فسلّمه إليه، ثمّ أتاهم و ناشدهم و دعاهم إلى ما فيه فقتلوه.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام لعبد اللّه بن بديل: احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنه و عليه يومئذ سيفان و درعان، فجعل يضرب قدما و يرتجز فلم يزل يحمل حتّى انتهى إلى معاويه و الذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمد و العبد اللّه بن بديل، و بعث إلى حبيب بن مسلمه الفهرى و هو فى الميسره أن يحمل عليه بجميع أصحابه و اختلط النّاس و اصطدم(۱) الصّفان ميمنه أهل العراق و ميسره أهل الشّام.

و أقبل ابن بديل يضرب النّاس بسيفه حتّى أزال معاويه عن موقفه، و جعل ينادى يا ثارات عثمان و إنّما يعنى اخا له قتل و ظنّ معاويه و أصحابه أنّه يعنى عثمان بن عفّان و تراجع معاويه عن مكانه القهقرى كثيرا و أشفق على نفسه و أرسل إلى حبيب بن مسلمه ثانيه و ثالثه يستنجده و يستصرخه و يحمل حبيب حمله شديده بميسره معاويه على ميمنه عراق، فكشفها حتّى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مأئه انسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم.

و لجج ابن بديل فى النّاس و صمّم على قتل معاويه و جعل يطلب موقفه حتّى انتهى إليه فنادى معاويه فى الناس و يلكم الصّخره و الحجاره إذا عجزتم عن السّلاح، فرضخه النّاس بالحجاره حتّى أثخنوه، فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه

۱- (۱) الصدم ضرب الصلب بمثله و اصطدم الصفان و تصادمو تزاحموا، ق

فجاء معاویه و عبد اللّه بن عامر حتّی وقفا علیه فالقی عبد اللّه عمامته علی وجهه و ترحّم علیه و کان له أخا و صدیقا من قبل، فقال معاویه: اکشف عن وجهه فقال: لا و اللّه لا یمثل به و فیّ روح، فقال معاویه: قد وهبناه لک فکشف عن وجهه فقال معاویه:

هذا کبش القویم و ربّ الکعبه اللهمّ أظفرنی بالاشتر النخعی و الأشعث الکندی.

قال نصر فاستعلا أهل الشّام عند قتل ابن بدیل علی أهل العراق یومئذ و انکشف أهل العراق من قبل المیمنه و اجفلوا اجفالا(۱) شدیدا فأمر علیّ علیه السّلام سهل بن حنیف فاستقدم ممن کان معه لیرفد المیمنه و یعضدها، فاستقبلهم جموع أهل الشام فی خیل عظیمه فحملت علیهم فالحقتهم بالمیمنه، و کانت میمنه أهل العراق متّصله بموقف علیّ فی القلب فی أهل الیمن، فلما انکشفوا انتهت الهزیمه إلی علیّ فانصرف یمشی نحو المیسره.

روی نصر عن زید بن وهب قال: لقد مرّ علیّ علیه السّلام یومئذ و معه بنوه و إنّی لأری النبل یمرّ بین عاتقه و منکبه و ما من بنیه إلاّ من یقیه بنفسه فیکره علیّ ذلک فیتقدّم علیه و یحول بینه و بین أهل الشّام و یأخذ بیده إذا فعل ذلک فیلقیه من ورائه، و بصربه أحمر مولی بنی أمیه و کان شجاعا، فقال علی «لعلی ظ» و ربّ الکعبه قتلنی اللّه إن لم اقتلک، فاقبل نحوه فخرج إلیه کیسان مولی علیّ فاختلفا ضربتین فقتله أحمر و خالط علیّا لیضربه بالسّیف فمدّیده علیه السّلام إلی جیب درعه فجذبه عن فرسه، و حمله علی عاتقه و اللّه لکأنی أنظر إلی رجلی أحمر یختلفان علی عنق علیّ علیه السّلام ثمّ ضرب به الأرض فکسر منکبه و عضدیه و شدّ ابنا علیّ علیه السّلام حسین و محمّد، فضرباه بأسیافهما حتّی برد فکأنّی أنظر إلی علیّ قائما و شبلاه یضربان الرّجل حتی إذا أتیا علیه أقبلا علی أبیهما و الحسن قائم معه فقال له علیّ: یا بنیّ ما منعک أن تفعل کما فعل أخوک فقال کفیانی یا أمیر المؤمنین.

قال ثمّ إنّ أهل الشّام دنوا منه یریدونه و اللّه ما یزیده قربهم منه و دنوّهم سرعه فی مشیه، فقال له الحسن: ما أضرّک لو أسرعت حتّی تنتهی إلی الذین صبروا

۱- (۱) أی اسرعوا، ق

لعدوک من أصحابک، قال یعنی ربیعه المیسره فقال علیّ: یا بنیّ إنّ لأبیک یوما لا یبطیء به عنه السّعی و لا یقربه إلیه الوقوف إنّ أباک لا یبالی وقع علی الموت أو وقع الموت علیه.

قال نصر: و روی عمرو بن شمر عن جابر عن أبی إسحاق قال: خرج علیّ یوما من ایّام صفین و فی یده عنزه، فمرّ علی سعید بن قیس الهمدانی فقال له سعید: أما تخشی یا أمیر المؤمنین أن یغتا لک أحد و أنت قریب عدوّک، فقال علیّ علیه السّلام إنه لیس من أحد إلّا و علیه حفظه من اللّه یحفظونه من أن یتردّی فی قلیب أو یخرب علیه حایط أو تصیبه آفه، فاذا جاء القدر خلّوا بینه و بینه.

قال: و حدّثنا عمرو، عن فضیل بن خدیج، قال لما انهزمت میمنه العراق یومئذ أقبل علیّ نحو المیسره یرکض لیستلب النّاس و یسوقهم و یأمرهم بالرّجوع نحو الفرغ، فمرّ بالأشتر فقال: یا مالک قال: لبیک یا أمیر المؤمنین، قال: ائت هؤلاء القوم فقل لهم أین فرارکم عن الموت الذی لن تعجزوه إلی الحیاه التی لا تبقی لکم، فمضی الأشتر فاستقبل النّاس منهزمین فقال لهم: الکلمات، فناداهم أیّها الناس أنا مالک بن الحرث، فلم یلتفت أحد منهم إلیه فقال: أیّها النّاس أنا الأشتر، فأقبلت إلیه طائفه و ذهبت عنه طائفه فقال: عضضتم بهن أبیکم، ما أقبح ما قاتلتم الیوم.

أیّها النّاس غضّوا الأبصار و عضّوا علی النّواجذ، فاستقبلوا النّاس بهامکم و شدّوا علیهم شدّه قوم موتورین بآبائهم و أبنائهم و إخوانهم حنفاء علی عدوهم، قد و طنوا علی الموت أنفسهم کیلا یسبقوا بثار إنّ هؤلاء القوم و اللّه لن یقاتلوکم إلّا عن دینکم لیطفؤوا السّنه و یحیوا البدعه و یدخلوکم فی أمرکم قد أخرجکم اللّه منه بحسن البصیره، فطیبوا عباد اللّه نفسا بدمائکم دون دینکم، فانّ الفرار فیه سلب العزّ و الغلبه علی الفیء، و ذلّ المحیا و الممات و عار الدّنیا و الآخره و سخط اللّه و ألیم عقابه ثمّ قال:

أيّها النّاس اخلصوا إليّ مذحجا فاجتمعت إليه مذحج فقال عضضتم بصمّ (۱) الجندل و اللّه ما أرضيتم اليوم ربّكم و لا نصحتم له فی عدوّه و کيف و أنتم أبناء الحرب و أصحاب الغارات و فرسان الطراد و حتوف الأقران، و مذحج الطعان الذين لم يکونوا سبقوا بثارهم، و لم تطل دماؤهم و لم يعرفوا فی موطن من المواطن لحين و أنتم ساده مصرکم و اعرجیّ فی قومکم، و ما تفعلوا فی هذا اليوم فهو ماثور بعد اليوم فابقوا ماثور الحديث فی غد، و اصدقوا عدوّکم اللقاء فانّ اللّه مع الصّابرين.

و الذی نفسی بيده ما من هؤلاء و أشار بيده إلی أهل الشّام رجل فی مثل جناح البعوضه من دين اللّه أنتم ما أحسنتم اليوم القراع أجلوا سواد وجهی يرجع فی وجهی ذمی «احبسوا سواد وجهی رجع فيه دمی خ ل» عليکم بهذا السواد الأعظم فانّ اللّه لو قد فضه تبعه من بجانبيه کما يتبع السّيل مقدمه، فقالوا: خذ بنا حيث احببت فصمد بهم نحو عظمهم و استقبله سنام من همدان و هم نحو ثمانمائه مقاتل قد انهزموا آخر النّاس و کانوا قد صبروا فی ميمنه علیّ حتّی قتل مأئه و ثمانون رجلا و اصيب منهم أحد عشر رئيسا کلما قتل منهم رئيس أخذ الرّايه آخروهم بنو شريح الهمدانيون و غيرهم من رؤساء العشيره.

فقال لهم الأشتر إنّی احالفکم و اعاقدکم علی أن لا نرجع أبدا حتّی نظفر أو نهلک، فوقفوا معه علی هذه النيه و العزيمه و زحف نحو الميمنه و ناب إليه اناس تراجعوا من أهل الصّبر و الوفاء و الحياء فأخذ لا يصمد لکتيبه إلّا کشفها، و لا بجمع الا جازه و ردّه.

قال نصر و حدّثنا عمرو، عن الحرث بن الصّباح، قال: کان بيد الأشتر يومئذ صحيفه له يمانيه إذا طأطأها خلت فيها ما ينصب، و إذا رفعها يکاد يغشی البصر شعاعها، و هو يضرب بها النّاس قد ما و يقول: الغمرات ثمّ ينجلينا.

قال: فبصر به الحرث بن جمهان الجعفی و الأشتر مقنّع فی الحديد فلم يعرفه

۱- (۱) حجر اصم و صخره صماء صلب و الجندل معروفه

فدنا منه، و قال له: جزاک اللّه منذ اليوم عن أمير المؤمنين و جماعه المسلمين خيرا، فعرفه الأشتر فقال: يابن جمهان أمثلک يتخلّف اليوم عن مثل موطنی هذا؟ فتأمله ابن جمهان فعرفه و کان الأشتر من أطول الرّجال و أعظمهم إلاّ أنّ فی لحمه خفه قليله، فقال له جعلت فداک، و اللّه ما علمت مکانک حتّی السّاعه لا افارقک حتّی أموت.

قال نصر: و حدّثنا عمر عن فضيل بن خديج، قال: لمّا اجتمع إلی الأشتر معظم من کان انهزم من الميمنه حمل علی صفوف أهل الشّام حتّی کشفهم فألحقهم بمضارب معاويه، و ذلک بين العصر و المغرب.

و عن زيد بن وهب أنّ عليّا لما رأی ميمنته قد عادت إلی موقفها و مصافها و کشف من بازائها حتّی ضاربوهم فی مواقفهم و مراکزهم، أقبل حتّی انتهی اليهم فقال إنّی قد رأيت جولتکم و انحيازکم من صفوفکم يحوزکم الجفاه الطغاه «الطعام خ ل» و اعراب أهل الشّام و أنتم لهاميم العرب و السّنام الأعظم و اعمار الليل بتلاوه القرآن و أهل دعوه الحقّ إذ ضل الخاطئون فلو لا إقبالکم بعد إدبارکم و کرّکم بعد انحيازکم وجب عليکم ما وجب علی المولی يوم الزّحف دبره و کنتم فيما أری من الهالکين.

و لقد هون عليّ بعض و جدی و شفا بعض وجع نفسی أنی رأيتکم باخره حزتموه کما حازوکم و أزلتموهم عن مصافهم کما أزالوکم تحسّونهم(۱) بالسّيف يرکب أوّلهم و آخرهم کالابل المطروده الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليکم السّکينه و ثبتکم اللّه باليقين و ليعلم المنهزم أنّه يسخط ربّه و يوبق نفسه و فی الفرار موجده اللّه عليه و الذّل اللاّزم له و فساد العيش، و أنّ الفار لا يزيد الفرار فی عمره و لا يرضی ربّه، فموت الرّجل محقّا قبل اتيان هذه الخصال خير من الرّضا بالتّلبس بها و الاصرار عليها.

قال نصر: فحمل أبو الکعب الخثعمی رأس خثعم العراق علی خثعم الشّام

۱- (۱) الحس القتل و الاستيصال.

و اقتتلوا قتالا ـ شديدا، فجعل أبو كعب يقول لأصحابه يا معشر خثعم خدموا أى اضربوا موضع الخدمه و هى الخلخال، يعنى اضربوهم فى سوقهم فناداه عبد اللّه بن حنش رأس خثعم الشّام يا با كعب الكلّ قومك فانصف، قال أى و اللّه و أعظم و اشتدّ قتالهم فحمل شمر «شمس خ ل» بن عبد اللّه الخثعمى على أبى كعب فطعنه فقتله.

ثمّ انصرف يبكى و يقول: يرحمك اللّه أبا كعب لقد قتلتك فى طاعه قوم أنت أمس بى رحما منهم و أحبّ إلى منهم نفسا و لكنى و اللّه ما أدرى ما أقول و لا أرى الشيطان إلاّ قد فتننا، و لا أرى قريشا إلاّ و قد لعبت بنا، فوثب كعب بن ابى كعب إلى رايه أبيه فأخذها ففقئت عينه و صرع، ثمّ أخذها شريح بن مالك الخثعمى فقاتل القوم تحتها حتّى صرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلا و اصيب من خثعم الشّام مثلهم ثمّ ردّها شريح بن مالك إلى كعب بن أبى كعب.

قال نصر: إنّ رايه بحيله فى صفين مع أهل العراق كانت فى أخمس مع ابى شداد قيس بن المكسوخ، قالت البحيله لأبى شدّاد: خذ رايتنا، فقال: غيرى خير لكم منّى قالوا: لا نريد غيرك، قال: فو اللّه لئن اعطيتمونيها لانتهى بكم دون صاحب التّرس المذهب.

قالوا: و كان على رأس معاويه رجل قائم معه ترس مذهّب يستره من الشّمس فقالوا اصنع ما شئت فأخذها ثمّ زحف بها و هم حوله يضربون النّاس بأسياف حتى انتهى إلى صاحب التّرس المذهب و هو فى خيل عظيمه من أصحاب معاويه، و كان عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد، فاقتتل النّاس هناك قتالا شديدا و شدّ أبو شدّاد بسيفه نحو صاحب التّرس فعرض له رومى من دونه لمعاويه فضرب قدم أبى شدّاد فقطعها، و ضرب أبو شدّاد ذلك الرّومى فقتله، و أسرعت إليه الأسنه، فقتل، فاخذ الرّايه عبد اللّه بن قلع الأخمس و قاتل حتّى قتل، فأخذها بعده أخوه عبد الرّحمن بن قلع فقاتل حتّى قتل، ثمّ أخذها عفيف بن أياس الأخمس، فلم تزل بيده حتّى تحاجز النّاس.

قال نصر: و قال رجل من أصحاب علىّ أما و اللّه لأحملن على معاويه حتّى

أقتله. فركب فرسا ثمّ ضربه حتّى قام على سنابكه، ثمّ دفعه فلم ينهنهه شيء عن الوقوف حتّى وقف على رأس معاويه، فهرب معاويه و دخل خبائه فنزل الرّجل عن فرسه و دخل عليه فخرج معاويه من جانب الخباء الآخر فخرج الرّجل فى اثره فاستصرخ معاويه بالنّاس فأحاطوا به و حالوا بينهما فقال معاويه و يحكم انّ السيوف لم يؤذن لها فى هذا و لو لا ذلك لم تصل إليكم فعليكم بالحجاره فرضخوه بالحجاره حتّى همد(١) ثمّ عاد معاويه إلى مجلسه.

قال: و حمل رجل من أصحاب علىّ عليه السّلام يدعى أبا أيوب، و ليس بأبى أيوب الأنصارى على صفّ أهل الشّام، ثمّ رجع فوافق رجلا من أهل الشّام صادرا قد حمل على أهل العراق، ثمّ رجع فاختلفا ضربتين فنفحه أبو أيوب بالسّيف فأبان عنقه فثبت رأسه على جسده كما هو، و كذّب النّاس أن يكون هو ضربه فارى بهم ذلك حتى إذا أدخلته فرسه فى صف اهل الشّام بدر راسه فوقع ميّتا.

فقال علىّ عليه السّلام و اللّه لأنا من ثبات رأس الرّجل أشدّ تعجبا من الضّربه و ان كان إليها ينتهى وصف الواصفين، و جاء أبو أيوب فوقف بين يدى علىّ عليه السّلام فقال له أنت و اللّه كما قال الشّاعر:

و علّمنا الضرب آباؤنا و نحن نعلّم أيضا بنينا

قال نصر: فلما انقضى هذا اليوم بما فيه أصبحوا فى اليوم الثامن من صفر و الفيلقان متقابلان، فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزه فخرج اليه رجل من أهل العراق فاقتتلا بين الصفين قتالا شديدا، ثمّ إن العراقى اعتنقه فوقعا جميعا و غار الفرسان ثمّ إن العراقى قهره فجلس صدره و كشف المغفر عنه يريد ذبحه فاذا هو أخوه لابيه و امّه، فصاح به أصحاب علىّ و يحك اجهز عليه، قال انه أخى، قالوا: فاتركه، قال: لا و اللّه حتّى يأذن أمير المؤمنين، فاخبر علىّ بذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه فقام فعاد إلى صفّ معاويه.

قال نصر: و حدّثنا محمّد بن عبيد اللّه عن الجرجانى قال: كان فارس معاويه الذى

١- (١) الهمود الموت ق.

یعدّه لكلّ مبارز و لكلّ عظيم حريث مولاه، و كان يلبس سلاح معاويه متشبّها به فاذا قاتل قال النّاس ذاك معاويه و إنّ معاويه دعاه فقال له: يا حريث اتّق عليّا وضع رمحك حيث شئت، فأتاه عمرو بن العاص فقال: يا حريث و اللّه لو كنت قرشيا لأحبّ لك معاويه أن تقتل عليّا، و لكن كره أن يكون لك حظها فان رأيت فرصه فاقتحم و خرج علىّ فى هذا اليوم أمام الخيل فحمل عليه حريث.

قال نصر: فحدّثنى عمرو بن شمر عن جابر قال: بل برز حريث هذا اليوم و كان شديدا ايدا ذا بأس لا يرام فصاح يا على هل لك فى المبارزه فاقدم أبا حسن ان شئت، فأقبل علىّ عليه السّلام و هو يقول:

أنا علىّ و ابن عبد المطلب نحن لعمر اللّه اولى بالكتب

منّا النّبى المصطفى غير كذب اهل اللواء و المقام و الحجب

نحن نصرناه على كلّ العرب

ثمّ خالطه فما أمهله أن ضربه ضربه فقطعه نصفين فجزع معاويه عليه جزعا شديدا و عاتب عمرا فى إغرائه إيّاه بعلىّ و قال فى ذلك شعرا:

حريث أ لم تعلم و جهلك ضاير بأنّ عليّا للفوارس قاهر

و انّ عليا لم يبارزه فارس من النّاس الّا أقصدته الأظافر

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى فجدّك اذ لم تقبل النّصح حائر

و ولّاك عمرو و الحوادث جمه غرورا و ما جرّت عليك المقادر

و ظنّ حريث أنّ عمرا نصيحه و قد يهلك الانسان من لا يحاذر

قال نصر فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكى فنادى يا أبا حسن هلمّ إلى المبارزه فأومأ علىّ إلى سعيد بن قيس الهمدانى فبارزه فضربه بالسّيف فقتله.

قال نصر: و كان لهمدان بلاء عظيم فى نصره علىّ عليه السّلام فى صفين و من الشّعر الذى لا يشكّ انّه قاله لكثره الرّواه له:

دعوت فلبّانى من القوم عصبه فوارس من همدان غير لئام

فوارس من همدان ليسوا بمعزل غداه الوغا من يشكر و شبام

ص:۵۲

بکل روینی(۱) و عضب تخاله اذا اختلف الاقوام شعل ضرام

لهمدان اخلاق کرام تزینهم و باس اذا لاقوا و حدّ خضام(۲)

و جدّ و صدق فی الحروب و نجده و قول اذا قالوا بغیر اثام

متی تاتهم فی دارهم تستضیفهم تبت ناعما فی خدمه و طعام

جزی اللّه همدان الجنان فانّها سهام العدی فی کلّ یوم زحام

و لو کنت بوابا علی باب جنّه لقلت لهمدان ادخلوا بسلام(۳)

۱- (۱) الروینی الرمح المنسوب الی روینه اسم امرئه و العضب الضرب و الطعن.

۲- (۲) السیف القاطع

۳- (۳) الاشعار فی الدیوان هکذا و لما رایت الخیل تقرع بالقنافوارسها حمر العیون دوامیو اقبل رهج فی السماء کانهغمامه و جن ملبس بقتامو نادی ابن هند ذا الکلاع و یحصباو کنده فی لخم و حیّ جذامتیممت همدان الذین هم هماذا ناب امر جنّتی و سهامیو نادیت فیهم دعوه فاجابنیفوارس من همدان غیر لئامفوارس من همدان لیسوا بعزلغداه الوغا من یشکر و شبامو من ارحب الشم المطاعین بالقناو رهم و احیاء السبیع و یامو من کل حیّ قد اتتنی فوارسذو و نجدات فی اللقاء کرامبکل روینی و عضب تخالهاذا اختلف الاقوام شعل ضرامیقودهم حامی الحقیقه منهمسعید بن قیس و الکریم محامیفخاضوا لظاها و اصطلوا بشرارهاو کانوا لدی الهیجا کشرب مدامجزی اللّه همدان الجنان فانهمسهام العدی فی کلّ یوم خصاملهمدان اخلاق و دین یزینهمو لین اذا لاقوا و حسن کلاممتی تاتهم فی دارهم لضیافهتبت عندهم فی غبطه و طعاماناس یحبون النبیّ و رهطهسراع الی الهیجاء غیر کهاماذا کنت بوابا علی باب جنهلقلت لهمدان ادخلوا بسلام «۴ - الدوامی الملطخ بالدم.۵ - الغبار الاسود.۶ - یحصب و لخم و جذام قبایل.۷ - ای قصدت.۸ - العزل جمع الاعزل الذی لا سلاح معه ۹ - یشکر بضم الکاف و شبام بالکسر»

قال نصـر: فحدّثنی عمرو بن شـمر قال: ثمّ قام علیّ بین الصّفین و نادی یا معاویه یکرّرها، فقال معاویه اسألوه ما شأنه، قال: أحبّ أن یظهر لی فأکلّمه کلمه واحده، فبرز معاویه و معه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم یلتفت إلی عمرو و قال لمعاویه: و یحک علی م تقتـل النّـاس بینی و بینک و یضـرب بعضـهم بعضا ابرز إلیّ فأیّنا قتل صاحبه فالأمر له فالتفت معاویه إلی عمرو فقال: ما تری یا أبـا عبـد اللّه؟ قال: قـد أنصـفک الرّجل و اعلم أنّک إن نکلت عنه لم تزل مسـبته علیک و علی عقبک ما بقی علی ظهر الأرض عربیّ فقـال معاویه: یا بن العاص لیس مثلی یخـدع عن نفسه و اللّه ما بارز ابن أبی طالب شـجاع قط إلّا و سـقی الارض من دمه، ثمّ انصـرف معاویه راجعا حتی انتهی إلی آخر الصّفوف و عمرو معه، فلمّا رأی علیّ ذلک ضحک و أعاد إلی موقفه قال نصر: و فی حدیث الجرجانی انّ معاویه قال لعمرو: و یحک ما أحمقک تدعونی إلی مبارزته و دونی عکّ و خدّام و الأشـعرون، قال: و حقـدها معـاویه علی عمرو باطنـا و قـال له ظـاهرا مـا أظنّک یا أبا عبـد اللّه قلت ما قلته إلّا مازحا، فلمّا جلس معاویه علیه اللعنه و العذاب مجلسه أقبل عمرو یمشی حتّی جلس إلی جانبه، فقال معاویه:

و لقد ظننتک قلت مزحه مازح و الهزل یحمله مقال الهازی

ما ذا الذی منتک نفسک خالیا قتلی جزیت بما نویت الجازی

فقال: عمرو: ایّها أیّها الرّجل أتجبن عن خصمک و تتّهم نصیحک و قال مجیبا له:

معاوی ما اجترمت علیک ذنبا و لا أنا فی الذی حدّثت خازی

و ما ذنبی بأن نادی علیّ و کبش القوم یدعی للبراز

ص:۵۴

و لو بارزته بارزت ليثا حديد النّاب يخطب كلّ باز

و تزعم أنّنى أضمرت غشّا جزانى بالذى أضمرت جازى

و فى البحار من تفسير العياشى عن أبى الأعزّ التّميمى قال: بينا أنا واقف بصفّين إذ مرّ بى العبّاس بن ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب شاك فى السّلاح على رأسه مغفر و بيده صحيفه يمانيّه يقلّبها و هو على فرس له أدهم و كان عينيه عينا أفعى، فبينا هو يروض فرسه و يلين عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشّام يقال له عرار بن أدهم: يا عبّاس هلمّ إلى البراز، قال: فالنّزول اذن فانّه اياس من الغفول، قال فنزل الشّامى و وجد و هو يقول:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فانّا معشر نزل

قال و ثنى عباس رجله و هو يقول:

و يصدّ عنك مخيله(۱) الرّجل العرّيض موضحه عن العظم

بحسام سيفك أو لسانك و الكلم الاصيل كارعب الكلم

ثمّ عصب(۲) فضلات درعه فى حجزته و دفع فرسه إلى غلام له اسلم كانّى انظر إلى قلاقل(۳) شعره و دلف(۴) كلّ واحد منهما إلى صاحبه قال فذكرت قول أبى ذويب:

فتنازلا و توافقت خيلاهما و كلاهما بطل اللقاء مجدع

قال ثمّ تكافحا(۵) بسيفهما مليّا(۶) من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته

۱- (۱) المخيله الظن و الكبر و العريض كسكيت من يتعرض للناس بالشّراى يمنع عنک ظنّ المتعرّض للشرّ و كبره و خيلاءه ضربه او شجه موضحه عن العظم او كلام بلسانک فان الكلام الاصيل فى التأثير كارغب الكلم اى الجرح، بحار

۲- (۲) العصب الطى الشديد

۳- (۳) القلاقل بالضم السريع التحرک

۴- (۴) الدلف المشى بتثاقل

۵- (۵) التكافح هو الاستقبال فى الحرب بالوجه ليس دونه ترس

۶- (۶) اى ساعه طويله

إلی أن لحظ العبّاس و هنا فی درع الشّامی فأهوی إلیه بالسّیف فانتظم فی درع الشّامی فاهوی إلیه بیده فهتکه إلی ثندوته(۱) ثمّ عاد لمجادلته و قد اصحر له(۲) مفتق الدّرع فضربه العبّاس ضربه انتظم به جوانح صدره و خرّ الشّامی صریعا بخدّه و سمی العبّاس فی النّاس و کبّر النّاس تکبیره ارتجّت لها الأرض فسمعت قائلا یقول من ورائی.

«قاتِلُوهُمْ یُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَیْدِیکُمْ وَ یُخْزِهِمْ وَ یَنْصُرْکُمْ عَلَیْهِمْ وَ یَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِینَ وَ یُذْهِبْ غَیْظَ قُلُوبِهِمْ وَ یَتُوبُ اللّهُ عَلی مَنْ یَشاءُ » فالتفت فاذا هو أمیر المؤمنین علیّ فقال: یا أبا الأعزّ من المبارز لعدوّنا؟ قلت:

هذا ابن (شیخکم خ ل) العبّاس بن ربیعه فقال و إنّه لهو یا عبّاس، قال: لبّیک قال: ألم انهک و حسنا و حسینا و عبد اللّه بن جعفر أن تخلوا بمرکز أو تباشروا حدثا؟ قال: إنّ ذلک لکذلک قال: فما عدا ممّا بدا، قال: أ فأدعی إلی البراز یا أمیر المؤمنین فلا أجیب جعلت فداک؟ قال: نعم طاعه إمامک أولی من اجابه عدوّک، ودّ معاویه أنّه ما بقی من بنی هاشم نافخ ضرمه(۳) إلاّ طعن فی نیطته(۴) إطفاء لنور اللّه «وَ یَأْبَی اللّهُ إِلاّ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ کَرِهَ الْکافِرُونَ ».

أما و اللّه لیهلکنّهم منّا رجال و رجال یسومونهم الخسف(۵) حتّی یکفّفوا(۶) بأیدیهم

۱- (۱) الثندوه کسنبله لحم الندی

۲- (۲) ای اتسع

۳- (۳) الضرمه بالتحریک النار و هذا یقال عند المبالغه فی الهلاک لانّ النار ینفخها الصغیر و الکبیر و الذکر و الانثی ای ما بقی احد منهم

۴- (۴) النیطه نیاط القلب و هو العرق الذی بالقلب متعلق به، بحار

۵- (۵) الخسف ای الذل منه

۶- (۶) استکف و تکفف بمعنی و هو ان یمد کفّه یسأل الناس.

و يحفروا الّا بار إن عادوا لک فعـدلی، قال: و نمی الخبر إلی معاویه فقال: اللّه دم عرار ألا رجل یطلب بـدم العرار؟ قال: فانتدب له رجلاـن من لخم فقالاـ نحن له قال: اذهبا فایّکما قتل العبّاس برازا فله کـذا و کـذا، فأتیاه فـدعواه إلی البراز فقال: إنّ لی سـیّدا اوامره قال: فاتی أمیر المؤمنین علیه السّلام فأخبره فقال: ناقلنی سلاحک بسلاحی، فناقله قال:

و رکب أمیر المؤمنین علیه السّـلام علی فرس العبّاس، و دفع فرسه إلی العبّاس و برز إلی الشّامیین فلم یشـکّا أنّه العبّاس، فقالا له: أذن لک سیّدک فتحرّج أن یقول نعم فقال «أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ ».

قال: فبرز إلیه أحدهما فکانّما اختطفه، ثمّ برز إلیه الثّانی فألحقه بالأوّل و انصرف و هو یقول:

«اَلشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدی عَلَیْکُمْ ».

ثمّ قال: یا عبّاس خذ سلاحک و هات سلاحی قال: و نمی الخبر إلی معاویه فقال:

قبّح اللّه اللجـاج إنّه لقعود مـا رکبته قـط إلاّ خـذلت، فقال عمرو بن العاص، المخـذول و اللّه اللخمیان لا أنت، قال: اسـکت أیّها الشّیخ فلیس هذه من ساعاتک قال: فان لم یکن فرحم اللّه اللخمیّین و ما أراه یفعل قال: ذلک(۱) و اللّه أضیق لحجرک و أخسر لصفقتک قال: أجل و لو لا مصر لقد کانت المنجاه منها، فقال: هی و اللّه أعمتک لولاها لا ألفیت نصیرا.

و رواه فی شـرح المعتزلی من کتـاب عیون الأخبار لابن قتیبه بأدنی تغییر قال نصـر: ثمّ التقی النّاس فاقتتلوا قتالا شدیـدا و حاربت طیّ مع أمیر المؤمنین حربا عظیما و تداعت و ارتجزت فقتل منها أبطال کثیرون، و قاتلت النّخع معه أیضا ذلک الیوم قتالا شدیدا و قطعت رجل علقمه بن قیس النّخعی و قتل اخوه ابیّ بن قیس فکان علقمه یقول بعد ما احبّ انّ رجلی أصحّ ما کانت لما أرجو بها من حسن الثّواب

۱- (۱) ای اقرارک ببطلان أمرنا یضیق الامر علیک و یجعل صفقتک خاسره بائره، بحار

و كان يقول أحبّ أن ا بصراخى فى نومى فرأيته فقلت له: يا أخى ما الـذى قـدمتم عليه؟ فقال: التقينا و أهل الشّام بين يـدى اللّه سبحـانه فاحتججنا عنـده فحججناهم، فما سـررت بشـىء منـذ عقلت سـرورى بتلك الرّؤيا و روى نصـر عن الحصـين بن المنـذر الرّقاشى قال: لمّا تصاف النّاس فى هذا اليوم و حمل بعضهم على بعض تضعضعت ميمنه أهل العراق فجاءنا علىّ و معه بنوه حتّى انتهى الينـا، فنادى بصوت عال جهير لمن هـذه الرّايات؟ فقلنا: رايات ربيعه، و قال: بل هى رايات اللّه عصم اللّه أهلها و صبّرهم و ثبّت أقدامهم، ثمّ قال لى و أنا حامل رايه ربيعه يومئذ: يافتى ألا تدنى رايتك هذه ذراعا؟ فقلت بلى: و اللّه و عشره أذرع فأدنيتها فقال لى: حسبك مكانك قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر قال: لما أقبل الحصين بن المنذر يومئذ و هو غلام يزحف برايه ربيعه و كانت حمراء فأعجب عليّا زحفه و ثباته فقال:

لمن رايه حمراء يخفق ظلّها إذا قيل قدّمها حصين تقدّما

و يدنو بها فى الصّفّ حتّى يديرها جمام المنايا تقطر الموت و الدّما

تراه إذا ما كان يوم عظيمه أبى فيه إلاّ عزّه و تكرّما

جزى اللّه قوما صابروا فى لقائهم لدى النّاس خيرا ما أعزّ و أكرما

و أحزم صبرا يوم يدعى إلى الوغا إذا كان أصوات الكماه تغمغما

ربيعه أعنى أنّهم أهل نجده و بأس اذا لا قوا خميسا غرمرما

و قد صبرت عكّ و لخم و حمير لمذحج حتّى لم يفارق دم دما

و نادت جذام يا لمذحج ويحكم جزى اللّه شرّا أيّنا كان أظلما

أما تتّقون اللّه فى حرماتكم و ما قرّب الرّحمن منها و عظّما

أذقنا ابن حرب طعننا و ضرابنا بأسيافنا حتّى تولّى و أحجما

و فرّ ينادى زبرقان بن أظلم و نادى كلاعا و الكريث و الغما

و عمرا و سفيانا وجهما و مالكا و حوشب و الغازى شريحا و اظلما

ص:۵۸

و كرز بن تيهان و عمرو بن جحدد و صبّاحا القينى يدعو و أسلما

(۱) قال نصر: و أقبل ذو الكلاع فى حمير و من لف لفها و معهم عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فى أربعه آلاف من قرّاء أهل الشّام ذو الكلاع فى حمير فى الميمنه، و عبيد اللّه فى القرّاء فى الميسره، فحملوا على ربيعه و هم فى ميسره أهل العراق و فيهم عبد اللّه ابن العبّاس حمله شديده فتضعضعت رايات ربيعه ثمّ إنّ أهل الشّام انصرفوا فلم يمكثوا إلّا قليلا حتّى كرّوا ثانيه و عبيد اللّه بن عمر فى أوائلهم يقول: يا أهل الشّام هذا الحىّ من العراق قتله عثمان و أنصار علىّ فان هزمتم هذه القبيله أدركتم ثاركم فى عثمان فشدّوا على النّاس شدّه عظيمه فثبتت لهم ربيعه و صبرت صبرا حسنا الّا قليلا من الضّعفاء و اشتدّ القتال بين ربيعه و حمير و عبيد اللّه بن عمرو كثرت القتلى ثمّ خرج خمسمائه فارس أو أكثر من أصحاب علىّ على رءوسهم البيض، و هم

۱- (۱) الابيات فى الديوان هكذا لنا الرايه السوداء يخفق ظلّهااذا قيل قدّمها حصين تقدّمافيوردها فى الصف حتى يزبرهاحياض المنايا تقطر الموت و الدماتريه اذا ما كان يوم كريههالى فيه الا عزّه و تكرّماو اجمل صبرا حين يدعى الى الوغااذا كان اصوات الرجال تغمغماو قد صبرت عكّ و لخم و حميرلمذحج حتى أورثوها التندّماو نادت جذام بالمذحج ويحكمجزى اللّه شرا اينا كان اظلمااما تتقون اللّه فى حرماتناو ما قرّب الرحمن منا و عظّماجزى اللّه قوما قاتلوا فى لقائهملدى الموت قدما ما اعزّ و اكرماربيعه اعنى انهم أهل نجدهو بأس اذا لاقوا خميسا عرمرمااذقنا ابن هند طعننا و ضرابناباسيافنا حتى تولّى و احجماو ولّى ينادى زبرقان بن ظالمو ذا كلع يدعو كريبا و انعماو عمرا و نعمانا و بسرا و مالكاو حوشب و الداعى معاد و اظلماو كرز بن تيهان و ابنى محرقو حرثا و قينيا عبيدا و ظلما

غائصون فى الحديـد لا يرى منهم إلّا الحـدق، و خرج اليهم من أهل الشّام نحوهم فى العـدّه فاقتتلوا بين الصـفين و النّاس وقوف تحت راياتهم، فلم يرجع من هؤلاء مخبر لا عراقىّ و لا شامىّ قتلوا جميعا بين الصـفّين، و كان بصفّين تلّ يلقى عليه الجماجم من الرّجال يدعى تلّ الجماجم قال نصر: ثمّ ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا من اليوم التّاسع من صفر، و قد خطب معاويه أهل الشّام و حرّضهم فقال: إنّه قد نزل من الأمر ما ترون و حضركم ما حضركم فاذا نهدتم اليهم انشاء اللّه فقدّموا الدّارع و أخّروا الحاسر و صفّوا الخيـل و أجنبوهـا و كونوا كقصّ الشّارب و أعيرونا جماجمكم ساعه فانّما هو ظالم أو مظلوم و قـد بلغ الحقّ مقطعه قال: و كـانت التّعبيه فى هـذا اليوم كـالتّعبيه فى الـذى قبله، فحمـل عبيـد اللّه بن عمر فى قرّاء أهل الشّام و معه ذو الكلاع فى حمير على ربيعه و هى ميسـره علىّ عليه السّـلام فقاتلوا قتالا شديـدا فاتى زياد بن حفصه الى عبد القيس فقال لهم: لا يكوننّ وائل بعد اليوم انّ ذا الكلاع و عبيد اللّه أباد ربيعه فانهضوا لهم و الاّ هلكوا، فركبت عبد القيس و جاءت كانّها غمامه سوداء فشدّت ازار الميسره فعظم القتال فقتل ذو الكلاع الحميرى قتله رجل من بكر بن وائل اسـمه خنـدف، و تضعضـعت أركان حمير و ثبتت بعد قتل ذى الكلاع تحارب مع عبيـد اللّه بن عمر و أرسل عبيـد اللّه إلى الحسن بن علىّ عليه السّـلام أنّ لى إليك حاجه فألقنى فلقاه الحسـن عليه السّـلام فقال عبيـد اللّه: إنّ أباك قـد وتر قريشا أوّلا و آخرا و قد شـنئه النّاس فهل لك فى خلعه و ان تتولى أنت هذا الأمر: فقـال: كلاّـ و اللّه لا يكون ذلك، ثمّ قال. يابن الخطاب و اللّه لكانّى أنظر إليك مقتولا فى يومك أو غـدك أما إنّ الشـيطان قد زيّن لك و خدعك حتّى أخرجك مخلقا بالخلوق ترى نساء أهل الشّام موقفك و سيصرعك اللّه و يبطحك لوجهك قتيلا.

قال نصر: فو اللّه ما كان إلاّ بياض ذلك اليوم حتّى قتل عبيد اللّه و هو فى كتيبه

رقطاء(۱) و کانت تدعی الخضریه و کانوا أربعه الف علیهم ثیاب خضر، فمرّ الحسن فاذا رجل متوسد رجل قتیل قد رکز رمحه فی عینه و ربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه: انظروا من هذا فاذا رجل من همدان و إذا القتیل عبید اللّه بن عمر قد قتله الهمدانی فی أوّل اللیل و بات علیه حتّی أصبح.

قال نصر: و قد اختلفت الرّواه فی قاتل عبید اللّه فقالت الهمدان: نحن قتلناه قتله هانی بن الخطاب الهمدانی، و قالت حضر موت: نحن قتلناه قتله محرز بن الصّحصح، و روی أنّ قاتله حریث بن جابر الحنفی و کان رئیس بنی حنیفه یوم صفین.

قال نصر: فأتی ذا الکلاع فقد ذکرنا مقتله و أنّ قاتله خندف البکری، و روی عمرو بن شمر عن جابر قال حمل ذا الکلاع ذلک الیوم بالفیلق العظیم من حمیر علی صفوف العراق، ناداهم أبو شجاع الحمیری و کان من ذوی البصایر مع علیّ علیه السّلام فقال: یا معشر حمیر تبّت أیدیکم أ ترون معاویه خیرا من علیّ أضلّ اللّه سعیکم، ثمّ أنت یا ذا الکلاع قد کنّا نری لانّ لک نیّه فی الدّین فقال ذا الکلاع ایها یابا شجاع و اللّه إنّی لأعلم ما معاویه بأفضل من علیّ، و لکنّی اقاتل علی دم عثمان، قال فاصیب ذو الکلاع حینئذ قتله خندف فی المعرکه. قال معاویه لما قتل ذو الکلاع: لانا أشدّ فرحا بقتل ذی الکلاع منّی بفتح مصر لو فتحها، لأنّ ذا الکلاع کان یحجز علی معاویه فی أشیاء کان یأمر بها.

قال نصر: فلما قتل ذو الکلاع اشتدّت الحرب و شدّعکّ و لخم و خدام «جذام» و الأشعریون من أهل الشّام علی مذحج من أهل العراق جعلهم معاویه بازائهم فنادی منادی مذحج بالمذحج خدموا أی اضربوا مواضع الخدمه(۲) و هی السّوق فاعترضت مذحج سوق القوم فکان فیه بوار عامتهم.

قال نصر: حدّثنی عمرو بن الزبیر قال: سمعت الحصین المنذر یقول أعطانی علیّ ذلک الیوم رایه ربیعه و قال: بسم اللّه سریا حصین و اعلم أنّک لا تخفق علی رأسک

۱- (۱) الرقطه سواد یشوبه بیاض او بالعکس.

۲- (۲) ای الخلخال.

رایه مثلها أبـدا، هـذه رایه رسول اللّه فجاء أبو عرفا. جبله بن عطیه الذّهلی إلی الحصـین و قال: هل لک أن تعطینی الرّایه أحملها لـک ذکرها ولی أجرها؟ فقال الحصـین: و ما غنا یا عم مع ذکرها. عن أجرها قال: إنّه لا غنی بک عن ذلک و لکن أعرها ساعه فمـا أسـرع مـا ترجع إلیـک، قـال الحصـین: فقلت انّه قـد اسـتقبل و انّه یریـد أن یموت مجاهـدا فقلت له: خـذها فأخـذها ثمّ قال لأصحابه:

إنّ عمـل الجنّه کره کلّه و ثقیل، و إنّ عمل النّار خفّ کلّه و خبیث إنّ الجنّه لا یـدخلها إلاّ الصابرون الـذین صبروا أنفسـهم علی فرائض اللّه و أو امره و لیس شـیء ممّـا فرض اللّه علی العباد أشـدّ من الجهاد هو أفضل الأعمال ثوابا عنـد اللّه، فاذا رأیتمونی قد شددت فشدّوا ویحکم أما تشتاقون إلی الجنّه أما تحبون أن یغفر اللّه لکم فشدّوا معه و قاتلوا قتالا شدیدا فقتل أبو عرفاء و شدّت ربیعه بعده شدّه عظیمه علی صفوف أهل الشّام فنقضها.

قـال نصـر: فاضـطرب النّـاس یومئـذ بالسّـیوف حتّی تقطعت و تکسّـرت و صـارت کالمناجـل و تطاعنوا بالرّماح حتّی تقصـفت و تنـاثرت أنابیبهـا، ثمّ جثوا علی الرّکب فتحاثوا بالتّراب یحثو بعضـهم التّراب فی وجه بعض ثمّ تعانقوا و تکاوموا بالأفواه ثمّ تراموا بالصّـخر و الحجـاره ثمّ تحاجزوا فکان الرّجل من أهل العراق یمرّ علی أهل الشّام فیقول کیف اجز إلی رایات بنی فلان فیقولون ههنا لاهداک اللّه و یمرّ الرّجل من أهل الشّام علی أهل العراق فیقول کیف أمضـی إلی رایات بنی فلان فیقولون ههنا لا هداک اللّه و لا عافاک.

قال نصـر: و قال معاویه لعمرو بن العاص أما تری یا أبا عبـد اللّه إلی ما قـد وقعنا کیف تری أهل الشّام غـدا صانعین إنّا لبمعرض خطر عظیم فقـال له إن أصـبحت غـدا ربیعه و هم متعطفّون حول علیّ تعطف الابـل حول فحلها لقیت منهم جلادا صادقا و باسـا شدیدا و کانت التی لا سوی لها فقال معاویه أ یجوز إنّک تخوفنا یا با عبد اللّه، قال:

إنّک سألتنی فأجبتک فلمّا أصبحوا فی الیوم العاشر أصبحوا و ربیعه محدقه بعلیّ إحداق بیاض العین بسوادها.

ص:۶۲

قال نصر: حدّثنى عمرو بن شمر قال لمّا أصبح علىّ هذا اليوم جاء فوقف بين رايات ربيعه فقال عتاب بن لقيط البكرى من بنى قيس بن ثعلبه: يا معشر ربيعه حاموا من علىّ منذ اليوم فان اصيب فيكم افتضحتم ألا ترونه قائما تحت راياتكم و قال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعه ليس لكم عذر عند العرب إن وصل إلى علىّ و فيكم رجل حىّ، فامنعوه اليوم و اصدقوا عدوّكم اللقاء فانّه حمد الحياه تكسبونه فتعاهدت ربيعه و تحالفت بالايمان العظيمه و تابع منهم سبعه آلاف على أن لا ينظر رجل خلفه حتّى يردوا سرادق معاويه، فقاتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا لم يكن قبله مثله و أقبلوا نحو سرادق معاويه فلمّا نظر إليهم قد اقبلوا قال:

اذا قلت قد ولّت ربيعه اقبلت كتائب منها كالجبال تجالد

ثمّ قال لعمرو: يا عمرو ما ترى؟ قال: أرى أن لا ـ تحنث اخو الى اليوم، فقام معاويه و خلّا لهم سرادقه و رحله و خرج فارّا عنه لائذا ببعض مضارب العسكر فى اخريات النّاس، و انتهبت ربيعه سرادقه و رحله و بعث إلى خالد بن المعمر أنّك قد ظفرت و لك أماره خراسان إن لم تتمّ، فقطع خالد القتال، و لم يتمّه، و قال لربيعه:

قد برت أيمانكم فحسبكم، فلما كان عام الجماعه و بايع النّاس معاويه أمّره معاويه على خراسان و بعثه اليها فمات قبل أن يبلغها.

قال نصر فى حديث عمر بن سعد: إنّ عليّا صلّى بهم يومئذ صلاه الغداه ثمّ زحف بهم، فلمّا بصروه قد خرج استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالا شديدا، ثمّ إنّ خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب علىّ ألف رجل أو أكثر، فأحاطوا بهم و حالوا بينهم و بين أصحابهم فلم يروهم، فنادى علىّ ألا رجل يشرى نفسه للّه و يبيع دنيا بآخرته فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحرث على فرس أدهم كانّه غراب مقنّع فى الحديد لا يرى منه إلاّ عيناه فقال: يا أمير المؤمنين مرنى بأمرك فو اللّه لا تأمرنى بشىء إلاّ صنعته فقال علىّ عليه السّلام:

سمحت بأمر لا يطاق حفيظه و صدقا و اخوان الوفاء قليل

جزاك إله الناس خيرا فانّه لعمرك فضل ما هناك جزيل

ص:۶۳

أبا الحرث شد اللّه ركنك احمل على أهل الشّام حتّى تأتى أصحابك فتقول لهم إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السّلام و يقول لكم هلّلوا و كبّروا من ناحيتكم، و نهلّل و نكبّر من ههنا و احملوا من جانبكم و نحمل من جانبنا على أهل الشّام فضرب الجعفى فرسه حتّى اذا أقامه على أطراف سنابكه حمل على أهل الشّام المحيطين بأصحاب علىّ عليه السّلام فطاعنهم ساعه و قاتلهم فافرجوا له حتّى خلص إلى أصحابه.

فلمّا رأوه استبشروا به و فرحوا و قالوا: ما فعل أمير المؤمنين عليه السّلام قال صالح يقرئكم السّلام و يقول لكم: هلّلوا و كبّروا و احملوا حمله رجل واحد من جانبكم و نهلّل نحن من جانبنا ففعلوا ما أمرهم به و هلّلوا و كبّروا و هلّل علىّ و كبّر هو و أصحابه و حمل على أهل الشّام و حملوهم من وسط أهل الشّام فانفرج عنهم و خرجوا و ما اصيب منهم رجل واحد، و لقد قتل من فرسان الشّام يومئذ زهاء سبعمائه إنسان و قال علىّ عليه السّلام من أعظم النّاس اليوم عناء؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال: كلّا و لكنه الجعفى.

قال نصر: و كان علىّ عليه السّلام لا يعدل بربيعه أحدا من النّاس، فشقّ ذلك على مضر و أظهر والهم «له خ ل» القبيح و أبدوا ذات أنفسهم، فقام أبو الطفيل عامر بن وائله الكنانى و عمير بن عطارد التميمى و قبيصه بن جابر الأسدى و عبد اللّه بن الطفيل العامرى فى وجوه قبائلهم، فأتوا عليّا فتكلّم أبو الطفيل فقال: يا أمير المؤمنين انا و اللّه ما نحسدقو ما خصّهم اللّه منك بخير و إنّ هذا الحىّ من ربيعه قد ظنوا أنهم أولى بك منك فاعفهم عن القتال أيّاما و اجعل لكلّ امرء منّا يوما نقاتل فيه فانا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا، فقال علىّ عليه السّلام: نعم اعطيكم ما طلبتم، و أمر ربيعه أن تكفّ عن القتال و كانت بازاء اليمن من صفوف أهل الشّام.

فغدا أبو الطفيل عامر بن وائله فى قومه من كنانه و هم جماعه عظيمه فتقدّم أمام الخيل و اقتتلوا قتالا شديدا ثمّ انصرف إلى علىّ فأثنى عليه السّلام عليه خيرا.

ثمّ غدا فى اليوم الثّانى عمير بن عطارد بجماعه من بنى تميم و هو يومئذ سيد

مضر الكوفه فقال: يا قوم إنّى اتبع آثار أبى الطفيل فاتبعوا آثار كنانه و قاتل أصحابه قتالا شديدا حتّى امسوا و انصرف عمير إلى علىّ عليه السّلام و عليه سلاحه.

ثمّ غدا فى اليوم الثّالث قبيصه بن جابر الأسدى فى بنى أسد و قال لأصحابه:

يا بنى أسد اما أنا فلا أقصر دون صاحبى و أمّا أنتم فذاك اليكم، ثمّ تقدّم فقاتل القوم إلى أن دخل الليل.

ثمّ غدا فى اليوم الرّابع عبد اللّه بن الطفيل العامرى فى جماعه هوازن فحارب بهم حتى الليل ثمّ انصرفوا.

قال نصر: كتب عقبه بن مسعود عامل علىّ عليه السّلام على الكوفه إلى سليمان بن صرد الخزاعى و هو مع علىّ: أمّا بعد فانّهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم و لن تفلحوا إذا أبدا، فعليك بالجهاد و الصّبر مع أمير المؤمنين و السّلام.

قال و حدّثنا عمر بن سعد و عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

قام علىّ عليه السّلام فخطب النّاس بصفين فقال:

الحمد للّه على نعمه الفاضله على جميع من خلق من البرّ و الفاجر، و على حججه البالغه على خلقه من أطاعه فيهم و من عصاه، إن يرحم فبفضله و منّه، و إن عذب فبما كسبت أيديهم و أنّ اللّه ليس بظلّام للعبيد، أحمده على حسن البلاء و تظاهر النّعماء، و أستعينه على مانا بنا من أمر الدّنيا و الآخره، و أتوكّل عليه و كفى باللّه وكيلا.

ثمّ إنّى اشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ارسله بالهدى و دين الحقّ و ارتضاه لذلك، و كان أهله و اصطفاه لتبليغ رسالته و جعله رحمه منه على خلقه، فكان لعلمه منه «كعلمه فيه خ ل»، رءوفا رحيما و أفضلهم علما و أثقلهم حلما و أوفاهم بعهد و آمنهم على عقد، لم يتعلّق عليه مسلم و لا كافر بمظلمه قط، بل كان يظلم فيغفر و يقدر فيصفح حتّى مضى مطيعا للّه صابرا على ما اصابه مجاهدا فى اللّه حق جهاده حتّى أتاه اليقين، فكان ذهابه أعظم المصيبه

على أهل الأرض البرّ و الفاجر.

ثمّ ترك فيكم كتاب اللّه يأمركم بطاعه اللّه و ينهاكم عن معصيته، و قد عهد إلىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عهدا فلست أحيد عنه و قد حضرتم عدوّكم و علمتم أن رئيسهم منافق ابن منافق يدعوهم إلى النّار، و ابن عمّ نبيّكم معكم و بين أظهركم و يدعوكم إلى الجنّه و إلى طاعه ربّكم و العمل بسنّه نبيكم، و لا سوى من صلّى قبل كلّ ذكر لا يسبقنى بصلاه مع رسول اللّه أحد و أنا من أهل بدر و معاويه طليق ابن طليق، و اللّه إنّا على الحقّ و إنّهم على الباطل فلا تجتمعن عليه و تتفرّقوا عن حقّكم حتّى يغلب باطلهم على حقّكم، قاتلوهم يعذّبهم اللّه بأيديكم، فان لم تفعلوا يعذّبهم بأيدى غيركم.

فقام أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين انهض بنا إلى عدوّنا و عدوّك إذا شئت فو اللّه لا نريد بك بدلا بل نموت معك و نحيا معك، فقال لهم:

و الذى نفسى بيده لنظر إلىّ النّبى أضرب بين يديه بسيفى هذا فقال: لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا علىّ، فقال لى: يا علىّ أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبىّ بعدى و موتك و حياتك يا علىّ معى، و اللّه ما كذب و لا كذبت و لا ضللت و لا نسيت ما عهد إلىّ و إنّى على بيّنه من ربّى و على الطريق الواضح ألفظه لفظا ثمّ نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشّمس حتّى غاب الشّفق الأحمر و ما كانت صلاه القوم فى ذلك اليوم إلّا تكبيرا.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشّعبى عن صعصعه بن صوحان قال برز فى أيّام صفّين رجل اشتهر بالبأس و النّجده اسمه كريث بن الوضاح، فنادى من يبارز، فخرج إليه المرتفع بن وضاح الزّبيدى فقتله، ثمّ - نادى من يبارز فخرج اليه الحارث بن الحلّاج فقتله، ثمّ نادى من يبارز فخرج إليه عائذ بن مسروق الهمدانى فقتله، ثمّ رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض و نادى من يبارز.

فخرج إليه علىّ عليه السّلام و ناداه ويحك يا كريث إنّى احذّرك اللّه و بأسه و نقمته و أدعوك إلى سنّه اللّه و سنّه رسوله ويحك لا يدخلنك معاويه النّار، فكان جوابه أن

قال: أكثر ما قد سمعت منك هذه المقاله و لا حاجه لنا فيها، اقدم إذا شئت من يشترى سيفى و هذا أثره فقال علىّ عليه السّلام لا حول و لا قوّه إلّا باللّه، ثمّ مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربه خرّ منها قتيلا يشحط فى دمه ثمّ نادى من يبرز فبرز إليه الحرث بن وداعه (الحارث بن وادعه خ ل) الحميرى فقتله، ثمّ نادى من يبرز فبرز إليه المطاع بن المطلب القينى فقتل مطاعا، ثمّ نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحد فنادى «الشّهر الحرام بالشّهر الحرام و الحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتّقوا اللّه و اعلموا أنّ اللّه مع المتّقين» يا معاويه هلم إلىّ فبارزنى و لا يقتلن النّاس فيما بيننا، فقال عمرو بن العاص اغتنمه متهزءا قد قتل ثلاثه أبطال العرب و إنّى أطمع أن يظفرك اللّه به، فقال معاويه و اللّه لن تريد إلّا أن اقتل فتصيب الخلافه بعدى اذهب إليه فليس مثلى يخدع قال نصر: و خطب عبد اللّه بن العبّاس يومئذ فقال:

الحمد للّه ربّ العالمين الذى دحى تحتنا سبعا و سمك فوقنا سبعا و خلق فيما بينهنّ خلقا و أنزل لنا منهنّ رزقا، جعل كلّ شىء يبلى و يفنى غير وجهه الحىّ القيوم الذى يحيى و يبقى، إنّ اللّه تعالى بعث أنبياء و رسلا فجعلهم حججا على عباده عذرا و نذرا لا يطاع إلّا بعلمه و اذنه بالطاعه على من يشاء من عباده، ثمّ يثيب عليها و يعصى فيعفو و يغفر بحلمه لا يقدر قدره و لا يبلغ شىء مكانه، أحصى كلّ شىء عددا و أحاط بكلّ شىء علما.

و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله امام الهدى و النبىّ المصطفى، و قد ساقنا قدر اللّه إلى ما ترون حتّى كان ممّا اضطرب من جعل هذه الامه و انتشر من امرها انّ معاويه بن أبى سفيان وجد من طغام النّاس أعوانا على ابن عمّ رسول اللّه و صهره و أوّل ذكر صلّى معه بدرى، قد شهد مع رسول اللّه كلّ مشاهده التى فيها الفضل و معاويه مشرك يعبد الاصنام و الذى ملك الملك وحده و بان به لقد قاتل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام مع رسول اللّه

و هو يقول: صدق اللّه و رسوله و معاويه يقول كذب اللّه و رسوله، فعليكم بتقوى اللّه و الجدّ و الحزم و الصّبر و اللّه إنّكم لعلى حقّ، و إنّ القوم لعلى باطل، فلا يكونن أولى بالجدّ على باطلهم منكم فى حقّكم، و إنّا لنعلم أنّ اللّه سيعذّبهم بأيديكم أو بأيدى غيركم، اللهمّ أعنّا و لا تخذلنا و انصرنا على عدوّنا و لا تحل عنّا، و افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو عن عبد الرّحمن بن جندب عن جندب بن عبد اللّه قال: قام عمّار يوم صفّين فقال:

انهضوا معى عباد اللّه إلى قوم يزعمون أنّهم يطلبون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد اللّه بغير ما فى كتاب اللّه إنّما قتله الصّالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالعدل و الاحسان، فقالوا هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدّين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لاحداثه، فقالوا: إنّه لم يحدث شيئا و ذلك لانّه مكنهم من الدّنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهدمت الجبال، و اللّه ما أظنّهم يطلبون بدم إنّهم ليعلمون أنّه لظالم و لكنّ القوم و افوا للدّنيا فاستحبّوها و استمروها و علموا أنّ صاحب الحقّ لو ولاهم لحال بينهم و بين ما يأكلون و يرعون منها إنّ القوم لم تكن لهم سابقه فى الاسلام يستحقّون بها الطاعه و الولايه فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل امامنا مظلوما ليكونوا بذلك جبابره و ملوكا، تلك مكيده قد بلغوا بها ما ترون، و لولاها ما بايعهم من النّاس رجل اللهمّ ان تنصرنا فطال ما نصرت و ان تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الاليم ثمّ مضى و مضى معه أصحابه، فدنا من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو بعت دينك بمصر فتبا لك فطال ما بغيت للاسلام عوجا، ثمّ نادى عبيد اللّه بن عمر و ذلك قبل مقتله و قال: يا بن عمر صرعك اللّه بعت دينك بالدّنيا من عدوّ اللّه و عدوّ الاسلام، قال: كلاّ و لكنّى اطلب بدم عثمان الشّهيد المظلوم، قال: كلاّ اشهد على علمى فيك أنّك أصبحت لا تطلب فى شىء من فعلك وجه اللّه و أنّك ان لم تقتل اليوم فستموت فانظر اذا أعطى اللّه على نيّاتهم مانيّتك ثمّ قال:

اللهمّ إنّک تعلم أنّی لو أعلم أنّ رضاک فی ان اقذف بنفسی هذا البحر لفعلت اللهمّ إنّک تعلم أنّی لو أعلم أنّ رضاک أن أضع ظبیه سیفی فی بطنی ثمّ أنحنی علیه حتّی یخرج من ظهری لفعلت، اللهمّ إنّی أعلم ممّا علمتنی أنّی لا أعمل عملا الیوم هذا هو أرضی من جهاد هؤلاء الفاسقین، و لو أعلم الیوم عملا هو أرضی لک منه لفعلت و فی البحار روی نصر عن عمر بن سعد عن مالک بن أعین عن زید الجهنی انّ عمّار بن یاسر نادی یومئذ أین من یبغی رضوان ربّه و لا یؤب إلی مال و لا ولد؟ قال:

فأتته عصابه من النّاس فقال: یا أیّها النّاس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذین یبغون دم عثمان و یزعمون أنّه قتل مظلوما، و اللّه إن کان إلّا ظالما لنفسه الحاکم بغیر ما أنزل اللّه.

فدفع علیّ علیه السّلام الرّایه الی هاشم بن عتبه و کان علیه درعان فقال له علیّ کهیئه المازح: أبا هاشم أما تخشی علی نفسک أن تکون أعورا جبانا؟ قال: ستعلم یا أمیر المؤمنین و اللّه لألفنّ بین جماجم القوم لفّ رجل ینوی الآخره، فأخذ محا فهزه فانکسر، ثمّ أخذ آخر فوجده جاسیا فألقاه، ثمّ دعا برمح لیّن فشدّ به لوائه و لمّا دفع علیّ علیه السّلام الرّایه إلی هاشم قال له رجل من بکر بن وائل من أصحاب هاشم: اقدم مالک یا هاشم قد انتفخ سحرک عورا وجبنا، قال: من هذا؟ قالوا: فلان قال: أهلها و خیر منها إذا رأیتنی صرعت فخذها ثمّ قال لأصحابه شدوا شسوع نعالکم و شدّوا ازرکم فاذا رأیتمونی قد هزرت الرّایه ثلاثا فاعلموا أنّ أحدا منکم لا یسبقنی إلی الحمله.

ثمّ نظر هاشم إلی عسکر معاویه فرأی جمعا عظیما، فقال: من أولئک؟ قالوا أصحاب ذی الکلاع ثمّ نظر فرأی جندا آخر فقال: من أولئک؟ قالوا: جند أهل المدینه قریش، قال: قومی لا حاجه لی فی قتالهم، قال من عند هذه القبّه البیضاء؟ قیل معاویه و جنده، فحمل حینئذ یرقل ارقالا(۱)

۱- (۱) ارقل اسرع و المفازه قطعها و ناقه مرقال و مرقل کمحسن و محسنه مسرعه و المرقال هاشم ابن عتبه لانّ علیا علیه السلام اعطاء الرایه یوم صفین فکان یرقل بها، ق

و عن عبد العزيز بن سيّاح عن حبيب بن أبى ثابت قال: لمّا كان قتال صفّين و الرّايه مع هاشم بن عتبه جعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرّمح و يقول: اقدم يا أعور لا- خير فى أعور لا- يأتى الفزع قال: فجعل يستحيى من عمّار و كان عالما بالحرب فيتقدّم فيركز الرايه فاذا سامت إليه الصّفوف قال عمّار: اقدم يا اعور لا خير فى أعور لا يأتى الفزع فجعل عمرو بن العاص يقول: إنّى لأرى لصاحب الرّايه السّوداء عملا- لئن دام ليفنينّ العرب اليوم، فاقتتلوا قتالا شديدا و جعل عمّار يقول صبرا عباد اللّه، الجنّه فى ظلال البيض قال: و كانت علامه أهل العراق بصفين الصّوف الأبيض قد جعلوه فى رؤوسهم و على اكتافهم، و شعارهم يا اللّه يا أحد يا صمد يا رحيم، و كانت علامه أهل الشّام خرقا بيضا قد جعلوه على رؤوسهم و اكتافهم، و كان شعارهم نحن عباد اللّه حقّا يا لثارات عثمان.

قال: فاجتلدوا بالسّيوف و عمد الحديد، فما تحاجزنا حتّى حجز بيننا سواد الليل و لا يرى رجل منّا و لا منهم موليا، فلمّا أصبحوا و ذلك يوم الثلثاء خرج النّاس إلى مصافهم.

فقال أبو نوح، فكنت فى خيل علىّ عليه السّلام فاذا أنا برجل من أهل الشّام يقول من يدلّنى على الحميرى إلى نوح، قال: قلت فقد وجدته فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع سر الىّ، فقال أبو نوح: معاذ اللّه أن أسير إليك إلّا فى كتيبه، قال ذو الكلاع سرفلك ذمّه اللّه و ذمّه رسوله و ذمّه ذى الكلاع حتّى ترجع إلى خيلك فانّما اريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه فسار حتّى التقيا، فقال ذو الكلاع إنّما دعوتك احدّثك حديثا حدّثنا عمرو بن العاص فى أماره عمر بن الخطاب قال أبو نوح: و ما هو؟ قال: حدّثنا عمرو بن العاص أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: يلتقى أهل الشّام و أهل العراق و فى إحدى الكتيبتين الحقّ و امام الهدى و معه عمّار بن ياسر، قال أبو نوح: لعمر اللّه إنّه لفينا، قال:

أجادّ هو على قتالنا؟ قال أبو نوح: نعم و ربّ الكعبه فهو أشدّ على قتالكم منّى

فقال ذو الكلاع: هل تستطيع أن تأتى معى صف أهل الشّام فأنالك جار منهم حتّى تلقى عمرو بن العاص فتخبره عن عمّار و عن جدّه فى قتالنا لعلّه يكون صلحا بين هذين الجندين، فقال له أبو نوح إنّك رجل غادر و أنت فى قوم غدر و إن لم تكن تريد الغدر أغدروك و إنّى إن أموت أحبّ إلىّ أن أدخل مع معاويه و أدخل فى دينه و أمره.

فقال ذو الكلاع: أنا جار لك من ذلك أن لا تقتل و لا تسلب و لا تكره على بيعه و لا تحبس عن جندك، و إنّما هى كلمه تبلغها عمرا لعلّ اللّه يصلح بين هذين الجندين و يضع عنهم الحرب و السّلاح، فسار معه حتّى أتى عمرو بن العاص و هو عند معاويه و حوله النّاس و عبيد اللّه بن عمر يحرّض النّاس فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا با عبد اللّه هل لك فى رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار بن ياسر و لا يكذّبك؟ قال عمرو: و من هذا معك؟ قال هذا ابن عمّى و هو من أهل الكوفه، فقال له عمرو: إنّى لأرى عليك سيما أبى تراب قال: سيماء محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه، و عليك سيماء أبى جهل و هو سيماء فرعون.

فقام أبو الاعور فسلّ سيفه ثمّ قال: أرى هذا الكذّاب يشاتمنا بين أظهرنا و عليه سيماء أبى تراب فقال ذو الكلاع اقسم باللّه لئن بسطت يدك إليه لأحطمنّ أنفك بالسّيف ابن عمى و جارى عقدت له ذمّتى و جئت به إليكم ليخبركم عمّا تماريتم فيه.

فقال له عمرو: اذكرك باللّه يا با نوح إلاّ ما صدقت أ فيكم عمّار بن ياسر؟ فقال له أبو نوح: ما أنا بمخبرك عنه حتّى تخبرنى لم تسأل عنه فانّ معنا من أصحاب رسول اللّه غيره و كلّهم جادّ على قتالكم.

قال عمرو: سمعت رسول اللّه يقول: إنّ عمّارا تقتله الفئه الباغيه، و إنّه ليس ينبغى لعمّار أن يفارق الحقّ و لن تأكل النّار منه شيئا، فقال أبو نوح: لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر إنّه لفينا جادّ على قتالكم.

فقال عمرو: و اللّه إنّه لجادّ على قتالنا؟ قال: نعم و اللّه الـذى لا إله إلاّ هو لقـد حدّثنى يوم الجمل إنا سـنظهر عليهم و لقد حدّثنى أمس أن لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر(١) لعلمنـا أنّا على الحقّ و أنهم على باطل، و لكانت قتلانا فى الجنّه و قتلاهم فى النار فقال له عمرو: هل تستطيع أن تجمع بينى و بينه؟ قال: نعم.

فلمّـا أراد أن يبلغه أصـحابه ركـب عمرو بن العـاص و ابنـاه و عتبه بن أبى سـفيان و ذو الكلاع و أبو الأعور السـلمى و حوشب و الوليـد بن أبى معيط فانطلقوا حتّى أتوا خيولهم و سار أبو نوح و معه شـرجيل بن ذى الكلاع حتّى انتهى إلى أصـحابه فذهب أبو نوح إلى عمّار فوجـده قاعـدا مع أصـحابه مع ابنى بـديل و الهاشم و الأشتر و جاريه بن المثنّى و خالـد بن المعتمر و عبـد اللّه بن حجل و عبد اللّه بن العبّاس.

فقال ابو نوح: إنّه دعانى ذو الكلاع و هو ذو رحم فذكر ما جرى بينه و بينهم و قال: أخبرنى عمرو بن العاص أنّه سـمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: عمّار تقتله الفئه الباغيه، فقال عمّار صدق و ليضرّ به ما سمع و لا ينفعه، فقال أبو نوح: إنّه يريد أن يلقاك فقال عمّار لأصحابه: اركبوا.

قال و نحن اثنا عشـر رجلا بعمار فسـرنا حتّى لقيناهم ثمّ بعثنا إليهم فارسا من عبد القيس يسـمّى عوف بن بشر، فذهب حتّى كان قريبا من القوم، ثمّ نادى أين عمرو بن العاص؟ قالوا: ههنا فأخبرهم بمكان عمّار و خيله، فقال عمرو فليسر الينا:

فقال له عوف: إنّى أخاف غدر انك، ثمّ جرى بينهما كلمات تركتها إلى أن قال:

أقبـل عمّار مع أصـحابه و عمرو مع أصـحابه فتوافقا فقال عمرو: يا أبا اليقظان اذكرك اللّه إلاّ كففت سـلاح أهل هـذا العسكر و حقنت دمائهم فعلى م تقاتلنا؟ أو لسـنا نعبـد إلها واحـدا و نصـلّى قبلتكم و ندعو دعوتكم و نقرأ كتابكم و نؤمن برسولكم؟ فقال عمار: الحمد للّه الذى أخرجها من فيك، إنّها لى و لأصحابى القبله و الدّين و عباده الرّحمن و النّبىّ و الكتاب من دونك و دون أصحابك و جعلك

ص:٧٢

١- (١) هجر بالتحريك بلد ببحرين كثير النخل، لغه.

ضالاـ مضّـلا و لاـ تعلم هـاد أنت أم ضالّ، و جعلك أعمى و سأخبرک على ما قاتلتک عليه أنت و أصـحابک أمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أن أقاتـل النّـاكثين ففعلت، و أمرنى أن أقاتل القاسـطين فأنتم هم و أما المارقون فما أرى ادركهم أم لا.

ايّها الابتر(۱) تعلم أنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلىّ عليه السّلام من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و أنا مولا اللّه و رسوله و علىّ بعده و ليس لک مولى.

فقـال له عمرو: فمـا ترى فى قتـل عثمـان؟ قـال: فتـح لكم باب سوء، قال عمرو فعلىّ قتله؟ قال عمّار: بل اللّه ربّ علىّ قتله و علىّ معه، قـال عمرو: أ كنت فيمن قتله؟ قـال: أنا مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معه، قال: فلم قتلتموه؟ قال: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه، قال عمرو: ألا تسمعون قد اعترف بقتل إمامكم قال عمّار: و قد قالها فرعون قبلک: ألا تسمعون.

فقـام أهـل الشّـام و لهم زجـل فركبوا خيولهم و رجعوا فبلغ معـاويه مـا كـان بينهم فقال له: هلكت العرب إن أخـذتهم خفّه العبد الأسود يعنى عمـارا، و خرج إلى القتال و صـفت الخيول بعضـها لبعض و زحف النّاس، و على عمّار درع و هو يقول أيّها النّاس الرّواح إلى الجنّه، فاقتتـل الناس قتالا شديـدا لم يسـمع النّاس بمثله، و كثرت القتلى حتّى أن كان الرّجل ليشـدّ طنب فسطاطه بيد الرّجل أو برجله.

فقال الأشـعث: لقد رأيت أخبيه صـفّين و أروقتهم و ما منها خباء و لا رواق و لا بناء و لا فسـطاط إلّا مربوطا بيد رجل أو رجله و جعل أبو سـماک الأسـدى يأخـذ اداوه من ماء و شـفره حديد فيطوف فى القتلى فاذا رأى رجلا جريحا و به رمق قام و سأل أمير المؤمنين عليه السّـلام فان قال: على غسل عنه الـدّم و سـقاه من الماء و إن سـكت و جاه بسـكين حتّى يموت، قال: فكان يسـمّى المخضخض(۲) و عن عمرو بن شمر عن جابر عن الشّعبى عن الأحنف بن قيس قال: و اللّه

۱- (۱) ماخوذ من قوله تعالى «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ» منه.

۲- (۲) ماخوذ من الخضخضه و هو تحريک الماء و السويق و نحوهما منه.

إنی إلی جانب عمّار فتقدّمنا حتّی إذا دنونا من هاشم بن عتبه قال له عمار. احمل فداک ابی و امّی و نظر عمّار إلی رقه فی المیمنه فقال له هاشم، رحمک اللّه یا عمار إنّک رجل تأخذک خفه فی الحرب و إنّی إنّما أزحف باللواء زحفا و أرجو أن أنال بذلک حاجتی، و إنّی إن خففت لم آمن الهلکه.

و قد قال معاویه لعمرو ویحک یا عمرو إنّ اللواء مع هاشم کأنّه یرقل به إرقالا و إنّه إن زحف به زحفا إنّه لیوم أطول لأهل الشّام، فلم یزل به عمّار حتّی حمل فبصر به معاویه فوجه إلیه جمله أصحابه و من برز بالنّاس منهم فی ناحیه و کان فی ذلک الجمع عبد اللّه بن عمرو و معه سفیان قد تقلد بواحد و هو یضرب بالآخر و أطاقت به خیل علیّ علیه السّلام فقال عمرو: یا اللّه یا رحمن ابنی ابنی، و کان یقول معاویه: اصبر اصبر فانّه لا بأس علیه قال عمرو لو کان یزید اذا لصبرت.

و لم یزل حماه أهل الشّام یذبّون عنه حتّی نجا هاربا علی فرسه و اصیب هاشم فی المعرکه، قال و قال عمار حین نظر الی رایه عمرو بن العاص: إنّ هذه الرّایه قد قاتلتها ثلاث عرکات(۱) و ما هی بأرشد هنّ ثمّ حمل و هو یقول:

نحن ضربناکم علی تنزیله فالیوم نضربکم علی تأویله

ضربا یزیل الهام عن مقیله و یذهل الخلیل عن خلیله

أو یرجع الحقّ الی سبیله یا ربّ انّی مؤمن بقیله

(۲) ثمّ استسقی و اشتدّ ظماؤه، فأتته امرئه طویله الیدین ما ادری اعسّ (۳) معها أم اداوه فیها ضیاح(۴) من لبن و قال الجنّه تحت الاسنه الیوم ألقی الأحبّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و حزبه، و اللّه لو ان لبونا حتّی یبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا علی الحقّ و أنهم

۱- (۱) ای مرات

۲- (۲) بمعنی القول.

۳- (۳) العسّ بضم العین القدح العظیم الجمع عساس ککتاب قاموس.

۴- (۴) هو بالفتح کالضیح اللبن الممزوج بالماء، ق.

على الباطل.

و حمل عليه ابن جوين السّكسكى و ابو العاديه الفزارى، فأما أبو العاديه فطعنه و أمّا ابن حوين فاجتز رأسه عليهما لعنه اللّه.

فقال ذو الكلاع لعمرو: و يحك ما هذا؟ قال عمرو: إنّه سيرجع إلينا و ذلك قبل أن يصاب عمّار، فاصيب عمّار مع علىّ و اصيب ذو الكلاع مع معاويه فقال عمرو: و اللّه يا معاويه ما أدرى بقتل أيّهما أنّا أشدّ فرحا، و اللّه لو بقى ذو الكلاع حتّى يقتل عمّار لمال بعامه قومه و لأفسد علينا جندنا.

قال: فكان لا يزال رجل يجىء فيقول: أنا قتلت عمّارا فيقول عمرو فما سمعتموه يقول فيخلطون حتّى أقبل ابن جوين فقال: أنا قتلت عمارا فقال له عمرو: فما كان آخر منطقه؟ قال: سمعته يقول اليوم ألقى الأحبه محمّدا و حزبه، قال عمرو: صدقت أنت أما و اللّه ما ظفرت بذلك و لكن اسخطت ربک.

و فى الاحتجاج روى عن الصادق عليه السّلام أنّه لمّا قتل عمار ارتعدت فرايص خلق كثير و قالوا: قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله عمار تقتله الفئه الباغيه، فدخل عمرو بن العاص على معاويه فقال: يا أمير المؤمنين قد هاج النّاس و اضطربوا، قال: لما ذا؟ قال: قتل عمار، قال: فما ذا؟ قال: أليس قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله تقتله الفئه الباغيه؟ فقال له معاويه دحضت فى قولك أنحن قتلناه إنّما قتله علىّ بن أبى طالب لما ألقاه بين رماحنا، فاتّصل ذلك بعلىّ بن أبى طالب، فقال: فاذن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو الذى قتل حمزه و ألقاه بين رماح المشركين.

و فى البحار من كتاب الكشّى باسناده عن اسماعيل بن أبى خالد قال:

سمعت قيس بن أبى حازم قال: قال عمّار بن ياسر: ادفنونى فى ثيابى فانّى مخاصم.

و من كشف الغمه قال: و نقلت من مناقب الخوارزمى قال: شهد خزيمه بن ثابت الأنصارى الجمل و هو لا يسلّ سيفا و شهد صفّين و قال: لا اصلّى ابدا خلف إمام حتّى يقتل عمار فأنظر من يقتله فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله يقول: يقتله

الفئه الباغيه، فلمّا قتل عمار قال خزيمه: قد حانت لی الصّلاه ثمّ اقترب و قاتل حتّی قتل.

و کان الـذی قتل عمار أبو عادیه المرّی طعنه برمح فسـقط و کان یومئذ یقاتل و هو ابن أربع و تسـعین سـنه، فلمّا وقع أکبّ علیه رجل فاجتزّ رأسه فأقبلا یختصمان کلاهما یقول أنا قتلته.

فقال عمرو بن العاص: و اللّه ان یختصـمان إلاّ فی النّار، فسـمعها معاویه فقال لعمرو، ما رأیت مثل ما صـنعت قوم بـذلوا أنفسـهم دوننا تقول لهما: إنکما تختصمان فی النّار، فقال عمرو: هو و اللّه ذلک و أنّک لتعلمه و لوددت أنّی متّ قبل هذا بعشرین سنه.

و بالاسناد عن أبی سعید الخدری قال: کنّا نعمّر مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و کنّا نحمل لبنه لبنه و عمار لبنتین لبنتین، فرآه النبیّ صـلّی اللّه علیه و اله فجعـل ینفض التراب عن رأس عمار و یقول: یا عمار ألا تحمل کما یحمل أصـحابک؟ قال: إنی ارید الأجر من اللّه تعالی، قال: فجعل ینفض التّراب عنه و یقول: و یحک تقتلک الفئه الباغیه تدعوهم إلی الجنه و یدعونک إلی النّار، قال عمار: أعوذ بالرّحمن أظنه قال من الفتن.

و من کتاب الکفایه عن أبی المفضل الشـیبانی فی حدیث طویل مسندا عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: یا عمّار ستکون بعدی فتنه فـاذا کـان ذلـک فـاتّبع علیّا و حزبه فـانّه مـع الحقّ و الحقّ معه، یـا عمـار إنّـک سـتقاتل بعـدی مع علیّ صـنفین: النّاکثین و القاسـطین، ثمّ یقتلک الفئه الباغیه، قلت: یا رسول اللّه أ لیس ذلک علی رضا اللّه و رضاک؟ قال: نعم، علی رضا اللّه و رضای و یکون آخر ذلک «زادک» شربه من لبن تشربه.

فلما کان یوم صفین خرج عمار بن یاسر إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له: یا أخا رسول اللّه أ تأذن لی فی القتال؟ قال: مهلا رحمک اللّه، فلمّا کان بعد ساعه أعاد علیه الکلام فأجابه بمثله، فأعاده ثالثا فبکی أمیر المؤمنین علیه السّلام فنظر إلیه عمّار

فقال: يا أمير المؤمنين إنّه اليوم الذى وصف لى رسول اللّه.

فنزل أمير المؤمنين عليه السّلام عن بغلته و عانق عمارا و ودعه ثمّ قال: يا أبا اليقظان جزاك اللّه عن اللّه و عن نبيك خيرا فنعم الأخ كنت و نعم الصّاحب كنت ثمّ قال: و اللّه يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلّا ببصيره فانّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: يا عمار ستكون بعدى فتنه فاذا كان ذلك فاتبع عليّا و حزبه فانّه مع الحقّ و الحقّ معه، و ستقاتل بعدى الناكثين و القاسطين، فجزاك اللّه يا أمير المؤمنين عن الاسلام أفضل الجزاء، فلقد أدّيت و بلغت و نصحت ثمّ ركب و ركب أمير المؤمنين عليه السّلام، ثمّ برز إلى القتال ثمّ دعا بشربه من ماء فقيل ما معنا ماء فقام إليه رجل من الأنصار فاسقاه شربه من لبن، ثمّ قال: هكذا عهد إليّ رسول اللّه أن يكون آخر زادى من الدّنيا شربه من اللبن.

ثمّ حمل على القوم فقتل ثمانيه عشر نفسا فخرج إليه رجلان من أهل الشّام فطعنا فقتل رحمه اللّه، فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين عليه السّلام فى القتلى فوجد عمارا ملقى، فجعل رأسه على فخذه ثمّ بكى عليه السّلام و أنشأ يقول:

ايا موت كم هذا التفرق عنوه فلست تبقى لى خليل خليل

اراك بصيرا بالذين احبّهم كأنك تمضى نحوهم بدليل

قال المجلسى: فى الديوان هكذا:

ألا ايّها الموت الذى ليس تاركى أرحنى فقد أفنيت كلّ خليل

أراك بصيرا بالذين أحبّهم كأنك تنحو نحوهم بدليل

قال نصر بن مزاحم: لما حدّث عمرو بن العاص فى عمار ما قاله النبيّ صلّى اللّه عليه و اله خرج عبد اللّه عمر العبسى و كان من عباد أهل زمانه ليلا فأصبح فى عسكر عليّ عليه السّلام فحدث النّاس بقول عمرو فى عمار فلما سمع معاويه هذا القول بعث إلى عمرو و قال: أفسدت على أهل الشام، أكلّ ما سمعته من رسول اللّه تقوله؟ فقال عمرو: قلتها و لست و اللّه أعلم الغيب و لا أدرى أنّ صفين يكون عمار خصمنا، و قد رويت أنت فيه مثل الذى

رويت فاسأل أهل الشّام فغضب معاويه و تنمّر(۱) لعمرو و منعه و خيره، و قال عمرو لا خير لی فی جوار معاويه إن تجلّت هذه الحرب عنّا و كان عمرو حمی الانف فقال فی ذلک:

تعاتبنی ان قلت شيئا سمعته و قد قلت لو أنصفتنی مثله قبلی

و ما كان لی علم بصفين انّها تكون و عمار يحثّ علی قتلی

فلو كان لی بالغيب علم كتمتها و كايدت أقواما مراجلهم تغلی

إلی آخر الأبيات ثمّ أجابه معاويه بأبيات تشتمل علی الاعتذار، فأتاه عمرو و أعتبه و صار أمرهما واحدا ثمّ إنّ عليّا دعا هاشم بن عتبه و معه لواؤه، و كان أعور، و قال:

حتّی متی تأكل الخبز و تشرب الماء، فقال هاشم: لا يجهزن ان لا أرجع إليک أبدا.

قال نصر عن عمر بن سعد عن رجل عن أبی سلمه أنّ هاشم دعا فی الناس عند المساء ألا من كان يريد اللّه و الدّار الآخر فليقبل فأقبل إليه ناس فشدّ فی عصابه من أصحابه علی أهل الشّام مرارا، فليس من وجه يحمل عليه إلّا صبروا له و قوتل فيه قتالا شديدا، فقال لأصحابه.

لا يهو لنّكم ما ترون من صبرهم فو اللّه ما ترون منهم إلّا حميّه العرب و صبرها عند راياتها و عند مراكزها، و إنهم لعلی الضّلال و إنّكم لعلی الحقّ، يا قوم اصبروا و صابروا و اجتمعوا و امشوا بنا إلی عدوّنا علی تؤده(۲) رويدا و اذكروا اللّه و لا يسلمنّ رجل أخاه و لا تكثروا الالتفات و اصمد و اصمدهم و جالدوهم محتسبين حتّی يحكم اللّه بيننا و هو خير الحاكمين.

فقال أبو سلمه فمضی فی عصابه من القرّاء فقاتل قتالا شديدا هو و أصحابه حتی رأی بعض ما يسرّون به إذ خرج عليهم فتی شابّ و شدّ يضرب بسيفه و يلعن و يشتم و يكثر الكلام فقال له هاشم: إنّ هذا الكلام بعده الخصام و إنّ هذا القتال بعده الحساب

۱- (۱) تنمر تشدّد فی الصوت عند الوعيد و تشبه النمر و هو السبع ق.

۲- (۲) التوئده التأنّی فی المشی م.

فاتق اللّه فانک راجع إلی ربّک فسائلک عن هذا الموقف و ما أردت به.

قال: فانّی اقاتلکم لأنّ صاحبکم لا یصلّی کما ذکر لی و إنکم لا تصلّون، و اقاتلکم لأنّ صاحبکم قتل خلیفتنا و أنتم و ازرتموه علی قتله.

فقال له هاشم و ما أنت و ابن عفان إنّما قتله أصحاب محمّد حین أحدث أحداثا و خالف حکم الکتاب و أصحاب محمّد هم أصحاب الدین و أولی بالنظر فی امور المسلمین و ما أظن أنّ أمر هذه و لا أمر هذا الدین عناک طرفه عین قط.

فقال الفتی: أجل و اللّه لا الکذب فانّ الکذب یضرّ و لا ینفع و یشین و لا یزین.

فقال له هاشم إنّ هذا الأمر لا علم لک به فخلّه و أهل العلم به قال: أظنک و اللّه قد نصحتنی فقال هاشم: و أما قولک إنّ صاحبنا لا یصلّی فهو أوّل من صلّی للّه مع رسول اللّه، وافقه فی دین و أولی برسول اللّه، و أما من تری معه فکلّهم قاری الکتاب لا ینام اللیل تهجدا فلا یغررک عن دینک الأشقیاء المغرورون.

قال الفتی: یا عبد اللّه إنی لا ظنک امرء صالحا أخبرنی هل تجد لی من توبه؟ قال: نعم تب إلی الله یتب علیک قال فذهب الفتی راجعا، فقال رجل من أهل الشام خدعک العراقی، قال: و لکن نصحنی.

و قاتل هاشم هو و أصحابه قتالا شدیدا حتّی قتل تسعه نفرا و عشره، و حمل علیه الحرث بن المنذر فطعنه فسقط، و بعث إلیه علیّ أن قدّم لوائک، فقال للرسول انظر إلی بطنی فاذا هو قد انشقّ فأخذ الرّایه رجل من بکر بن وائل، و رفع هاشم رأسه فاذا هو بعبید اللّه بن عمر بن الخطاب قتیلا إلی جانبه فجثا حتّی دنی منه فعضّ علی ثدیه حتی تبینت فیه أنیابه ثمّ مات هاشم و هو علی صدر عبید اللّه.

و ضرب البکری فوقع فابصر عبید اللّه فعضّ علی ثدیه الآخر و مات أیضا، فوجدا جمیعا ماتا علی صدر عبید اللّه، و لمّا قتل هاشم جزع النّاس علیه جزعا شدیدا و اصیب معه عصابه من أسلم من القرّاء، فمرّ علیهم علیّ علیه السّلام و هم قتلی حوله فقال علیه السّلام:

جزی اللّه خیرا عصبه أسلمیه صباح الوجوه صرّعوا حول هاشم

يزيد و عبد اللّه بشر و معبد و سفيان و ابنا هاشم ذى المكارم

و عروه لا يبعد ثناه و ذكره إذا اخترط البيض الخفاف الصوارم

ثمّ أخذ الرّايه عبد اللّه بن هاشم، قال نصر: حدّثنا عمرو بن شمر قال: لمّا انقضى أمر صفين و سلم الأمر الحسن إلى معاويه و فدت إليه الوفود و أشخص عبد اللّه بن هاشم أسيرا فاتى به معاويه، فلما دخل عليه و عنده عمرو بن العاص قال: يا أمير المؤمنين هذا المحتال بن المرقال فدونك الضب اللاحظ فانّ العصيا من العصيه(۱) و انّما تلد الحيّه حيّه و جزاء السّيئه سيئه مثلها فقال له ابن هاشم: ما أنا بأوّل رجل خذله قومه و أدركه يومه، قال معاويه تلك ضغاين صفين و ما جنا عليك أبوك، فقال عمرو: يا أمير المؤمنين أمكنّى منه فأشخب أو داجه على أثباجه(۲).

فقال له ابن هاشم: أفلا كان هذه الشّجاعه منك يا بن العاص أيّام صفين حين ندعوك إلى النزال و قد ابتلّت أقدام الرّجال من نقع(۳) الجربال(۴) و قد تضايقت بك المسالك و أشرفت فيها على المهالك، و ايم اللّه لو لا مكانك منه لنشبت لك منى خافيه(۵) ارميك من خلالها أحد من وقع الاثافى(۶) فانّك لا تزال

ص:۸۰

۱- (۱) اى العود الكبير ينشأ من الصغير الذى غرس او لا مثل يضرب للشيء الذى يكون فى بدئه حقيرا زمخشرى.

۲- (۲) الثبج ما بين الكاهل الى الظهر، ق.

۳- (۳) النقع محبس الماء و كذلك ما اجتمع فى البئر منه و المراد هنا الدم.

۴- (۴) صبغ احمر و حمره الذهب.

۵- (۵) لعلّ المراد بالخافيه السهم المشتمل على الريش قال فى القاموس الخوا فى ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت او هى الاربع اللاتى بعد المناكب او هى السبع ريشات بعد السبع المقدمات انتهى منه.

۶- (۶) لعل المراد بالاثافى هنا السنه التى تكوى بها

تکثر(۱) فی دهشک و تخبط فی مرسک(۲) تخبط العشواء فی اللیله الحندس الظلماء فأعجب معاویه ما سمع من کلام ابن هاشم فأمر به إلی السّجن و کفّ عن قتله هذا، و یأتی طرف آخر من بقیّه الوقعه فی شرح بعض الکلمات الآتیه إن ساعدنا التوفیق و المجال إنشاء اللّه.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست که می فرمود بأصحاب خود در بعض روزهای جنک صفین! ای جماعه مسلمان شعار خود گردانید خوف و خشیهٔ کردگار را، و پوشش اخذ نمائید بجهه خود تمکین و وقار را، و بنهید دندانها را بر دندانها که بدرستی این برمی گرداند شمشیرها را از کاسه سر، و کامل نمائید زره را بسایر آلتهای جنک، و حرکت بدهید شمشیرها را در غلافها پیش از کشیدن آنها، و بنگرید بگوشهٔ چشم تنک خشمناك، و بزنید نیزه را بچپ و راست، و دفع کنید دشمن را باطراف شمشیرها و برسانید شمشیرها را بدشمن با قدمها، و بدانید که شما منظور نظر کردگارید، و در خدمت پسر عم پیغمبر مختار می باشید.

پس مکرّرا رجوع کنید بر طرف اشرار، و حیا نمائید از گریز و فرار، که فرار موجب عار است در اولاد و اعقاب، و باعث آتش است در روز حساب، و پاکیزه بشوید از حیثیت نفس در حالتی که تجاوز کننده باشید از نفسهای زایله و فانیه خودتان و بروید بسوی مرگ رفتن سهل و آسان، لازم کنید بر خود حمله آوردن بر سواد اعظم أهل عناد، و بر چادر طناب دار معاویهٔ بد بنیاد پس بزنید میان آن خیمه را از جهه این که شیطان پنهان است در جانب آن خیمه که بتحقیق پیش آورده است آن شیطان بجهه برجستن دستی را، و پس کشیده است از برای گریختن پائی را پس قصد نمائید دشمن را قصد کردنی تا این که ظاهر

۱- (۱) ای تکثر الکلام فی تحیرک و خوفک

۲- (۲) المرسه الحبل و الجمع المرس.

شود بشما ستون حق، و حال آنكه شما غالب و بلند مرتبه هستيد، و خداوند با شماست و ناصر شماست، و ناقص نمى نمايد از شما جزاى عملهاى شما را

و من كلام له عليه السلام فى معنى الانصار و هو السادس

اشاره

و الستون من المختار فى باب الخطب

قالوا: لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين أنباء السّقيفه بعد وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال عليه السّلام ما قالت الانصار؟ قالوا قالت: منّا أمير و منكم أمير قال عليه السّلام:

فهلّا احتججتم عليهم بأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وصّى بأن يحسن إلى محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: و ما فى هذا من الحجّه عليهم؟ قال عليه السّلام: لو كانت الإماره فيهم لم تكن الوصيّه بهم، ثمّ قال:

فما ذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجره الرّسول صلّى اللّه عليه و آله فقال عليه السّلام: احتجّوا بالشّجره و أضاعوا الثّمره.

اللغه

(النّبأ) كالخبر لفظا و معنا و (السّقيفه) الصّفه و سقيفه بنى ساعده فعيله بمعنى مفعوله و هى ظلّه كانت مجمع الأنصار و دار ندوتهم لفصل القضايا و (وصيت) الشّى بالشىء أصيه من باب و عدو وصيته و وصيت إلى فلان توصيه و أوصيته ايصاء و الاسم الوصايه بالكسر و الفتح لغه، و هو وصىّ فعيل بمعنى مفعول و الجمع الأوصياء و أوصيت له بمال جعلته له، و أوصيته بولده استعطفته عليه، و أوصيته بالصّلاه أمرته بها قال تعالى:

«ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ».

ص:٨٢

الاعراب

هلاّـ من حروف التّحصيص، قال نجم الائمه الرّضى: و معناها إذا دخلت على الماضى التّوبيخ و اللوم على ترک الفعل، و فى المضارع الحضّ على الفعل و الطلب له، فهى فى المضارع بمعنى الأمر و لا يكون التّحضيض فى الماضى الذى قد فات إلّا أنّها تستعمل كثيرا فى لوم المخاطب على انّه ترک فى الماضى شيئا يمكن تداركه فى المستقبل، فكأنّها من حيث المعنى للتّحضيض على فعل مثل ما فات، قوله: فما ذا قالت، يحتمل أن يكون ذا موصوله و أن تكون زايده كما فى قولهم: ما ذا صنعت و من ذا رأيت.

المعنى

اشاره

اعلم انّه (لما انتهت إلى أمير المؤمنين أنباء أهل السقيفه بعد وفات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله) و مشاجرات المهاجرين و الأنصار و دعوى كل منهما استحقاق الخلافه لنفسه و احتجاج كلّ من الطرفين على الآخر بذكر المناقب و السّوابق (قال عليه السّلام ما قالت الانصار) المهاجرين (قالوا) انّهم (قالت منّا امير و منكم امير قال عليه السّلام فهلا احتججتم عليهم بانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم وصى بان يحسن إلى محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم) و قد مرّ تلک الوصيّه فى المقدّمه الثالثه من مقدّمات الخطبه الشّقشقيه فى روايه الاحتجاج عن الشيبانى و رواها الشّارح المعتزلى من صحيحى البخارى و مسلم فى مسنديهما عن أنس بن مالک قال:

مرّ ابو بكر و العباس بمجلس من الأنصار فى مرض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هم يبكون، فقالا: ما يبكيكم؟ قال: ذكرنا محاسن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله فدخلا على النبى و أخبراه بذلک فخرج و قد عصب على رأسه حاشيه برده، فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلک اليوم فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

اوصيكم بالانصار فانّهم كرشى(۱) و عيبتى و قد قضوا الذى عليهم و بقى الذى لهم، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم هذا.

ص:۸۳

۱- (۱) الكرش بمنزله المعده للانسان و عيال الرجل و اهل بيته.

و لمّا لم يفهم المخاطبون كيفيّه حجيّه كلامه على الأنصار و دلالته على بطلان دعواهم استفهموا عنه عليه السّلام و (قالوا و ما فى هذا) الكلام (من الحجه عليهم فقال عليه السّلام لو كانت الاماره فيهم لم تكن الوصيه بهم) لكنّها بهم فليست الاماره لهم، بيان الملازمه أنّ العرف قاض بأنّ الوصيه انما تكون إلى الرئيس فى حقّ المرءوس لا بالعكس.

(ثمّ قال: فما ذا قالت قريش) فى مقام الاحتجاج على الأنصار (قالوا احتجت بأنّها شجره الرّسول) كونهم شجره الرّسول باعتبار أنّه صلوات اللّه عليه و آله منهم، فهو و إياهم جميعا من أغصان أصل واحد و أولاد نضربن كنانه(فقال احتجّوا بالشّجره و أضاعوا الثّمره)الظاهر أنّه أراد بالثّمره نفسه و أهل بيته و أراد باضاعتها إهمالهم له و لأولاده من هذا الأمر و المقصود بهذا الكلام الاحتجاج على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار.

بيان ذلك أنهم استدلّوا على أولويّتهم بأنّهم شجره الرّسول فيكونون أقرب إليه من غيرهم و نحن نحتج عليهم بأنا ثمره الرسول فنكون أقرب اليه منهم إذ للثّمره اختصاص بالمثمر ليس للغير ذلك الاختصاص، بل المراد بالشجر ليس إلاّ الثّمر فان كانت الشّجره معتبره فبالأولى اعتبار الثمره و إن لم يلتفت إلى الثمره فلا التفات إلى الشّجره، و قد وقع مثل ذلك التشبيه فى قوله سبحانه:

«أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ».

روى فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم باسناده عن سلام بن مستنير عن أبى جعفر عليه السّلام قال: الشّجره رسول اللّه و نسبه ثابت فى بنى هاشم و فرع الشّجره علىّ بن أبى طالب، و غصن الشجره فاطمه و ثمرتها الأئمه، من ولد علىّ و فاطمه، و شيعتهم ورقها و ان المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجره ورقه، و أنّ المؤمن ليولد فتورق الشجره ورقه، قلت: أ رأيت قوله:

«تُؤْتِی أُكُلَها كُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّها ».

قال یعنی بذلک ما یفتون الأئمه شیعتهم فی کلّ حجّ و عمره من الحلال و الحرام.

تنبیهان

الاول

قد قدّمنا أخبار السقیفه فی المقدّمه الثالثه من مقدّمات شرح الخطبه الشقشقیه، و نزید هنا علی ما سبق ما رواه المحدّث المجلسی فی البحار من الشیخ فی تلخیص الشافی عن هشام بن محمّد عن أبی مخنف عن عبد اللّه بن عبد الرّحمن بن أبی عمر الأنصاری.

أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم لما قبض اجتمعت الأنصار فی سقیفه بنی ساعده فقالوا: نولّی هذا الأمر من بعد محمّد سعد بن عباده و أخرجوا سعدا إلیهم و هو مریض، قال: فلما اجتمعوا قال لابنه أو لبعض بنی عمّه إنّی لا أقدر لشکوای اسمع القوم کلهم کلامی و لکن تلق منّی قولی فأسمعهم: فکان یتکلّم و یحفظ الرّجل قوله فیرفع به صوته و یسمع به أصحابه فقال بعد أن حمد اللّه و أثنی علیه:

یا معاشر الانصار أنّ لکم سابقه فی الدّین و فضیله فی الاسلام لیست لقبیله من العرب، إنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و اله و سلّم لبث عشر سنه فی قومه یدعوهم إلی عباده الرّحمن و خلع الأوثان، ما آمن به من قومه إلّا رجال قلیل، و اللّه ما کانوا یقدرون علی أن یمنعوا رسوله و یعزّزوا دینه و لا أن یدفعوا عن أنفسهم ضیما(۱) عموا حتّی اذا أراد بکم ربّکم الفضیله و ساق إلیکم الکرامه و خصّکم بالنعمه و رزقکم الایمان به و برسوله و المنع له و لأصحابه و الاعزاز له و لدینه و الجهاد لأعدائه.

و کنتم أشدّ النّاس علی عدوّه منهم و أثقله علی عدوّه من غیرکم حتی استقامت العرب لأمر اللّه طوعا و کرها، و أعطی البعید المقاده صاغرا و آخرا، و حتّی اثخن اللّه لرسوله بکم فی الأرض و دانت بأسیافکم له العرب و توفاه اللّه تعالی إلیه و هو عنکم راض و بکم قریر عین، استبدّوا بهذا الأمر دون النّاس فانّه لکم دون الناس.

۱- (۱) الضیم الذلّ م.

فأجابوه بأجمعهم بأن قد وفقت فی الرّای و أصبت فی القول و لن نعدو ما رأیت نولّیک هذا الأمر دون الناس فانک فینا مقنع و لصالح المؤمنین رضی.

ثمّ انّهم ترادّوا الکلام فقالوا فان أبت مهاجره قریش فقالوا نحن المهاجرون و صحابه رسول اللّه الأوّلون فعلام تنازعونا الأمر من بعده؟ قالت طائفه منهم: فانا نقول إذن منّا أمیر و منکم أمیر و لن نرضی بدون هذا أبدا، فقال سعد بن عباده حین سمعها هذا أوّل الوهن، و أتی عمر الخبر فأقبل إلی منزل النبیّ فأرسل إلی أبی بکر و أبو بکر فی الدّار و علیّ بن أبی طالب دائب فی جهاز النبیّ.

فأرسل إلی أبی بکر أن اخرج إلیّ فأرسل إلیه أنّی مشتغل فأرسل إلیه أن قد حدث أمر لا بدّ لک من حضوره، فخرج إلیه فقال: أما علمت أنّ الأنصار قد اجتمعت فی سقیفه بنی ساعده یریدون أن یولوا هذا الأمر سعد بن عباده، و أحسنهم مقاله من یقول منّا أمیر و من قریش أمیر، فمضیا مسرعین نحوهم فلقیا أبا عبیده فتماشوا إلیهم فلقاهم عاصم بن عدیّ و عویمر بن ساعده فقالوا لهم: ارجعوا فانه لا یکون إلاّ ما تحبّون، فقالوا: لا نفعل، فجاءوا و هم مجتمعون.

فقال عمر بن الخطاب: أتیناهم و قد کنت زوّرت(۱) کلاما أردت أن اقوم به فیهم فلما اندفعت إلیهم ذهبت لابتدء المنطق فقال لی أبو بکر: رویدا حتّی أتکلّم، ثمّ انطق بعد بما احببت، فنطق، فقال عمر: فما شیء کنت ارید أن أقول به إلاّ و قد أتی علیه.

قال عبد اللّه بن عبد الرّحمن: فبدء أبو بکر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: إنّ اللّه بعث محمّدا رسولا إلی خلقه و شهیدا علی امّته لیعبدوا اللّه و یوحّدوه و هم یعبدون من دونه آلهه شتّی یزعمون أنّها لمن عبدها شافعه و لهم نافعه و إنما هی من حجر منحوت خشب و منجور ثمّ قرء:

«وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هؤُلاءِ »

ص:۸۶

۱- (۱) التزویر اصلاح الکلام و تهیئته کالتزویق.

«شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ » وَ قالُوا «ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى ».

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبـائهم فخصّ اللّه المهاجرين الأولين من قومه بتصـديقه و الايمان به و المواساه له و الصّبر معه على شـدّه أذى قومهم لهم و تكـذيبهم ايّاه، و كلّ الناس لهم مخالف و عليهم زار، فلم يسـتوحشوا لقلّه عـددهم و تشذّب الناس عنهم و اجمـاع قومهم عليهم، فهم أوّل من عبـد اللّه فى الأرض و آمن باللّه و رسوله، و هم أولياؤه و عشـيرته و أحقّ الناس بهـذا الأمر من بعده، و لا ينازعهم فى ذلك إلاّ ظالم.

و أنتم يا معشـر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الدّين و لا سابقتهم العظيمه فى الاسلام رضيكم اللّه أنصارا لدينه و رسوله و جعل إليكـم هجرتـه و فيكـم جلّه ازواجـه و أصـحابه، و ليس بعـد المهـاجرين الأولين عنـدنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء و أنتم الـوزراء لانفتات(١) عليكم بمشوره، و لا نقضى دونكم الامور، فقام المنذر بن الحباب ابن الجموح.

هكـذا روى الطبرى و الذى رواه غيره أنّ الحباب بن المنذر قال: يا معشـر الأنصارا ملكوا على أيديكم، و ساق الحديث نحوا ممّا رواه ابن أبى الحديد عن الطبرى إلى قوله فقاموا إليه فبايعوه.

أقول مـا رواه ابن أبى الحديـد عنه هكـذا: فقـام الحبـاب بن المنـذر بن الجموح فقال: يا معشـر الانصارا ملكوا عليكم أمركم فانّ النّاس فى ظلكم و لن يجترى مجترئ على خلافكم، و لا يصـدر أحـد إلاّ عن رأيكم، أنتم أهـل العزّه و المنعه و اولو العـدد و الكثره و ذووا لبأس و النّجده، و إنّما ينظر النّاس ما تصـنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم اموركم، فان أبى هولاء إلاّ ما سـمعتم فمنّا أمير و منهم أمير.

فقـال عمر: هيهـات لا يجتمع سـيفان فى غمـد واحـد و اللّه لا ترضـى العرب ان تؤمركم و بينها من غيركم، و لا تمنع العرب أن تؤتى أمرها من كانت النبوه معهم، من ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته.

١- (١) فتات على برأيه استبد و فى بعض نسخ التلخيص لا تقاتون بمشوره، منه.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا أيديكم و لا تسمعوا مقاله هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فان أبوا عليكم فاجلوا هذه من بلادكم فأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم فانّه بأسيافكم و ان النّاس بهذا الدّين أنا جذيلها المحكّك و عذيقها المرجّب، أنا أبو شبل فى عريسه الأسد، و اللّه إن شئتم لنعيدها جذعه.

فقال عمر: إذن يقتلك اللّه، فقال بل إيّاك يقتل، فقال أبو عبيده: يا معشر الانصار انكم أوّل من نصر فلا تكونوا أوّل من بدّل و غيّر.

فقام بشير بن سعد والد النّعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار ألا إنّ محمّدا من قريش و قومه أولى به و أيم اللّه لا يرانى اللّه انازعهم هذا الأمر، فقال أبو بكر:

هذا عمرو أبو عبيده بايعوا أيّهما شئتم، فقالا: و اللّه لا نتولّى هذا الأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين و خليفه رسول اللّه فى الصّلاه و هى أفضل الدين ابسط يدك فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه.

فناداه الحباب بن المنذر يا بشير (عفتك خ) عفاه أنفست على ابن عمك الاماره، فقال أسيد بن حصين رئيس الأوس لأصحابه: و اللّه لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيله ابدا، فقاموا فبايعوا أبا بكر فانكسر على سعد بن عباده و الخزرج ما اجتمعوا عليه، و أقبل النّاس يبايعون أبا بكر من كلّ جانب.

قال فى البحار: قال الشّيخ قال هشام: قال أبو مخنف: و حدّثنى أبو بكر بن محمّد الخزاعى إنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتّى تضايقت بهم السكك ليبايعوا ابا بكر، فقال عمر: ما هو إلّا أن رايت اسلم فأيقنت.

قال هشام: عن أبى مخنف قال: قال أبو عبد اللّه بن عبد الرّحمن و أقبل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر و كادوا يطئون سعد بن عباده، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطئوه، فقال عمر: اقتلوا سعدا قتله اللّه، ثمّ قام على رأسه فقال:

لقد هممت أن أطأك حتى يندر عضوك، فأخذ قيس بن سعد بلحيته ثمّ قال: و اللّه لئن حصصت «حصفت خ ل» منه شعره ما رجعت و فى فيك واضحه، فقال أبو بكر مهلا يا

عمر الرفق ههنا أبلغ فأعرض عنه.

و قال سعد: و اللّه لو أرى من قومى ما أقوى على النّهوض لسمعتم منّى بأقطارها و سككها زئيرا يحجزك و أصحابك، أما و اللّه إذن لألحقك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع احملونى من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه داره و ترك أيّا ما ثمّ بعث اليه أن اقبل فبايع فقد بايع النّاس و بايع قومك، فقال أما و اللّه حتّى أرميكم ما فى كنانتى من نبل و اخضب منكم سنان رمحى و أضربكم بسيفى ما ملكته يدى، و اقاتلكم بأهل بيتى و من أطاعنى من قومى، و لا أفعل و أيم اللّه لو أنّ الجنّ اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتّى اعرض على ربّى و أعلم ما حسابى فلمّا اتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتّى يبايع، فقال بشير بن سعد إنّه قد لجّ و أبى فليس يبايعكم حتّى يقتل و ليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده و أهل بيته و طائفه من عشيرته، فليس تركه بضاركم إنّما هو رجل واحد فتركوه، و قبلوا مشوره بشير بن سعد و استنصحوه لما بدا لهم منه.

و كان سعد لا يصلّى بصلاتهم و لا يجمع معهم و يحجّ و لا يحجّ معهم، و يفيض فلا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر.

أقول: روى الشّارح المعتزلى خبر السّقيفه من كتاب السّقيفه لأبى بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى نحوا ممّا روينا و زاد فى آخره بعد قوله فلم يزل كذلك حتّى مات أبو بكر، ثمّ لقى عمر فى خلافته و هو على فرس و عمر على بعير فقال له عمر:

هيهات يا سعد فقال سعد: هيهات يا عمر، فقال: أنت صاحب من أنت صاحبه قال: نعم أنا ذاك، ثمّ قال لعمر و اللّه ما جاورنى أحد هو أبغض إلىّ جورا منك و من أصحابك، فلم يلبث سعد بعد ذلك قليلا حتّى خرج إلى الشّام فخرج فيها، و لم يبايع لا لأبى بكر و لا لعمر و لا لغيرهما.

ثمّ قال: قال الرّاوى: و كثر النّاس على أبى بكر فبايعه معظم المسلمين فى ذلك اليوم، و اجتمعت بنو هاشم إلى علىّ بن أبى طالب و معهم الزّبير و كان يعدّ نفسه رجلا من بنى هاشم كان علىّ عليه السّلام يقول، ما زال الزّبير منّا أهل البيت حتّى نشا بنوه فصرفوه عنّا.

و اجتمعت بنو اميّه إلى عثمان بن عفّان و اجتمعت بنو زهره إلى سعد و عبد الرحمن

فأقبل عمر و أبو عبيده فقال: ما لى أراكم متخلّفين، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع النّاس و بايعه الأنصار، فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبد الرّحمن و من معهما فبايعوا أبا بكر، و ذهب عمر و معه عصابه إلى بيت فاطمه منهم أسيد بن حصين و سلم ابن أسلم فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه.

و خرج الزّبير بسيفه فقال عمر، عليكم الكلب فوثب عليه سلم بن أسلم فأخذ السّيف من يده فضرب بيده الجدار ثمّ انطلقوا به و بعليّ و معهما بنو هاشم و علىّ عليه السّلام يقول: أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه حتّى انتهوا به إلى أبى بكر فقيل له: بايع، فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعه لى أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابه من رسول اللّه فاعطوكم و سلّموا إليكم الاماره، و أنا احتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون اللّه من أنفسكم و اعرفوا للنّاس الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم و إلاّ فبوّؤا بالظلم و أنتم تعلمون فقال عمر إنّك لست متروكا حتّى تبايع فقال له علىّ عليه السّلام: احلب يا عمر حلبا لك شطره اشدد له اليوم أمره ليردّه عليك غدا، لا و اللّه لا أقبل قولك و لا ابايعه فقال له أبو بكر: فان لم تبايعنى لا اكرهك فقال له أبو عبيده: يا أبا الحسن إنّك حديث السّن و هؤلاء مشيخه قريش قومك ليس لك تجربتهم و معرفتهم بالامور و لا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك و أشدّ احتمالا له و اضطلاعا به، فسلم له هذا الأمر و ارض به فانّك إن تعيش و يطل عمرك فأنت بهذا الأمر خليق و به حقيق فى فضلك و قرابتك و سابقتك و جهادك.

قال علىّ عليه السّلام: يا معشر المهاجرين اللّه اللّه لا تخرجوا سلطان محمّد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه فى النّاس و حقّه، فو اللّه يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان منّا القارى لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه العالم بالسّنه المضطلع بأمر الرّعيّه، و اللّه إنّه لفينا فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعدا

فقـال بشـير بن سـعد: لو كـان هـذا الكلام سـمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان، و لكنّهم قد بايعوا، و انصرف عليّ إلى منزله و لم يبايع و لزم بيته حتّى ماتت فاطمه فبايع.

قال الشّارح: قلت: هذا الحديث يدلّ - على بطلان ما يدّعى من النّصّ على أمير المؤمنين و غيره، لأنّه لو كان هناك نصّ صـريح لاحتجّ به و لم يجر للنّص ذكر و إنّمـا كـان الاحتجاج منه و من أبى بكر و من الأنصـار بـالسّوابق و الفضايـل و القرب، فلو كان هناك نصّ صريح على أمير المؤمنين و على أبى بكر لاحتجّ به أبو بكر على الأنصار و لاحتجّ به أمير المؤمنين على أبى بكر.

فانّ هذا الخبر و غيره من الأخبار المستفيضه يدلّ على أنّه قد كان كاشـفهم و هتك القناع بينه و بينهم ألا تراه كيف نسـبهم إلى التّعـدّى عليه و ظلمه و تمنّع من طاعتهم و أسـمعهم من الكلام أشـدّه و أغلظه، فلو كان هناك نصّ لذكره أو ذكره من شـيعته و حزبه لأنّه لا عطر بعد عروس(۱).

و هـذا أيضا يـدلّ على أنّ الخبر الذى فى أبى بكر فى صـحيحى البخارى و مسـلم غير صـحيح، و هو ما روى من قوله صـلّى اللّه عليه و اله و سـلّم لعـايشه فى مرضه: ادعى إليّ أبـاك و أخـاك حتّى اكتب لأـبى بكر كتابا، فانّى أخاف أن يقول قائل أو يتمنّى متمنّى، و يأبى اللّه

۱- (۱) قولهم لا عطر بعد عروس اسـماء بنت عبد اللّه العذريه اسم زوجها عروس و مات زوجها فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل ذميم، فلمـا أراد أن يظعن بهـا قـالت لو أذنت لى رثيت ابن عمى فقال افعلى فقالت ابكيك يا عروس الأعراس يا ثعلبا فى أهله و أسـدا عنـد البـاس مع أشـياء ليس يعلمها الناس قال: و ما تلك الاشـياء قالت كان عن الهمه غير فعاس و يعمل السـيف صبيحات البـاس ثمّ قالت يا عروس الاغر الازهر الطيب الخيم الكريم المحضـر مع أشـياء له لا تذكر، قال و ما تلك الاشياء قالت كان عيوفا للخنا و المنكر طيب النكهه غير أبخر أيسر غير أعسر فعرف الزوج أنها تعرّض به فلما دخل بها قال ضمى اليک عطرک و قد نظر الى قشوه عطرها مطروحه فقالت لا عطر بعد عروس، او تزوج رجل امرئه فهديت اليه فوجدها نفله فقال اين عطرک فقالت خبأته فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس، قاموس.

و المؤمنون إلاّ أبا بكر و هذا هو نصّ مذهب المعتزله.

أقول من نظر إلى هذا الحديث بعين البصيره و الاعتبار و لاحظ الانصاف و جانب حدّ الاعتساف، عرف منه ما فيه للناظرين معتبر و استفاد منه أشياء كلّ منها شاهد صدق على بطلان خلافه الثلاثه، و برهان واضح على فساد دعوى تابعيهم استحقاقهم لها و أهليّتهم للقيام بها.

منها خلوّه من احتجاج قريش على الأنصار جعل النبيّ الامامه فيهم، لانّه تتضمّن من احتجاجهم عليهم ما يخالف ذلك و أنّهم إنّما ادّعوا كونهم أحقّ بالأمر من حيث كون النبوّه فيهم و من حيث كونهم أقرب إلى النبيّ نسبا و أولاهم له أتباعا.

و منها أنّ الأمر إنما بنى السّقيفه على المغالبه و المخالسه، و انّ كلّا منهم إنما كان يجذبه لنفسه بما اتّفق له و عنّ (١) من حقّ و باطل و قوىّ و ضعيف.

و منها أنّ سبب ضعف الأنصار و قوّه المهاجرين عليهم انحياز(٢) بشير بن سعد حسدا لسعد بن عباده، و انحياز الأوس بانحيازه عن الأنصار.

و منها أنّ خلاف سعد و أهله كان باقيا لم يرجعوا عنه، و إنما أقعده عن الخلاف بالسّيف قله الناصر.

و منها أنّه لو أراد أبو بكر الاجماع و اتّفاق الكلّ على بيعته حتّى من سعد و أصحابه انجرّ الأمر إلى قتل النّفوس و اهراق الدماء و فسدله الأمر.

و منها أن قول عمر فى حقّ الزّبير: عليكم الكلب، دليل على بطلان خبر العشره المبشره إذ الكلب لا يكون فى الجنّه.

و منها أنّ بيعه عمر لأبى بكر لم يكن لتأسيس أساس الاسلام و رعايه مصلحه الدين و حفظ شرع سيد المرسلين، و إنّما كان نظره فى ذلك ليتولى أبو بكر الأمر و يوليه عليه بعده كما هو نصّ قوله عليه السّلام اشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غدا.

١- (١) عن الشيء عنا اذا ظهر امامك و اعترض، ق.

٢- (٢) انحاز عنه عدل ق.

و منها أنّ حداثه السّنّ لو كان مانعا عن الخلافه كما قاله أبو عبيده و أخذه منه أهل السّنه و الجماعه، لكان مانعا عن النبوه بطريق أولى و قد قال سبحانه:

«وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ».

فقد أتا النبوّه ليحيى و عيسى عليهما السّلام فى حاله الصّباء.

و منها أن تجربه أبى بكر كما زعمه أبو عبيده لو كان أزيد من أمير المؤمنين عليه السّلام لم يعز له النبىّ من البعث بسوره برائه و لم يخلّف عليّا مقامه و لو كان قوته أشدّ لسبق فى يوم أحد و خيبر و لم يستأثر الفرّ على الكرّ.

و منها أنّ قول بشير بن سعد له لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل البيعه لما اختلف عليك اثنان، دليل على أنّ بيعتهم لأبى بكر لم يكن عن بصيره و إنّما اقتحموا فيها من غير رويه، و إنما كان اللّازم عليهم التّروّى و التثبيت و ملاحظه الأطراف و الجوانب، و التّفكر فى العواقب و الدّقه فى جهات الاستحقاق فكيف يكون بيعه هؤلاء الجهله الغفله الفسقه التّابعه لهوى أنفسهم الأماره حجه شرعيّه لأهل الملّه.

و أمّا ما ذكره الشّارح من أنه لو كان هناك نصّ لاحتجّ به أمير المؤمنين و لما لم يحتج إلّا بالسّوابق و القرب علم أنّه لم يكن هناك نصّ عليه، ففساده أظهر من الشمس فى رابعه النّهار، إذ قد عرفت أنّ أوّل من حضر فى السقيفه هو الأنصار، و اوّل من ابتدء بالكلام فيها سعد بن عباده، فذكر مناقب الأنصار و مآثرهم و كونهم انصارا لدين اللّه و ذابيّن عن رسول اللّه، فاحتجّ عليهم قريش بالقرب و النسب و السبق فى التصديق و التّقدم فى الايمان فحجّوهم بذلك، فاقتضى المقام بمقتضى آداب المناظره أن يحتجّ أمير المؤمنين عليه السّلام بمثل ما احتجّت به قريش على الأنصار، إذ فى ذلك من الالزام لهم ما ليس فى غيره كما قال عليه السّلام فيما يذكره السّيد فى أواخر الكتاب.

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا و المشيرون غيّب

ص:٩٣

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرک أولى بالنبىّ و أقرب

و كيف يدّعى عدم النص بعد حديث المنزله و خبر الغدير و قوله صلّى اللّه عليه و اله و سلّم علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ يدور معه كيف دار إلى غير ذلک من الأخبار و الآيات التى قدّمناها فى المقدّمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الشقشقيه و غيرها، «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً » يستضىء به «فَما لَهُ مِنْ نُورٍ »، «وَ اللّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

الثانی

اعلم أنّ الشّارح المعتزلی قد روى فی شرح هذا الكلام أخبارا من كتاب الجوهرى قدم روايه أكثرها فی شرح الخطبه السادسه و العشرين، و نحن أيضا روينا بعضها هناک فی شرح الفصل الثانی من فصول الخطبه المذكوره و نروى هنا بعض ما لم يتقدّم ذكره حذرا من التكرار كما وقع فی شرح المعتزلی، و ليس غرضنا من إيرادها مجرّد الاقتصاص و إنّما المقصود بذلک إقامه الحجّه على الطائفه الضالّه من الكلاب الممطوره، و الابانه عن ضلاله الشّارح و غفلته، و انّه مع روايته لتلک الأخبار و اعترافه بوثاقه راويها كيف لم يتنبّه من نومه الجهاله، و تاه فی أوديه الضّلاله.

فأقول: فی الشّرح من كتاب السّقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهرى:

قال: حدّثنا أبو سعيد عبد الرّحمن بن محمّد، قال: حدّثنا أحمد بن الحكم، قال حدّثنا عبد اللّه بن وهب، عن الليث بن سعد، قال تخلّف علىّ عليه السّلام عن بيعه أبی بكر فاخرج ملبّبا يمضى به ركضا، و هو يقول: معاشر المسلمين على م يضرب عنق رجل من المسلمين، لم يتخلّف لخلاف و إنما تخلّف لحاجه فما من مجلس من المجالس إلاّ يقال له: اذهب فبايع.

أقول: هذا الحديث نصّ فی أنه لو لم يبايع يضرب عنقه فيدلّ على انّه عليه السّلام لم يكن فی البيعه مختارا، و هذا المعنى قد تضمّنته أخبار كثيره عاميّه و خاصيّه بالغه حدّ الاستفاضه بل التواتر قد اورد طائفه منها السّيد (ره) فی الشافی، و روى جمله كثيره منها السّيد المحدّث البحرانی فی كتاب غايه المرام، و قد روينا فی

شرح الخطبه السادسه و العشرين قول الصّادق علیه السّلام: و اللّه ما بایع علیّ حتّی رأی الدّخان قد دخل علیه بیته، و نقلنا قول السّید هناک من أنه أیّ اختیار لمن یحرق علیه بابه حتّی یبایع.

قال الجوهری: و حدّثنا أبو زید عمرو بن شیبه باسناد رفعه إلی ابن عبّاس قال: إنّی لا ماشی عمر فی سکّه من سکک المدینه یده فی یدی، فقال یا بن عبّاس ما أظنّ صاحبک إلاّ مظلوما فقلت فی نفسی و اللّه ما یسبقنی بها، فقلت یا أمیر المؤمنین فاردد إلیه ظلامته، فانتزع یده من یدی ثمّ مرّ یهمهم ساعه ثمّ وقف فلحقته فقال:

یا ابن عبّاس ما أظنّ القوم منعهم من صاحبک إلاّ أنّهم استصغروه، فقلت فی نفسی هذه شرّ من الأولی، فقلت و اللّه ما استصغره اللّه حین أمره أن یأخذ سوره برائه من أبی بکر.

قال الجوهریّ: و حدّثنی أبو زید، قال حدّثنی محمّد بن عباده، قال حدّثنی أخی سعید بن عباده، عن اللیث بن سعد عن رجاله عن أبی بکر أنّه قال: لیتنی لم اکشف بیت فاطمه و لو اغلق علیّ الحرب.

قال الشّارح: الصحیح عندی أنّها ماتت و هی واجده علی أبی بکر و عمرو أنّها أوصت أن لا یصلیا علیها، و ذلک عند أصحابنا من الامور المغفوره لهما، و کان الاولی بهما اکرامها و احترام منزلها لکنّهما خافا الآفه و أشفقا من الفتنه ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنّهما، و کانا من الدّین و قوّه الیقین بمکان مکین لا شکّ فی ذلک، الامور الماضیه یتعذّر الوقوف علی عللها و أسبابها و لا یعلم حقایقها إلاّ من شاهدها و لا بسها بل لعلّ الحاضرین المشاهدین لها لا یعلمون باطن الأمر، فلا یجوز العدول عن حسن الاعتقاد فیهما بما جری، و اللّه ولیّ المغفره و العفو، فان هذا لو ثبت خطاء لم یکن کبیره بل کان من باب الصّغایر التی لا یقتضی التّبری و لا یوجب التّولی.

أقول: ما صحّحه من أنّها علیها السلام ماتت و هی واجده غضبانه علی الرّجلین فهو الصّحیح الذی لا ریب فیه و یشهد بذلک ملاحظه أخبار غصب فدک و غیرها ممّا مرّ فی تضاعیف الشّرح و یأتی أیضا

و أمّا ما اعتذر به من أنّ ذلك من الصّغاير المعفوّه ففاسد جدّا إذ كيف يكون ذلك من الصغائر مع ما روته العامه و الخاصه من قول النبيّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم لها: يا فاطمه إنّ اللّه يغضب بغضبك و يرضى لرضاك، و قوله فيها: يؤذينى ما أذاها.

و ما أخرجه أحمد بن حنبل و الحاكم على الميسور بن مخرمه مرفوعا: فاطمه بضعه منّى يغضبنى ما يغضبها و يبسطنى ما يبسطها، و أنّ الانساب تنقطع يوم القيامه غير نسبى و سببى و صهرى، فاذا انضمّ إلى ذلك قوله تعالى «وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى » و قوله: «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » يعلم من ذلك أنّ ما فعلاه فى حقها من أكبر الكباير الموجب لكونهما فى أسفل الدرك من الجحيم خالدين فيها و ذلك جزاء الظالمين.

و أما ما ذكره من انهما كانا من الدين و قوّه اليقين بمكان مكين ففيه انّك قد عرفت فى شرح الخطبه الشقشقيه و غيرها و ستعرف أيضا بعد ذلك انهما لم يكونا من الدّين فى شىء، و كيف يجسر المتديّن أن يدخل من غير إذن بيتا لم يكن يدخل فيها الملائكه إلاّ باذن أو يحرق بابه أو يهتك ستره حتّى يطمع فيه من لم يكن يطمع.

و أما قوله: إنّ الامور الماضيه يتعذّر الوقوف على عللها و لا يعلم حقايقها إلاّ من قد شاهدها، ففيه انّ الوقوف عليها و الاطلاع على حقايقها يحصل بالنقل و السمع و لا حاجه فى ذلك إلى الشّهود و الحضور، و قد حصل لنا فى حقهما بطريق السمع و البيان ما هو مغن عن الحضور و العيان، و عرفنا أنّ الداعى لأفعالهما فى جميع حركاتهما و سكناتهما لم يكن إلاّ اتباع هوى النفس الاماره و إبطال الشريعه و الملّه و ترويج البدعه و تضييع السنه.

أما قوله: إنّ ذلك لا يقتضى التبرّى و لا يوجب التولى، فيه انهما إذا كانا ممن

غضب اللّه عليه بمقتضى ما ذكرنا يجب التّبرّى عنهما و لا يجوز التّولى لقوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَهِ كَما يَئِسَ الْكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ ».

و أشدّ ممّا ذكرنا كلّه فظاعه و أظهر شناعه ما رواه الشّارح أيضا عن الجوهرى، قال حدّثنا الحسن بن الرّبيع، عن عبد الرّزاق، عن معمّر، عن الزّهرى، عن علىّ بن عبد اللّه بن العبّاس، عن أبيه قال: لما حضرت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم الوفات و فى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله: إيتونى بدواه و صحيفه اكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعدى، فقال عمر كلمه معناها: أنّ الوجع قد غلب على رسول اللّه، ثمّ قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب اللّه، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و من قائل يقول: القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللّفظ «اللغط ظ» و اللغو و الاختلاف غضب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: قوموا إنّه لا ينبغى لنبىّ أن يختلف عنده هكذا فقاموا فمات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فى ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول: إنّ الرّزيه كلّ الرّزيه ما حال بيننا و بين رسول اللّه يعنى الاختلاف و اللفظ «اللغط ظ».

قال الشّارح قلت: هذا الحديث قد خرّجه الشّيخان محمّد بن إسماعيل و مسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحيهما و اتّفق المحدّثون كافّه على روايته.

أقول: هذه الرّوايه كما ذكره الشّارح ممّا رواها الكلّ و الرّوايه فى الجميع عن ابن عباس، و قوله فقال العمر كلمه معناها أنّ الوجع قد غلب اه، الظاهر أنّ تلك الكلمه فى أكثر تلك الرّوايات من قوله: إنّ الرّجل ليهجر، و فى بعضها ما شأنه يهجر استفهموه، و فى بعض الآخر ما شأنه هجر، و فى غيرها ما يقرب من هذا اللفظ، و قد عدل الرّاوى عن روايه هذه اللفظه لكراهته نقلها إذ الهجر كما صرّح به غير واحد من اللغويين هو الهذيان و بذلك فسّر قوله تعالى:

«إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ».

ص:٩٧

فبدّل الرّاوی هذه الکلمه بغیرها استحیاء و استصلاحا لکلام عمر و لن یصلح العطار ما أفسد الدّهر.

فمن تأمّل فی هذه الرّوایه حقّ التّأمل عرف جفاوه الرّجل و فظاظته و خبث طینته و سوء سریرته و عناده و نفاقه من جهات عدیده:

الاولی أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ما کان ینطق عن الهوی و إن کان کلامه لم یکن إلّا وحیا یوحی، فنسبه مع ذلک عمر إلی الهذیان.

الثانیه أنّ قوله عندنا القرآن حسبنا کتاب اللّه ردّ علی اللّه فضلا عن رسول اللّه و قد قال اللّه:

«وَ ما کانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَی اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ یَکُونَ لَهُمُ الْخِیَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ یَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِیناً » و قال: «فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً ».

الثالثه أنّ کتاب اللّه لو کان کافیا عمّا أراد صلوات اللّه علیه و آله کتابته لم یطلب ما یکتب أ تراه یطلب عبثا أم یرید لغوا؟ و نقول لم لم یکف الکتاب و اختلّت أمر الامّه و انفصمت حبل الملّه و تهدّمت أرکان الهدی و انطمست أعلام التّقی.

قال السّید بن طاوس فی محکیّ کلامه من کتاب الطرایف: من أعظم طرایف المسلمین أنّهم شهدوا جمیعا أن نبیهم أراد عند وفاته أن یکتب لهم کتابا لا یضلّون بعده أبدا، و أنّ عمر بن الخطاب کان سبب منعه من ذلک الکتاب و سبب ضلال من ضلّ من امّته و سبب اختلافهم و سفک الدّماء بینهم و تلف الأموال و اختلاف الشّریعه و هلاک اثنین و سبعین فرقه من أصل فرق الاسلام و سبب خلود من یخلد فی النّار منهم.

ص:۹۸

و مع هذا كلّه فانّ أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذى قد شهدوا عليه بهذه الأحوال فى الخلافه و عظموه و كفّروا بعد ذلك من يطعن فيه، و هم من جمله الطاعنين، و ضللوا من يذمّه و هم من جمله الذّامين، و تبرّؤوا ممن يقبح ذكره و هم من جمله المقبحين.

الرّابعه انّ غيظ رسول اللّه و غضبه عليه و أمره له بالخروج من البيت و المتنازعين مع خلقه العظيم و عفوه الكريم و ملاحظته فى الفظاظه و الغلظه انقضاض الخلق كما قال سبحانه:

«وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ».

لم يكن إلاّ لشدّه اسائته الأدب و الوقاحه و بلوغه فى أذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الغايه بحيث لم يتحمّلها صلوات اللّه عليه و آله و قد قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً ».

قال الجوهرى: و حدّثنا أحمد بن سيّار عن سعيد بن كثير الأنصارى عن عبد اللّه بن عبد اللّه بن الرّحمن أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى مرض موته أمّر اسامه بن زيد ابن حارثه على جيش فيه جلّه المهاجرين و الأنصار منهم أبو بكر و عمرو أبو عبيده بن الجراح و عبد الرّحمن بن عوف و طلحه و الزبير و أمره أن يغير على موته(۱) حيث قتل أبوه زيد و أن يغزى و ادى فلسطين، فتثاقل اسامه و تثاقل الجيش بتثاقله و جعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم يثقل و يخفّ و يؤكّد القول فى تنفيذ ذلك البعث.

حتّى قال له اسامه: بأبى أنت و أمّى أ تأذن لى أن أمكث أيّاما حتّى يشفيك اللّه؟ فقال: اخرج و سر على بركه اللّه، فقال: يا رسول اللّه إنّى إن خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و فى قلبى قرحه منك، فقال صلّى اللّه عليه و اله و سلّم سر على النّصر و العافيه، فقال:

۱- (۱) اسم الموضع الذى قتل فيه جعفر بن أبى طالب، منه.

يا رسول اللّه إنّى أكره أن أسأل عنك الركبان، فقال صلّى اللّه عليه و آله انفذ لما أمرتك به.

ثمّ اغمى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و قام اسامه فجهّز للخروج، فلما أفاق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم سأل عن اسامه و البعث، فاخبر أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول انفذوا بعث اسامه لعن اللّه من تخلّف عنه و يكرّر ذلك.

فخرج اسامه و اللواء على رأسه و الصّحابه بين يديه، حتّى إذا كان بالجرف(۱) نزل و معه أبو بكر و عمر و أكثر المهاجرين، و من الأنصار أسيد بن حصين و بشير ابن سعد و غيرهم من الوجوه، فجائه رسول ام أيمن يقول له ادخل فانّ رسول اللّه يموت، فقام من فوره و دخل المدينه و اللواء معه فجاء به حتّى ركزه باب رسول اللّه و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قد مات فى تلك السّاعه، قال: فلما «فماظ» كان أبو بكر و عمر يخاطبان اسامه إلى أن ماتا إلاّ بالأمير.

أقول و نقل الشّارح بعث جيش اسامه قبل فى شرح الخطبه الشّقشقيه أيضا بتغيير يسير لما أورده هنا من الجوهرى، و قال هناك بعد نقله ما هذه عبارته.

و تزعم الشّيعه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يعلم موته و أنّه سير أبا بكر و عمر فى بعث اسامه لتخلو دار الهجره منهما فيصفوا لأمر لعلىّ عليه السّلام و يبايعه من تخلّف من المسلمين فى مدينه على سكون و طمأنينه، فاذا جاءهما الخبر بموت رسول اللّه و بيعه النّاس لعلىّ بعده كانا عن المنازعه و الخلاف أبعد لأنّ العرب كانت تلتزم باتمام تلك البيعه و تحتاج فى نقضها إلى حروب شديده، فلم يتمّ له ما قدّر و تثاقل بالجيش أيّا ما مع شدّه حثّ رسول اللّه على نفوذه و خروجه بالجيش حتّى مات و هما بالمدينه فسبقا عليا إلى البيعه و جرى ما جرى.

ثمّ قال: و هذا عندى غير منقدح لأنّه إن كان يعلم موته فهو أيضا يعلم أنّ أبا بكر سيلى الخلافه و ما يعلمه لا يحترس منه، و إنّما يتمّ هذا و يصحّ إذا فرضنا أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يظنّ موته و لا يعلمه حقيقه و يظنّ أنّ أبا بكر و عمر يتمالان على ابن عمه و يخاف وقوع ذلك منهما و لا يعلمه حقيقه فيجوز إن كانت الحال

۱- (۱) الجرف بالضم موضع قرب المدينه ق.

هكذا أن ينقدح هذا التّوهم و يتطرق هذا الظن.

كالواحد منّا له ولد ان يخاف من أحدهما أن يتغلب بعد موته على جميع ماله و لا يوصل أخاه إلى شيء من حقّه فانّه قد يخطر له عند مرضه الذى يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسّفر إلى بلد بعيد فى تجاره يسلمها إليه يجعل ذلك طريقا إلى دفع تغلبه على الولد الآخر.

أقول: ما نسبه إلينا معاشر الشّيعه حقّ لا ريب فيه، و ما أورده علينا فظاهر الفساد إذ علم النبىّ بموته و بتولّى أبى بكر الخلافه لا ينافى الأمر ببعثه مع اسامه و إلاّ لتوجّه هذا الاشكال فى أوامر اللّه سبحانه، فانّه قد أمر العصاه بالاطاعه و الكفار بالاسلام مع علمه بانّهم لا يطيعون و أنّهم على كفرهم باقون، نعم هذا يناسب على اصول الأشاعره القائلين بالجبر و الشّارح عدلىّ المذهب لا مساس لما أورده على مذهبه.

و تحقيق الكلام أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يعلم موته و يعلم أنّ أبا بكر يغصب الخلافه و مع علمه بذلك بعثه فى الجيش ليفهم الخلق و يعرّفهم انّه ليس راضيا بخلافته و ينبههم على خلافه و عظم جرمه و جريرته و مخالفته للحكم الالزامىّ المؤكد الذى كرّره صلوات اللّه عليه و آله مرّه بعد اخرى.

و ليعلمهم أيضا أنّه برجوعه إلى المدينه مستحقّ للّعن الدائم و العذاب الأليم مضافا إلى ما فى ذلك البعث من نكته اخرى، و هو «هى ظ» التّنبيه على مقام أبى بكر و عمر و الايماء إلى أنّ من كان محكوما عليه بحكم مثل اسامه و مامورا بأمره لا يكون له قابليّه و استعداد لأن يكون أميرا لجميع الامّه و اماما لهم.

و الحاصل أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم كان عالما بموته و بأنّ ما قدّره و أراده فى حقّ أمير المؤمنين عليه السّلام لا يتمّ له، و مع ذلك سيّر الرّجلين إعلاما للخلق بأنّه لا يرضى بهما خلافه و أنّهما غير قابلين لذلك، و إفهاما لهم بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام هو القابل له، و أنّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أراد قيامه عليه السّلام مقامه صلّى اللّه عليه و آله، فحالوا بينه و بينه.

الترجمه

از جمله کلام آن جناب علیه الصّلاه و السّلام است در خصوص أنصار، گفته اند راویان زمانی که رسید بأمیر المؤمنین خبرهای سقیفۀ بنی ساعده و احتجاجات مهاجرین و انصار در باب خلافه بعد از وفات حضرت رسول مختار، فرمود آن حضرت که چه گفتند انصار بمهاجرین؟ عرض کردند که چنین گفتند که باید از ما امیری باشد و از شما امیری فرمود:

پس چرا احتجاج نکردید بر ایشان باین که رسول خدا وصیت فرمود در حقّ ایشان باین که احسان بشود در حق نیکو کار ایشان و در گذرند از بد کردار ایشان، عرض کردند که چگونه باشد در این گفتار حجّه بر انصار پس فرمود آن حضرت که اگر بود خلافت در ایشان نمی بود وصیت پیغمبر بایشان یعنی لازم بود که پیغمبر دیگران را بایشان بسپارد نه این که سفارش ایشان را بدیگران بکند بعد از آن فرمود آن حضرت:

پس قریش در مقام احتجاج چه گفتند بأنصار؟ عرض کردند که حجت آوردند با این که ایشان شجرۀ رسول خدایند، پس فرمود که: حجّه آوردند بشجره و ضایع کردند ثمرۀ او را، یعنی بدرخت حجه می آورند و ثمرۀ او را که آل محمّد علیه و علی آله الصّلاه و السّلام هستند مهمل می گذارند، اللهمّ وفقنا.

و من كلام له عليه السلام و هو السابع و الستون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

لما قلّد محمّد بن أبی بكر مصر فملك عليه و قتل رحمه اللّه عليه و قد أردت توليه مصر هاشم بن عتبه، و لو ولّيته إيّاها لما خلّى لهم العرصه، و لا أنهزهم الفرصه، بلا ذمّ لمحمّد، فلقد كان إلىّ حبيبا

و لی ربيبا.

اللغه

(العرصـه) كـلّ بقعه من الـدّور واسـعه ليس فيهـا بنـاء و المراد هنـا عرصه مصـر و (نهزت الفرصه) و انتهزتهـا اغتنمتهـا، و انهزت الفرصه بهمزه التّعديه ای انهزتها غيری و (الرّبيب) ابن امرأه الرّجل من غيره.

الاعراب

قوله بلا ذمّ، كلمه لا نافيه معترضه بين الخافض و المخفوض، و قال الكوفيّون إنّها اسم بمعنى غير و الجار داخل عليها نفسها و ما بعـدها مجرور باضافتهـا إليه، و غيرهم يراهـا حرفا و يسـمّيها زائده و ان كانت مفيـده معنى كما يسـمّون كان فی نحو زيـد كان فاضلا زايدا فهی زايده لفظا من حيث فصول عمل ما قبلها الی ما بعدها غيره زايده معنى لافادتها النّفی.

المعنى

اشاره

اعلم انّه (لما قلّد محمّد بن أبی بكر مصـر) قبل وقعه صفّين أی جعله و اليها كانّ ولايتها قلاده فی عنقه لكونه مسؤولا عن خيرها و شـرّها و انصـرف النّاس من صـفّين لم يزدد معاويه إلّا قوّه فبعث جيشا كثيفا إلى مصـر فقاتلوا محمّدا (فملكك) مصـر (عليه) ای اخـذه معاويه منه قهرا و اسـتولی عليه (و قتل) محمّد قتله معاويه بن حديج الكندی حسـبما تعرفه فلمّا جاءه صـلّى اللّه عليه و آله نعی محمّد قال (و قد أردت توليه مصـر هاشم بن عتبه) ابن أبی وقاص (و لو ولّيته ايّاها لما خلالهم العرصه و لا انهزهم الفرصه) كمـا انهزها محمّـد إيّاهم و خلاها لهم و فرّ منها ظانّا أنّه بالفرار ينجو بنفسه فلم ينـج و اخـذ و قتل (بلا ذمّ لمحمّـد) ای لست فی كلامی ذلك ذامّا له لكون ذلك التخليه منه للعـدوّ من العجز لا من التقصـير و التّوانی (ف) انّه (لقـد كان إلیّ حبيبا و) كان (لی ربيبا)

تنبيهان

الاول

فی ترجمه محمّـد بن أبی بكر و هاشم بن عتبه أمّا محمّـد فهو جليل القدر عظيم المنزله من خواصّ أصـحاب أمير المؤمنين عليه السّلام

ص:١٠٣

قال ابن طاوس: ولد فی حجه الوداع قتل بمصر سنه ثمان و ثلاثین من الهجره.

و عن رجال الکشّی عن الصّادق علیه السّلام محمّد بن أبی بکر أتته النجابه من قبل امّه أسماء بنت عمیس، و عنه أیضا مسندا عن أبی جعفر علیه السّلام أنّ محمّد بن أبی بکر بایع علیّا علی البراءه من أبیه، و فی شرح المعتزلی امّ محمّد أسماء بنت عمیس بن النّعمان ابن کعب بن مالک بن قحافه بن خثعم کانت تحت جعفر بن أبی طالب و هاجرت معه إلی الحبشه فولدت له هناک عبد اللّه بن جعفر الجواد، ثمّ قتل عنها یوم موته فخلف علیها أبو بکر فأولدها محمّدا، ثمّ مات عنها فخلف علیها علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و کان محمّد ربیبته و خریجه و جاریا عنده مجری اولاده و رضع الولا و التشیّع من زمن الصّبا فنشأ علیه فلم یکن یعرف أبا غیر علیّ علیه السّلام و لا یعتقد لأحد فضیله غیره حتّی قال علیّ:

محمّد ابنی من صلب أبی بکر، و کان یکنّی أبا القاسم فی قول ابن قتیبه، و قال غیره بل یکنّی أبا عبد الرّحمن.

و کان محمّد من نسّاک قریش و کان ممّن أعان یوم الدّار، و اختلف هل باشر قتل عثمان أولا، و من ولد محمّد القاسم بن محمّد فقیه الحجاز و فاضلها، و من ولد القاسم عبد الرحمن بن القاسم کان من فضلاء قریش یکنّی ابا محمّد، و من ولد القاسم أیضا ام فروه تزوّجها الباقر أبو جعفر محمّد بن علیّ علیه السّلام انتهی.

أقول: و قد تقدّم فی شرح الخطبه الشّقشقیّه أنّ الصادق علیه السّلام تولد من أمّ فروه.

و فی مجالس المؤمنین انّ أهل السّنّه یسمّون معاویه بسبب اخته امّ حبیبه خال المؤمنین و لا یسمّون محمّدا بذلک مع أنّ عایشه اخته و هی أمّ المؤمنین عندهم و ذلک لنصب معاویه و عداوته لأمیر المؤمنین علیه السّلام و کون محمّد رضی اللّه عنه من خواصّ أصحابه و خلّص تلامذته، و من شعره رضی اللّه عنه:

یا أبانا قد وجدنا ما صلح خاب من أنت أبوه و افتضح

إنّما أخرجنا منک الذی أخرج الدّرّ من الماء الملح

أنسیت العهد فی خمّ و ما قاله المبعوث فیه و شرح

ص:۱۰۴

فيک وصّی أحمد فی يومها أم لمن أبواب خير قد فتح

أم بارث قد تقمّصت بها بعد ما يحتجّ عجلک و کشح

و سألک المصطفی عمّا جری من قضاياکم و من تلک القبح

ثمّ عن فاطمه و ارثها من روی فيه و من فيه فضح

ما تری عذرک فی الحشر غدا يا لک الويل إذ الحقّ اتّضح

فعليک الخزی من ربّ السماء کلّما ناح حمام و صدح

يا بنی الزّهراء أنتم عدّتی و بکم فی الحشر ميزانی رجح

و إذا صحّ ولائی بکم لا ابالی أیّ کلب قد نبح

و أما هاشم فهو ابن عتبه بن أبی وقّاص و سمی المرقال لأنه کان يرقل فی الحرب، و عن الاستيعاب أنه کان من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله نزل الکوفه و کان من الفضلاء الخيار، و کان من الأبطال، و فقئت عينه يوم البرموک؟ و کان خيرا فاضلا شهد مع علیّ عليه السّلام الجمل، و شهد صفين و أبلا بلاء حسنا و بيده کانت رايه علیّ علی الرّجاله يوم صفين، و يومئذ قتل و کانت صفين سنه سبع و ثلاثين.

أقول: و قد تقدّم کيفيه قتاله و شجاعته و شهادته رضی اللّه عنه فی شرح الخطبه الخامسه و الستين.

الثانی

فی الاشاره إلی بعض الفتن الحادثه بمصر، و شهاده محمّد بن أبی بکر رضی اللّه عنه فأقول: فی شرح المعتزلی و البحار جميعا من کتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفی قال إبراهيم: باسناده عن الکلبی أنّ محمّد بن حذيفه هو الذی حرّض المصرّيين علی قتل عثمان و ندبهم إليه، و کان حينئذ بمصر، فلمّا ساروا إلی عثمان و حصروه و ثب هو بمصر علی عامل عثمان عليها، و هو عبد اللّه بن سعد بن أبی سرح فطرده عنها و صلّی بالناس، فخرج ابن أبی سرح من مصر و نزل علی تخوم أرض مصر مما يلی فلسطين، و انتظر ما يکون من أمر عثمان، فلما بلغ إليه خبر قتله و بيعه الناس لأمير المؤمنين عليه السّلام لحق بمعاويه.

قال: فلمّا ولى علىّ عليه السّلام الخلافه و كان قيس بن سعد بن عباده من شيعته و مناصحيه قال له: سر إلى مصر فقد وليتكها و اخرج إلى ظاهر المدينه و اجمع ثقاتك و من أحببت أن يصحبك حتّى تاتى مصر و معك جند، فانّ ذلك ارعب لعدوّك و أعزّ لوليّك، فاذا قدمتها إنشاء اللّه فأحسن إلى المحسن و اشدد على المريب، و ارفق بالعامّه و الخاصّه فالرّفق يمن.

فقال قيس: يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت، فأمّا الجند فانّى ادعه لك فاذا احتجت إليهم كانوا قريبا منك، و إن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا لك عدّه و لكنى أسير إلى مصر بنفسى و أهل بيتى، و أمّا ما أوصيتنى به من الرّفق و الاحسان فاللّه هو المستعان على ذلك.

قال: فخرج قيس فى سبعه نفر من أهله حتّى دخل مصر و صعد المنبر و أمر بكتاب معه يقرأ على النّاس فيه:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابى من المسلمين، سلام عليكم فانّى أحمد اللّه إليكم الذى لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فانّ اللّه بحسن صنعه و قدره و تدبيره اختار الاسلام دينا لنفسه و ملائكته و رسله، و بعث أنبيائه إلى عباده، فكان ممّا أكرم اللّه عزّ و جلّ به هذه الامه و خصّهم به من الفضل أن بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله إليهم فعلّمهم الكتاب و الحكمه و السّنّه و الفرائض، و أدّبهم لكيما يهتدوا و أجمعهم لكيلا يتفرّقوا، و زكّاهم لكيما يتطهّروا فلمّا قضى من ذلك ما عليه قبضه اللّه إليه، فعليه صلوات اللّه و سلامه و رحمته و رضوانه.

ثمّ إنّ المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين(۱) أحييا السّيره و لم يعدوا لسنّه، ثمّ توفيا فولى بعدهما من أحدث أحداثا فوجدت الامّه عليه مقالا فقالوا ثمّ نقموا عليه فغيّروا ثمّ جاءونى فبايعونى و أنا أستهدى اللّه للهدى و أستعينه على التقوى، ألا و انّ لكم علينا العمل بكتاب اللّه و سنّه رسوله و القيام بحقّه و النصح لكم بالغيب و اللّه المستعان و حسبنا اللّه و نعم الوكيل.

و قد بعثت لكم قيس بن سعد الأنصارى أميرا فوازروه و أعينوه على الحقّ، و قد أمرته بالاحسان إلى محسنكم و الشّده على مريبكم و الرّفق بعوامكم و خواصكم

۱- (۱) أى ظاهرا عند الناس و يحتمل أن يكون من الحاق المخالفين.

و هو ممّن ارضى هديه و أرجو صلاحه و نصحه، نسأل اللّه لنا و لكم عملا زاكيا و ثوابا جزيلا و رحمه اللّه و بركاته، و كتب عبيد اللّه بن أبى رافع فى صفر سنه ست و ثلاثين.

قال: فلمّا فرغ من قراءه الكتاب قام قيس خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

الحمد للّه الذى جاء بالحقّ و أمات الباطل و كبت الظالمين أيّها النّاس إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا فقوموا فبايعوا على كتاب اللّه و سنّه نبيّه فان نحن لم نعمل فيكم بكتاب اللّه و سنّه رسول اللّه فلا بيعه لنا عليكم.

فقام النّاس فبايعوه و استقامت مصر و أعمالها لقيس و بعث عليها عماله إلاّ أنّ قريه فيها قد أعظم أهلها قتل عثمان و بها رجل من بنى كنانه يقال له يزيد بن الحرث فبعث إلى قيس إنّا لا نأتيك فابعث عمّا لك فالأرض أرضك و لكن اقرّنا على حالنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر النّاس و وثب مسلمه بن مخلد الأنصارى و دعا إلى الطلب بدم عثمان، فأرسل إليه قيس و يحك أعلى تثبّ و اللّه ما أحبّ انّ لى ملك الشّام و مصر و انّى قتلتك فاحقن دمك، فأرسل إليه مسلمه إنّى كاف عنك ما دمت والى مصر.

و كان قيس ذا رأى و حزم فبعث إلى الذين اعتزلوا أنّى لا اكرهكم على البيعه و لكنّى أدعكم و اكفّ عنكم، فهادنهم و هادن مسلمه بن مخلد و جىء الخراج و ليس احد ينازعه.

قال إبراهيم: و خرج علىّ إلى الجمل و قيس على مصر و رجع إلى الكوفه من البصره و هو بمكانه و كان أثقل خلق اللّه على معاويه لقرب مصر و أعمالها من الشّام فكتب معاويه إلى قيس و علىّ عليه السّلام يومئذ بالكوفه قبل أن يسير إلى صفين.

من معاويه بن أبى سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فانّى أحمد إليك اللّه الذى لا إله إلاّ هو أمّا بعد إن كنتم نقمتم على عثمان فى اثره «عثره» رأيتموها أو ضربه سوط ضربها أو فى شتمه أو تمييزه أحدا أو فى استعماله الفتيان من أهله فانّكم قد

علمتم إن كنتم تعلمون أنّ دمه لا يحلّ لكم بذلك، فقد ركبتم عظيما من الأمر و جئتم شيئا إدا، فتب يا قيس إلى ربك ان كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبه قبل الموت تغنى شيئا.

و أمّا صاحبك فقد استيقنّا أنّه أغرى النّاس به و حملهم على قتله حتّى قتلوه و أنّه لم يسلم من دمه عظم قومك، فان استطعت يا قيس أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فافعل و بايعنا على عليّ فى أمرنا هذا و لك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت و لمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لى سلطان، و سلنى عن غير هذا مما تحبّ فانك لا تسألنى شيئا إلاّ اتيته و اكتب الىّ رأيك فيما كتبت اليك.

فلمّا جاء إليه كتاب معاويه أحبّ أن يدفعه و لا يبدى له أمره و لا يعجل له حربه فكتب إليه: أمّا بعد فقد وصل إلىّ كتابك و فهمت الّذى ذكرت من أمر عثمان و ذلك أمر لم اقاربه و ذكرت أنّ صاحبى هو الذى أغرى النّاس بعثمان و دسّهم إليه حتّى قتلوه، و هذا أمر لم اطلع عليه، و ذكرت لى أنّ عظم عشيرتى لم تسلم من دم عثمان فلعمرى إنّ أولى النّاس كان فى أمره عشيرتى.

و أما ما سألتنى من مبايعتك على الطلب بدمه و ما عرضته علىّ فقد فهمته و هذا أمر لى فيه نظر و فكر و ليس رأس هذا ممّا يعجل إلى مثله و أنا كاف عنك و ليس يأتيك من قبلى شيء تكرهه حتّى ترى و نرى إنشاء اللّه و السّلام عليك و رحمه اللّه و بركاته.

قال إبراهيم: فلما قرء معاويه الكتاب لم يره إلاّ مقاربا مباعدا و لم يأمن أن يكون مخادعا مكائدا فكتب إليه:

أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما، و لم أرك تتباعد فأعدك حربا أراك كالجمل الجرور(١) «كخيل الحرون خ» و ليس مثلى يصانع بالخداع و لا يخدع بالمكايد و معه عدد الرّجل و أعنّه الخيل، فان قبلت الذى عرضت عليك فلك ما أعطيتك و ان أنت لم تفعل ملئت مصر عليك خيلا و رجلا و السّلام.

ص:١٠٨

١- (١) جمل جرور يمنع القياد، و بئر بعيده، ق.

فلمـا قرء قيس كتـابه و علم انّه لا يقبل منه المـدافعه و المطاوله أظهر له ما فى نفسه، فكتب إليه من قيس بن سـعد إلى معاويه بن أبى سفيان.

أما بعد فالعجب من استسـقاطك رأيى و الطمع فيما تسومنى(۱) لاـ أبا لغيرك من الخروج من طاعه أولى النّاس بالأمر و أقولهم بـالحقّ و أهـداهم سبيلا و أقربهم من رسول اللّه وسـيله أ تأمرنى بالـدخول فى طاعتك طاعه أبعـد النّاس من هـذا الأمر و أقولهم بالزور و أضـلّهم سبيلا و اناهم من رسول اللّه وسـيله و لديك قوم ضالّون مضلّون طواغيت إبليس، و أمّا قولك إنّك تملاء علىّ مصر خيلا، و رجلا فلئن لم أشغلك من ذلك حتّى يكون منك انك ذو جدّ و السّلام.

فلما أتى معاويه كتاب قيس آيس و ثقل مكانه عليه و كان يحبّ أن يكون مكانه غيره أعجب لما يعلم من قوّته و بأسه و نجدته، فاشـتدّ أمره على معاويه فأظهر للنّاس أنّ قيسا قد بايعكم فادعوا اللّه له و قرء عليهم كتابه الذى لان فيه و قاربه و اختلق كتابا نسـبه إلى قيس فقرأه على النّاس للأمير معاويه بن أبى سفيان من قيس ابن سعد:

أما بعد إنّ قتل عثمان حدث فى الاسلام عظيما و قد نظرت لنفسى و دينى فلم أر يسعنى و دينى مظاهره قوم قتلوا إمامهم مسلما، فنسـتغفر اللّه سـبحانه لذنوبنا و نسأله العصـمه لديننا ألا و إنّى قد القيت إليك بالسّلم و أجبتك إلى قتال قتله امام الهدى المظلوم فاطلب منّى ما احببت من الامور و الرّجال اعجله إليك إنشاء اللّه، و السّلام على الامير و رحمه و بركاته.

قـال فشـاع فى الشام كلّها أنّ قيسا صالـح معاويه و أتت عيون علىّ بن أبى طالب إليه بـذلك، فأعظمه و أكبره و تعجّب له و دعا ابنيه حسـنا و حسـينا و ابنه محمّدا و عبد اللّه بن جعفر فأعلمهم بذلك و قال: ما رأيكم؟ فقال عبد اللّه بن جعفر: يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصـر، قال علىّ عليه السّـلام و اللّه إنّى غير مصـدّق بهذا على قيس، فقال عبد اللّه: اعزله يا أمير المؤمنين فان كان ما قد قيل حقّا لا يعتزل

۱- (۱) سام فلانا الامر كلفه اياه و اكثر ما يستعمل فى العذاب و الشرّ، ق.

لک إن عزلته.

قال: و إنّهم لکذلک إذ جاءهم کتاب من قیس بن سعد فیه.

أما بعد فانّی أخبرک یا أمیر المؤمنین أکرمک اللّه و أعزّک، إنّ قبلی رجالا- معتزلین سألونی أن أکفّ عنهم و أدعهم علی حالهم حتّی یستقیم أمر النّاس و نری و یرون، و قدر أیت أن أکفّ عنهم و لا اعجل بحربهم و ان اتالفهم بین ذلک لعل اللّه أن یقبل بقلوبهم و یفرّقهم عن ضلالتهم إنشاء اللّه و السّلام.

فقال عبد اللّه بن جعفر: یا أمیر المؤمنین إنّک إن أطعته فی ترکهم و اعتزالهم استسری الأمر و تفاقمت الفتنه و قعد عن بیعتک کثیر ممّن تریده علی الدّخول فیها و لکن مره بقتالهم، فکتب إلیه:

أمّا بعد فسر إلی القوم الذین ذکرت فان دخل فیما دخل فیه المسلمون و إلاّ فناجزهم و السّلام.

فلما اتی هذا الکتاب قیسا فقرأه لم یتمالک ان کتب إلی علیّ علیه السّلام.

أمّا بعد یا أمیر المؤمنین تأمرنی بقتل قوم کافین عنک لم یمدّ و ایدا للفتنه و لا أرصدوا لها فأطعنی یا أمیر المؤمنین و کفّ عنهم فانّ الرّأی ترکهم و السّلام.

فلما أتاه الکتاب قال عبد اللّه بن جعفر: یا أمیر المؤمنین ابعث محمّد بن أبی بکر إلی مصر یکفیک و اعزل قیسا فو اللّه لیبلغنی أنّ قیسا یقول انّ سلطانا لا یتمّ إلاّ بقتل مسلمه بن مخلد لسلطان سوء و اللّه ما احبّ أنّ لی سلطان الشّام مع سلطان مصر و انّنی قتلت ابن مخلد.

و کان عبد اللّه بن جعفر أخا محمّد بن أبی بکر لامّه و کان یحبّ أن یکون له امره و سلطان فاستعمل علیّ محمّد بن أبی بکر مصر لمحبّته له و لهوی عبد اللّه بن جعفر أخیه فیه و کتب معه کتابا إلی أهل مصر فسار حتّی قدمها فقال له قیس: ما بال أمیر المؤمنین ما غیره أدخل أحد بینی و بینه؟ قال: لا و هذا السلطان سلطانک و کان بینهما نسب و کان تحت قیس قریبه بنت أبی قحافه اخت أبی بکر فکان قیس زوج عمّته، فقال قیس: لا و اللّه لا اقیم معک ساعه واحده فغضب و خرج من مصر

مقبلا إلى المدينه و لم يمض إلى علىّ بالكوفه.

فلما قدم المدينه جاء حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له: نزعك علىّ بن أبى طالب و قد قتلت عثمان فبقى عليك الاثم و لم يحسن عليك الشكر، فزجره قيس و قال: يا أعمى البصر و اللّه لو لا أن القى بينى و بين رهطك حربا لضربت عنقك ثمّ أخرجه من عنده.

ثمّ إنّ قيسا و سهل بن حنيف خرجا حتّى قدما على علىّ عليه السّلام الكوفه فخبره قيس الخبر و ما كان بمصر، فصدقه و شهد مع علىّ بصفين هو و سهل بن حنيف و كان قيس طوالا أطول النّاس و أمدّهم قامه و كان سبطا أصلع شجاعا مجربا مناصحا لعلىّ عليه السّلام و لولده و لم يزل على ذلك إلى أن مات.

و عن هشام بن عروه قال: كان قيس على مقدّمه علىّ بصفين معه خمسه آلاف قد حلقوا رؤوسهم.

و فى البحار وجدت فى بعض الكتب أنّ عزل قيس من مصر ممّا غلب أمير المؤمنين أصحابه و اضطرّوه إلى ذلك و لم يكن هذا رأيه كالتّحكيم و لعلّه أظهر و أصوب.

قال إبراهيم و كان عهد علىّ عليه السّلام إلى محمد بن أبى بكر:

هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى اللّه فى السرّ و العلانيه و خوف اللّه فى المغيب و المشهد، و أمره باللين على المسلم و الغلظه على الفاجر، و بالعدل على أهل الذمه و بالانصاف للمظلوم و ما يشده على الظالم، و بالعفو على النّاس و بالاحسان ما استطاع و اللّه يجزى المحسنين و يعذّب المجرمين، و امره ان يدعو من قبله إلى الطاعه و الجماعه فانّ لهم فى ذلك من العافيه و عظم المثوبه ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه.

و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثمّ يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل، و ان تكن لهم حاجه يواسى بينهم فى مجلسه، و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء، و أمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ و أن يقوم بالقسطاس و لا يتبع الهوى و لا يخاف فى اللّه لومه

لائم فانّ اللّه مع من اتّقاه و آثر طاعته على من سواه، و كتب عبيد اللّه بن أبى رافع مولى رسول اللّه بغرّه شهر رمضان سنه ستّ و ثلاثين.

قال إبراهيم: ثمّ قام محمّد بن أبى بكر خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد فالحمد للّه الذى هدانا و إيّاكم لما اختلف فيه من الحقّ، و بصّرنا و إيّاكم كثيرا ممّا عمى عنه الجاهلون ألا و إنّ أمير المؤمنين، و لانّى اموركم و عهد إلىّ بما سمعتم و أوصانى بكثير منه مشافهه و لن الوكم جهدا ما استطعت، و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكّلت، و إليه انيب، فان يكن ما ترون من آثارى و أعمالى طاعه للّه و تقوى فاحمدوا اللّه على ما كان من ذلك فانّه هو الهادى إليه، و إن رأيتم من ذلك عملا بغير الحقّ فارفعوه إلىّ فانّى بذلك أسعد و أنتم بذلك جديرون، وفقنا اللّه و إيّاكم لصالح العمل.

أقول: و لأمير المؤمنين عليه السّلام كتاب آخر مبسوط إلى محمّد و أهل مصر و رواه إبراهيم نرويه إنشاء اللّه فى باب الكتب إن ساعدنا التّوفيق و المجال.

ثمّ قال إبراهيم: فلم يلبث محمّد بن أبى بكر شهرا كاملا حتّى بعث إلى أولئك المعتزلون الذين كان قيس بن سعد مواد عالهم، فقال: يا هؤلاء إمّا أن تدخلوا فى طاعتنا و إمّا ان تخرجوا من بلادنا، فبعثوا إليه إنّا لا نفعل فدعنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر النّاس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه و أخذوا حذرهم، ثمّ كانت وقعه صفين و هم لمحمّد هايبون فلمّا أتاهم خبر معاويه و أهل الشّام ثمّ صار الأمر إلى الحكومه و أنّ عليّا و أهل العراق قد غفلوا عن معاويه و الشّام إلى عراقهم، اجترءوا على محمّد و أظهروا المنابذه له، فلما رأى محمّد ذلك بعث إليهم ابن جمهان البلوى و معه يزيد بن الحرث الكنانى فقاتلاهم فقتلوهما.

ص:١١٢

ثمّ بعث إليهم رجلاـ من كلب فقتلوه أيضـا، و خرج معـاويه بن حـديج(١) من السّـكاسك يـدعو إلى الطلب بدم عثمان، فأجابه القوم و نـاس كـثير آخرون و فسـدت مصـر على محمّـد بن أبى بكر، فبلغ عليـا توثّبهم عليه، فقـال: مـالى أرى لمصـر إلاّـ و أحد الرّجلين صاحبنا الذى عزلناه بالأمس يعنى قيس بن سـعد أو مالك بن الحرث الأشتر و كان علىّ حين رجع عن صفين ردّ الاشتر إلى عمله بـالجزيره و قـال لقيس بن سـعد: أقم أنت معى على شـرطتى حتّى نفرغ من أمر هـذه الحكومه ثمّ اخرج إلى اذربيجـان فكان قيس مقيما على شرطته.

فلمّا انقضى أمر الحكومه كتب إلى الأشتر و هو يومئذ بنصيبين و طلبه إليه و بعثه إلى مصر و مات قبل الوصول إليه بتفصيل تطلع عليه فى باب الكتب أيضا إنشاء اللّه قال ابراهيم: فحـدث محمّـد بن عبد اللّه عن أبى سـيف المداينى عن أبى جهضم الأزدى أنّ أهل الشّام لمّا انصـرفوا عن صفّين و أتى بمعاويه خبر الحكمين و بايعه أهل الشّام بالخلافه لم يزدوا إلاّ قوّه و لم يكن لهم همّ إلاّ مصـر فـدعا عمرو بن العـاص و حبيب بن مسـلمه و بسـر بن أرطـاه و الضّـحاك بن قيس و عبـد الرّحمن بن خالـد و شـرجيل بن السّمط و أبا الأعور السّلمى و حمزه بن مالك فاستشارهم فى ذلك.

قـال عمرو بـن العـاص: نعـم الرّأى رأيت فى افتتاحهـا عزّك و عزّ أصـحابك و ذلّ عـدوّك، و قـال آخرون نرى مـا رأى عمرو، فكتب معاويه إلى مسـلمه بن مخلـد الانصارى و إلى معاويه بن حديـج الكنـدى و كانا قـد خالفا عليّا فـدعا هما إلى الطلب بـدم عثمان، فأجابا و كتبا إليه: عجّل الينا بخيلك و رجلك فانّا ننصرك و يفتح اللّه عليك.

فبعث معاويه عمر بن العاص فى ستّه آلاف فسار عمرو فى الجيش حتّى دنى من مصـر فاجتمعت إليه العثمانيّه فأقام، و كتب إلى محمّد بن أبى بكر.

أمّا بعد فتنحّ عنّى يابن أبى بكر فانّى لا احبّ أن يصيبك منّى ظفر و أنّ

١- (١) قال الدميرى فى حياه الحيوان معاويه بن حديج بحاء مهمله مضـمومه و دال مهمله مفتوحه و بالجيم فى آخره كذا ضبطه ابن السمعانى فى الانساب و ابن عبد البر و قتيبه و غيرهم، منه

النّاس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك و رفض أمرك و ندموا على اتباعك و هم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطنان، فاخرج منها فانّى لك من النّاصحين و السّلام قال: و بعث عمرو إلى محمّد مع هذا الكتاب كتاب معاويه إليه و هو أمّا بعد فانّ غب الظلم و البغى عظيم الوبال و انّ سفكك الدّم الحرام لا يسلم صاحبه من النّقمه فى الدّنيا و التّبعه الموبقه فى الآخره، و ما نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا و لا أسوء له عينا و لا أشدّ عليه خلافا منك، سعيت عليه فى السّاعين و ساعدت عليه فى المساعدين و سفكت دمه مع السّافكين، ثمّ تظنّ انّى نائم عنك فتأتى بلده فتأمن فيها و جلّ أهلها أنصارى يرون رأيى و يرفعون قولك و يرقبون عليك و قد بعثت اليك قوما حناقا عليك يسفكون دمك و يتقرّبون إلى اللّه عزّ و جلّ بجهادك و قد اعطوا اللّه عهدا ليقتلنّك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك اللّه بأيديهم أو بأيدى غيرهم من أوليائه، و أنا احذّرك و انظرك فانّ اللّه مقيد منك و مقتص لوليّه و خليفته بظلمك به و بغيك عليه و وقيعتك فيه و عداوتك يوم الدّار عليه، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه و أو داجه، و مع هذا فانّى أكره قتلك و لا احبّ أن أتولّى ذلك منك و لن يسلمك اللّه من النّقمه اين كنت أبدا فتنحّ و انج بنفسك و السّلام.

قال: فطوى محمّد بن أبى بكر كتابيهما و بعث بهما إلى علىّ عليه السّلام و كتب إليه:

أمّا بعد يا أمير المؤمنين فانّ العاصى ابن العاص قد نزل أدنى مصر و اجتمع إليه من أهل البلد كلّ من كان يرى رأيهم و هو فى جيش جرّار و قد رأيت ممّن قبلى بعض الفشل فان كان لك فى أرض مصر حاجه فامددنى بالأموال و الرّجال، و السّلام عليك و رحمه اللّه و بركاته.

فكتب عليه السّلام اليه: فقد أتانى رسولك بكتاب تذكر أنّ ابن العاص قد نزل أدنى مصر فى جيش جرّار و أنّ من كان على مثل رأيه قد خرج إليه و خروج من كان على رأيه خير من اقامته عندك، و ذكرت أنّك قد رأيت ممّن قبلك فشلا فلا تفشل و ان فشلوا، حصّن قريتك و اضمم إليك شيعتك، و أوّل الحرس فى عسكرك و اندب الى القوم كنانه بن بشر المعروف بالنّصيحه و التّجربه و البأس، فانا نادب اليك الناس

على الصعب و الذّلول فاصبر لعدوّک و امض بصيرتک و قاتلهم على نيّتک و جاهدهم محتسبا منه سبحانه، و إن کان فئتک أقلّ الفئتين فان اللّه تعالى يعين القليل و يخذل الكثير.

و قد قرئت كتاب الفاجرين المتحابّين (المتحامين خ ل) على المعصيه و المتلائمين على الضلاله و المرتشين فى الحكومه و المنكرين على أهل الدّين الذين استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، فلا يضرّنک ارعادهما و ابراقهما، واجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله، فانّک تجد مقالا ما شئت و السّلام.

قال: فكتب محمّد بن أبى بكر إلى معاويه جواب كتابه أمّا بعد فقد أتانى كتابک تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليک منه و تأمرنى بالتنحى عنک كأنک لى ناصح و تخوّفنى بالحرب كأنّک علىّ شفيق، و أنا أرجو أن تكون الدائره عليكم و أن يخذلكم اللّه فى الواقعه و أن ينزل بكم الذلّ و أن تولّوا الدّبر، فان يكن لكم الأمر فى الدّنيا فكم و كم لعمرى من ظالم قد نصرتم و كم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به و إلى اللّه المصير، و إليه تردّ الامور، و هو أرحم الرّاحمين، و اللّه المستعان على ما تصفون.

و كتب إلى عمرو بن العاص:

أمّا بعد فقد فهمت كتابک و علمت ما ذكرت و زعمت أنّک لا تحبّ أن يصيبنى منک الظفر، فاشهد باللّه أنّک لمن المبطلين، و زعمت أنّک لى ناصح و اقسم أنّک عندى ظنين، و زعمت أنّ أهل البلد قد رفضونى و ندموا على اتباعى فأولئک حزبک و حزب الشّيطان الرّجيم، و حسبنا اللّه ربّ العالمين، و توكلت على اللّه العزيز الرّحيم، ربّ العرش العظيم.

قال إبراهيم: فحدّثنا محمّد بن عبد اللّه عن المداينى قال: فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمّد بن أبى بكر فى النّاس فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد يا معاشر المسلمين فانّ القوم الذين كان ينتهكون الحرمه و يغشون أرض الضّلاله و يستطيلون بالجبريه قد نصبوا لكم العداوه و ساروا إليكم بالجنود، فمن أراد الجنّه و المغفره فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم فى اللّه، انتدبوا رحمكم اللّه

مع کنانه بن بشر.

ثمّ نـدب معه ألفی رجل، و تخلّف محمّد فی ألفین و اسـتقبل عمرو بن العاص کنانه و هو علی مقدمه محمّد فلمّا دنی عمرو من کنانه سـرح إلیه الکتائب کتیبه بعد کتیبه، فلم تأته کتیبه من کتائب أهل الشّام إلاّ شدّ علیها بمن معه فیضربها حتّی یلحقها بعمرو، ففعل ذلک مرارا، فلمّا رأی عمرو ذلک بعث معاویه بن حدیـج الکنـدی فأتاه فی مثل الـدّهم، فلمّا رأی کنانه ذلک الجیش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه و ضاربهم بسیفه حتّی استشهد.

قـال: فلمّا قتل کنانه أقبل ابن العاص نحو محمّـد و قـد تفرّق عنه أصـحابه، فخرج محمّـد فمضـی فی طریق حتّی انتهی إلی خربه فآوی الیها، و جاء عمر و بن العاص حتّی دخل الفسطاط و خرج ابن حدیج فی طلب محمّد حتّی انتهی إلی علوج(۱) علی قارعه الطریق فسألهم هل مرّ بکم أحـد تنکرونه؟ قالوا: لا قال أحـدهم: إنّی دخلت تلک الخربه فاذا أنا برجل جالس، قال ابن حدیـج: هو هو و ربّ الکعبه.

فانطلقوا یرکضون حتّی دخلوا علی محمّـد فاستخرجوه و قد کاد یموت عطشا، فاقبلوا به نحو الفسـطاط فوثب أخوه عبد الرّحمن بن أبی بکر إلی عمرو بن العـاص و کـان فی جنـده فقال: لا و اللّه لا یقتل أخی صبرا ابعث إلی معاویه بن حدیـج فانهه، فأرسـل عمرو بن العاص أن ائتنی بمحمّد، فقال معاویه: أ قتلتم کنانه بن بشر ابن عمّی و اخلّی عن محمّد، هیهات هیهات «أَ کُفّارُکُمْ خَیْرٌ مِنْ أُولئِکُمْ أَمْ لَکُمْ بَراءَهٌ فِی الزُّبُرِ ».

فقال محمّـد: اسـقونی قطره من ماء، فقال له ابن حدیج لا سـقانی اللّه إن سـقیتک قطره أبدا، إنّکم منعتم عثمان أن یشـرب الماء حتّی قتلتموه صائما محرما فسقاه اللّه من الرّحیق المختوم(۲) و اللّه لأقتلنّک یابن أبی بکر و أنت ظمآن و یسقیک اللّه من الحمیم و الغسلین.

۱- (۱) العلج بالکسر الرجل من کفار العجم و الجمع علوج، ق.

۲- (۲) غیر خفیّ علی أهل البصیره أن القضیه بالعکس فان الاول شارب من الحمیم و الغسلین و الثانی من الرحیق المختوم، منه.

فقال محمّـد: يا بن اليهوديه النسّاجه ليس ذلک اليوم إليک و لا إلی عثمان و إنّما ذلک إلی اللّه يسقی أولياءه و يظمأ أعداءه و هم أنت و قرناءک و من تولاّک و تولّيته، و اللّه لو کان سيفی بيدی ما بلغتم منی ما بلغتم، فقال له معاويه بن حديج: أ تدری ما أصنع بک أدخلک جوف هذا الحمار الميت ثمّ احرقه عليک بالنّار.

قال: ان فعلتم ذلک بی فطال ما فعلتم ذاک بأولياء اللّه و أيم اللّه إنّی لأرجو أن يجعل اللّه هذه النّار التی تخوّفنی بها بردا و سلاما کما جعلها اللّه علی إبراهيم خليله و أن يجعلها عليک و علی أوليائک کما جعلها علی نمرود و علی أوليائه و إنّی لأرجو أن يحرقک اللّه و إمامک معاويه و هذا، و أشار إلی عمرو بن العاص بنار تلظی عليکم کلما خبت زادها اللّه عليکم سعيرا.

فقال معاويه بن حديج إنّی لأقتلک ظمآنا إنما أقتلک بعثمان بن عفّان، قال محمّد:

و ما أنت و عثمان رجل عمل بالجور و بدّل حکم اللّه و القرآن و قد قال اللّه عزّ و جلّ:

«وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ »، وَ «فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ ».

فنقمنا عليه أشياء عملها فأردناه أن يختلع من عملنا فلم يفعل فقتله من قتله من النّاس، فغضب معاويه بن حديج فضرب عنقه ثمّ القاه فی جوف حمار و أحرقه بالنّار.

فلمّا بلغ ذلک عايشه جزعت عليه جزعا شديدا و قنتت فی دبر کلّ صلاه تدعو علی معاويه بن أبی سفيان و عمرو بن العاص و معاويه بن حديج، و قبضت عيال محمّـد أخيها و ولده إليها فکان القاسم بن محمّد فی عيالها، و حلفت عايشه أن لا تأکل شوی أبدا بعد قتل محمّد، فلم تأکل شوی حتی لحقت باللّه، و ما عثرت قطّ إلاّ قالت تعس(۱) معاويه بن ابی سفيان و عمرو بن العاص و معاويه بن حديج.

قال إبراهيم: و حدّثنی محمّـد بن عبد اللّه عن المدائنی عن الحرث بن کعب عن حبيب بن عبد اللّه، قال و اللّه إنّی لعند علیّ اذ جاءه عبد اللّه بن معين من قبل محمّد بن

۱- (۱) التعس الهلاک و العثار و السقوط و الشرّ و البعد و الانحطاط.

أبى بكر يستصرخه قبل الوقعه، فقام علىّ عليه السّلام فنادى فى النّاس الصّلاه جامعه فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه و ذكر رسول اللّه ثمّ قال عليه السّلام:

أمّا بعد فهذا صريخ محمّد بن أبى بكر و اخوانكم من أهل مصر قد سار اليهم ابن النّابغه عدوّ اللّه و عدوّ من والاه و ولّا من عاد اللّه، فلا يكونن أهل الضّلال إلى باطلهم و الرّكون إلى سبيل الطاغوت أشدّ اجتماعا على باطلهم منكم على حقّكم، و قد بدءوكم و اخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساه و النّصر، عباد اللّه إن مصر أعظم من الشّام خيرا و خير أهلا فلا تغلبوا على مصر فانّ بقاء مصر فى أيديكم عزّ لكم و كبت لعدوّكم اخرجوا إلى الجزعه «و الجزعه بين الحيره و الكوفه» لنتوا فى هناك كلّنا غدا إنشاء اللّه.

قال فلمّا كان الغد خرج يمشى فأقام حتّى انتصب النّهار فلم يوافه مأئه رجل فرجع فلما كان العشاء بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كئيب حزين فقال عليه السّلام:

الحمد للّه على ما قضى من أمر و قدّر من فعل و ابتلانى بكم أيّها الفرقه التى لا تطيع إذا أمرتها، و لا تجيب إذا دعوتها، لا أبا لغيركم ما ذا تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقّكم، الموت خير من الذّلّ فى هذه الدّنيا لغير الحقّ، و اللّه إن جائنى الموت و ليأتينّى فليفرقنّ بينى و بينكم لتجدنّنى لصحبتكم جدّ.

قال: ألا دين يجمعكم ألاحميه تغيظكم ألا تسمعون بعدوّكم ينتقص بلادكم و يشن الغاره عليكم أو ليس عجبا أنّ معاويه يدعو الجفاه الطعام الظلمه فيتّبعونه على غير عطاء و معونه و يجيبونه فى السنّه المرّه و المرّتين و الثلاث إلى أىّ وجه شاء ثمّ أنا أدعوكم و أنتم أولو النّهى و بقيّه النّاس تختلفون و تفرّقون منّى و تعصوننى و تخالفون علىّ.

فقام إليه مالك بن كعب الارحبى فقال: يا أمير المؤمنين اندب النّاس معى فانّه لا عطر بعد عروس، و إنّ الأجر لا يأتى إلّا بالكره، ثمّ التفت إلى النّاس، و قال: اتقوا اللّه و أجيبوا دعوه إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوّكم إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين.

فأمر علیّ علیه السّلام سعدا مولاه أن ینادی ألاسیروا مع مالک بن کعب إلی مصر و کان وجها مکروها فلم یجتمعوا إلیه شهرا، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج بهم مالک بن کعب فعسکر ظاهر الکوفه و خرج معه علیّ علیه السّلام فنظر فاذا جمیع النّاس نحو من ألفین فقال علیّ علیه السّلام سیروا و اللّه أنتم ما اخالکم تدرکون القوم حتی ینقضی أمرکم، فخرج مالک بهم و سار خمس لیال.

و قدم الحجاج بن عریه الأنصاری علی علیّ علیه السّلام و قدم علیه عبد الرّحمن بن المسیّب الفرازی من الشّام، فأمّا الفرازی فکان عینا لعلیّ لا ینام و أما الأنصاری فکان مع محمّد بن أبی بکر، فحدّثه الأنصاری بما عاین و شاهد و أخبره بهلاک محمّد و أخبره الفرازی انّه لم یخرج من الشّام حتّی قدمت البشری من قبل عمرو بن العاص فیتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل محمّد بن أبی بکر و حتّی اذن معاویه بقتله علی المنبر و قال: یا أمیر المؤمنین ما رأیت یوما قط سرورا مثل ما رأیته بالشّام حین أتاهم قتل ابن أبی بکر، فقال علیّ علیه السّلام أما إنّ حزننا علی قتله علی قدر سرورهم به لا بل یزید أضعافا.

قال و حزن علیّ علیه السّلام علی محمّد حتّی رؤی ذلک فیه و تبیّن فی وجهه و قام خطیبا فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

الا و انّ المصر قد افتتحها الفجره أولیاء الجور و الظلم الذین صدّوا عن سبیل اللّه و بغوا الاسلام عوجا، ألا و إنّ محمّد بن أبی بکر قد استشهد رحمه اللّه علیه و عند اللّه نحتسبه، أما و اللّه لقد کان ما عملت ینتظر القضاء و یعمل للجزاء و یبغض شکل الفاجر و یحبّ سمت المؤمن، إنّی و اللّه ما ألوم نفسی علی تقصیر و لا عجز و إنّی لمقاساه الحرب مجد بصیر إنی لأقدم علی الحرب و أعرف وجه الحزم و أقوم بالرّای المصیب فاستصرخکم و انادیکم مستغیثا فلا تسمعون قولا و لا تطیعون لی أمرا حتّی تصیر الامور إلی عواقب المسائه و أنتم القوم لا یدرک بکم الثّار و لا ینقص بکم الأوتار، دعوتکم إلی غیاث اخوانکم منذ بضع و خمسین لیلاـ فجر جرتم علیّ جرجره الجمل الأشر و تثاقلتم إلی الارض تثاقل من لا نیّه له فی الجهاد و لا رای فی الاکتساب للأجر، ثمّ خرج إلیّ منکم

جنيد متدائب ضعيف كانما تساقون إلى الموت و هم ينظرون فافّ لكم، ثمّ نزل فدخل رحله.

قال المداينى: إنّ عليّا عليه السّلام قال: رحم اللّه محمّدا كان غلاما حدثا لقد كنت أردت أن اولى المر قال هاشم بن عتبه مصرا فانّه و اللّه لو وليها ما خلى لابن العاص و اعوانه العرصه و لا قتل إلّا و سيفه فى يده بلا ذمّ لمحمد فلقد أحمد نفسه و قضا ما عليه.

قال المداينى و قيل لعلىّ عليه السّلام لقد جزعت يا امير المؤمنين على محمّد بن أبى بكر فقال: و ما يمنعنى إنّه كان لى ربيبا و كان لى أخا و كنت له والدا أعده ولدا.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن امام انام است در وقتى كه ايالت مصر را بمحمد بن أبى بكر تفويض فرمود:

پس مملوك شد مصر و مقتول گرديد محمّد يعنى محمّد را بامر معاويّه ملعون شهيد كردند و بمصر مستولى شدند و بتحقيق كه مى خواستم هاشم بن عتبه را والى مصر نمايم و اگر او را والى مصر كرده بودم هر آينه خالى نمى كرد از براى دشمنان عرصهٔ مصر را و نمى داد بايشان فرصت را در حالتى كه مذمت نمى كنم محمّد را، پس بتحقيق كه بود محمّد بسوى من دوست مخلص و بود مرا پسر زن از جهت اين كه مادر او اسماء بنت عميس زوجهٔ جعفر بن ابى طالب بود، و بعد از او ابو بكر او را تزويج نمود و محمّد از او متولد شد و بعد از وفات ابى بكر امير المؤمنين عليه السّلام آنرا بنكاح خود در آورد.

و من كلام له عليه السلام و هو الثامن

اشاره

و الستون من المختار فى باب الخطب

كم أداريكم كما تدارى البكار العمده، و الثّياب المتداعيه، كلّما

ص:۱۲۰

حیصت من جانب تهتّکت من آخر، کلّما أطلّ علیکم منسر من مناسر أهل الشّام أغلق کلّ رجل منکم بابه، و انحجر انحجار الضّبه فی جحرها و الضّبع فی و جارها، الذّلیل و اللّه من نصرتموه، و من رمی بکم فقد رمی بأفوق ناصل، و و اللّه إنّکم لکثیر فی الباحات، قلیل تحت الرّایات و إنّی لعالم بما یصلحکم و یقیم أودکم، و لکنّی لا أری إصلاحکم بإفساد نفسی، أضرع اللّه خدودکم، و أتعس جدودکم، لا تعرفون الحقّ کمعرفتکم الباطل، و لا تبطلون الباطل کإبطالکم الحقّ.

اللغه

(البکار) بالکسر جمع بکر بالفتح و هو الفتی من الابل و (العمده) بکسر المیم من العمد الورم و الدّبر و قیل العمده التی کسرها ثقل حملها، و قیل التی قد انشدخت اسنمتها من داخل و ظاهرها صحیح و (المتداعیه) الخلقه التی تنخرق و إنّما سمّیت متداعیه لأنّ بعضها یتخرّق فیدعوا لباقی إلی الانخراق.

و (الحوص) الخیاطه یقال حاص الثوب یحوصه حوصا خاطه و (اطل) علیه بالطاء المهمله أشرف و فی بعض النّسخ بالمعجمه أی اقبل الیکم و دنا منکم و (المنسر) کمجلس و کمنبر القطعه من الجیش تمرّ قدام الجیش الکثیر و (الجحر) بالضّم کلّ شیء یحتفره السّباع و الهوام لأنفسها و حجر الضّب کمنع دخله و حجره غیره أدخله فانحجر و تحجّر و کذلک احجره و (الضّبه) انثی الضّباب و هی دابه برّیه.

و (الضّبع) مؤنثه و (و جارها) بالکسر جحرها و (الافوق) المکسور الفوق و (النّاصل) المنزوع النّصل و (الباحه) السیاحه و فی بعض النّسخ الساحات و (الرایه) العلم و (الاود) بالتّحریک العوج و (ضرع) إلیه بالتثلیث ضرعا بالتحریک و ضراعه خضع و ذلّ و استکان و اضرعه اللّه أذلّه و (التّعس) الهلاک و الانحطاط.

ص:۱۲۱

و (الجدود) بالضّم جمع الجدّ بالفتح كالجدوده و الاجداد و هو البخت و الحظّ و فى الكتاب الكريم:

«أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً».

الاعراب

جمله كلما حيصت فى محلّ الرّفع صفه للثياب، و جمله كلّما اطل استينافيه و تحتمل الاستيناف البيانى فكانه سئل عن سبب المداراه فأشار إلى الجواب بها، و قوله الذّليل و اللّه من اه، جمله القسم معترضه بين الخبر و المبتدأ و تقديم الخبر لقصد الحصر، و جمله اضرع اللّه خدودكم، و أنعس جدودكم دعائيّتان لا محلّ لهما من الاعراب.

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام توبيخ أصحابه، و ذمّهم بتثاقلهم عن الجهاد، و تقاعدهم عن النّهوض إلى حرب أهل الشّام، فأشار اوّلا إلى كونهم محتاجين إلى المداراه الكثيره البعيده عن شيمه أهل النّجده و الشّجاعه و ذوى الفتوّه و الكياسه و نبّه على ذلك بقوله:

(كم اداريكم كما تدارى البكار العمده و الثياب المتداعيه) اى كما يدارى صاحب البعير بعيره المنشدخ السّنام و لا بس الأثواب ثيابه الخلقه المنخرقه، و وجه تشبيههم بالبكار العمده هو قله صبرهم و شدّه اشفاقهم و عدم تحملهم لمشاق الجهاد و القتال كما يشتدّ جرجره البكر العمد و يقل صبره و لا يتحمل ثقال الأحمال.

و وجه التّشبيه بالثياب المتداعيه أنّ الثياب الموصوفه كما انّها(كلما حيصت من جانب تهتك من جانب آخر)فكذلك أصحابه كلّما أصلح حال بعضهم و انتظم أمرهم للحرب فسد عليه البعض الآخر (كلما اطل عليكم) و اشرف (منسر من مناسر اهل الشّام اغلق كلّ رجل منكم بابه) و لزم بيته من شدّه الجبن و الخوف و (انحجر انحجار الضّبه فى حجرها و الضّبع فى وجارها).

تخصيصهما من بين ساير الحيوانات بالذّكر لاتّصاف الاولى بالجهل و العقوق

ص:١٢٢

حتّى صار يضرب بها المثل فى الجهل، و لذلك لا تحفر جحرها إلاّ عند صخره لئلا تضلّ عنه إذا خرجت لطلب الطعام و من عقوقها أنّها تأكل حسولها(۱) و اتصاف الثانيه بالحمق كما عرفت ذلك فى شرح سادس المختار فى باب الخطب، و خصّ الاناث منهما أيضا لأنهما أولى بالمخافه من الذّكر.

انّ (الذّليل و اللّه من نصرتموه) لاتّصاف المخاطبين فى أنفسهم بالذله فيلزم اتّصاف المنتصرين بهم بها أيضا(و من رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل)شبّههم بالسّهم المكسور الفوق المنزوع النّصل لعدم الانتفاع بهم فى الحرب كما لا ينتفع بالسّهم الموصوف و قد مضى مثل هذه العباره فى الخطبه التّاسعه و العشرين، و ذكرنا هنالك ما يوجب زياده توضيحها.

(و و اللّه انّكم لكثير فى المباحات قليل تحت الرايات) و صفهم بالكثره فى الانديه و القلّه تحت الألويه إشاره إلى جبنهم، فانّ هذين الوصفين من لوازم الجبن و الخوف كما أن مقابلهما من لوازم الفتوّه و الشجاعه و لذلك يهجو الشّعراء بالأوّل و يمدحون بالثانى قال الشّاعر:

أما انكم تحت الخوافق و القنا لثكلاء لا زهراء من نسوه زهر

أ لستم أقلّ النّاس تحت لوائهم و أكثرهم عند الذّبيحه و القدر

و قال آخر:

ثقال إذا لانوا خفاف إذا دعوا قليل إذا عدوّا كثير إذا شدّوا

(و) اللّه (انّى لعالم بما يصلحكم و يقيم اودكم) و هو اقامه مراسم السّياسه فيهم من القتل و التّعذيب و استعمال وجوه الحيل و التّدبير و المخالفه لأمر اللّه سبحانه، و لذلك استدرك بقوله (و لكنّى لا أرى اصلاحكم بافساد نفسى) يعنى أنّ اصلاحكم بالقتل و السّياسه موجب لفساد نفسى و دينى و لا أرضى به كما يرتضيه ملوك الدّنيا و رؤسائها بلحاظ صلاح ملكهم و انتظام أمر مملكتهم لكون نظرهم مقصورا على زخارف الدّنيا و زهراتها العاجله و غفلتهم بالكليّه عن الآخره:

و أما هو عليه السّلام فراعى صلاح نفسه و قدّمه على اصلاح حال الغير لانحصار همّته

۱- (۱) حسول ولد الضبّ حين يخرج من بيضته و يكنى الضبّ ابو حسيل، ق.

فی الآخره و انقطاعه بکلیّته عن الدّنیا الفانیه، فلم یکن یستحلّ منهم ما یستحلّ سایر الملوک من رعیّتهم من القتل و التّعذیب الموجبین للاثم و المعصیه المستلزمین لفساد الدّین و السّخط فی الآخره.

ثمّ دعی علیه السّلام علیهم بقوله(اضرع اللّه خدودکم)و هو کنایه عن ذلّه النّفس و الاستکانه و بقوله(و اتعس جدودکم)و هو کنایه عن الخسران و الخیبه.

ثمّ نبّههم علی علّه استحقاقهم للدّعاء بقوله (لا تعرفون الحقّ کمعرفتکم الباطل) أراد به جهلهم بما یلزم علیهم من القیام بوظایف التّکالیف الشّرعیه و الاحکام الالهیه و اشتغالهم بالامور الدّنیویه الباطله (و لا تبطلون الباطل کابطالکم الحقّ) أراد به عدم ابطالهم للمنکر کابطالهم للمعروف.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در مذمت اصحاب خود:

چقدر مدارا کنم با شما چنانکه مدارا کنند با شترانی که کوفناک باشد کوهان ایشان، و هم چنانکه مدارا کنند با لباسهای کهنه پاره پاره بمرتبهٔ که هر وقت دوخته شود از جانبی دریده می شود از جانب دیگر هر وقت که مشرف شود بر شما دستهٔ لشکری از لشکرهای أهل شام می بندد هر مردی از شما در خانهٔ خود از ترس و در آید در سوراخ همچو در آمدن سوسمار در سوراخ خود و همچو در آمدن کفتار در خانه خود.

بخدا سوگند که ذلیل آن کسی است که شما ناصر آن شده باشید، و کسی که تیر اندازد با شما به دشمنان پس بتحقیق که می اندازد بتیر سوفار شکستهٔ بی پیکان قسم بخدا که بدرستی شما هر آینه بسیارید در عرصها و اندکید در زیر علمها، و بدرستی من دانا هستم بچیزی که اصلاح نماید شما را و راست گرداند کجی شما را و لیکن من بخدا سوگند نمی بینم اصلاح شما را با فساد نفس خود.

خوار گرداند خدا رخسارهای شما را، و تباه گرداند نصیبهای شما را، نمی شناسید شما حق کامل را چنانچه می شناسید باطل را، و باطل نمی گردانید باطل را

ص:۱۲۴

همچو باطل گردانیدن شما حق را یعنی شما با مورد دنیویهٔ باطله مشغولید و از امور اخرویه غافل.

و قال علیه السلام فی سحره الیوم الذی ضرب

اشاره

فیه و هو التاسع و الستون من المختار باب الخطب

ملکتنی عینی و أنا جالس فسنح لی رسول اللّه فقلت: یا رسول اللّه ما ذا لقیت من أمّتک من الأود و اللّدد؟ فقال: أدع علیهم، فقلت: أبدلنی اللّه بهم خیرا لی منهم، و أبدلهم بی شرّا لهم منّی. قال السّید (ره): یعنی بالأود الاعوجاج، و اللدد الخصام و هو من أفصح الکلام.

اللغه

(السّحر) بالتّحریک قبیل الصّبح و السّحره بالضّم السّحر الاعلی و (سنح) لی رای کمنع سنوحا و سنحا بالفتح و سنحا بالضّم عرض و (اود) یأ وداودا من باب فرح.

الاعراب

جمله انا جالس حال من مفعول ملکت، و ما فی قوله ما ذا لقیت استفهامیه استعظامیه کما فی قوله تعالی الحاقّه ما الحاقّه، و ذا إمّا موصوله أو زایده کما قلناه فی ما سبق، و الباء فی قوله بهم و بی للمقابله.

المعنی

اشاره

قال الشّارح البحرانی:قوله(ملکتنی عینی)استعاره حسنه و تجوّز فی الترکیب أمّا الاستعاره فلفظ الملک للنوم و وجه الاستعاره دخول النائم فی غلبه النوم و قهره و منعه له ان یتصرف فی نفسه کما یمنع المالک المملوک من التّصرف فی أمره،

ص:۱۲۵

و أمّا التّجوز ففی العین و فی الاسناد إلیها، أمّا الأوّل فاطلق لفظ العین علی النوم لما بینهما من الملابسه إذا طباق الجفون من عوارضهما، و أمّا الثانی فاسناد الملک إلی النوم المتجوّز فیه بلفظ لعین.

أقول: حاصله أنّه من باب الاستعاره التّبعیه مثل قولهم: نطقت الحال بکذا، و محصّله أنّ الملک استعاره عن غلبه النوم و العین مجاز عن النّوم بعلاقه المجاوره و اسناد الغلبه إلی النوم مجاز عقلیّ فافهم، فالمعنی غلبنی نومی (و أنا جالس فسنح لی رسول اللّه) أی رأیته فی المنام أو مرّ بی معترضا (فقلت یا رسول اللّه ما ذا لقیت من امّتک من الاود و اللدد فقال ادع علیهم) شکایته منهم إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم دلیل علی غایه کربه منهم من جهه تقصیرهم فی الاجابه إلی دعائه و التّلبیه لنداءه و توانیهم فی القتال و الجهاد، و ترخیص رسول اللّه فی دعائه علیهم دلیل علی عدم رضائه عنهم.

و قوله:(فقلت أبدلنی اللّه بهم خیرا لی منهم و أبدلهم بی شرّا لهم منی) لا یدلّ علی اتّصافه بالشّر إذ صیغه افعل لم یرد بها التّفضیل بل المراد مجرّد الوصف أو بناء التّفضیل علی اعتقاد القوم فانّهم لما لم یطیعوه حق الطاعه فکأنّهم زعموا فیه شرا، و قد مرّ مزید تحقیق لهذه الفقره فی شرح الخطبه الخامسه و العشرین فتذکر هذا.

و روی فی البحار من الارشاد عن عمّار الدّهنی، عن أبی صالح الحنفی قال: سمعت علیّا علیه السّلام یقول: رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم فی مناهی فشکوت إلیه ما لقیته من امّته من الاود و اللدد و بکیت، فقال لی: لاتبک یا علی و التفت و إذا رجلان مصفدان(۱) و إذا جلامید ترضخ بهما رؤوسهما، قال أبو صالح: فغدوت إلیه من الغد کما کنت أغد و الیه کلّ یوم حتّی إذا کنت فی الجزارین لقیت الناس یقولون قتل أمیر المؤمنین.

۱- (۱) صفده یصفده شده و اوثقه کاصفده و صفده، و الجلمد الصخر کالجلمو دو رضخ الحصا کمنع و ضرب کسرها و به الارض جلده بها و راضخ فلانا رماه بالحجاره، ق.

تذییلات

الاول

فی کیفیه شهادته علیه السّلام

و فیها روایات کثیره و ابسطها ما رواه فی المجلد التاسع من البحار قال: رأیت فی بعض الکتب القدیمه روایه فی کیفیه شهادته أوردنا منه شیئا مما یناسب کتابنا هذا علی وجه الاختصار.

قال: روی أبو الحسن علیّ بن عبد اللّه بن محمّد البکری، عن لوط بن یحیی، عن اشیاخه و اسلافه قالوا: لمّا توفی عثمان و بایع النّاس أمیر المؤمنین کان رجل یقال له حبیب بن المنتجب والیا علی بعض أطراف الیمن من قبل عثمان فأقرّه علیّ علیه السّلام علی عمله و کتب کتابا یقول فیه:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من عبد اللّه أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب إلی حبیب بن المنتجب سلام علیک، أمّا بعد فانّی أحمد اللّه الذی لا إله إلاّ هو، و اصلّی علی محمّد عبده و رسوله، و بعد فانّی ولیتک ما کنت علیه لمن کان من قبل فامکث علی عملک و إنّی اوصیک بالعدل فی رعیتک و الاحسان إلی أهل مملکتک، و اعلم أنّ من ولی علی رقاب عشره من المسلمین و لم یعدل بینهم حشره اللّه یوم القیامه و یداه مغلولتان إلی عنقه لا یفکها إلاّ عدله فی دار الدّنیا، فاذا ورد علیک کتابی هذا فاقرءه علی من قبلک من أهل الیمن و خذلی البیعه علی من حضرک من المسلمین فاذا بایع القوم مثل بیعه الرّضوان فامکث فی عملک و انفذ إلی منهم عشره یکونون من عقلائهم و فصحائهم و ثقاتهم ممّن یکون أشدّهم عونا من أهل الفهم و الشّجاعه عارفین باللّه عالمین بأدیانهم و مالهم و ما علیهم و أجودهم رایا، و علیک و علیهم السّلام.

و طوی الکتاب و ختمه و أرسله مع أعرابیّ، فلمّا وصله قبّله و وضعه علی عینیه و رأسه فلمّا قرأه صعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه و صلی علی محمّد و آله ثمّ قال:

أیّها النّاس اعلموا أنّ عثمان قد قضی نحبه و قد بایع النّاس من بعده العبد الصّالح و الامام النّاصح أخا رسول اللّه و خلیفته و هو أحقّ بالخلافه و هو أخو رسول اللّه و ابن عمه و کاشف الکرب عن وجهه و زوج ابنته و وصیه و أبو سبطیه أمیر المؤمنین

علىّ بن أبى طالب فما تقولون فى بيعته و الدّخول فى طاعته؟ قال: فضجّ النّاس بالبكاء و النّحيب و قالوا: سمعا و طاعه و حبّا و كرامه للّه و لرسوله و لأخى رسوله، فأخذ له عليه السّلام البيعه عليهم عامّه، فلمّا بايعوا قال لهم:

اريد عشره منكم من رؤسائكم و شجعانكم انفذهم إليه كما أمرنى به فقالوا: سمعا و طاعه فاختار منهم مأئه، ثمّ من المأه سبعين، ثمّ من السّبعين ثلاثين، ثمّ من الثلاثين عشره فيهم عبد الرّحمن بن ملجم المرادى لعنه اللّه و خرجوا من ساعتهم.

فلمّا أتوه عليه السّلام سلموا عليه و هنّوه بالخلافه، فردّ عليهم السلام و رحّب بهم، فتقدّم ابن ملجم و قام بين يديه و قال:

السّلام عليك أيّها الامام العادل و البدر التّمام و اللّيث الهمام و البطل الضرغام و الفارس القمقام و من فضّله اللّه على ساير الأنام صلى اللّه عليك و على آلك الكرام، أشهد انّك امير المؤمنين صدقا و حقّا و أنّك وصى رسول اللّه و الخليفه من بعده و وارث علمه لعن اللّه من جحد حقّك و مقامك أصبحت أميرها و عميدها، لقد اشتهر بين البريّه عدلك، و هطلت(۱) شآبيب فضلك و سحائب رحمتك و رأفتك عليهم، و لقد أنهضنا الأمير إليك فسررنا بالقدوم عليك فبوركت بهذه الطلعه المرضيّه و هنئت بالخلافه فى الرّعيه.

ففتح أمير المؤمنين عليه السّلام عينيه فى وجهه و نظر الى الوفد فقرّبهم و أدناهم فلمّا جالسوا دفعوا الكتاب ففضّه و قرأه و سرّ بما فيه فأمر بكلّ واحد منهم بحلّه يمانيّه و رداء عدنيه و فرس عربيه و أمر أن يفتقدوا و يكرموا، فلما نهضوا قام ابن ملجم و وقف بين يديه و أنشد:

أنت المهيمن و المهذّب ذو الندى و ابن الضراغم فى الطراز الأوّل

اللّه خصّك يا وصىّ محمّد و حباك فضلا فى الكتاب المنزل

و حباك بالزّهراء بنت محمّد حوريّه بنت النبىّ المرسل

۱- (۱) الهطل هو تتابع المطر المتفرق العظيم القطر و الشؤبوب الدفعه من المطر، ق.

ثمّ قال: يا أمير المؤمنين ارم بنا حيث شئت لترى منّا ما يسرّك فو اللّه ما فينا إلّا كلّ بطل أهيس(۱) و حازم أكيس و شجاع أشوس(۲) و رثنا ذلک عن الآباء و الاجداد و كذلک نورثه صالح الأولاد.

قال: فاستحسن أمير المؤمنين كلامه من بين الوفد فقال له: ما اسمک يا غلام؟ قال:

اسمی عبد الرّحمن، قال: ابن من؟ قال: ابن ملجم المرادی، قال: أمرادیّ أنت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام إنّا للّه و إنا إليه راجعون و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلیّ العظيم.

قال: و جعل أمير المؤمنين يكرّر النّظر إليه و يضرب احدی يديه علی الاخری و يسترجع ثمّ قال له: و يحک أمر ادیّ أنت؟ قال: نعم فعند ها تمثّل بقوله:

أنا أنصحک منّی بالوداد مكاشفه و أنت من الأعادی

اريد حياته و يريد قتلی عذيرک(۳) من خليلک من مرادی

قال الاصبغ بن نباته: لما دخل الوفد إلی أمير المؤمنين و بايعوه و بايعه ابن ملجم فلما أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين ثانيا فتوثق منه بالعهود و المواثيق أن لا يغدر و لا ينكث ففعل ثمّ سار عنه، ثمّ استدعاه ثالثا ثمّ توثق منه فقال ابن ملجم: يا أمير المؤمنين ما رأيتک فعلت هذا بأحد غيری فقال عليه السّلام امض لشانک فما أراک تفی بما بايعت عليه.

فقال ابن ملجم: كانّک تكره و فودی عليک لما سمعته من اسمی و انّی و اللّه لاحبّ الاقامه معک و الجهاد بين يديک و انّ قلبی محبّ لک و انّی و اللّه اوالی وليّک

۱- (۱) الاهيس الشجاع و من الابل الجری لا ينقبض عن شیء ق.

۲- (۲) الشوس محركه النظر بمؤخر العين تكبر او تغيظا، ق.

۳- (۳) العذير امير و زننده عاذر معناسنه دركه عذر و بهانه لی قبول ايدن آدمه دينور و منه قول علی و هو ينظر الی ابن ملجم عذيرک من خليلک من مراد يقال عذيرک من فلان بالنصب ای هات عذيرک ای من يعذرنی و عذير معين و نصيره اطلاق الونور يقول من عذيری من فلان ای نصيری او قيانوس

و أعادى عدوّک.

قال: فتبسّم علیه السّلام و قال: باللّه یا أخا مراد إن سألتک عن شیء تصدّقنی فیه؟ قال: أی و عیشک یا أمیر المؤمنین، فقال له: هل کان لک دایه یهودّیه فکانت إذا بکیت تضربک و تلطم جبینک و تقول لک: اسکت فانک أشقی من عاقر ناقه صالح و إنّک ستجنی فی کبرک جنایه عظیمه یغضب اللّه بها علیک، و یکون مصیرک إلی النّار؟ فقال قد کان ذلک و لکنک و اللّه یا أمیر المؤمنین أحبّ إلیّ من کلّ أحد، فقال أمیر المؤمنین و اللّه ما کذبت و لا کذبت و لقد نطقت حقّا و قلت صدقا و أنت و اللّه قاتلی لا محاله و ستخضب هذه من هذه و أشار إلی لحیته و رأسه و لقد قرب وقتک و حان زمانک.

فقال ابن ملجم و اللّه یا أمیر المؤمنین انّک أحبّ إلیّ من کلّ ما طلعت علیه الشّمس، و لکن إذا عرفت ذلک منّی غیّرنی إلی مکان تکون دیارک من دیاری بعیده فقال: کن مع أصحابک حتّی اذن لکم فی الرّجوع إلی بلادکم.

ثمّ امرهم بالنّزول فی بنی تمیم فأقاموا ثلاثه أیّام، ثمّ أمرهم بالرّجوع إلی الیمن، فلمّا عزموا علی الخروج مرض ابن ملجم مرضا شدیدا فذهبوا و ترکوه، فلما برء أتی أمیر المؤمنین و کان لا یفارقه لیلا و لا نهارا و یسارع فی قضاء حوائجه و کان یکرمه و یدعوه إلی منزله و یقرّبه، و کان مع ذلک یقول له: أنت قاتلی و یکرّر علیه الشّعر:

ارید حیاته و یرید قتلی عذیرک من خلیلک من مرادی

فیقول له: یا أمیر المؤمنین إذا عرفت ذلک منّی فاقتلنی، فیقول إنّه لا یحلّ ذلک أن اقتل رجلا قبل أن یفعل بی شیئا، و فی خبر آخر قال: إذا قتلتک فمن یقتلنی.

قال: فسمعت الشّیعه ذلک فوثب مالک الأشتر و الحرث بن الأعور و غیرهما من الشّیعه فجرّدوا سیوفهم و قالوا: یا أمیر المؤمنین من هذا الکلب الذی تخاطبه بمثل هذا الخطاب مرارا و أنت امامنا و ولیّنا و ابن عمّ نبیّنا، فمرنا بقتله، فقال لهم: اغمدوا سیوفکم بارک اللّه فیکم و لا تشقّوا عصا هذه الامّه أترون أنی أقتل رجلا

لم يصنع بی شيئا.

فلما انصرف عليه السّلام إلى منزله اجتمعت الشّيعه و أخبر بعضهم بعضا بما سمعوا و قالوا: إنّ أمير المؤمنين يغلس إلى الجامع و قد سمعتم خطابه لهذا المرادى و هو ما يقول إلاّ حقّا و قد علمتم عدله و إشفاقه علينا و نخاف أن يغتاله هذا المرادى فتعالوا نقترع على أن تحوطه كلّ ليله منّا قبيله.

فوقعت القرعه فی الليله الاولى و الثانيه و الثالثه على أهل الكناس، فتقلّدوا سيوفهم و اقبلوا فی ليلتهم إلى الجامع، فلما خرج عليه السّلام رآهم على تلك الحاله فقال ما شأنكم؟ فأخبروه فدعا لهم فتبسّم ضاحكا، و قال: جئتم تحفظونی من أهل السّماء أم من أهل الأرض؟ قالوا: من أهل الأرض، قال: ما يكون شیء فی السماء إلاّ هو فی الأرض و ما يكون شیء فی الأرض إلاّ هو فی السّماء ثمّ تلی:

«قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلاّ ما كَتَبَ اللّهُ لَنا » ثمّ أمرهم أن يأتوا منازلهم و لا يعود و المثلها، ثمّ إنّه صعد المأذنه و كان إذا تنحنح يقول السّامع ما اشبهه بصوت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم؟ فتأهب النّاس بصلاه الفجر و كان إذا أذّن يصل صوته إلى نواحی الكوفه كلّها، ثمّ نزل عليه السّلام فصلّى و كانت هذه عادته.

قال: و أقام ابن ملجم بالكوفه إلى أن خرج أمير المؤمنين عليه السّلام إلى غزاه النهروان فخرج ابن ملجم معه و قاتل بين يديه قتالا شديدا فلما رجع إلى الكوفه و قد فتح اللّه على يديه قال ابن ملجم لعنه اللّه يا أمير المؤمنين أ تأذن لی أن أتقدّمک إلى المصر لابشّر أهله بما فتح اللّه عليک من النّصر؟ فقال: ما ترجو بذلک؟ قال: الثواب من اللّه و الشّكر من النّاس و افرح الأولياء و اكمد الأعداء، فقال: شأنک.

ثمّ أمر له بخلعه سنيّه و عما متين و فرسين و سيفين و رمحين فسار ابن ملجم و دخل الكوفه و جعل يخترق أزقّتها و شوارعها، و هو يبشّر الناس بما فتح اللّه على أمير المؤمنين و قد دخله العجب فی نفسه فانتهی به الطريق إلى محلّه بنی تميم.

فمرّ على دار تعرف بـالقبيله و هى أعلاـ دار بهـا و كانت لقطام بنت سـخينه بن عوف بن تيم اللاّت، و كانت موصوفه بالحسن و الجمال و الكمال و البهاء، فلما سـمعت كلامه بعثت إليه و سألته النزول عندها ساعه لتسأله عن أهلها، فلما قرب من منزلها و أراد النّزول عن فرسه خرجت إليه ثمّ كشفت له عن وجهها و أظهرت له محاسنها.

فلما رآها أعجبته و هواها من وقته فنزل عن فرسه و دخل إليها و جلس فى دهليز الدار و قد أخذت بمجامع قلبه فبسطت له بساطا و وضـعت له متكئـا و أمرت خادمهـا أن تنزع أخفـافه و أمرت له بماء فغسل وجهه و يـديه و قـدمت إليه طعاما فاكل و شـرب، و أقبلت عليه تروحه من الحرّ فجعـل لاـ يمـلّ من النظر إليهـا و هى مع ذلك متبسّـِمه فى وجهه سافره له عن نقابها بارزه عن جميع محاسنها ما ظهر منها و ما بطن.

فقال لها أيّتها الكريمه لقد فعلت اليوم بى ما وجب به بل ببعضه على مدحك و شكرك دهرى كلّه فهل من حاجه أتشرّف بها و أسـعى فى قضائهـا؟ قال: فسألته عن الحرب و من قتل فيه فجعل يخبرها و يقول فلان قتله الحسن و فلان قتله الحسـين إلى أن بلغ قومها و عشيرتها، و كانت قطام لعنها اللّه على رأى الخوارج و قد قتل أمير المؤمنين فى هذا الحرب من قومها جماعه كثيره منهم أبوهـا و أخوهـا و عمّها، فلما سـمعت منه ذلك صرخت باكيه ثمّ لطمت خـدّها و قامت من عنـده و دخلت البيت و هى تنـدبهم طويلا.

قال: فنـدم ابن ملجم فلما خرجت إليه قالت: يعزّ علىّ فراقهم من لى بعـدهم أفلا ناصـر ينصـرنى و يأخـذ لى بثارى و يكشف عن عـارى فكنت أهب له نفسـى و أمكنه منهـا و من مـالى و جمالى، فرقّ لها ابن ملجم و قال لها: غضّـِى صوتك و ارفقى بنفسـك فانك تعطين مرادك.

قال: فسـكتت من بكائها و طمعت فى قوله، ثمّ أقبلت عليه بكلامها و هى كاشـفه عن صدرها و مسبله شـعرها، فلما تمكّن هواها من قبله مال إليها بكليّته ثمّ جذبها

إليه و قال لها: كان أبوک صديقا لی و قد خطبتک منه فأنعم لی بذلک فسبق إليه الموت فزوّجينی نفسک لآخذ لک بثارک.

قال: ففرحت بكلامه و قالت قد خطبنی الأشراف من قومی و سادات عشيرتی فما انعمت إلّا لمن يأخذ لی بثاری و لما سمعت عنک أنّک تقاوم الأقران و تقتل الشّجعان فأحببت أن تكون لی بعلاو أكون لک أهلا.

فقال لها: فأنا و اللّه كفو كريم فاقرحی على ما شئت من مال و فعال، فقالت له: إن قدمت على العطيّه و الشّرط فها أنا بين يديک فتحكم كيف شئت، فقال لها: و ما العطيه و الشّرط؟ فقالت له: أمّا العطيّه فثلاثه آلاف دينار و عبد و قينه(۱) فقال هذا أنا مليء به، فما الشرط المذكور؟ قالت: نم على فراشک حتّى أعود إليک.

ثمّ إنّها دخلت خدرها فلبست أفخر ثيابها و لبست قميصا رقيقا يرى صدرها و حليتها و زادت فی الحلیّ و الطيب و خرجت فی معصفرها فجعلت تباشره بمحاسنها ليرى حسنها و جمالها، و أرخت عشره ذوايب من شعرها منظومه بالدّرّ و الجواهر.

فلما دخلت إليه أرخت لثامها عن وجهها و رفعت معصفرها(۲) و كشفت عن صدرها و اعكانها و قالت: ان قدمت على الشّرط المشروط ظفرت بهذا جميعه و أنت مسرور مغبوط.

قال: فمدّ ابن ملجم عينيه إليها فحار عقله و هوى لحينه مغشيّا عليه ساعه فلما أفاق قال: يا منيه النّفس ما شرطک فاذكريه لی فانّی سأفعله و لو كان دونه قطع القفار و خوض البحار و قطع الرّؤوس و اختلاس النّفوس، قالت له الملعونه: شرطی عليک أن تقتل علیّ بن أبی طالب بضربه واحده بهذا السّيف فی مفرق رأسه يأخذ منه ما يأخذ و يبقى ما يبقى.

۱- (۱) القينه الامه المغنيه أو الاعم.

۲- (۲) ثوب صبغ بالعصفر و هو نبت.

فلمـا سـمع ابن ملجم كلامه استرجع و رجع إلى عقله و اغاظه و أقلقه ثمّ صاح بأعلى صوته: و يحك ما هـذا الـذى و اجهتنى به بئس ما حدّثتك به نفسك من المحال، ثمّ طأطأ رأسه يسيل عرقا و هو متفكّر فى أمره، ثمّ رفع رأسه إليها و قال:

و يلك من يقدر على قتل أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب المستجاب الدعاء المنصور من السّماء، و الأرض ترجف من هيبته، و الملائكه تسرع إلى خدمته.

يا ويلك و من يقـدر على قتل علىّ بن أبى طالب و هو مؤيّد من السّماء، و الملائكه تحوطه بكره و عشيّه، و لقـد كان فى أيّام رسول اللّه إذا قاتل يكون جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملك الموت بين يـديه فمن هو هكـذا الاطاقه لأحد بقتله و لا سبيل لمخلوق على اغتياله.

و مع ذلك فانّه قـد أعزّنى و أكرمنى و أحبّنى و رفعنى و آثرنى على غيرى، فلا يكون ذلك جزاؤه منّى أبدا، فان كان غيره قتلته لك شرّ قتله و لو كان أفرس أهل زمانه، و أمّا أمير المؤمنين فلا سبيل لى عليه.

قال: فصبرت عنه حتّى سكن غيظه و دخلت معه فى المداعبه و الملاعبه و علمت أنّه قد نسى ذلك القول، ثمّ قالت له: يا هذا ما يمنعك عن قتل علىّ بن أبى طالب و ترغب فى هـذا المال و تتنّعم هذا الجمال و ما أنت بأعفّ و أزهد من الذين قاتلوه و قتلهم و كـانوا من الصّوامين و القوّامين، فلمـا نظروا إليه و قـد قتل المسـلمين ظلما و عـدوانا اعتزلوه و حاربوه، و مع ذلك فانّه قـد قتل المسلمين و حكم بغير حكم اللّه و خلع نفسه من الخلافه و امره المؤمنين، فلما رأوه قومى على ذلك اعتزلوه فقتلهم بغير حجه له عليهم.

فقال له ابن ملجم: يا هـذه كفّى عنّى فقد أفسدت علىّ دينى و أدخلت الشكّ فى قلبى و ما أدرى ما أقول لك و قد عزمت على رأى ثمّ أنشد:

ثلاثه آلاف و عبد و قينه و ضرب علىّ بالحسام المصمّم

فلا مهر أغلا من قطام و ان غلا و لا فتک(۱) إلّا دون فتک ابن ملجم

فأقسمت بالبيت الحرام و من أتی اليه و لبّی من محلّ و محرم

لقد أفسدت عقلی قطام و انّنی لمنها علی شکّ عظيم مذمم

لقتل علیّ خير من وطأ الثری أخی العلم الهادی النبیّ المکرّم

ثمّ امسک ساعه و قال:

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحه کمهر قطام من فصيح و أعجم

ثلاثه آلاف و عبد و قينه و ضرب علیّ بالحسام المصمم

فلا مهر أغلا من علیّ و إن غلا و لا فتک إلّا دون فتک ابن ملجم

فأقسمت بالبيت الحرام و من أتی اليه جهارا من محلّ و محرم

لقد خاب من يسعی لقتل إمامه و ويل له من حرّ نار جهنم

إلی آخر ما أنشد من الأبيات ثمّ قال لها: أجّلينی ليلتی هذه حتّی أنظر فی أمری و آتيک غدا بما يقوی عليه عزمی.

فلما همّ بالخروج أقبلت إليه و ضمّته إلی صدرها و قبّلت ما بين عينيه و أمرته بالاستعجال فی أمرها و سايرته إلی باب الدّار و هی تشجعه و انشدت له أبيات، فخرج الملعون من عنده و قد سلبت فؤاده و أذهبت رقاده و رشاده، فبات ليلته قلقا متفکّرا فمرّه يعاتب نفسه و مرّه يفکّر فی دنياه و آخرته.

فلما کانت وقت السّحر أتاه طارق فطرق الباب فلما فتحه إذا برجل من بنی عمّه علی نجيب و إذا هو رسول من إخوته إليه يعزّونه فی أبيه و عمّه و يعرفونه أنّه خلّف مالا جزيلا و أنّهم دعوه سريعا ليحوز ذلک المال.

فلما سمع ذلک بقی متحيرا فی أمره إذ جاءه ما يشغله عمّا عزم عليه من أمر قطام فلم يزل مفکرا فی أمره حتّی عزم علی الخروج، و کان له اخوان لأبيه و امه کانت من زبيد يقال لها عدنيه و هی ابنه علیّ بن ماشوج و کان أبوه مراديا، و کانوا يسکنون عجران صنعا.

۱- (۱) الفتک مثلثه رکوب ما هم من الامور و دعت اليه النفس و فتک يفتک فهو فاتک جریء شجاع و فتک به انتهز منه فرصه فقتله او جرحه مجاهره او اعم، ق.

فلمّـا وصل إلى النّجف ذكر قطام و منزلتها فى قلبه و رجع إليها فلمّا طرق الباب اطلعت عليه و قالت من الطارق! فعرفته على حاله السّـفر فنزلت إليه و سلّمت عليه و سألته عن حاله فأخبرها بخبره و وعدها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره و تملكها جميع ما يجىء به من المال، فعدلت عنه مغضبه فدنى منها و قبّلها و ودّعها و حلف لها أنّه يبلغها مأمولها فى جميع ما سألته.

فخرج و جاء إلى أمير المؤمنين و أخبره بما جاءوا إليه لأجله و سأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتابا ليعينه على استخلاص حقّه فأمر كاتبه فكتب له ما أراد ثمّ أعطاه فرسا من جياد خيله فخرج و سار سيرا حثيثا حتّى وصل إلى بعض أوديه اليمن، فأظلم عليه الليل فبات فى بعضها، فلمّا مضى من الليل نصفه إذا هو بزعقه عظيمه من صدر الوادى و دخان يفور و نار مضرمه فانزعج لذلك و تغيّر لونه و نظر إلى صدر الوادى و إذا بالدّخان قد أقبل كالجبل العظيم و هو واقع عليه و النّار تخرج من جوانبه، فخرّ مغشيّا عليه فلمّا أفاق و إذا بها تف يسمع صوته و لا يرى شخصه و هو يقول:

اسمع و ع القول يا بن ملجم إنّك فى أمر مهول معظم

تضمر قتل الفارس المكرّم أكرم من طاف و لبّى و احرم

ذاك علىّ ذو التقاء الأقدم فارجع إلى اللّه لكيلا تندم

فلما سمع توهّم أنّه من طوارق الجنّ و إذا بالهاتف يقول:

يا شقىّ ابن الشّقى أمّا ما أضمرت من قتل الزّاهد العابد العادل الرّاكع السّاجد امام الهدى و علم التّقى و العروه الوثقى فانّا علمنا بما تريد أن تفعله بأمير المؤمنين و نحن من الجنّ الذين أسلمنا على يديه و نحن نازلون بهذا الوادى فانّا لا ندعك تبيت فيه فانّك ميشوم على نفسك ثمّ جعلوا يرمونه بقطع الجنادل فصعد فوق شاهق فبات بقيّه ليله.

فلمّا أصبح سار ليلا و نهارا حتّى وصل إلى اليمن و أقام عندهم شهرين و قلبه على حرّ الجمر من أجل قطام ثمّ إنّه أخذ الذى أصابه من المال و المتاع و الأثاث

ص:١٣۶

و الجواهر و خرج.

فبينا هو فى بعض الطريق إذا خرجت عليه حراميّه فسايرهم و سايروه فلمّا قربوا من الكوفه حاربوه و أخذوا جميع ما كان معه و نجى بنفسه و فرسه و قليل من الذهب على وسطه و ما كان تحته، فهرب على وجهه حتّى كاد أن يهلكك عطشا.

و أقبل سايرا فى الفلاه مهموما جايعا عطشانا فلاح له شبح فقصده، فاذا بيوت من أبيات الحرب فقصد منها بيتا فنزل عندهم و استسقاهم شربه ماء فسقوه و طلب لبنا فأتوه به فنام ساعه.

فلمّا استيقظ أتاه رجلان و قدما إليه طعاما فأكل و أكلا معه و جعلا يسألانه عن الطريق فأخبرهما، ثمّ قالا له: ممّن الرّجل؟ قال: من مراد، قالا: اين تقصد؟ قال: الكوفه، قالا: كانّك من أصحاب أبى تراب؟ قال: نعم، فاحمرّت أعينهما غيظا و عزما على قتله ليلا، و أسرّا ذلك و نهضا، فتبيّن له ما عزما عليه فندم على كلامه.

فبينما هو متحير إذ أقبل كلبهم و نام قريبا منهم، فأقبل اللعين يمسح بيده على الكلب و يشفق عليه و يقول مرحبا بكلب قوم أكرمونى فاستحسنا ذلك و سألاه ما اسمك؟ قال: عبد الرّحمن بن ملجم، فقالا له: ما اردت بصنعك هذا فى كلبنا؟ فقال:

أكرمته لأجلكم حيث اكرمتمونى فوجب علىّ شكركم و كان هذا منه خديعه و مكرا فقالا: اللّه اكبر الآن و اللّه وجب حقّك علينا و نحن نكشف لك عمّا فى ضمائرنا.

نحن نرى رأى الخوارج و قد قتل أعمانا و أخوالنا و أهالينا كما علمت، فلما أخبرتنا أنّك من أصحابه عزمنا على قتلك فى هذه اللّيله فلمّا رأينا صنعك هذا بكلبنا صفحنا عنك و نحن الآن نطلعك على ما قد عزمنا عليه فسألهما عن أسمائهما فقال أحدهما أنا البرك بن عبد اللّه التميمى، و هذا عبد اللّه بن عثمان العنبرى صهرى.

و قد نظرنا إلى ما نحن عليه من مذهبنا فرأينا أنّ فساد الأرض و الأمه كلّها من ثلاثه نفر أبو «أبى ظ» تراب، و معاويه و عمرو بن العاص، فامّا أبو تراب فانّه قتل رجالنا كما رأيت و افتكرنا أيضا فى الرّجلين معاويه و ابن العاص و قد وليا علينا هذا الظالم الغشوم بسر بن أرطاه يطرقنا فى كلّ وقت و يأخذ أموالنا و قد عزمنا على قتل هؤلاء

ص:۱۳۷

الثلاثه فاذا قتلناهم توطات الأرض و اقعد النّاس لهم اماما يرضونه.

فلمّا سمع ابن ملجم كلامهما صفق باحدى يديه على الأخرى و قال: و الذى فلق الحبّه و برء النسمه و تردّى بالعظمه إنّى لثالثكما و إنّى موافقكما على رأيكما و أنا أكفيكما أمر علىّ بن أبى طالب.

فنظرا إليه متعجّبين من كلامه قال و اللّه ما أقول لكما إلاّ حقّا، ثمّ ذكر لهما قصّته فلمّا سمعا كلامه عرفا صحّته و قالا إنّ قطام من قومنا و أهلها كانوا من عشيرتنا فنحن نحمد اللّه على اتّفاقنا فهذا لا يتمّ إلاّ بالايمان المغلظه فنركب الآن مطايانا و نأتى الكعبه و نتعاقد عندها على الوفاء فلمّا أصبحوا و ركبوا حضر عندهم بعض قومهم فأشاروا عليهم و قالوا لا تفعلوا ذلك فما منكم أحد إلا و يندم ندامه عظيمه، فلم يقبلوا و ساروا جميعا حتّى أتوا البيت و تعاهدوا عنده.

فقال البرک: أنا لعمرو بن العاص، و قال العنبرى: أنا لمعاويه، و قال ابن ملجم لعنه اللّه: أنا لعلىّ، فتحالفوا على ذلک بالأيمان المغلّظه و دخلوا المدينه و حلفوا عند قبر النبىّ على ذلک ثمّ افترقوا و قد عينوا يوما معلوما يقتلون فيه الجميع، ثمّ سار كلّ منهم على طريقه.

فاما البرک فأتى المصر و دخل الجامع و أقام فيه أيّا ما، فخرج عمرو بن العاص ذات يوم إلى الجامع و جلس فيه بعد صلاته فجاء البرک إليه و سلّم عليه ثمّ حادثه فى فنون الأخبار و طرف الكلام و الأشعار، فشعف به عمرو بن العاص و قرّبه و أدناه و صار يأكل معه على مائده واحده، فأقام إلى الليله التى تواعدوا فيها فخرج إلى نيل مصر و جلس مفكرا فلمّا غربت الشّمس أتى الجامع و جلس فيه.

فلمّا كان وقت الافطار افتقده عمرو بن العاص فلم يره فقال لولده: ما فعل صاحبنا و أين مضى فانّى لا أراه فبعث إليه يدعوه فقال له: إنّ هذه الليله ليست كالليالى و قد أحببت أن أقيم ليلتى هذه فى الجامع رغبه فيما عند اللّه و احبّ أن اشرک للأمير فى ذلک.

فلمّا رجع إليه و أخبره بذلك سرّه سرورا عظيما و بعث إليه مائده فاكل و بات ليلته ينتظر قدوم عمرو، و كان هو الذى يصلّى بهم فلمّا كان عند طلوع الفجر أقبل المؤذّن إلى باب عمرو و أذّن و قال: الصّلاه يرحمك اللّه الصّلاه.

فانتبه فأتى بالماء و توضّأ و تطيّب و ذهب ليخرج إلى الصّلاه فزلق فوقع على جنبه فاعتوره عرق النّساء فاشغلته (فشغلته خ ل) عن الخروج، فقال قدّموا خارجه ابن تميم القاضى يصلّى بالنّاس، فأتى القاضى و دخل المحراب فى غلس فجاء البرك فوقف خلفه و سيفه تحت ثيابه و هو لا يشك أنّه عمرو فأمهله حتّى سجد و جلس من سجوده فسلّ سيفه و نادى.

لا حكم إلّا اللّه و لا طاعه لمن عصى اللّه ثمّ ضربه بالسّيف على أمّ رأسه فقضى نحبه لوقته، فبادر النّاس و قبضوا عليه و أخذوا سيفه من يده و أوجعوه ضربا و قالوا له: يا عدوّ اللّه قتلت رجلا مسلما ساجدا فى محرابه فقال: يا حمير أهل مصر إنّه يستحق القتل قالوا: بماذا ويلك؟ قال: لسعيه فى الفتنه لأنّه الدّاهيه الدّهماء الذى أثار الفتنه و نبذها و قوّاها و زيّن لمعاويه محاربه علىّ.

فقالوا له: يا ويلك من تعنى؟ قال: الطاغى الباغى الكافر الزّنديق عمرو بن العاص الذى شقّ عصا المسلمين و هتك حرمه الدّين، قالوا: لقد خاب ظنّك و طاش سهمك إنّ الذى قتلته ما هو إنّما هو خارجه، فقال يا قوم المعذره إلى اللّه و اليكم فو اللّه ما أردت خارجه و إنّما أردت قتل عمرو.

فأوثقوه كتافا و أتوا به إلى عمرو، فلمّا رآه قال: أليس هذا هو صاحبنا الحجازى قالوا له: نعم قال: ما باله؟ قالوا: إنّه قد قتل خارجه فدهش عمرو لذلك و قال:

إنّا للّه و إنّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلىّ العظيم.

ثمّ التفت إليه و قال: يا هذا لم فعلت ذلك؟ فقال له و اللّه يا فاسق ما طلبت غيرك و لا أردت سواك، قال: و لم ذلك؟ قال: إنّا ثلاثه تعاهدنا بمكّه على قتلك و قتل علىّ بن أبى طالب و قتل معاويه فى هذه الليله، فان صدق صاحباى فقد قتل علىّ بالكوفه و معاويه بالشّام و أمّا أنت فقد سلمت، فقال عمرو: يا غلام احبسه حتّى نكتب إلى معاويه، فحبسه

حتّى أمره معاويه بقتله فقتله.

و أما عبـد اللّه العنبرى فقصـد دمشق و اسـتخبر عن معاويه فارشـد إليه فجعل يتردّد إلى داره فلا يتمكّن من الدّخول عليه إلى أن أذن معـاويه يوما للنّاس إذنا عاما فـدخل إليه مع النّاس و سلّم عليه و حادثه ساعه و ذكر له ملوك قحطان و من له كلام مصـيب حتّى ذكر له بنى عمّه و هم أوّل ملوك قحطان و شيئا من أخبارهم فلمّا تفرّقوا بقى عنده مع خواصّ أصحابه و كان فصيحا خبيرا بأنساب العرب و أشعارهم.

فأحبّه معاويه حبا شديدا فقال: قد أذنت لك فى كلّ وقت نجلس فيه أن تدخل علينا من غير مانع و لا دافع، فكان يتردّد إليه إلى ليله تسع عشره و كان قد عرف المكان الذى يصلّى فيه معاويه.

فلمّـا أذن المؤذّن للفجر و أتى معاويه المسـجد و دخل محرابه ثار إليه بالسّـيف و ضـربه فراغ عنه، فأراد ضـرب عنقه فانصاع عنه فوقع السّـيف فى إليته و كانت ضـربته ضـربه جبان، فقال معاويه: لا يفوتنّكم الرّجل فاستخلف بعض أصحابه للصّلاه و نهض إلى داره.

و أمّا العنبرى فأخـذه النّاس و أونقوه و أتوا به إلى معاويه و كان مغشـيّا عليه فلمّا أفاق قال له: ويلك يا لكع لقد خاب ظنّى فيك مـا الـذى حملك على هـذا؟ فقال له: دعنى من كلامك اعلم أنّنا ثلاثه تحالفنا على قتلك و قتل عمرو بن العاص و علىّ بن أبى طالب فان صدقا صاحباى فقد قتل علىّ و عمرو، و أمّا أنت فقد روغ أجلك كروغك الثعلب.

فقـال له معاويه: على رغم أنفك فامر به إلى الحبس فأتاه الساعـدى و كان طبيبا فلمّا نظر إليه قال له، اختر إحـدى الخصـلتين إمّا أن احمى حديده فأضعها موضع السّيف، و إمّا أن أسقيك شربه تقطع منك الولد و تبرء منها، لأنّ ضربتك مسمومه فقال معاويه أمّا النّار فلا صبر لى عليها، و أمّا انقطاع الولد فانّ فى يزيد

و عبد اللّه ما تقرّ به عينى، فسقاه الشّربه فبرىء و لم يولد له بعدها.

و أما ابن ملجم لعنه اللّه فانّه سار حتّى دخل الكوفه و اجتاز على الجامع و كان أمير المؤمنين جالسا على باب كنده فلم يدخله و لم يسلّم عليه، و كان إلى جانبه الحسن و الحسين و معه جماعه من أصحابه فلمّا نظروا إلى ابن ملجم و عبوره قالوا: ألا ترى إلى ابن ملجم عبر و لم يسلّم عليك؟ قال عليه السّلام: دعوه فانّ له شأنا من الشّأن، و اللّه ليخضبنّ هذه من هذه و أشار إلى لحيته و هامته ثمّ قال عليه السّلام.

ما من الموت لانسان نجا كلّ امرء لا بدّ يأتيه الفنا

تبارك اللّه و سبحانه لكلّ شيء مدّه و انتها

يقدر الانسان فى نفسه امرا و يأتيه عليه القضاء

لا تامننّ الدهر فى أهله لكلّ شيء آخر و انقضاء

بين ترى الانسان فى غبطه يمسى و قد حلّ عليه القضا

ثمّ جعل يطيل النّظر إليه حتّى غاب عن عينه و أطرق الأرض يقول: إنّا للّه و انّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلىّ العظيم.

قال: و سار ابن ملجم حتّى وصل إلى دار قطام و كانت قد ايست من رجوعه إليها، و عرضت نفسها على بنى عمها و عشيرتها و شرطت عليهم قتل أمير المؤمنين فلم يقدم أحد على ذلك، فلما طرق الباب قالت من الطارق؟ قال: أنا عبد الرّحمن، ففرحت قطام به و خرجت إليه و اعتنقته و ادخلته دارها و فرشت له فرش الدّيباج و احضرت له الطعام و المدام فاكل و شرب حتّى سكر و سألته عن حاله فحدثها بجميع ما جرى له فى طريقه.

ثمّ أمرته بالاغتسال و تغيير ثيابه، ففعل ذلك و امرت جاريه لها ففرشت الدّار بأنواع الفرش و حضرت له شرابا و جوارى فشرب مع الجوار و هن يلعبن له بالعيدان و المعازف(۱) و الدّفوف فلما أخذ الشّراب منه أقبل عليها و قال: ما بالك لا تجالسينى و لا تحادثينى يا قرّه عينى و لا تمازحينى، فقالت له: بلى سمعا و طاعه

۱- (۱) المعازف الملاهى كالعود و الطنبور و شبهه الواحد معزف كمنبر ق.

ثمّ انّها نهضت و دخلت إلى خدرها و لبست أفخر ثيابها و تزينت و تطيبت و خرجت إليه و قد كشفت له عن رأسها و صدرها و نهودها و أبرزت له عن فخذها و هى فى طاق غلاله رومى يبيّن له منها جميع جسدها و هى تتبختر فى مشيتها و الجوار حولها يلعبن.

فقام الملعون و اعتنقها و ترشقها(۱) و حملها حتّى أجلسها مجلسها و قد بهت و تحير و استحوذ عليه الشّيطان فضربت بيدها على زرّ قميصها فحلّته و كان فى حلقها عقد جوهر ليست له قيمه فلما أراد مجامعتها لم تمكّنه من ذلک فقال لم تمانعينى عن نفسک و أنا و أنت على العهد الذى عاهدناک عليه من قتل علىّ و لو أحببت لقتلت معه شبليه الحسن و الحسين.

ثمّ ضرب يده على هميانه فحلّه من وسطه و رماه إليها و قال خذيه فانّ فيه أكثر من ثلاثه آلاف دينار و عبد و قينه، فقالت له و اللّه لا امكنک من نفسى حتّى تحلف لى بالايمان المغلظه انّک تقتله فحملته القساوه على ذلک و باع آخرته بدنياه و تحكم الشيطان فيه بالايمان المغلظه انّه يقتله و لو قطعوه اربا اربا.

فمالت إليه عند ذلک و قبلته و قبلها فأراد وطيها فمانعته و بات عندها تلک الليله من غير نكاح فلما كان من الغد تزوّج بها سرّا و طاب قلبه فلما أفاق من سكرته ندم على ما كان منه و عاتب نفسه و لعنها فلم تزل ترادعه فى كلّ ليله و تعده بوصالها فلما دنت الليله الموعوده مدّيده إليها ليضاجعها و يجامعها فأبت عليه و قالت ما يكون ذلک إلّا أن تفى بوعدک و كان الملعون اعتلّ علّه شديده فبرء منها، و كانت الملعونه لا تمكنه من نفسها مخافه أن تبرد ناره فيخلّ بقضاء حاجتها.

فقال لها يا قطام: اقتل لک فى هذه الليله علىّ بن أبى طالب فأخذ سيفه و مضى به إلى الصّيقل فأجاد صقاله و جاء به إليها فقالت إنّى اريد أن اعمل فيه سمّا قال: و ما تصنع بالسّم لو وقع على جبل لهده، فقالت: دعنى أعمل فيه السّم فانّک لو رأيت عليّا لطاش عقلک و ارتعشت يداک و ربّما ضربته ضربه لا تعمل فيه

۱- (۱) ارشق حدد النظر و ومى و حبها.

شيئا، فاذا كان مسموما فان لم تعمل الضّربه عمل السّم.

فقال لها: يا ويلك أ تخوفينى من علىّ فو اللّه لا أرهب عليّا و لا غيره، فقالت له:

دعنى من قولك هذا فانّ عليّا ليس كمن لا قيت من الشجعان فاطرت فى مدحه و ذكرت شجاعته و كان غرضها أن يحمل الملعون على الغضب و يحرّضه على الأمر فأخذت السّيف و انفذته إلى الصّيقل فسقاه السّم و ردّه إلى غمده.

و كان ابن ملجم قد خرج فى ذلك اليوم و يمشى فى أزقه الكوفه فلقاه صديق له و هو عبد اللّه بن جابر الحارثى فسلّم عليه و هنّأ بزواج قطام، ثمّ تحادثا ساعه فحدّثه بحديثه من أوله إلى آخره فسّر بذلك سرورا عظيما، فقال له:

أنا اعاونك.

فقال ابن ملجم: دعنى من هذا الحديث فانّ عليّا أروغ من الثّعلب و أشدّ من الاسد، ثم مضى ابن ملجم لعنه اللّه يدور فى شوارع الكوفه، فاجتاز على أمير المؤمنين و هو جالس عند ميثم التّمار فخطف عنه كيلا يراه ففطن به فبعث خلفه رسولا فلما أتاه وقف بين يديه و سلم عليه و تضرّع لديه.

فقال له: ما تعمل ههنا؟ قال: أطوف فى أسواق الكوفه و أنظر إليها، فقال عليك بالمساجد فانّها خير لك من البقاع كلّها و شرّها الاسواق ما لم يذكر اسم اللّه فيها ثمّ حادثه ساعه و انصرف.

فلما ولى جعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه و يقول يالك من عدوّ لى من مراد ثمّ قال: اريد حياته و يريد قتلى، و يأبى اللّه إلاّ أن يشاء.

ثمّ قال عليه السّلام يا ميثم هذا و اللّه قاتلى لا محاله أخبرنى به حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال ميثم: يا أمير المؤمنين فلم لا تقتله أنت قبل ذلك؟ فقال: يا ميثم لا يحلّ القصاص قبل الفعل، فقال ميثم يا مولاى إذا لم تقتله فاطرده، فقال: يا ميثم لو لا آيه فى كتاب اللّه:

«يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ ».

ص:۱۴۳

و أیضا انّه بعد ما جنا جنایه فیؤخذ بها و لا یجوز أن یعاقب قبل الفعل، فقال میثم:

جعل یومنا قبل یومک و لا أرانا اللّه فیک سوء ابدا و متی یکون ذلک یا أمیر المؤمنین؟ فقال: إنّ اللّه تفرّد بخمسه أشیاء لا یطلع علیها نبیّ مرسل و لا ملک مقرّب فقال عزّ من قائل:

«إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ » الآیه.

یا میثم هذه خمسه لا یطلع علیها إلاّ اللّه و ما اطلع علیها نبیّ و لا وصیّ و لا ملک مقرّب، یا میثم لا حذر من قدر، یا میثم إذا جاء القضاء فلا مفرّ، فرجع ابن ملجم و دخل علی قطام لعنهما اللّه و کانت تلک اللیله لیله تسع عشر من شهر رمضان.

قالت امّ کلثوم بنت أمیر المؤمنین علیه السّلام لما کانت لیله تسع عشره من شهر رمضان قدمت إلیه عند افطاره طبقا فیه قرصان من خبز الشّعیر و قصعه فیها لبن و ملح جریش، فلما فرغ من صلاته أقبل علی فطوره، فلما نظر إلیه و تأمله حرک رأسه و بکی بکاء شدیدا عالیا و قال: یا بنیه ما ظننت أنّ بنتا تسوء أباها کما قد أسات أنت إلیّ، قالت: و ما ذا یا أبا؟ قال: یا بنیه أتقدّمین إلی أبیک ادامین فی فرد طبق واحد أ ترید بن أن یطول وقوفی غدا بین یدی اللّه عزّ و جل یوم القیامه أنا ارید أن أتبع أخی و ابن عمّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما قدم إلیه طعامان فی طبق واحد إلی أن قبضه اللّه.

یا بنیه ما من رجل طاب مطعمه و مشربه و ملبسه إلاّ طال وقوفه بین یدی اللّه عزّ و جل یوم القیامه، یا بنیه انّ الدّنیا فی حلالها حساب و فی حرامها عقاب.

و قد أخبرنی حبیبی رسول اللّه أنّ جبرئیل نزل إلیه و معه مفاتیح کنوز الأرض و قال: یا محمّد اللّه یقرؤک السّلام و یقول لک ان شئت سیّرت معک جبال تهامه ذهبا و فضه و خذ هذه مفاتیح کنوز الأرض و لا ینقص ذلک من حظک یوم القیامه قال:

يا جبرئيل و ما يكون بعد ذلك؟ قال الموت، فقال: إذن لا حاجه لى فى الدّنيا دعنى أجوع يوما و أشبع يوما، فاليوم الذى أجوع فيه أتضرّع إلى ربى و أسأله، و اليوم الذى أشبع فيه أشكر ربّى و أحمده، فقال له جبرئيل: وفّقت لكلّ خير ثم قال:

يا بنيه الدّنيا دار غرور و دار هو ان فمن قدّم شيئا وجده، يا بنيه و اللّه لا آكل شيئا حتّى ترفعين أحد الادامين، فلما رفعته تقدّم إلى الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش.

ثمّ حمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قام إلى صلاته فصلى فلم يزل راكعا و ساجدا و مبتهلا و متضرّعا إلى اللّه سبحانه و يكثر الدّخول و الخروج و هو ينظر إلى السّماء و هو قلق يتململ، ثم قرء سوره يس حتّى ختمها، ثمّ رقد هنيئه و انتبه مرعوبا و جعل يمسح وجهه بثوبه و نهض قائما على قدميه و هو يقول: اللهمّ بارك لنا فى لقائك و يكثر من قول لا حول و لا قوّه إلّا باللّه العلىّ العظيم، ثمّ صلّى حتّى ذهب بعض الليل، ثمّ جلس للتعقيب، ثمّ نامت عيناه و هو جالس، ثمّ انتبه من نومته مرعوبا.

قالت ام كلثوم كانّى به و قد جمع أولاده و أهله و قال لهم فى هذا الشّهر تفقدونى إنّى رأيت فى هذه الليله رؤياها لتنى و اريد أن أقصّها عليكم، قالوا: و ما هى؟ قال: إنى رأيت الساعه رسول اللّه فى منامى و هو يقول لى: يا أبا الحسن إنّك قادم إلينا عن قريب يجىء اليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك و أنا و اللّه مشتاق إليك و إنّك عندنا فى العشر الآخر من شهر رمضان فهلمّ إلينا فما عندنا خير لك و أبقى.

قال: فلما سمعوا كلامه ضجّوا بالبكاء و النحيب و أبدوا العويل فاقسم عليهم بالسّكوت فسكتوا، ثمّ أقبل عليهم يوصيهم و يأمرهم بالخير و ينهيهم عن الشّر.

قالت أمّ كلثوم فلم يزل تلك الليله قائما و قاعدا و راكعا و ساجدا، ثمّ يخرج

ساعه بعد ساعه يقلّب طرفه فى السماء و ينظر فى الكواكب و هو يقول و اللّه ما كذبت و لا كذبت و إنها الليله التى وعدت بها.

ثمّ يعود إلى مصلاّه و يقول. اللهمّ بارك لى فى الموت و يكثر من قول إنا للّه و إنّا إليه راجعون و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلىّ العظيم و يصلّى على النبىّ و آله و يستغفر اللّه كثيرا.

قالت ام كلثوم: فلما رأيته فى تلك الليله فلقا متململا كثير الذّكر و الاستغفار أرقت معه ليلتى و قلت يا ابتاه مالى أراك هذه الليله لا تذوق طعم الرّقاد، قال: يا بنيه إنّ أباك قتل الابطال و خاض الأهوال و ما دخل الجوف له خوف و ما دخل فى قلبى رعب أكثر ممّا دخل فى هذه الليله، ثمّ قال: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، فقلت: يا أباه مالك تنعى نفسك منذ الليله، قال: يا بنيه قد قرب الأجل و انقطع الأمل قالت أمّ كلثوم: فبكيت، فقال لى: يا بنيه لا تبكين فانّى لم أقل ذلك إلاّ بما عهد إلىّ النبىّ، ثمّ أنّه عليه السّلام نعس و طوى ساعه ثمّ استيقظ من نومه، و قال يا بنيه اذا قرب وقت الاذان فأعلمينى، ثمّ رجع إلى ما كان عليه أوّل الليل من الصّلاه و الدّعاء و التضرّع إلى اللّه سبحانه.

قالت أمّ كلثوم فجعلت أرقب وقت الأذان فلما لاح الوقت أتيته و معى إناء فيه ماء ثمّ ايقظته اسبغ الوضوء و قام و لبس ثيابه و فتح بابه، ثمّ نزل إلى الدّار و كان فى الدار اوز قد اهدى إلى أخى الحسين فلما نزل خرجن و رائه و رفرفن و صحن فى وجهه و كان قبل تلك لم يصحن، فقال: لا إله إلاّ اللّه.

صوارخ تتبعها نوايح و فى غداه غد يظهر القضا

فقلت له: يا أبا هكذا تتطير، فقال: يا بنيه ما منّا أهل البيت من يتطير و لا يتطير به و لكن قول جرى على لسانى، ثمّ قال: يا بنيه بحقّى عليك إلاّ ما أظلقتيه فقد حبست ما ليس له لسان و لا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه و اسقيه و إلاّ خلّى سبيله يأكل من حشايش الأرض، فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فانحل مئزره حتّى سقط فأخذه و شدّه و هو يقول:

اشدد حيازيمک للموت فانّ الموت لاقيکا و لا تجزع من الموت إذا حلّ بناديکا

و لا تغتر بالدّهر و ان کان يواتيکا کما أضحکک الدّهر کذاک الدهر يبکيکا

ثمّ قال: اللهمّ بارک لنا فی الموت اللهمّ بارک لی فی لقاءک.

قالت أمّ کلثوم: و کنت أمشی خلفه فلما سمعته يقول ذلک، قلت: و اغوثاه يا أبتاه أراک تنعی نفسک منذ الليله، قال: يا بنيه ما هو بنعاء و لکنها دلالات و علامات للموت تتبع بعضها بعضا فامسکی عن الجواب، ثمّ فتح الباب و خرج.

قالت أمّ کلثوم: فجئت إلی أخی الحسن فقلت يا أخی قد کان من أمر أبيک الليله کذا و کذا، و هو قد خرج فی هذا الليل الغلس فالحقه، فقام الحسن بن علیّ عليه السّلام و تبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فقال: يا أباه ما اخرجک فی هذه السّاعه و قد بقی من الليل ثلثه.

فقال: يا حبيبی و يا قرّه عينی خرجت لرؤيا رأيتها فی هذه الليله هالتنی و أزعجتنی و أقلقتنی، فقال له: خيرا رأيت و خيرا يکون فقصّها علیّ، فقال: يا بنیّ رأيت کان جبرئيل قد نزل من السّماء علی جبل أبی قبيس فتناول منه حجرين و مضی بهما إلی الکعبه و ترکهما علی ظهرها و ضرب أحدهما علی الآخر فصار کالرّميم، ثمّ ذراهما(۱) فی الرّيح فما بقی بمکّه و لا بالمدينه بيت إلاّ و دخله من ذلک الرّماد فقال له يا أبت و ما تأويلها؟ فقال: يا بنیّ إن صدقت رؤيای فانّ أباک مقتول و لا يبقی بمکّه حينئذ و لا بالمدينه بيت إلاّ و يدخله من ذلک غمّ و مصيبه من أجلی، فقال الحسن عليه السّلام و هل تدری متی يکون ذلک يا أبت؟ قال: يا بنیّ انّ اللّه يقول:

«وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ».

۱- (۱) الذر التفريق.

و لكن عهد إلىّ حبيبى رسول اللّه أنّه يكون فى العشر الآخر من شهر رمضان يقتلنى ابن ملجم المرادى، فقلت له يا أبتاه إذا علمت ذلك منه فاقتله، قال: يا بنىّ لا يجوز القصاص قبل الجنايه و الجنايه لم تحصل منه، يا بنىّ لو اجتمع الثقلان الانس و الجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا، يا بنىّ ارجع إلى فراشك، فقال الحسن يا أبتاه أريد أمضى معك إلى موضع صلاتك.

فقال له: اقسمت بحقّى عليك إلاّ ما رجعت إلى فراشك لئلا يتنغص عليك نومك و لا تعصنى فى ذلك، قال فرجع الحسن فوجد اخته امّ كلثوم قائمه خلف الباب تنتظره فدخل فأخبرها بذلك و جلسا يتحادثان و هما محزونان حتى غلب عليها النعاس فقاما و دخلا إلى فراشهما و ناما.

قال أبو مخنف و غيره: و سار أمير المؤمنين حتّى دخل المسجد و القناديل قد خمد ضوئها فصلّى فى المسجد و تمّ و رده و عقّب ساعه ثمّ إنّه قام و صلّى ركعتين ثمّ علا المأذنه و وضع سبابتيه فى اذنيه و تنحنح، ثمّ أذّن و كان صلوات اللّه عليه إذا أذّن لم يبق فى الكوفه بيت إلاّ اخترقه صوته.

قال الرّاوى: و أمّا ابن ملجم فبات فى تلك الليله يفكّر فى نفسه و لا يدرى ما يصنع فتاره يعاتب نفسه و يوبّخها و يخاف من عقبى فعله فيهمّ أن يرجع عن ذلك، و تاره يذكر قطام لعنها اللّه و حسنها و جمالها و كثره مالها فتميل نفسه اليها، فبقى عامه ليله يتقلّب على فراشه و هو يترنّم بشعره ذلك إذا أتته الملعونه و نامت معه فى فراشه و قالت يا هذا من يكون على هذا العزم يرقد.

فقال لها و اللّه إنّى أقتله لك السّاعه فقالت اقتله و ارجع إلىّ قرير العين مسرورا و افعل ما تريد فانّى منتظره لك، فقال لها بل اقتله و ارجع إليك سخين العين منحوسا محسورا، فقالت أعوذ باللّه من تطيرك الوحش.

قال فوثب الملعون كأنّه الفحل من الابل قال هلمّى الىّ بالسّيف، ثمّ انّه اتّزر بمئزر و اتّشح(۱) بازار و جعل السّيف تحت الازار من بطنه، و قال افتحى لى

۱- (۱) توشح بازار شدّه على وسطه.

الباب ففى هذه السّاعه اقتل لک عليّا، فقامت فرحه مسروره و قبلت صدره و بقى يقبّلها و يترشقها ساعه ثمّ راودها عن نفسها فقالت: هذا علىّ أقبل الى الجامع و أذّن فقم إليه فاقتله ثمّ عد إلىّ فها أنا منتظره رجوعک، فخرج من الباب و هى خلفه تحرّضه بهذه الابيات:

أقول إذا ما حيّه أعيت الرّقا و كان ذعاف(۱) الموت منه شرابها

دسسنا إليها فى الظلام ابن ملجم همام إذا ما الحرب شبّ لها بها

فخذها علىّ فوق رأسک ضربه بکفّ سعيد سوف يلقا ثوابها

قال الرّاوى: فالتفت إليها و قال أفسدت و اللّه الشّعر فى هذا البيت الآخر، قالت: و لم ذلک؟ قال لها: هلّا قلت

بکف شقىّ سوف يلقا عقابها

قال مصنّف هذا الکتاب قدّس اللّه روحه: هذا الخبر غير صحيح بل إنّا کتبناه کما وجدناه، و الرّوايه الصحيحه أنّه بات فى المسجد و معه رجلان أحدهما شبيب ابن بحيره و الآخر وردان بن مجالد يساعدانه على قتل علىّ، فلمّا أذّن نزل من المأذنه و جعل يسبّح اللّه و يقدّسه و يکبّره و يکثر من الصّلاه على النّبىّ.

قال الرّاوى: و کان من أکرم أخلاقه أن يفتقد النّائمين فى المسجد و يقول للنّائم: الصلاه يرحمک اللّه الصلاه ثمّ إلى الصلاه المکتوبه ثمّ يتلو.

«إِنَّ الصَّلاهَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ ».

ففعل ذلک کما کان يفعله على جارى عاداته مع النائمين فى المسجد حتى إذا بلغ إلى الملعون فرآه نائما على وجهه قال له: يا هذا قم من نومک هذا فانّها نومه يمقتها اللّه و هى نومه الشّيطان و نومه أهل النّار، بل نم على يمينک فانّها نومه العلما أو على يسارک فانّها نومه الحکماء أو على ظهرک فانّها نومه الانبياء.

قال: فتحرّک الملعون کانّه يريد أن يقوم و هو من مکانه لا يبرح فقال له أمير المؤمنين: لقد هممت بشىء «تَکادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ »

۱- (۱) الذعف السقى ذعفه اى اسقاء بالسم الذعاف کغراب السم ق.

«اَلْجِبالُ هَدًّا »، و لو شئت لأنبئك بما تحت ثيابك، ثمّ تركه و عدل عنه إلى محرابه و قام قائما يصلّى و كان يطيل الرّكوع و السّجود فى الصّلاه كعادته فى الفرائض و النوافل حاضرا قلبه.

فلمّا أحسّ به فنهض الملعون مسرعا و أقبل يمشى حتّى وقف بازاء الاسطوانه التى كان الامام يصلّى عليها، فأمهله حتّى صلّى الرّكعه الاولى و ركع و سجد السجده الاولى منها، و رفع رأسه فعند ذلك أخذ السّيف و هزّه ثمّ ضربه على رأسه المكرّم الشّريف فوقعت الضّربه على الضّربه التى ضربها عمرو بن عبدود العامرى ثمّ أخذت الضّربه إلى مفرق رأسه إلى موضع السّجود.

فلمّا أحسّ الامام بالضرب لم يتأوّه و صبر و احتسب و وقع على وجهه و ليس عنده أحد قائلا: بسم اللّه و باللّه و على ملّه رسول اللّه، ثمّ صاح و قال قتلنى ابن ملجم قتلنى اللّعين ابن اليهوديه و ربّ الكعبه أيّها الناس لا يفوتنكم ابن ملجم و سار السمّ فى رأسه و بدنه و ثار جميع من فى المسجد فى طلب الملعون و ماجوا بالسلاح فما كنت أرى إلاّ صفق الأيدى على الهامات و علوّ الصرخات.

و كان ابن ملجم ضربه ضربه خائفا مرعوبا، ثمّ ولى هاربا و خرج من المسجد و أحاط الناس بأمير المؤمنين و هو فى محرابه يشدّ الضربه و يأخذ التراب و يضعه عليها ثمّ تلا قوله تعالى:

«مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى » ثمّ قال: جاء أمر اللّه و صدق رسول اللّه ثمّ إنه لما ضربه الملعون ارتجّت الأرض و باحت البحار و السماوات و اصطفقت أبواب الجامع.

قال: و ضربه اللعين شبيب بن بحيره، فأخطأه و وقعت الضربه فى الطاق.

قال الراوى: فلما سمع الناس الضجه ثار إليه كلّ من كان فى المسجد و صاروا يدورون و لا يدرون أين يذهبون من شدّه الصدمه و الدهشه، ثم أحاطوا بأمير المؤمنين و هو يشدّ رأسه بميزره و الدم يجرى على وجهه و لحيته و قد خضبت بدمائه و هو يقول:

هذا ما وعد اللّه و رسوله و صدق اللّه و رسوله.

قال الرّاوی. فاصطفقت أبواب الجامع و ضجّت الملائکه فی السّماء بالدّعاء وهبّت ریح عاصف سوداء مظلمه، و نادی جبرئیل بین السّماء و الأرض بصوت یسمعه کلّ مستیقظ: تهدّمت و اللّه أرکان الهدی، و انطمست و اللّه نجوم السّماء، و أعلام التّقی و انفصمت و اللّه العروه الوثقی، قتل ابن عمّ محمّد المصطفی قتل الوصیّ المجتبی قتل علیّ المرتضی، قتل و اللّه سیّد الأوصیاء، قتله أشقی الأشقیاء.

قال: فلمّا سمعت امّ کلثوم نعی جبرئیل فلطمت علی وجهها و خدّها و شقّت جیبها و صاحت وا أبتاه وا علیّاه وا محمّداه وا سیّداه، ثمّ أقبلت إلی أخویها الحسن و الحسین علیهما السّلام فأیقظتهما و قالت لهما لقد قتل أبو کما، فقاما یبکیان فقال لها الحسن یا اختاه کفّی عن البکاء حتّی نعرف صحه الخبر کیلا تشمت الأعداء.

فخرجا فاذا النّاس ینوحون و ینادون وا اماماه وا أمیر المؤمنین قتل و اللّه إمام عابد مجاهد لم یسجد لصنم قط کان أشبه النّاس برسول اللّه.

فلمّا سمع الحسن و الحسین صرخات النّاس نادیا وا أبتاه وا علیّاه لیت الموت أعدمنا الحیاه، فلمّا و صلا الجامع و دخلا وجدا أبا جعده بن هبیره و معه جماعه من النّاس و هم یجتهدون أن یقیموا الامام فی المحراب لیصلّی بالناس فلم یطق علی النهوض و تأخر عن الصفّ و تقدّم الحسن فصلّی بالناس و أمیر المؤمنین یصلّی ایماء عن جلوس و هو یمسح الدّم عن وجهه و کریمه الشریف یمیل تاره و یسکن اخری و الحسن ینادی وا انقطاع ظهراه یعزّ و اللّه علیّ أن أراک هکذا.

ففتح عینه و قال: یا بنیّ لا جزع علی أبیک بعد الیوم، هذا جدک محمّد المصطفی و جدّتک خدیجه الکبری و امّک فاطمه الزّهراء و الحور العین محدقون منتظرون قدوم أبیک، فطب نفسا و قرّ عینا و کفّ عن البکاء فانّ الملائکه قدار تفعت أصواتهم إلی السماء.

قال: ثمّ إنّ الخبر شاع فی جوانب الکوفه و انحشر الناس حتی المخدّرات خرجن من خدرهن إلی الجامع ینظرن إلی أمیر المؤمنین، فدخل الناس الجامع

ص:۱۵۱

فوجدوا الحسن و رأس أبيه فی حجره و قد غسل الدّم عنه و شدّ الضّربه و هی بعدها تشخب دما و وجهه قد زاد بیاضا بصفره و هو یرمق السّماء بطرفه و لسانه یسبّح اللّه و یوحّده و هو یقول:

أسألک یا ربّ الرّفیع الأعلی، فأخذ الحسن رأسه فی حجره فوجده مغشیّا علیه فعندها بکی بکاء شدیدا و جعل یقبّل وجه أبیه و ما بین عینیه و موضع سجوده، فسقط من سجوده «دموعه ظ» قطرات علی وجه أمیر المؤمنین ففتح عینیه فرآه باکیا فقال: یا بنیّ یا حسن ما هذا البکاء یا بنیّ لاروع علی أبیک بعد الیوم هذا جدّک محمّد المصطفی و خدیجه و فاطمه و الحور العین محدقون منتظرون قدوم أبیک فطب نفسا و قرّ عینا و اکفف عن البکاء فانّ الملائکه قد ارتفعت أصواتهم إلی السّماء.

یا بنیّ أ تجزع علی أبیک و غدا تقتل بعدی مسموما مظلوما و أخوک یقتل بالسیف هکذا و تلحقان بجدّ کما و أبیکما و امّکما فقال له الحسن: ما تعرفنا من قتلک و من فعل بک هذا، قال: قتلنی ابن الیهودیّه عبد الرحمن بن ملجم المرادی، فقال یا أباه من أیّ طریق مضی قال: لا یمضی أحد فی طلبه فانّه سیطلع علیکم من هذا الباب و أشار بیده الشّریفه إلی باب کنده.

قال: و لم یزل السّمّ یسری فی رأسه و فی بدنه، ثمّ اغمی علیه ساعه و النّاس ینتظرون قدوم الملعون من باب کنده، و اشتغل النّاس بالنّظر إلی الباب و یرتقبون قدوم الملعون و قد غصّ المسجد بالعالم ما بین باک و محزون، فما کان إلّا ساعه و إذا بالصّیحه قد ارتفعت و زمره من النّاس و قد جاءوا بعدوّ اللّه ابن ملجم مکتوفا و هذا یلعنه و هذا یضربه قال: فوقع النّاس بعضهم علی بعض ینظرون إلیه فأقبلوا باللعین مکتوفا و هذا یلعنه و هذا یضربه و هم ینهشون لحمه بأسنانهم و یقولون له: یا عدوّ اللّه ما فعلت أهلکت امّه محمّد و قتلت خیر النّاس و إنّه لصامت و بین یدیه رجل یقال له حذیفه النّخعی بیده سیف مشهور و هو یردّ النّاس عن قتله و هو یقول: هذا قاتل الامام علیّ علیه السّلام حتّی أدخلوه المسجد.

ص:۱۵۲

قال الشّعبی: کانّی أنظر إلیه و عیناه قد طار فی أمّ رأسه کانّهما قطعتا علق و قد وقعت فی وجهه ضربه قد هشمت وجهه و أنفه و الدم یسیل علی صدره و هو ینظر یمینا و شمالا و عیناه قد طارتا فی أمّ رأسه و هو أسمر اللون حسن الوجه و فی وجهه اثر السّجود و کان علی رأسه شعر أسود منثور علی وجهه کانّه الشّیطان الرّجیم، فلما حاذانی سمعته یترنّم بهذه الأبیات:

أقول لنفسی بعد ما کنت انهها و قد کنت أسناها و کنت أکیدها

أیا نفس کفّی عن طلابک و اصبری و لا تطلبی همّا علیک یبیدها

فما قبلت نصحی و قد کنت ناصحا کنصح ولود غاب عنها ولیدها

فما طلبت إلّا عنائی و شقوتی فیا طول مکثی فی الجحیم بعیدها

فلما جاءوا به أوقفوه بین یدی أمیر المؤمنین فلما نظر إلیه الحسن علیه السّلام قال له: یا ویلک یا لعین یا عدوّ اللّه أنت قاتل أمیر المؤمنین و امام المسلمین، هذا جزاؤه منک حیث آواک و قرّبک و أدناک و آثرک علی غیرک، و هل کان بئس الامام لک حتّی جازیته هذا الجزاء یا شقی.

قال: فلم یتکلّم بل دمعت عیناه فانکبّ الحسن علیه السّلام علی أبیه یقبّله و قال له:

هذا قاتلک یا أباه قد أمکن اللّه منه فلم یجبه علیه السّلام و کان نایما فکره أن یوقظه من نومه، ثمّ التفت إلی ابن ملجم و قال له: یا عدوّ اللّه هذا کان جزاؤه منک بوّاک و أدناک و قرّبک و حباک و فضلک علی غیرک هل کان بئس الامام حتّی جازیته هذا الجزاء یا شقیّ الاشقیاء.

فقال له الملعون یا أبا محمّد «أَ فَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِی النّارِ » فعند ذلک ضجّت النّاس بالبکاء و النحیب فأمرهم الحسن علیه السّلام بالسکوت.

ثمّ التفت الحسن علیه السّلام إلی الذی جاء به حذیفه رضی اللّه عنه، فقال له:

کیف ظفرت بعدوّ اللّه و أین لقیته: فقال: یا مولای إنّ حدیثی معه لعجیب.

و ذلک إنّی کنت البارحه نائما فی داری و زوجتی إلی جانبی و هی من غطفان و أنا راقد و هی مستیقظه إذ سمعت هی الزّعقه و ناعیا ینعی أمیر المؤمنین و هو یقول:

تهدّمت و اللّه أرکان الهدی، و انطمست و اللّه أعلام التّقی، قتل ابن عمّ محمّد المصطفی

قتل علیّ المرتضی قتله أشقی الاشقیاء، فأیقظتنی و قالت لی أنت نائم و قد قتل إمامک علیّ بن أبی طالب.

فانتبهت من کلامها فزعا مرعوبا و قلت لها: یا ویلک ما هذا الکلام رضّ اللّه فاک لعلّ الشّیطان قد ألقی فی سمعک هذا أو حلم القی علیک، یا ویلک إنّ أمیر المؤمنین لیس لأحد من خلق اللّه قبله تبعه و لا ظلامه و إنّه للیتیم کالأب الرّحیم و للأرمله کالزّوج العطوف، و بعد ذلک فمن الذی یقدر علی قتل علیّ أمیر المؤمنین و هو الأسد الضّرغام و البطل الهمام و الفارس القمقام.

فاکثرت علیّ و قالت: انّی سمعت ما لم تسمع و علمت ما لم تعلم، فقلت لها و ما سمعت فأخبرتنی بالصّوت، فقالت سمعت نادیا ینادی بأعلی صوته: تهدّمت و اللّه أرکان الهدی و انطمست و اللّه أعلام التّقی قتل ابن عمّ محمّد المصطفی قتل علیّ المرتضی قتله أشقی الأشقیاء.

ثمّ قالت و ما أظنّ بیتا إلّا و قد دخله هذا الصّوت، قال فبینما أنا و هی فی مراجعه الکلام و إذا بصیحه عظیمه و جلبه و ضجّه عظیمه و قائل یقول: قتل أمیر المؤمنین.

فحسّ قلبی بالشّر فمددت یدی إلی سیفی و سللته من غمده و أخذته و نزلت مسرعا و فتحت باب داری و خرجت فلما صرت فی وسط الجاده فنظرت یمینا و شمالا و إذا بعدوّ اللّه یحول فیها یطلب مهربا فلم یجدوا إذا قد انسدّت الطرقات فی وجهه فلما نظرت إلیه و هو کذلک رابنی أمره فنادیته:

یا ویلک من أنت و ما ترید لا أمّ لک فی وسط هذا الدّرب تمرّ و تجیء فتسمّی بغیر اسمه و انتمی بغیر کنیته، فقلت له: من أین أقبلت؟ قال: من منزلی قلت: و إلی أین ترید تمضی فی هذا الوقت قال: إلی الحیره، فقلت: و لم لا تقعد حتّی تصلّی مع أمیر المؤمنین صلاه الغداه و تمضی فی حاجتک؟ فقال: اخشی أن أقعد للصّلاه فتفوت حاجتی فقلت: یا ویلک إنّی سمعت صیحه و قائلا یقول قتل أمیر المؤمنین فهل عندک من ذلک خبر؟ قال: لا علم لی بذلک فقلت له: فلم لا تمضی معی حتّی تحقّق الخبر

و تمضی فی حاجتک؟ فقال: أنا ماض فی حاجتی و هی أهمّ من ذلک.

فلما قال لی مثل ذلک القول قلت یا لکع الرّجال حاجتک أحبّ إلیک من التحسس لأمیر المؤمنین و إمام المسلمین إذن و اللّه یا لکع مالک عند اللّه من خلاق، و حملت علیه بسیفی و هممت أن أعلو به فراغ عنّی.

فبینما أنا أخاطبه و هو یخاطبنی إذهبّت الرّیح فکشفت إزاره و إذا بسیفه یلمع تحت الازار کانّه مرآه مصقوله، فلما رأیت بریقه تحت ثیابه قلت: یا ویلک ما هذا السّیف المشهور تحت ثیابک لعلک أنت قاتل أمیر المؤمنین فأراد أن یقول لا فانطق اللّه لسانه بالحقّ فقال نعم.

فرفعت سیفی و ضربته فرفع هو سیفه و همّ أن یعلونی فانحرفت عنه فضربته علی ساقیه فأوقفته و وقع لحینه و وقعت علیه و صرخت صرخه شدیده و أرددت أخذ سیفه فمانعنی عنه، فخرج أهل الحیره فأعانونی علیه حتّی أوثقته کتافا و جئتک به فها هو بین یدیک جعلنی اللّه فداک فاصنع به ما شئت.

فقال الحسن الحمد للّه الذی نصر ولیّه و خذل عدوّه، ثمّ انکبّ الحسن علی أبیه یقبله و قال له: یا أباه هذا عدوّ اللّه و عدوّک قد امکن اللّه منه فلم یجبه و کان نایما فکره أن یوقظه من نومه فرقد ساعه ثمّ فتح عینیه و هو یقول: ارفقوا بی یا ملائکه ربّی.

فقال له الحسن علیه السّلام هذا عدوّ اللّه و عدوّک ابن ملجم قد أمکن اللّه منه و قد حضر بین یدیک قال: ففتح أمیر المؤمنین علیه السّلام عینیه و نظر إلیه و هو مکتوف و سیفه معلّق فی عنقه فقال له بضعف و انکسار صوت و رأفه و رحمه: یا هذا لقد جئت عظیما و ارتکبت أمرا عظیما و خطبا جسیما أبئس الامام کنت لک حتّی جازیتنی بهذا الجزاء؟ ألم اکن شفیقا علیک و آثرتک علی غیرک و احسنت الیک و زدت فی اعطائک؟ ألم یکن یقال لی فیک کذا و کذا فخلیت لک السّبیل و منحتک عطائی؟ و قد کنت أعلم أنّک قاتلی لا محاله و لکن رجوت بذلک الاستظهار من اللّه تعالی علیک یا لکع و علی أن ترجع عن غیک فغلبت علیک الشّقاوه فقتلتنی یا

أشقى الأشقياء.

قال فـدمعت عينا ابن ملجم لعنه اللّه و قال: يا أمير المؤمنين أ فأنت تنقذ من فى النّار، قال له: صدقت، ثمّ التفت إلى ولده الحسن و قال له: ارفق يا ولدى بأسيرك و ارحمه و أحسن إليه و اشفق عليه ألا ترى إلى عينيه قد طارتا فى أمّ رأسه و قلبه يرجف خوفا و رعبا و فزعا.

فقال له الحسن: يا أباه قد قتلك هذا اللّعين الفاجر و أفجعنا فيك و أنت تأمرنا بالرّفق به فقال له: نعم يا بنىّ نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرما و عفوا و الرّحمه و الشّفقه من شيمتنا لا من شيمه عدوّنا.

بحقّى عليك فأطعمه يا بنىّ ممّا تأكل و اسقه مما تشرب و لا تقيد له قدما و لا تغل له يدا فان أنامتّ فاقتصّ منه بأن تقتله و تضربه ضربه واحده و تحرقه بالنار و لا تمثّل بالرّجل فانّى سمعت جدّك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم يقول إيّاكم و المثله و لو بالكلب العقور، و إن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه و أنا أعلم بما أفعل به فان عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلّا عفوا و كرما.

قال مخنف بن حنيف: إنّى و اللّه ليله تسع عشره فى الجامع فى رجال نصلّى قريبا من السدّه التى يدخل منها أمير المؤمنين فبينما نحن نصلّى إذ دخل أمير المؤمنين من السدّه و هو ينادى الصّلاه ثمّ صعد المأذنه فأذّن ثمّ نزل فعبر على قوم نيام فى المسجد فناداهم الصّلاه ثمّ قصد المحراب.

فما أدرى دخل فى الصّلاه ام لا- إذ سمعت قائلا يقول: الحكم للّه لا لك يا على، قال: فسمعت عند ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: لا- يفوتنّكم الرّجل، قال فشدّ النّاس عليه و أنا معهم و إذا هو وردان بن مجالد، و أمّا ابن ملجم لعنه اللّه فانّه هرب من ساعته و دخل الكوفه و رأينا أمير المؤمنين مجروحا فى رأسه.

قال محمّد بن الحنفيه رضى اللّه عنه: ثمّ إنّ أبى قال: احملونى الى موضع مصلّاى فى منزلى قال فحملناه إليه و هو مدنف و النّاس حوله و هم فى اسر عظيم باكين محزونين قد اشرفوا على الهلاك من شدّه البكاء و النّحيب.

ثمّ التفت إليه الحسين و هو يبكى فقال له يا أبتاه من لنا بعدك لا كيومك إلّا يوم رسول اللّه من اجلك تعلّمت البكاء، يعزّ و اللّه علىّ أن أراك هكذا فناداه عليه السّلام و قال: يا حسين يا أبا عبد اللّه ادن منّى، فدنا منه و قد قرحت أجفان عينيه من البكاء فمسح الدّموع من عينيه و وضع يده على قلبه و قال له: يا بنىّ ربط اللّه قلبك بالصّبر و أجزل لك و لاخوانك عظيم الأجر، فسكن روعتك و اهدىء من بكائك، فانّ اللّه قد آجرك على عظيم مصابك ثمّ ادخل إلى حجرته و جلس فى محرابه.

قال الرّاوى: و أقبلت زينب و أمّ كلثوم حتّى جلستا معه على فراشه و أقبلتا تندبانه و تقولان: يا أبتاه من للصّغير حتّى يكبر، و من للكبير بين الملاء، يا أبتاه حزننا عليك طويل و عبرتنا لا ترقى.

قال فضجّ النّاس من وراء الحجره بالبكاء و النّحيب و فاضت دموع أمير المؤمنين عند ذلك و جعل يقلّب طرفه و ينظر إلى أهل بيته و أولاده، ثمّ دعا الحسن و الحسين عليهما السّلام و جعل يحضنها و يقبلهما.

ثمّ اغمى عليه ساعه طويله و أفاق، و كذلك رسول اللّه يغمى عليه ساعه طويله و يفيق أخرى لأنه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم كان مسموما فلما أفاق ناوله الحسن قعبا من لبن فشرب منه قليلا ثمّ نحّاه عن فيه و قال: احملوه إلى أسيركم.

ثمّ قال للحسن: بحقّى عليك يا بنىّ إلاّ ما طيبتم مطعمه و مشربه و أرفقوا به إلى حين موتى و تطعمه ممّا تأكل و تسقيه ممّا تشرب حتّى تكون أكرم منه، فعند ذلك حملوا إليه اللبن و أخبروه بما قال أمير المؤمنين فى حقّه فأخذ اللّبن و شربه.

قال: و لما حمل أمير المؤمنين إلى منزله جاءوا باللّعين مكتوفا إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه فقالت له أمّ كلثوم و هى تبكى: يا ويلك أما أبى فانّه لا بأس عليه و إنّ اللّه مخزيك فى الدّنيا و الآخره و إنّ مصيرك الى النّار خالدا فيها، فقال لها ابن ملجم لعنه اللّه: ابكى إن كنت باكيه فو اللّه لقد اشتريت سيفى هذا بألف و سممته بألف، و لو كانت ضربتى هذه لجميع أهل الكوفه ما نجا منهم أحد

ص:١٥٧

و فی ذلک یقول الفرزدق:

فلا غرو للأشراف إن ظفرت بها ذئاب الأعادی من فصیح و أعجم

فحربه وحشیّ سقت حمزه الرّدی و حتف علیّ من حسام ابن ملجم

قال محمّـد بن الحنفیه رضـی اللّه عنه: و بتنا لیله عشرین من شـهر رمضان مع أبی و قـد نزل السّم إلی قدمیه و کان یصـلّی تلک اللیله من جلوس و لم یزل یوصینا بوصایاه و یعزینا من نفسه و یخبرنا بأمره و تبیانه إلی حین طلوع الفجر(۱).

فلما أصـبح اسـتاذن النّاس علیه فاذن لهم بالدّخول فدخلوا علیه و أقبلوا یسـلمون علیه و هو یردّ علیهم السّـلام، ثمّ قال أیّها النّاس اسألونی قبل أن تفقدونی و خففّوا سؤالکم لمصیبه إمامکم.

قال: فبکی النّاس عند ذلک بکاء شدیدا و أشفقوا أن یسألوه تخفیفا عنه، فقام إلیه حجر بن عدی الطائی و قال:

فیا أسفا علی المولی التّقیّ أبو الأطهار حیدره الزّکیّ

قتله کافر حنث زنیم لعین فاسق نغل شقیّ

فیلعن ربّنا من حاد عنکم و یبرء منکم لعنا وبیّ

لانکم بیوم الحشر ذخری و أنتم عتره الهادی النبیّ

فلمّا بصـر به و سـمع شـعره قال له: کیف لی بک اذا دعیت إلی البراءه منّی فما عساک أن تقول؟ فقال: و اللّه یا أمیر المؤمنین لو قطعت بالسّـیف اربا اربا و اضـرم لی النّار و ألقیت فیها لآثرت ذلک علی البراءه منک، فقال: وفّقت لکلّ خیر یا حجر جزاک اللّه خیرا عن أهل بیت نبیّک.

۱- (۱) قـال ابو الفرج الاصـبهانی ثمّ جمع له اطباء الکوفه فلم یکن منهم اعلم بجرحه من اثیر ابن عمرو بن هانی السـلوی و کان متطبب صاحب کرسـی یعالـج الجراحات و کان من الاربعین غلاما الذین کان ابن الولید اصابهم فی عین التمر فسـباهم فلما نظر اثیر الی جرح أمیر المؤمنین دعـا بریه شـاه حـاره فاسـتخرج منها عرقا و ادخله فی الجرح ثمّ نفخه، ثمّ اسـتخرجه و اذا علیه بیاض الدماغ فقال یا امیر المؤمنین اعهد عهدک فانّ عدوّ اللّه قد وصلت ضربته الی أم رأسک منه.

ثمّ قال: هل من شربه من لبن؟ فأتوه بلبن فی قعب فأخذه و شربه کلّه فذکر الملعون ابن ملجم و أنّه لم يخلف له شيئا فقال: و کان أمر اللّه قدرا مقدورا، اعلموا أنّی شربت الجميع و لم أبق لأسيرکم شيئا من هذا ألا و انّه آخر رزقی من الدّنيا فباللّه عليک يا بنیّ إلّا ما أسقيته مثل ما شربت فحمل إليه ذلک فشربه.

قال محمّد بن الحنفيّه رضی اللّه عنه: لمّا کانت ليله احدی و عشرين و أظلم الليل و هی الليله الثانيه من الکائنه، جمع أبی أولاده و أهل بيته و ودّعهم، ثمّ قال لهم: اللّه خليفتی عليکم و هو حسبی و نعم الوکيل، و أوصاهم الجميع منهم بلزوم الايمان و الأديان و الأحکام التی أوصاه بها رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله.

فمن ذلک ما نقل عنه أوصی به الحسن و الحسين عليهما السّلام لما ضربه الملعون ابن ملجم و هی هذه: اوصيکما بتقوی اللّه، إلی آخر ما يأتی فی الکتاب بروايه السّيد فی باب المختار من وصاياه إنشاء اللّه.

قال: ثمّ تزايد و لوج السمّ فی جسده الشريف حتّی نظرنا إلی قدميه و قد احمرتا جميعا، فکبر ذلک علينا و آيسنا منه ثمّ أصبح فأمرهم و نهاهم و أوصاهم ثمّ عرضنا عليه المأکول و المشروب فأبی أن يشرب فنظرنا إلی شفتيه و هما يختلجان بذکر اللّه تعالی، و جعل جبينه يرشح عرقا و هو يمسحه بيده.

قلت: يا أبت أراک تمسح جبينک، فقال: يا بنیّ إنّی سمعت جدّک رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله يقول: إنّ المؤمن إذا نزل به الموت و دنت وفاته عرق جبينه و صار کاللؤلؤ الرطب و سکن أنينه.

ثمّ قال: يا أبا عبد اللّه و يا عون، ثمّ نادی أولاده کلّهم بأسمائهم صغيرا و کبيرا، واحدا بعد واحد و جعل يودّعهم و يقول: اللّه خليفتی عليکم استودعکم اللّه، و هم يبکون.

فقال الحسن عليه السّلام يا أبه ما دعاک إلی هذا، فقال له: يا بنیّ إنّی رأيت جدّک رسول اللّه فی منامی قبل هذه الکائنه بليله فشکوت إليه ما أنا فيه من التذلّل و الأذی من هذه الامه، فقال لی: ادع عليهم فقلت: اللهمّ أبدلهم بی شرّا منّی، و أبدلنی

بهم خيرا منهم، فقال لى قد استجاب اللّه دعاک سينقلک الينا بعد ثلاث، و قد مضت الثلاث.

يـا أبا محمّـد أوصيک و يا أبا عبـد اللّه خيرا فأنتما منّى و أنا منكما، ثمّ التفت إلى أولاده الـذين من غير فاطمه و أوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمه يعنى الحسن و الحسين.

ثمّ قال: أحسن اللّه لكم العزاء ألاوانّى منصرف عنكم و راحل فى ليلتى هـذه و لا حق بحبيبى محمّـد كما و عدنى فاذا أنامت يا أبـا محمّـد فغسّـلنى و كفنّى و حنّطنى ببقيه حنوط جـدّک رسول اللّه فـانّه من كـافور الجنّه جـاء به جبرئيل إليه، ثمّ ضـعنى على سريرى و لا يتقـدّم أحـد منكم مقـدّم السـرير و احملوا مؤخّره و اتّبعوا مقدّمه فأىّ موضع وضع المقدّم فضـعوا المؤخر فحيث قام سريرى فهو موضع قبرى.

ثمّ تقـدّم يا أبا محمّـد و صلّ علىّ يا بنىّ يا حسن و كبّر علىّ سبعا و اعلم أنّه لا يحلّ ذلک على أحد غيرى إلّا على رجل يخرج فى آخر الزّمان اسمه القائم المهدى من ولد اخيک الحسين يقيم اعوجاج الحقّ.

فاذا أنت صلّيت يا حسن فنحّ السرير عن موضعه ثمّ اكشف التراب عنه فترى قبرا محفورا و لحدا مثقوبا و ساجه منقوبه فاضجعنى فيها، فاذا أردت الخروج من قبرى فافتقدنى فانّک لا تجدنى و انّى لاحق بجدّک رسول اللّه.

و اعلم يـا بنىّ مـا من نبىّ يموت و إن كـان مـدفونا بالمشـرق و يموت وصـيه بالمغرب إلّا و يجمع اللّه عزّ و جل بين روحيهما و جسديهما ثمّ يفترقان فيرجع كلّ واحد منهما إلى موضع قبره و الى موضعه الذى حطّ فيه.

ثمّ اشـرج اللّحـد باللبن و أهل التّراب على ثمّ غيّب قبرى، و كان غرضه بـذلک لئلّا يعلم بموضع قبره أحـد من بنى اميّه فانّهم لو علموا بموضع قبره لحفروه و أخرجوه و أحرقوه كما فعلوا بزيد بن علىّ بن الحسين.

ثمّ يا بنىّ بعد ذلک إذا أصبح الصّباح أخرجوا تابوتا إلى ظاهر الكوفه على

ناقه و أمر بمن يسيرها بما عليها كانّها تريد المدينه بحيث يخفى على العامه موضع قبرى الذى تضعنى فيه(۱) ، و كأنّى بكم و قد خرجت عليكم الفتن من ههنا و ههنا فعليكم بالصّبر فهو محمود العاقبه.

ثمّ قال: يا أبا محمّد و يا أبا عبد اللّه كانّى بكما و قد خرجت عليكما من بعدى الفتن من ههنا فاصبروا حتّى يحكم اللّه و هو خير الحاكمين.

ثمّ قال: يا أبا عبد اللّه أنت شهيد هذه الامّه فعليك بتقوى اللّه و الصّبر على بلائه، ثمّ اغمى عليه ساعه و أفاق و قال: هذا رسول اللّه و عمّى حمزه و أخى جعفر و أصحاب رسول اللّه كلهم يقولون عجّل قدومك علينا فانّا إليك مشتاقون.

ثمّ أدار عينيه فى أهل بيته كلّهم، و قال: استودعكم اللّه جميعا سدّدكم اللّه جميعا، حفظكم اللّه جميعا خليفتى عليكم اللّه و كفى باللّه خليفه، ثمّ قال و عليكم السّلام يا رسل ربّى ثمّ قال:

«لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ »... «إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ».

و عرق جبينه و هو يذكر اللّه كثيرا و ما زال يذكر اللّه و يتشهّد الشّهادتين، ثمّ استقبل القبله و غمض عينيه و مدّ رجليه و يديه و قال: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله.

ثمّ قضى نحبه عليه السّلام و كانت وفاته فى ليله احدى و عشرين من شهر رمضان و كانت ليله الجمعه سنه أربعين من الهجره.

قال: فعند ذلک صرخت زينب بنت علىّ و امّ كلثوم و جميع نسائه و قد شقّوا الجيوب و لطموا الخدود و ارتفعت الصّيحه فى القصر فعلم أهل الكوفه أنّ أمير المؤمنين

۱- (۱) فى البحار من فرحه الغرى من بعض كتب القديمه مسندا انّ جعفر بن محمد حدّث ان امير المؤمنين امر ابنه الحسن أن يحفر له اربع قبور فى أربع مواضع فى المسجد و فى الرحبه و فى دار جعده بن هبيره و فى الغرىّ و انما أراد بهذا أن لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره، منه.

قـد قبض، فأقبـل النّساء و الرّجال يهرعون أفواجا أفواجا و صاحوا صـيحه عظيمه فارتجت الكوفه بأهلها، و كثر البكاء و النّحيب و كثر الضّجيج بالكوفه و قبايلها و دورها و جميع أقطارها، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول اللّه.

فلما أظلم الليل تغيّر افق السّماء و ارتجّت الأرض و جميع من عليها بكوه و كنّا نسمع جلبه و تسبيحا فى الهواء فعلمنا أنّها أصوات الملائكه، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر ثمّ ارتفعت الأصوات و سـمعنا هاتفا بصوت يسـمعه الحاضـرون و لا يرون شخصـه يقول:

بنفسى و مالى ثمّ أهلى و اسرتى فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجم

علىّ رقا فوق الخلايق فى الوغا فهدّت له أركان بيت المحرّم

علىّ أمير المؤمنين و من بكت لمقتله البطحاء و اكناف زمزم

يكاد الصّفا و المشعرين كلاهما يهدّ او بان النّقص فى ماء زمزم

و أصبحت الشّمس المنير ضياؤها لقتل علىّ لونها لون دهلم

و ظلّ له افق السّماء كابه كشقّه ثوب لونها لون عندم

و ناحت عليه الجنّ إذ فجعت به حنينا كثكلى نوحها يترّنم

و أضحى التّقى و الخير و الحلم و النهى و بات العلى فى قبره المتهدّم

لفقد على خير من وطأ الحصى أخى العلم الهادى النبىّ المعظّم

قال محمّـد بن الحنفيه رضـى اللّه عنه ثمّ أخذنا فى جهازه ليلا، و كان الحسن عليه السّـلام يغسـله و الحسـين عليه السّـلام يصـبّ الماء عليه و كان لا يحتاج إلى من كان يقلّبه بل يتقلّب كما يريد الغاسل يمينا و شمالا، و كانت رائحته أطيب من رائحه المسك و العنبر، ثمّ نادى الحسن باخته زينب و امّ كلثوم و قال: يا اختاه هلمّى بحنوط جـدّى رسول اللّه، فبادرت زينب مسـرعه حتّى أتته به.

قـال الرّاوى: فلمـا فتحته فـاحت الـدّار و جميع الكوفه و شوارعهـا لشـدّه رائحه ذلك الطيب، ثمّ لفوه بخمسه أثواب كما أمر عليه السّـلام ثمّ وضـعوه على السـرير و تقـدّم الحسن و الحسـين إلى السـرير من مؤخره و إذا مقـدّمه قد ارتفع و لا يرى حامله، و كان حاملاه من مقدّمه جبرئيل و ميكائيل فما مرّ بشىء على وجه الأرض إلاّ انحنى

له ساجدا و خرج السّرير من مايل باب كنده فحملا مؤخّره و سايرا يتبعان مقدّمه.

قال ابن الحنفيّه رضی اللّه: و اللّه لقد نظرت إلی السّرير و أنّه ليمرّ بالحيطان و النّخل فتنحنی له خشوعا و مضی مستقيما إلی النّجف إلی موضع قبره الآن.

قال: و ضجّت الكوفه بالبكاء و النّحيب و خرجن النّساء يتبعنه لاطمات حاسرات فمنعهم «كذا» الحسن عليه السّلام و نهاهم «كذا» عن البكاء و العويل و ردّهنّ إلی أماكنهنّ، و الحسين عليه السّلام يقول: لا حول و لا قوه إلّا باللّه العلیّ العظيم إنّا للّه و إنّا إليه راجعون يا أباه وا انقطاع ظهراه من أجلك تعلّمت البكاء إلی اللّه المشتكی.

فلما انتهيا إلی قبره و إذا مقدّم السرير قد وضع فوضع الحسن مؤخره، ثمّ قام الحسن و صلّی عليه و الجماعه خلفه فكبّر سبعا كما أمره به أبوه، ثمّ زحزحا سريره و كشفا التّراب و إذا بقبر محفور و لحد مشقوق و ساجه منقوره مكتوب عليها:

هذا ما ادّخره له جدّه نوح النبیّ (۱).

فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفا يقول: انزلوه إلی التّربه الطاهره فقد اشتاق الحبيب إلی الحبيب، فدهش النّاس عند ذلك و تحيّروا و الحد أمير المؤمنين قبل طلوع الفجر و انصرف النّاس و رجع أولاد أمير المؤمنين و شيعتهم إلی الكوفه و لم يشعر بهم أحد من النّاس.

فلما طلع الصّباح و بزغت الشّمس اخرجوا تابوتا من دار أمير المؤمنين و أتوابه إلی المصلّی بظاهر الكوفه، ثمّ تقدّم الحسن و صلّی عليه و رفعه علی ناقه و سيرها مع بعض العبيد.

قال فی البحار: روی البرسی فی مشارق الأنوار عن محدّثی أهل الكوفه أنّ أمير المؤمنين لما حمله الحسن و الحسين علی سريره إلی مكان البئر المختلف فيه إلی نجف الكوفه وجدوا فارسا يتضوّع منه رايحه المسك فسلّم عليهما.

۱- (۱) و فی البحار من فرحه الغری عن ام كلثوم فی حديث ثمّ اخذ الحسن المعول فضرب ضربه فانشق القبر عن ضريح فاذا هو بساجه مكتوب عليها سطر ان بالسريانيه بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا قبر قبره نوح النبیّ لعلیّ وصیّ محمد قبل الطوفان بسبعمأه عام منه».

ثمّ قال للحسن أنت الحسن بن علىّ رضيع الوحى و التّنزيل و فطيم العلم و الشّرف الجليل خليفه أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين؟ قال: نعم قال: و هذا الحسين ابن أمير المؤمنين و سيد الوصيين سبط الرّحمه و رضيع العصمه و ربيب الحكمه و والد الأئمه؟ قال: نعم، قال: سلّماه إلىّ و امضيا فى دعه اللّه.

فقال له الحسن إنّه أوصى إلينا أن لا نسلمه إلّا إلى أحد رجلين جبرئيل أو الخضر فمن أنت منهما؟ فكشف النقاب فاذا هو أمير المؤمنين، ثمّ قال: يا أبا محمّد إنّه لا يموت نفس إلّا و يشهدها(۱) فما يشهد جسده.

قال البرسى و روى عن الحسن بن على عليه السّلام أن أمير المؤمنين قال للحسن و الحسين: إذا وضعتمانى فى الضّريح فصلّيا ركعتين قبل أن تهيلا علىّ التّراب و انظرا ما يكون، فلما وضعاه فى الضّريح المقدس فعلا ما امرا به و إذا الضّريح مغطى بثوب من سندس فكشف الحسن ممّا يلى وجه أمير المؤمنين فوجد رسول اللّه و آدم و إبراهيم (صلوات اللّه عليهم) يتحدّثون مع أمير المؤمنين، و كشف الحسين مما يلى رجليه فوجد الزهراء و حواء و مريم و آسيه عليهن السّلام ينحن على أمير المؤمنين و يندبنه.

قال المجلسى: و لم أر هذين الخبرين إلاّ من طريق البرسى و لا أعتمد على ما يتفرّد بنقله و لا أردهما لورود الأخبار الكثيره الدّاله على ظهورهم بعد موتهم فى أجسادهم المثاليّه.

و فى البحار من ارشاد المفيد: كانت امامه أمير المؤمنين بعد النبىّ ثلاثين سنه منها أربع و عشرون سنه و أشهر ممنوعا من التّصرف فى أحكامها مستعملا للتقيّه و المداراه و منها خمس سنين و ستّه أشهر ممتحنا بجهاد المنافقين من النّاكثين و القاسطين و المارقين، و مضطهدا بفتن الضّالين.

كما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم ثلاثه عشر سنه من نبوّته ممنوعا من احكامها خائفا و محبوسا و هاربا و مطرود ألا يتمكّن من جهاد الكافرين و لا يستطيع دفعا عن المؤمنين، ثمّ هاجر و أقام بعد الهجره عشر سنين مجاهدا للمشركين ممتحنا بالمنافقين إلى أن قبضه

۱- (۱) أى يحضرها امير المؤمنين (عليه السلام) منه.

اللّه إليه و أسكنه جنات النّعيم.

و كان وفات أمير المؤمنين عليه السّلام قبيل الفجر من ليله الجمعه ليله إحدى و عشرين من شهر رمضان سنه أربعين من الهجره، قالت سوده بن «بنت ظ» عماره الهمدانيه و نعم ما قالت:

صلّى الاله على روح تضمّنها قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الخير لا يبغى به بدلا فصار بالحقّ و الايمان مقرونا

(۱) و من أمالى الصّدوق فى حديث فلمّا كان من الغدو أصبح الحسن قام خطيبا على المنبر فحمد اللّه و أثنا عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس فى هذه الليله نزل القرآن و فى هذه الليله رفع عيسى بن مريم و فى هذه الليله قتل يوشع بن نون و فى هذه الليله مات أبى أمير المؤمنين و اللّه لا يسبق أبى أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنّه، و لا من يكون بعده و إن كان رسول اللّه ليبعثه فى السّريه فيقاتل جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ما ترك صفراء و لا بيضاء إلّا سبعمائه درهم ليشترى بها خادما لأهله.

و من المناقب عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: إنّ السّماء و الأرض لتبكى على المؤمن إذا مات أربعين صباحا و إنّها لتبكى على العالم إذا مات أربعين شهرا و إنّ السّماء و الأرض ليبكيان على الرّسول أربعين سنه و إنّ السّماء و الأرض

ص:۱۶۵

۱- (۱) فى المناقب قال الحسن بن على (عليه السلام) اين من كان لعلم المصطفى فى الناس باباين من كان اذا ما قحط الناس سحاباين من كان اذا نودى فى الحرب أجاباين من كان دعاء مستجابا و مجابا فى المناقب ايضا قال انس بن مالك يسمع صوت هاتف من الجنّ يا من يؤمّ الى المدينه قاصداأدّ الرساله غير ما متوانقتلت شرار بنى اميه سيداخير البريه ما جدا ذا شأنربّ المفضل فى السماء و أرضهاسيف النبى و هادم الأوثانبكت المشاعر و المساجد بعد مابكت الأنام له بكلّ مكان

لیبکیان علیک یا علی إذا قتلت أربعین سنه.

قال ابن عباس: لقد قتل أمیر المؤمنین علی الأرض بالکوفه فامطرت السّماء ثلاثه أیّام دما.

أبو حمزه عن الصّادق علیه السّلام و قد روی أیضا عن سعید بن المسیب أنّه لمّا قبض أمیر المؤمنین علیه السّلام لم یرفع من وجه الأرض حجر إلّا وجد تحته دم عبیط.

أربعین الخطیب و تاریخ النّسوی أنّه سئل عن عبد الملک بن مروان الزّهری ما کانت علامه یوم قتل علیّ علیه السّلام قال: ما رفع حصاه من بیت المقدس إلاّـ کان تحتها دم عبیط، و لمّا ضرب فی المسجد سمع صوت(۱) للّه الحکم لاـ لک یا علی و لا لأصحابک، فلمّا توفّی سمع فی داره:

«أَ فَمَنْ یُلْقی فِی النّارِ خَیْرٌ أَمْ مَنْ یَأْتِی آمِناً یَوْمَ الْقِیامَهِ » الآیه.

ثمّ هتف آخر مات رسول اللّه و مات أبوکم.

و فی أخبار الطالبین أنّ الرّوم اسروا قوما من المسلمین فاتی بهم إلی الملک فعرض علیهم الکفر فأبوا فأمر بالقائهم فی الزّیت المغلی و اطلق منهم رجلا یخبر بحالهم، فبینما هو یسیر إذ سمع وقع حوافر الخیل فوقف فنظر إلی أصحابه الذین القوا فی الزّیت فقال لهم فی ذلک فقالوا قد کان ذلک فنادی مناد من السّماء فی الشّهداء البرّ و البحر إنّ علیّ بن أبی طالب قد استشهد فی هذه اللیله فصلّوا علیه فصلّینا علیه و نحن راجعون إلی مصارعنا.

تسلی هم و تسکین فؤاد فی أحوال قاتله و کیفیه قتله

ففی البحار من کتاب قصص الأنبیاء عن جابر، عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ عاقر ناقه صالح کان أزرق ابن بغیّ، و إنّ قاتل علیّ صلوات اللّه ابن بغیّ و کانت مراد تقول ما نعرف له فینا أبا و لا نسبا و إنّ قاتل الحسین بن علیّ صلوات اللّه ابن بغیّ، و لم

۱- (۱) هذا الصوت کان من ابن ملجم کما ورد فی بعض الروایات منه.

يقتل الأنبياء و لا أولاد الأنبياء إلّا أولاد البغايا.

و فيه أيضا فى ذيل الرّوايه السّالفه التى قدمناها فى كيفيه شهادته عليه السّلام عن لوط بن يحيى:

قال الرّاوى: ثمّ انّه لما رجع أولاد أمير المؤمنين و أصحابه إلى الكوفه و اجتمعوا لقتل اللعين عدوّ اللّه ابن ملجم فقال عبد اللّه بن جعفر: اقطعوا يديه و رجليه و لسانه و اقتلوه بعد ذلك، و قال محمّد بن الحنفيه: اجعلوه غرض النّشاب و احرقوه بالنّار، و قال آخر: اصلبوه حيّا حتّى يموت فقال الحسن: أنا ممتثل فيه ما أمرنى به أمير المؤمنين أضربه ضربه بالسّيف حتّى يموت فيها و احرقه بالنّار بعد ذلك.

قال الرّاوى: فأمر الحسن أن يأتوه، فجاءوا به مكتوفا حتّى ادخلوه الموضع الذى ضرب فيه الامام و النّاس يلعنونه و يوبّخونه و هو ساكت لا يتكلّم، فقال الحسن يا عدوّ اللّه قتلت أمير المؤمنين و إمام المسلمين و أعظمت الفساد فى الدّين.

فقال لهما: يا حسن و يا حسين ما تريدان أن تصنعا لى؟ قالا نريد أن نقتلك كما قتلت سيدنا و مولانا، فقال لهما اصنعا ما شئتما أن تصنعا و لا تعنّفا من استزلّه الشيطان فصدّه عن السّبيل، و لقد زجرت نفسى فلم تنزجر و نهيتها فلم تنته فدعها تذوق و بال أمرها و لها عذاب شديد ثمّ بكى.

فقال له: يا ويلك ما هذه الرّقه اين كانت حين وضعت قدمك و ركبت خطيئتك، فقال ابن ملجم:

«اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ ».

و لقد انقضى التّوبيخ و المعايره و إنّما قتلت أباك و حصلت بين يديك فاصنع ما شئت و خذ بحقك منّى كيف شئت ثمّ برك على ركبتيه و قال: يا بن رسول اللّه الحمد للّه اجرى قتلى على يديك، فرّق له الحسن لأنّ قلبه كان رحيما صلّى اللّه عليه، فقام الحسن فأخذ السّيف بيده و جرّده من غمده و ندّبه «و نزته خ ل» حتّى لاح الموت

فی حدّه ثمّ ضربه ضربه أراد بها عنقه فاشتدّ زحام النّاس علیه و علت أصواتهم فلم یتمکّن من فتح باعه فارتفع السّیف إلی باعه «رأسه» فأبراه فانقلب عدوّ اللّه علی قفاه یخور فی دمه.

فقام الحسین إلی أخیه و قال: یا أخی أ لیس الأب واحدا و الأم واحده ولی نصیب فی هذه الضّربه ولی حقّ فی قتله فدعنی أضربه ضربه أشفی بها بعض ما أجده، فناوله الحسن السّیف فأخذه و هزّه و ضربه علی الضّربه التی ضربها الحسن فبلغ إلی طرف أنفه و قطع جانبه الآخر و ابتدره النّاس بأسیافهم بعد ذلک فقطعوه اربا اربا، فعجل اللّه بروحه إلی النّار و بئس القرار ثمّ جمعوا جثته و أخرجوه من المسجد و جمعوا له حطبا و أحرقوه بالنّار.

و فی المناقب استوهبت أمّ الهیثم بنت الأسود النّخعیّه جیفته لتتولّی إحراقها فوهبها لها فأحرقتها بالنّار.

و قیل: طرحوه فی حفره و طمّوه بالتّراب فهو یعوی کعوی الکلاب فی حفرته إلی یوم القیامه.

و اقبلوا إلی قطام الملعونه و أخذوها فقطعوها بالسّیف اربا اربا و نهبوا دارها ثمّ أخذوها و أخرجوها إلی ظاهر الکوفه و أحرقوها بالنّار و عجل اللّه بروحها إلی النّار و غضب الجبار.

و أمّا الرّجلان اللذان تحالفا معه فأحدهما قتله معاویه بن أبی سفیان بالشّام و الآخر قتله عمرو بن العاص بمصر لا رضی اللّه عنهما.

و أمّا الرّجلان(۱) اللذان کانا مع ابن ملجم بالجامع یساعد انه علی قتل علیّ علیه السّلام فقتلا من لیلتهما لعنهما اللّه و حشرهما محشر المنافقین الظالمین فی جهنّم خالدین مع السّالفین.

و فی البحار من الخرائج مسندا عن عمرو بن أحمد بن محمّد بن عمرو، عن الحسن بن محمّد المعروف بابن الرّفا، قال: سمعته یقول: کنت بالمسجد الحرام فرأیت

۱- (۱) و هما شبیب بن بحیره و رجل من وکلاء عمرو بن العاص.

النّاس مجتمعين حول مقام إبراهيم فقلت ما هذا؟ قالوا: راهب أسلم فأشرفت عليه فاذا بشيخ كبير عليه جبّه صوف و قلنسوه صوف عظيم الخلقه و هو قاعد بحذاء مقام إبراهيم فسمعته يقول:

كنت قاعدا فى صومعه فأشرفت منها و إذا طاير كالنّسر قد سقط على صخره على شاطى البحر فتقيأ فرمى بربع إنسان، ثمّ طار فتفقّدته فعاد فتقيأ فرمى بربع انسان، ثمّ طار فجاء فتقيأ بربع انسان، ثمّ طار فجاء فتقيأ بربع إنسان ثمّ طار فدنت الأرباع فقام رجلا فهو قائم و أنا أتعجّب منه.

ثمّ انحدر الطير فضربه و أخذ ربعه فطار، ثمّ رجع فاخذ ربعه فطار، ثمّ رجع فأخذ ربعه فطار، ثمّ انحدر الطير فأخذ الرّبع الآخر فطار، فبقيت أتفكّر و تحسّرت ألاّ أكون لحقته و سألته من هو فبقيت أتفقد الصّخره حتّى رأيت الطير قد أقبل فتقيأ بربع انسان فنزلت فقمت بازائه، فلم أزل حتّى تقيأ بالرّبع الرّابع، ثمّ طارفا لتأم رجلا فقام قائما.

فدنوت منه فسألت فقلت: من أنت؟ فسكت عنّى فقلت بحقّ من خلقك من أنت؟ قال: أنا ابن ملجم، فقلت له و أىّ شىء عملت قال: قتلت علىّ بن أبى طالب فوكل بى هذا الطير يقتلنى كلّ يوم قتله فهو بينا يخبرنى إذا انقض الطائر فأخذ ربعه فطار فسألت عن علىّ عليه السّلام فقالوا: هو ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فأسلمت.

التذييل الثانى فى موضع قبره الشريف و الاشاره الى من بناه

فنقول إنّه كان فى بعض الأزمان بين المخالفين اختلاف فى موضع قبره صلوات اللّه عليه، فذهب جماعه منهم إلى إنّه دفن فى رحبه مسجد الكوفه و قيل: إنّه دفن فى قصر الاماره، و قيل: إنّه أخرجه الحسن معه إلى المدينه و دفنه بالبقيع و كان بعض جهله الشيعه يزورونه بمشهد فى الكرخ.

و قد اجتمعت الشيعه على أنّه مدفون بالغرى فى الموضع المعروف عند الخاص و العام، و هو عندهم من المتواترات رووه خلفا عن سلف إلى أئمه الدّين صلوات اللّه عليهم أجمعين و كان السّبب فى هذا الاختلاف إخفاء قبره خوفا من الخوارج

و المنافقين و كان لا يعرف ذلك إلّا خاص الخاص من الشّيعه إلى أن ورد الصادق عليه السّلام الحيره فى زمن السّفاح فأظهره لشيعته.

و من هذا اليوم يزوره كافّه الشّيعه فى هذا المكان، و لا حاجه لنا إلى ذكر ما ورد فى تعيين موضع القبر الشّريف من الأخبار المرويّه عن الأئمه الأطهار، و انّما الأنسب ذكر كيفيّه بناء المرقد الشّريف و القبّه المباركه زادها اللّه شرفا، فأقول: روى عن الصّادق عليه السّلام إذا ركب نوح فى السّفينه أتت إلى مكان البيت و طاف له اسبوعا، فأوحى اللّه إليه ان انزل عن السّفينه و اخرج عظام آدم و جسده و ادخله فى السّفينه، فنزل نوح و كان الماء إلى ركبته فاخرج تابوتا فيه جسد آدم فأوقعه فى السّفينه، و لمّا وصلت السّفينه إلى مسجد الكوفه فاستقرّ هناك فانزل نوح جسده من السّفينه فدفنه فى النّجف و جعل نوح لنفسه قبرا فى امامه و صيّر صندوقا لعلى يدفن فيه فى أمام صدره.

و فى كتاب رياض الجنّه تأليف بعض أصحابنا قدّس اللّه روحه: مشهد النّجف على ساكنه ألف تحيّه و تحف واقع على طرف القبله من الكوفه بنصف فرسخ.

و أوّل من بنا القبر الشّريف هارون العبّاسى على ما ستطلع عليه، ثمّ بعد مأئه و ثمانين سنه و نيّفا بنا عضد الدّوله الديلمى القبّه الشّريفه، ثمّ زاد الملوك على ذلك يوما فيوما إلى أن صار بلده صغيره جاور النّاس فيها.

و لمّا وصل دوره السّلطنه إلى السّلطان نادر أمر بتذهيب القبّه المباركه و بناء الأيوان و المنارتين و تذهيبها و صرف على ذلك خمسين ألف تومان نادرىّ و صرفت زوجته گوهرشاد امّ ابنيه امام قلى ميرزا و نصر اللّه ميرزا مأئه ألف ربعيّه على تعمير الصّحن المقدّس و بناء جدرانه بالكاشىّ و صرفت امّ سلطان و ساير زوجاته عشرين ألف تومان نادرى على بناء المسجد الواقع فى ظهر الرّأس الشّريف و أرسلن إلى الرّوضات المطهّره عشرين حمل بعير من الفرش و البساط، و كان الفراغ من جميع ذلك فى سنه سبع و خمسين و مأئه بعد الألف، و قيل فى تاريخ تمام المناره الشّماليّه.

ص:۱۷۰

«تعالى شانه الله أكبر» و فى تمام المناره الجنوبيّه.

«تكرر اربعا الله اكبر» أراد أربعه اللّه أكبر ثمّ لمّا صار نوبه السلطنه إلى السّلطان على مراد خان زند فى سنه سبع و تسعين و مأئه و ألف بعث جمعا من حذقه المهندسين بواحد من ثقاته إلى تعمير ما خرب من جدران البقعه الشّريفه و تجديد كواشى الجدران و الطاقات و تنقيه بئر الصّحن المقدّس و ساير آبار المشهد و اصلاح مجرى مياهها و أهدى إلى المشاهد المشرفه و لا سيّما مشهد أمير المؤمنين بالفرش النّفيسه و القناديل المرصّعه بالدّرر و الجواهر و أعطى الخدّام و المجاورين هناك عطايا عظيمه و صلات جزيله.

ثمّ أمر بصنعه صندوق من الخاتم يوضع فوق القبر الشريف و توفّى قبل تمامه ثمّ اشتغل به حذقه الصّانعين بأمر جعفر خان، و توفّى و لم يتمّ، و أتمّه لطفعلى خان ابن جعفر خان و كان مدّه الاشتغال بصنعته ستّ سنين.

ثمّ بنا الضريح المقدّس المفضّض السّلطان آقا محمّد خان قدّس اللّه روحه، و كان آصف الدّوله الهندى أراد أن يجرى نهرا إلى المشهد من الفرات من جنب جسر المسيّب على أربعه و عشرين فرسخا فلم يتيسّر.

ثمّ عزم الحاج محمّد علىّ البغدادى إلى نهر من سمت ذى الكفل و صرف مصارف كثيره عليه و لم يمكن.

أقول: و للّه الحمد و المنّه فقد جرى النّهر فى زمان اشتغالنا بالتحصيل فى المشهد بسعى السّيد الفاضل الجليل العالم العلامه الزّاهد الورع الحاج سيّد أسد اللّه الاصفهانى قدّس اللّه سرّه و نوّر ضريحه من تحت الأرض منتهيا إلى البحر، و أرّخ بعضهم جريان الماء بقوله: جاء ماء الغرى شكر اللّه مساعى المتصدّين لبناء المشاهد المشرفه و السّاعين فى تعمير البقاع المتبرّكه و حشرهم مع مواليهم الطاهرين.

و عن سيّد السّند نعمه اللّه الجزائرى فى مقامات النّجاه أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام مدفون بالغرى و يقال له الغريان أيضا و هما قبرا مالك و عقيل نديمى حذيمه الأبرش

ص:١٧١

سمّبا غريين لأنّ النّعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج فى يوم بأسه(۱).

و قيل: كان ينادم النّعمان رجلان من العرب خالد بن مفضل و عمرو بن مسعود الأسديّان، فشرب معهما ليله فرجفاه الكلام فغضب و أمر بأن يجعلا فى تابوتين و يدفنا بظهر الكوفه، فلمّا أصبح سأل عنهما فأخبره بصنيعه فندم و ركب حتّى وقف عليهما و أمر ببناء الغريّين و جعل لنفسه كلّ سنه يوم نعم و يوم بؤس و كان يضع سريره بينهما.

فاذا كان يوم نعمه فأوّل من يطلع عليه يؤتيه مأئه من الابل، و إذا كان يوم بؤسه فأوّل من يطلع يؤتيه رأس طربال و هى دويبه منتنه الرّيح و أمر بقتله فقتل و يغرى به الغرّيان و بقى هذا حاله إلى وقوع قضيّه الطائى و شريك نديم النّعمان، و قد مضى ذكر تلك القضيّه منّا فى شرح الخطبه الحاديه و الأربعين فتذكّر

التذييل الثالث فى ذكر نبذ من المعجزات الظاهره منه و من قبره الشريف

بعد وفاته

فمن هذه ما عن ارشاد الديلمى عند الاستدلال على كونه مدفونا بالغرى قال:

و الدليل الواضح و البرهان اللايح على ذلك من وجوه.

الأوّل تواتر أخبار الأئمه يرويه خلف عن سلف.

الثّانى اجماع الشّيعه و الاجماع حجّه.

الثّالث ما حصل عنده من الاسرار و الآيات و ظهور المعجزات كقيام الزّمن و ردّ بصر الأعمى و غيرها.

فمنها ما روى عن عبد اللّه بن حازم قال خرجنا يوما مع الرّشيد من الكوفه فصرنا إلى ناحيه الغريين فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصّقور و الكلاب فجادلتها ساعه ثمّ لجأت الظباء إلى اكمه(۲) فراجعت الصّقور و الكلاب عنها، فتعجب الرّشيد من

۱- (۱) و تسميه المشهد بالغرى من باب مجاز المجاوره لوقوعه قرب الغرى، منه.

۲- (۲) الاكمه كقصبه التلّ الصغير.

ذلـک، ثمّ إنّ الظبـاء هبطت من الأـکمه فسـقطت الطیور و الکلاب عنها فرجعت الظباء إلی الأکمه فتراجعت الصّـقور و الکلاب عنها مرّه ثانیه، ثمّ فعلت ذلک مرّه اخری.

فقـال الرّشـید: ارکضوا إلی الکوفه فـأتونی بأکبرهـا سـنّا، فـاتی بشـیخ من بنی أسـد فقال الرّشـید: أخبرنی ما هـذه الاکمه؟ فقال: حدّثنی أبی عن آبائه أنّهم کانوا یقولون: إنّ هذه الاکمه قبر علیّ بن أبی طالب جعله اللّه تعالی حرما لا یأوی إلیه شیء إلّا أمن.

فنزل هارون و دعا بماء و توضّأ و صـلّی عنـد الأکمه و جعل یـدعو و یبکی و یتمرّغ علیها یوجهه و أمر أن یبنی قبه بأربعه أبواب فبنی، و بقی إلی أیّـام السّـلطان عضـد الـدّوله فجـاء فأقـام فی ذلـک الطریق قریبـا من سـنه هو و عسـکره فبعث فـاتی بالصّـناع و الاستادیه من الأطراف و خرب تلک العماره و صرف أموالا کثیره جزیله و عمر عماره جلیله حسنه و هی العماره التی کانت قبل عماره الیوم.

و منها ما حکی عن جماعه خرجوا بلیل مختفین إلی الغری لزیاره أمیر المؤمنین علیه السّلام قالوا: فلمّا وصلنا إلی القبر الشّریف و کان یومئـذ قبرا حوله حجاره و لا بناء عنده، و ذلک بعد أن أظهره الرّشـید و قبل أن یعمره، فبینا نحن عنده بعضـنا یقرأ و بعضـنا یصـلّی و بعضـنا یزور و إذا نحن بأسـد مقبـل نحونا، فلمّا قرب منّا قـدر رمـح قال بعضـنا لبعض: ابعـدوا عن القبر لننظر ما یصـنع، فتباعدنا عن القبر الشریف فجاء الأسد و جعل یمرغ ذراعیه علی القبر، فمضی رجل منّا فشاهده فعاد فأعلمنا فزال الرّعب عنّا فجئنا بأجمعنـا فشاهـدناه یمرغ ذراعیه علی القبر و فیه جراح فلم یزل یمرّغه ساعه، ثمّ نزح عن القبر فمضـی، فعـدنا إلی ما کنّا علیه من الزّیاره و الصّلاه و القرآن.

و عن مزار البحـار قـال: و قـد شـاع فی زماننـا من شـفاء المرضـی و معافاه أصـحاب البلوی و صـحه العمیان و الزّمن أکثر من أن یحصی.

و لقد أخبرنی جماعه کثیره من الثّقات أنّ عند محاصره الرّوم لعنهم اللّه المشهد

الشّريف فى سنه أربع و ثلاثين و ألف من الهجره تحصّن أهله بالبلد و إغلاق الأبواب عليهم و التعرّض لدفعهم مع قلّه عددهم و عدّتهم و كثره المحاصرين لهم و قوّتهم و شوكتهم، و جلسوا زمانا طويلا ـ و لم يظفروا بهم و كانوا يرمون بالبنادق الصّغار و الكبار عليهم شبه الأمطار و لم يقع على أحد منهم، و كانت الصّبيان فى السّكك ينتظرون وقوعها ليلعبوا بها حتّى أنّهم يروون أنّ يروون أنّ بندقا كبيرا دخل فى كمّ جاريه رفعت يدها لحاجه على بعض السّطوح و سقط من ذيلها و لم يصبها و يروى عن بعض الصّلحاء الأفاضل من أهل المشهد أنّه رأى فى تلك الأيام أمير المؤمنين عليه السّلام فى المنام و فى يده سواد فسأله عن ذلك فقال: لكثره دفع الرّصاص عنكم، و الغرايب التى ينقلونها فى تلك الواقعه كثيره.

فأما التى اشتهرت بين أهل المشهد بحيث لا ينكره أحد منهم.

فمنها قصّه الدّهن و هو أنّ خازن الرّوضه المقدّسه المولى الصّالح البارع التّقى مولانا محمود قدس اللّه روحه كان هو المتوجّه لاصلاح العسكر الذى كانوا فى البلد، و كانوا محتاجين إلى مشاعل كثيره لمحافظه أطراف الحصار فلمّا ضاق الأمر و لم يبق فى السّوق و لا فى البيوت شيء من الدّهن أعطاهم من الحياض التى كانوا يصبّون فيها الدّهن لا سراج الرّوضه و حواليها، فبعد إتمام جميع ما فى الحياض و يأسهم من حصوله من مكان آخر رجعوا إليها فوجدوها مترعه من الدّهن فأخذوا منها و كفاهم إلى انقضاء و طرهم.

و منها أنّهم كانوا يرون فى الليالى فى رءوس الجدران و أطراف العمارات و المنارات نورا ساطعا بيّنا حتّى أنّ النّاس إذا كان يرفع يده إلى السّماء كان يرى أنامله كالشّموع المشتعله.

و لقد سمعت من بعض أشارف الثّقات من غير أهل المشهد أنّه قال: كنت ذات ليله نائما فى بعض سطوح المشهد الشّريف فانتبهت فرأيت النّور ساطعا من الرّوضه المقدّسه و من أطراف جميع جدران البلد فعجبت من ذلك و مسحت يدى على عينى فنظرت فرأيت مثل ذلك فأيقظت رجلا كان نائما بجنبى فأخبرنى

بمثل ما رأیت و بقی هکذا زمانا طویلا ثمّ ارتفع.

و سمعت أیضا من بعض الثّقات قال: کنت نائما فی بعض اللیالی علی بعض سطوح البلد الشّریف فانتبهت فرأیت کوکبا نزل من السّماء بحذاء القبّه السّامیه حتّی وصل إلیها و طاف حولها مرارا بحیث أراه یغیب من جانب و یطلع من آخر ثمّ صعد إلی السّماء.

و من الامور المشهوره التی وقعت قریبا من زماننا أنّ جماعه من صلحاء أهل البحرین أتوا لزیاره الحسین علیه السّلام لادراک بعض الزیارات المخصوصه فأبطأوا و لم یصلوا إلیه و وصلوا ذلک الیوم إلی الغری و کان یوم مطر و طین و کان مولانا محمود أغلق أبواب الرّوضه و قالوا قد حرمنا من زیاره ولدک فلا تحرمنا زیارتک فانّا من شیعتک و قد أتیناک من شقّه بعیده، فبیناهم فی ذلک إذ سقطت الاقفال و فتحت الأبواب و دخلوا و زاروا.

و هذا مشهور بین أهل المشهد و بین أهل البحرین غایه الاشتهار.

و منها ما تواترت به الأخبار و نظموها فی الأشعار و شاع فی جمیع الاصقاع و الأقطار و اشتهر اشتهار الشّمس فی رابعه النّهار و کان بالقرب من تاریخ الکتابه سنه اثنین و سبعین بعد الألف من الهجره، و کان کیفیّه تلک الواقعه علی ما سمعته من الثقّات أنّه.

کان فی المشهد الغروی عجوز تسمّی بمریم، و کانت معروفه بالعباده و التقوی فمرضت مرضا شدیدا و امتدّ بها حتّی صارت مقهوره مزمنه و بقیت کذلک قریبا من سنتین بحیث اشتهر أمرها و کونها مزمنه فی الغری.

ثمّ إنّها لتسع لیال خلون من رجب تضرّعت لدفع ضرّها إلی اللّه تعالی و استشفت بمولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام و شکت إلیه فی ذلک و نامت، فرأت فی منامها ثلاث نسوه دخلن إلیها واحدهنّ کالقمر لیله البدر نورا و صفاء و قلن لها لا تخافی و لا تحزنی فانّ فرجک فی اللیله الثّانی عشر من الشّهر المبارک.

فانتبهت فرحا و قصّت رؤیاها علی من حضرها و کانت منتظره لیله ثانی عشر

رجب فمرّت بها و لم تر شيئا، ثمّ ترقّبت ليله ثانى عشر شعبان فلم تر شيئا ايضا، فلما كانت ليله تاسع شهر رمضان رأت فى منامها تلك النسوه بأعيانهنّ و هنّ يبشّرنها، فقلن لها إذا كانت ليله الثّانى عشر من هذا الشّهر فامض إلى روضه أمير المؤمنين و ارسلى إلى فلانه و فلانه و سمين نسوه معروفات و باقيات إلى حين هذا التحرير و اذهبى بهنّ معك إليها.

فلما أصبحت قصّت رؤياها و بقيت مسروره مستبشره بذلك إلى أن دخلت تلك الليله فأمرت بغسل ثيابها و تطهير جسدها و أرسلت إلى تلك النّسوه و دعتهن فأجبن و ذهبن بها محموله لأنّها كانت لا تقدر على المشى.

فلما مضى قريب من ربع الليل خرجت واحده و اعتذرت منها و بقيت معها اثنتان و انصرف عنهنّ جميع من حضر الروضه المقدّسه و غلقت الأبواب و لم يبق فى الرّواق غير هنّ فلما كان وقت السّحر و أرادت صاحبتاها أكل السّحور أو شرب التتن فاستحيا من الضّريح المقدّس فتركتاها عند الشّباك المقابل للضريح المقدس فى جانب القبله و ذهبتا إلى الباب الذى فى جانب خلفه يفتح إلى الصّحن و خلفه الشّباك، فدخلتا هناك و أغلقتا الباب لحاجتهما.

فلما رجعتا إليها بعد قضاء و طرهما لم تجداها فى الموضع الذى تركتاها ملقاه فيه، فتحيّرتا فمضتا يمينا و شمالا فاذا بها تمشى فى نهايه الصّحه و الاعتدال.

فسألتاها عن حالها و ما جرى عليها فأخبرتهما أنّكما لمّا انصرفتما عنّى رأيت تلك النسوه اللاّتى رأيتهن فى المنام أقبلن و حملننى و أدخلننى داخل القّبه المنوره و أنا لا أعلم كيف دخلت و من اين دخلت.

فلما قربت من الضّريح المقدّس سمعت صوتا من القبر يقول: حرّكن المرأه الصّالحه و طفن بها ثلاث مرّات فطفن بى ثلاث مرّات حول القبر، ثمّ سمعت صوتا آخر اخرجن المرأه الصّالحه من باب الفرج فأخرجننى من الباب الغربى الذى يكون خلف من يصلّى بين البابين بحذاء الرّأس و خلف الباب شباك يمنع الاستطراق و لم يكن الباب معروفا

ص:۱۷۶

قبل ذلک بهذا الاسم.

قالت فالآن مضين عنّی و جثتمانی و أنا لا أرا بی شیئا ممّا کان من المرض و الالم و الضّعف و أنا فی غایه الصّحه و القوّه، فلما کان آخر اللیل جاء خازن الحضره الشّریفه و فتح الابواب فرآهنّ یمشین بحیث لا یتمیّز واحده منهنّ.

و انّی سمعت من المولی الصّالح التّقی مولینا محمّد طاهر الذی بیده مفاتیح الرّوضه المقدّسه و من جماعه کثیره من الصّلحاء الذین کانوا حاضرین فی تلک اللیله فی الحضره الشّریفه أنّهم رأوها فی أوّل اللیله محموله عند دخولها و فی آخر اللیل سائره أحسن ما یکون عند خروجها.

و فی المجلد التّاسع من البحار من بعض مؤلفات أصحابنا عن زید النّساج قال: کان لی جار و هو شیخ کبیر علیه آثار النّسک و الصّلاح، و کان یدخل إلی بیته و یعتزل عن النّاس و لا یخرج إلّا یوم الجمعه.

قال زید النسّاج: فمضیت یوم الجمعه إلی زیاره زین العابدین علیه السّلام فدخلت إلی مشهده فاذا أنا بالشّیخ الذی هو جاری قد اخذ من البئر ماء یرید أن یغتسل غسل الجمعه و الزّیاره.

فلما نزع ثیابه و اذا فی ظهره ضربه عظیمه فتحها أکثر من شبر و هی تسیل قیحا و مده، فاشمئز قلبی منها فحانت منه التفاته فرآنی فخجل فقال أنت زید النساج؟ فقلت: نعم، فقال لی: یا بنی عاونی علی غسلی فقلت لا و اللّه لا اعاونک حتّی تخبرنی بقصّه هذه الضّربه التی بین کتفیک و من کف من خرجت و أیّ شیء کان سببها.

فقال: یا زید اخبرک بها بشرط أن لا تحدّث بها أحدا من النّاس إلّا بعد موتی فقلت:

لک ذلک، فقال: عاونی علی غسلی فاذا لبست أطماری حدّثتک بقصّتی، قال زید فساعدته فاغتسل و لبس ثیابه و جلس فی الشّمس و جلست إلی جانبه و قلت له حدّثنی یرحمک اللّه فقال لی: اعلم أنّا کنّا عشره أنفس قد تواخینا علی الباطل و توافقنا علی قطع الطریق و ارتکاب الآثام، و کانت بیننا نوبه ندیرها فی کلّ لیله علی واحد منا لیصنع لنا طعاما نفیسا و خمرا عتیقا و غیر ذلک.

فلما کانت اللیله التاسعه و کنّا قد تعشینا عند واحد من أصحابنا و شربنا

الخمر ثمّ تفرّقنا و جئت إلي منزلي و نمت، أيقظتني زوجتي و قالت لي إنّ الليله الآتيه نوبتها عليك و لا عندنا في البيت حبّه من الحنطه.

قال فانتبهت و قد طار السّكر من رأسي و قلت كيف أعمل و ما الحيله والي أين أتوجّه؟ فقالت لي زوجتي: الليله ليله الجمعه و لا يخلو مشهد مولينا عليّ بن أبي طالب من زوّار يأتون إليه يزورونه فقم و امض و اكمن علي الطريق فلا بدّ أن تري أحدا فتأخذ ثيابه فتبيعها و تشتري شيئا من الطعام لتتم مروّتک عند أصحابک و تكافيهم علي ضيفهم.

قال: فقمت و أخذت سيفي و حجفتي و مضيت مبادرا و كمنت في الخندق الذي في ظهر الكوفه، و كانت ليله مظلمه ذات رعد و برق فأبرقت برقه فاذا أنا بشخصين مقبلين من ناحيه الكوفه، فلما قربا منّي برقت برقه اخري فاذا هما امرئتان، فقلت في نفسي في مثل هذه السّاعه أتاني امرئتان ففرحت و وثبت إليهما و قلت لهما انزعا الحليّ الذي عليكما سريعا فطرحا.

فأبرقت السّماء برقه اخري فاذا إحداهما عجوز و الاخري شابه من أحسن النساء وجها كأنّها ظبيه قنّاص(۱) أو درّه غواص، فوسوس لي الشّيطان علي أن أفعل بها القبيح، فقلت في نفسي مثل هذه الشّابه التي لا يوجد مثلها حصلت عندي في هذا الموضع و اخلّيها، فراودتها عن نفسها.

فقالت العجوز: يا هذا أنت في حلّ مما أخذته منّا من الثياب و الحليّ فخلّنا نمضي إلي أهلنا فو اللّه إنّها بنت يتيمه من امّها و أبيها و أنا خالتها و في هذه الليله القابله تزفّ إلي بعلها و أنّها قالت لي: يا خاله إنّ الليله القابله أزفّ إلي ابن عمّي و أنا و اللّه راغبه في زياره سيّدي عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و إني إذا مضيت عند بعلي ربّما لا يأذن لي بزيارته فلما كانت هذه اللّيله الجمعه خرجت بها لأزوّرها مولاها و سيدها أمير المؤمنين فباللّه عليك لا تهتک سترها و لا تفص ختمها و لا تفضحها بين قومها.

فقلت لها: إليک عنّي و ضربتها و جعلت أدور حول الصّبيه و هي تلوذ بالعجوز

ص:۱۷۸

۱- (۱) القناص الصياد.

و هی عربانه ما علیها غیر السّروال و هی فی تلک الحال تعقد تکّتها و توثقها عقدا فدفعت العجوز عن الجاریه و صرعتها إلی الأرض و جلست علی صدرها و مسکت یدیها بید واحده و جعلت أحلّ عقد التّکه بالید الاخری و هی تضطرب تحتی کالسمکه فی ید الصّیاد و هی تقول: المستغاث بک یا اللّه المستغاث بک یا علیّ بن أبی طالب خلّصنی من ید هذا الظالم.

قال: فو اللّه ما استتمّ کلامها إلاّ و حسّ حافر فرس خلفی، فقلت فی نفسی هذا فارس واحد و أنا أقوی منه و کانت لی قوّه زایده و کنت لا أهاب الرّجال قلیلا أو کثیرا، فلما دنا منّی فاذا علیها ثیاب بیض و تحته فرس أشهب تفوح منه رایحه المسک فقال لی: یا ویلک خلّ المرأه فقلت له: اذهب لشأنک فأنت نجوت بنفسک ترید تنجی غیرک؟ قال: فغضب من قولی و نقفنی(۱) بذبال(۲) سیفه بشیء قلیل فوقعت مغشیا علیّ لا- أدری أنا فی الأرض أو فی غیرها و انعقد لسانی و ذهبت قوّتی لکنّی أسمع الصوت و أعی الکلام.

فقال لهما قوما البسا ثیابکما، فقالت العجوز: فمن أنت یرحمک اللّه و قد منّ اللّه علینا بک و إنّی ارید منک أن توصلنا إلی زیاره سیدنا و مولینا علیّ بن أبی طالب قال فتبسم فی وجوههما و قال لهما: أنا علیّ بن أبی طالب ارجعا إلی أهلکما فقد قبلت زیارتکما.

قال: فقامت العجوز و الصّبیه و قبلا یدیه و رجلیه و انصرفا فی سرور و عافیه قال الرّجل: فأفقت من غشوتی و انطلق لسانی فقلت له: یا سیدی أنا تائب إلی اللّه علی یدک و انی لا عدت ادخل فی معصیه أبدا، فقال: إن تبت تاب اللّه علیک، فقلت له: تبت و اللّه علی ما أقول شهید.

۱- (۱) النقف الضرب بالرمح و العصا و نحوهما، منه.

۲- (۲) لعلّ المراد بذبال السیف الموضع الذابل ای الدقیق منه و هو راسه و فی بعض النسخ بالمثناه و هو ایضا کنایه عن راسه.

ثمّ قلت له: يا سيدى تركتنى و فى هذه الضّربه هلكت بلا شكّ، قال: فرجع إلىّ و أخذ بيده قبضه من تراب ثمّ وضعها على الضّربه و مسح بيده الشّريفه عليها فالتحمت بقدره اللّه تعالى.

قال زيد النساج: فقلت: كيف التحمت و هذه حالتها فقال لى: إنّها و اللّه كانت ضربه مهوله أعظم ممّا تراها الآن و لكنّها بقيت موعظه لمن يسمع و يرى.

و من فرحه الغرى معنعنا عن علىّ بن الحسن بن الحجاج من حفظه، قال: كنا جلوسا فى مجلس ابن عمّى أبى عبد اللّه محمّد بن عمر بن الحجاج و فيه جماعه من أهل الكوفه من المشايخ و فيمن حضر العباس بن أحمد العباسى و كانوا قد حضروا عند ابن عمّى يهنونه بالسّلامه، لأنّه حضر وقت سقوط سقيفه سيدى أبى عبد اللّه الحسين عليه السّلام فى ذى الحجه من سنه ثلاث و سبعين و مأتين.

فبينا هم قعود يتحدّثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العباسى، فلما نظرت الجماعه إليه أحجمت عمّا كانت فيه و أطال إسماعيل الجلوس، فلما نظر إليهم قال لهم: يا أصحابنا أعزّكم اللّه لعلّى قطعت حديثكم بمجيئى.

قال أبو الحسن علىّ بن يحيى السليمانى و كان شيخ الجماعه و مقدّما فيهم:

لا و اللّه يا با عبد اللّه أعزك اللّه ما أمسكنا بحال من الأحوال، فقال لهم: يا أصحابنا اعلموا أنّ اللّه عزّ و جلّ مسائلى عمّا أقول لكم و ما أعتقده من المذهب حتّى حلف بعتق جواريه و مماليكه و حبس دوابه أنّه لا يعتقد إلاّ ولايه علىّ بن أبى طالب و السّاده من الأئمه عليهم السّلام و عدّهم واحدا واحدا و ساق الحديث، فأبسط إليه أصحابنا و سألوهم و سألوه.

ثمّ قال لهم: رجعنا يوم جمعه من الصّلاه من المسجد الجامع مع عمّى داود فلما كان قبل منازلنا و قبل منزله و فدخلا الطريق قال لنا أينما كنتم قبل أن تغرب الشّمس فصيروا إلىّ و لا يكون أحد منكم على حال فيتخلف لأنّه كان جمره بنى هاشم.

فصرنا إليه آخر النّهار و هو جالس ينتظرنا، فقال صيحوا بفلان و فلان من

الفعله فجاء رجلان معهما آلتهما و التفت إلينا فقال: اجتمعوا كلكم فاركبوا فى وقتكم هذا و خذوا معكم الجمل غلاما كان له أسود يعرف بالجمل، و كان لو حمل هذا الغلام على سكر دجله لسكرها من شدّته و بأسه، و امضوا إلى هذا القبر الذى قد افتتن به النّاس و يقولون إنّه قبر علىّ حتّى تنبشوه و تجيبونى بأقصى ما فيه.

فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم و ما امر به، فحفر الحفارون و هم يقولون:

لا حول و لا قوه إلّا باللّه فى أنفسهم و نحن فى ناحيه حتّى نزلوا خمسه أذرع، فلما بلغوا إلى الصّلابه قال الحفارون: قد بلغنا إلى موضع صلب و ليس نقوى بنقره، فانزلوا الحبشى فأخذ المنقار فضرب ضربه سمعنا لها طنينا شديدا فى البرّ، ثمّ ضرب ثانيه فسمعنا طنينا أشدّ من ذلك، ثمّ ضرب الثالثه فسمعنا أشدّ ممّا تقدّم.

ثمّ صاح الغلام صيحه فقمنا فأشرفنا عليه و قلنا للذين كانوا معه: اسألوه ما باله فلم يجبهم، و هو يستغيث فشدّوه و اخرجوه بالحبل فاذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرفقه دم هو يستغيث لا يكلّمنا و لا يحير جوابا، فحملناه على البغل و رجعنا طائرين.

و لم يزل لحم الغلام بنثر من عضده و جنبيه و ساير شقّه الأيمن حتّى انتهينا إلى عمّى فقال: ايش و رائكم؟ فقلنا: ما ترى و حدّثناه بالصّوره.

فالتفت إلى القبله و تاب ممّا هو عليه و رجع عن المذهب و تولى و تبرّى و ركب بعد ذلك فى الليل على مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقا و لم يخبره بشىء ممّا جرى، و وجّه من طمّ الموضع و عمر الصّندوق عليه و مات الغلام الأسود من وقته.

و قال أبو الحسن الحجاج رأينا هذا الصّندوق الذى هذا حديثه لطيفا.

أقول: و ما ظهر منه عليه السّلام من هذا القبيل فوق حد الاحصاء و لا حاجه إلى الاطاله، فسبحان من آثر أولياءه بالكرامات الظاهره و المعجزات القاهره، و خصّهم بالمناقب السّنيه و المآثر الرّفيعه.

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ »

و لشيخنا البهائى قدس اللّه روحه فى مدح حرم الغرى سلام اللّه على مشرّفه:

فى ذا الحرم الأقدس بيت معمور فى خدمته ملائک العرش حضور

فيه القبس الذى ابن عمران رأى فيه النّور الذى تجلّى للطور

و قال أيضا:

هذا الحرم الأقدس قد لاح لديک فاسجد متخشعا و عفّر خدّيک

ذا طور سنين فاغضض الطرف به هذا حرم العزّه فاخلع نعليک

و قال أيضا:

هذا النباء العظيم ما فيه خلاف هذا لملايک السّماوات مطاف

هذا حرم اللّه لمن حجّ و طاف من حلّ به فهو من النار معاف

الترجمه

و فرمود آن حضرت در سحر آن روزى كه ضربت يافت در او: مالک شد مرا چشم من يعنى غلبه نمود خواب بر من در حالتى كه من نشسته بودم، پس ظاهر شد بمن رسول خدا صلّى اللّه عليه و اله و سلّم پس گفتم يا رسول اللّه چيست اينها كه رسيدم از امت تو از كجى و دشمنى؟ پس حضرت رسالت فرمود كه اى على دعاى بد كن برايشان، پس گفتم كه بدل گرداند و عوض دهد مرا خداى تعالى بايشان بهترى از براى من از ايشان يعنى بجاى ايشان جماعتى بهتر بمن كرامت فرمايد، و بدل گرداند و عوض دهد ايشان را بمن بدتر كسى از براى ايشان بجاى من تا اين كه ايشان را بجزا و سزاى عملهاى بدشان برساند.

و من كلام له عليه السلام فى ذم اهل العراق

اشاره

و هو السبعون من المختار فى باب الخطب

و الظاهر أنّها ملتقطه من خطبه طويله قدّمنا روايتها عن الاحتجاج و الارشاد فى شرح الخطبه التاسعه و العشرين فليراجع هناک:

ص:۱۸۲

أمّا بعد يا أهل العراق فإنّما أنتم كالمرأه الحامل حملت فلمّا أتمّت أملصت و مات قيّمها، و طال تأيّمها، و ورثها أبعدها، أما و اللّه ما أتيتكم اختيارا، و لكن جئت إليكم سوقا، و لقد بلغنى أنّكم تقولون علىّ يكذب، قاتلكم اللّه، فعلى من أكذب؟ أعلى اللّه؟ فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه، كلّا و اللّه، و لكنّها لهجه غبتم عنها، و لم تكونوا من أهلها، ويل أمّه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء، «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ».

اللغه

(املصت) الحامل ألقت ولدها ميّتا و المملاص معتادته و (قيّم) المرأه زوجها لأنه يقوم بأمرها و (تايّم) المرأه خلوّها من الزّوج، و الأيم فى الأصل التى لا زوج لها قال سبحانه:

«وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى مِنْكُمْ ».

و (السّوق) الاضطرار و فى بعض النّسخ و لا جئت اليكم شوقا بالشّين المعجمه و(اللّهجه)بسكون الهاء و فتحها اللسان و يكنّى بها عن الكلام.

قال الفيروز آبادى: (الويل) حلول الشّر و بهاء الفضيحه، أو هو تفجيع يقال:

ويله و ويلك و ويلى و فى النّدبه يقال ويلاه، و ويل كلمه عذاب و واد فى جهنّم أو بئر أو باب لها و رجل ويلمه بكسر اللّام و ضمّها واه و يقال للمستجار ويلمّه أى ويل لامّه كقولهم لا- أب له، فركبوه و جعلوه كالشّىء الواحد ثمّ ألحقوه الهاء مبالغه كداهيه.

الاعراب

قال الجوهرى: تقول ويل لزيد و ويلا لزيد، فالنّصب على اضمار الفعل و الرفع

ص:۱۸۳

على الابتداء هذا إذا لم تضفه فاذا أضفت فليس إلّا النّصب لأنّك لو رفعته لم يكن له خبر.

و قال نجم الأئمه الرّضىّ فى باب حذف عامل المفعول المطلق من شرح الكافيه: و منها أى من جمله ما يحذف عامله أسماء الأصوات قامت مقام المصادر كاها منك أى توجّعا، و واها لك أى طيبا، و افالك أى كراهه، إلى أن قال: و الأصوات القائمه مقام المصادر يجوز اعرابها نصبا إلّا أن تكون على حرفين ثانيهما حرف مدّ نحووى لزيد، و ذلك نحواها و ويها، و يجوز إبقائها على البناء الأصلى نحو افّ لكما و أوه من اخوانى وآه من ذنوبى.

و الظاهر أنّ و يلك و ويحك و وليك و و يبك من هذا الباب و أصل كلهاوى على ما قال الفراء جىء بلام الجرّ بعدها مفتوحه مع المضمر نحووى لك ووى له ثمّ خلط اللّام بوى حتّى صارت لام الكلمه كما خلطوا اللّام بيافى قوله:

فخير نحن عند النّاس منكم إذ الدّاعى المثوب قال يالا

فصار معربا باتمامه ثلاثيا فجاز أن يدخل بعدها لام اخرى نحو ويل لك لصيروره الاولى لام الكلمه ثمّ نقل الى باب المبتدأ فقيل ويل لك كما فى سلام عليك.

أقول: و تحقيق الكلام أنّك إذا قلت ويل لزيد فيجوز الرّفع على الابتداء و النّصب على المفعوليه أى حلّ الشّر به حلولا أو عذّب اللّه عذابا أو هلكا له، و جوّز جرّه فى القاموس و لا أرى له وجها.

و إذا قلت: ويل زيد فيجوز الضّم على الابتداء و حذف الخبر أى عذابه أو هلاكه مطلوب، و الكسر على أنّ اصله وى لزيد فكلمه وى بمعنى الحزن و الخسران اتصلت لام الجرّ بها لكثره الاستعمال فقيل ويل زيد، و الفتح على أنّها بعد الاتّصال بلام الجرّ حسبما قلناه خفّفوا اللّام بالفتح.

و أمّا قولهم رجل و يلمه بكسر اللّام و ضمّه فأرادوا به أنّه واه يستعملونه فى مقام التّعجب من دهاء الرّجل و ذكائه، و أصله ويل لامّه فركب الكلمتان بعد التّخفيف بحذف اللّام و اسقاط الهمزه فصار و يلمه.

قال فى الاقيانوس: وى فيها كلمه مفرده معناها التّعجب كانّه يتعجّب من

امّه أنّها ولدت هذا الولد الذى لا نظير له فى العقل و الفراسه، أو أنّه من قبيل قاتله اللّه و تربت يداه يعنى أنّ الجمله موضوعه للتّعجب ملغاه عن معناها الأصلى أو أن الويل بمعنى العذاب و الخسران كأنّه يريد عذاب امّه كيف ولدت هذا الولد الدّاهى الظالم فيكون مستعملا فى مقام الأسف و الانفعال، أو أنّ المراد بذلك الحسره و التأسّف من أمّه و أنّها ولدت هذا الولد فردا و لم تلد له ثانيا كفوا فيكون مستعملا فى مقام التّعجب و الاستجاده.

و قيل: إنّ أصل ذلك ويل لام كما أنّ قولهم لاب لك مخفّف لا أب لك، فالحق به الهاء كمالا للمبالغه كما فى الدّاهيه فصار ويل لامّه فخفّف و صار ويلمّه و على ذلك فالهاء ليست ضميرا و لكن المستفاد من كلام الزّمخشرى أنّه مخفّف من قولهم ويل لامّه أو من قولهم وى لامّه، و الهاء ضمير يفسّره ما بعده من باب الاضمار على شريطه التّفسير كما فى قولهم ربّه رجلا يقال و يلمه رجلا قال ذو الرّمه:

و يلمّها روحه و الرّيح معصفه و الغيث مرتجز و الليل مقترب

و عن النّهايه و منه حديث علىّ كرّم اللّه وجهه ويلمه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء أى يكيل العلوم الجمه بلا عوض إلاّ أنّه لا يصادف داعيا الويل للتّعجب، و قيل ويل كلمه مفرده و لامه مفرده و هى كلمه تفجّع و تعجّب و حذفت الهمزه من امّه تخفيفا و القيت حركتها على اللاّم و ينصب ما بعدها على التميز انتهى.

و فى شرح المعتزلى انتصب كيلا لأنّه مصدر فى موضع الحال، و يمكن أن ينتصب على التّميز كقولهم للّه درّه فارسا.

المعنى

قد ظهر من روايه الاحتجاج المتقدّمه فى شرح الخطبه التاسعه و العشرين أنّ هذه الخطبه وارده فى ذمّ أهل العراق بتثاقلهم عن جهاد معاويه و أتباعه فقال لهم (أمّا بعد يا أهل العراق فانّما أنتم كالمرأه الحامل حملت فلما أتمّت)حملها و تكاملت ايّامه(أملصت)و أسقطت ولدها ميّتا(و مات قيّمها)أى زوجها(و طال

تأيمها) بقاؤها بلا زوج(و ورثها ابعدها)لفقدان الوارث القريب.

شبّههم بالمرأه الموصوفه بالأوصاف الخمسه التى هى وجوه الشّبه بينها و بينهم، فحملها يشبه تهيؤهم للحرب و استعدادهم لها، و اتمام الحمل يشبه مشارفتهم لاستيصال أهل الشّام و الظفر على المقصود، و الاملاص يشبه باجابتهم إلى التّحكيم و جنوحهم إلى السّلم و رجوعهم عن العدوّ و بعد قرب الظفر و ظهور أمارات الفتح، فانّ ذلك رجوع غير طبيعى و غير معتاد للعقلاء كما أنّ الاملاص أمر غير طبيعيّ و خارج عن العاده و موت القيّم و طول الأيمّ يشبه بقائهم بلا صاحب الجارى مجرى موته عنهم و طول ضعفهم و تمادى ذلّتهم، كما أنّ موت قيّم المرأه مستلزم لطول ضعفها و تمادى عجزها.

و أمّا وراثه الأبعدين فاشاره إلى أنّهم لتقصيرهم فى الأمر أخذ عدوّهم الذين هم أبعد النّاس عنهم بلادهم و تسلطوا عليهم و صاروا بمنزله الوارثين لها، كما أنّ المرأه الموصوفه بسبب املاصها و موت زوجها لا يبقى لها وارث قريب نسبيّ و سببيّ فيرثها البعيد عنها.

ثمّ اقسم تضجّرا من حالهم بقوله:(أما و اللّه ما أتيتكم اختيارا) و ايثارا للمقام بينكم و حبا لكم و لبلادكم (و لكن جئت اليكم سوقا) و اضطرارا كان القضاء ساقه إليهم، إذ خروجه من المدينه دار الهجره لم يكن إلاّ لقتال أهل الجمل و احتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفه إذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بمقاتلتهم، ثمّ اتّصلت تلك الفتنه بفتنه أهل الشّام فاضطرّ إلى المقام بينهم.

ثمّ قال (و لقد بلغنى أنكم تقولون عليّ يكذب) فانّه عليه السّلام كان كثيرا ما يخبرهم عن الملاحم و الامور الغيبيه و ما يكون قبل كونه كما مضى نبذ من ذلك فى شرح كلامه السّادس و الخمسين، و يأتى كثير منها فى تضاعيف الشّرح أيضا فكان منافقو أصحابه ينسبونه فى هذه الاخبارات الغيبيه إلى الكذب لضعف عقولهم و قصور أفهامهم و يقولون إنّه يكذب فدعا عليهم بقوله (قاتلكم اللّه) أى لعنكم و أبعدكم عن رحمته.

ص:١٨٦

ثمّ ردّ زعمهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد بقوله:(فعلى من أكذب أ على اللّه فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه) يعنى أنّ هذه الأخبار ما أخبركم بها من تلقاء نفسى، و إنّما هى اخبار عن اللّه و عن رسوله فكيف أكذب على اللّه و أنا أوّل المؤمنين به و أوّل مؤمن به لا يكون أوّل مكذّب، و كيف أكذب على زززز على الرّسول و أنا أوّل المصدّقين له و التّابعين لملّته فكيف أكون مكذّبا عليه.

(كلاّـ و اللّه) أى لاـ و اللّه أو حقّا و اللّه (و لكنّها) أى تلك الاخبارات الغيبيه (لهجه غبتم عنها و لم تكونوا من أهلها) أى غابت عقولكم الضّعيفه عن إدراكها و تحصيل منافعها و إدراك ثمراتها و لستم أهلا لفهمها، أو أنكم كنتم غائبين عنها حين أخبرنى بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فسمعت كلامه و لم تسمعوه و لو سمعتموه أيضا لم تكونوا من أهله.

(ويل امّه كيلاـ بغير ثمن لو كان له وعاء) أنت بعد الخبره بما حقّقناه فى بيان الاعراب تعرف احتمال رجوع ضمير امّه فيه إلى المكذب له فيكون تعجبا من قوّه جهلهم أو استعظاما لمقالتهم أو دعاء عليهم أى عذّبه اللّه و قاتله فانّى أكيل العلم لهم كيلا بلا ثمن لو وجدت له حاملا.

أو أنّه راجع إلى نفس العلم فيكون واردا فى مقام الاستجاده و الاستعظام و التّعجب كأنّه يتعجب من علمه حيث يكال كيلا بلا ثمن لو كان له واعيا، و ساير الاحتمالات غير خفىّ على البصير النّاقد لما قدّمنا.

و قوله:(و لتعلمنّ نبأه بعد حين) اقتباس عن الآيه الشّريفه أى لتعلمنّ ثمره جهلكم و تكذيبكم و اعراضكم عمّا أقول بعد مفارقتى عنكم و حين مماتى حيثما تسلط عليكم بنو اميّه و العباس و ساقكم سوق العبيد و ابتليتم بالقتل و الذّل و الصغار أو أنّكم تعلمون جزاء ذلك و تجدونه بعد مفارقه الدّنيا و مصيركم إلى الآخره حين ما وقعتم فى النّدامه الدّائمه و الحسره الباقيه.

الترجمه

أز جمله كلام بلاغت نظام آن عالى مقامست در مذمت أهل عراق و توبيخ

ص:۱۸۷

ایشان می فرماید:

پس از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی ای أهل عراق پس بدرستی که شما مثل زن آبستن هستید که حامله شود پس چون تمام نمایـد حمل را بینـدازد و سـقط کند آن بچه را و بمیرد شوهر او و که قایم أمر اوست و طول یابد بی شوهر ماندن او و وارث شود بر او دورتر ورّاث آن زن.

وجه تشبیه أهل عراق بزن موصوف اینست که استعداد و مهیا شـدن ایشان بحرب أهل شام مشابه حمل آن زن است، و مشارفهٔ ایشان بر غلبه به دشـمن در جنگ صـفین شبیه است با تمام ولـد، و برگشـتن ایشان از دشـمن بعـد از ظهور علامات فتح و ظفر مانند سقط کردن اوست بچه اش را، و رجوع ایشان از رأی آن حضرت و تفرق ایشان که باعث ذلتشان شد شبیه است به مردن شوهر ضـعیفه و بی صـاحب مانـدن او که مسـتلزم عجز و مـذلتش است، و تسـلط اعـدا بر شـهرهای ایشان به منزله وارث شـدن دورترین است از آن زن.

باری حضـرت ولایت مآب بعـد از این که ایشان را باین نوع مـذمت فرمود می فرماید: که آگاه باشـید قسم بخدا نیامدم بسوی شما ای أهل کوفه از روی رغبت و میل و اختیار، و لکن آمدم من بسوی شـما از روی اضـطرار که دست قضا و قدر خداوندی از گریبان من گرفته بسوی شـما کشـید، بجهت این که حرکت آن حضـرت از مدینه بجهت حرب أهل بصره بود و محتاج شد بیاری أهل کوفه و بعد از انقضاء حرب جمل وقعه صفین اتفاق افتاد که لا بد شدن از ماندن کوفه پس فرمود:

و بتحقیق که رسـید به من این که شما می گوئید علیّ بن أبی طالب دروغ می گوید در آنچه خبر می دهد از اخبار آینده، خدا از رحمت کنار نماید شما را بکه دروغ می بندم آیا بر خدا افترا می گویم و حال آنکه من أول کسی هستم که ایمان آورده ام باو، یا بر رسول خدا کذب می گویم و حال آنکه من أول کسی هستم که پیغمبر را تصدیق نمود.

ص:۱۸۸

نه چنین است قسم بخدا و لکن این سخنان که می گویم بشما گفتار فصیحی است که غایب بودید شما از آن در وقتی که پیغمبر به من تعلیم فرمود و نبودید شما از اهل آن.

ما در تکذیب کنندهٔ من به ماتم آن بنشیند من می پیمایم علم ربانی را پیمودنی بدون بها اگر باشد در میان شما آنرا حافظی که ظرفیت و دارائی آن را داشته باشد.

و هر آینه البته خواهید دانست ثمرهٔ کردار و گفتار خودتان را بعد از زمانی، یعنی در وقتی که من از میان شما بروم و امراء جور بنی امیّه به شما مسلط شوند.

و من خطبه له علیه السلام علم فیها الناس الصلاه

اشاره

علی النبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و هی الحادیه و السبعون

من المختار فی باب الخطب

و هی مرویه فی المجلد السّابع عشر من البحار من مناقب ابن الجوزی عن الحسن بن عرفه عن سعید بن عمیر عن أمیر المؤمنین علیه السّلام بتغییر یسیر.

أللّهمّ داحی المدحوّات، و داعم المسموکات، و جابل القلوب علی فطرتها، شقیّها و سعیدها، اجعل شرایف صلواتک و نوامی برکاتک، علی محمّد عبدک و رسولک، الخاتم لما سبق، و الفاتح لما انغلق، و المعلن الحقّ بالحقّ، و الدّافع جیشات الأباطیل، و الدّامغ صولات الأضالیل، کما حمّل فاضطلع قائما بأمرک، مستوفزا فی مرضاتک،

غير ناكل عن قدم، و لا ـ واه فى عزم، واعيا لوحيك، حافظا على عهدك ماضيا على نفاذ أمرك، حتّى أورى قبس القابس، و أضاء الطّريق للخابط، و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن، و أقام موضحات الأعلام، و نيّرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، و خازن علمك المخزون، و شهيدك يوم الدّين، و بعيثك بالحقّ، و رسولك إلى الخلق. أللّهمّ افسح له مفسحا فى ظلّك، و أجزه مضاعفات الخير من فضلك أللّهمّ واعل على بناء البانين بنائه، و أكرم لديك منزلته، و أتمم له نوره، و أجزه من ابتعاثك له مقبول الشّهاده، و مرضىّ المقاله، ذا منطق عدل، و خطّه فصل، أللّهمّ اجمع بيننا و بيّنه فى برد العيش و قرار النّعمه، و منى الشّهوات، و أهواء اللّذّات، و رخاء الدّعه، و منتهى الطّمأنينه، و تحف الكرامه.

اللغه

(دحى) اللّه الأرض دحوا بسطها فهى مدحوّه و (دعمت) الشّىء من باب نفع دعما حفظته بالدّعامه و هى بالكسر ما يستند به الحائط و السّقف و نحوهما يمنعهما السّقوط و (سمكه) سمكا رفعه، و المسمكات كمكرمات السّماوات، و المسموكات لغه و (الجبل) الخلق و (النّامى) الزّايد و (الجيشات) جمع جيشه من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.

ص:۱۹۰

و (بطل) الشّىء يبطل بطلا و بطولا و بطلانا بضمّ الأوائل فسدا و سقط حكمه فهو باطل و الجمع بواطل و أباطيل على غير قياس، و قال أبو حاتم: الاباطيل جمع ابطوله بضمّ الهمزه و قيل جمع ابطاله و (دمغته) دمغا من باب نفع كسرت عظم دماغه، فالشجه دامغه و هى التى تخسف الدّماغ و لا يبقى معها حياه و (الصّوله) السّطوه و (الأضاليل) جمع الضّلال على غير القياس.

و (ضلع) الشّىء بالضّم ضلاعه قوى، و فرس ضليع غليظ الألواح شديد العصب و رجل ضليع قوىّ و (الوفز) العجله و استوفر فى قعدته قعد منتصبا غير مطمئن و (نكل) نكولا نكص و جبن و (ورى) الزّند يورى خرج ناره و اوريته أنا، و منه قوله سبحانه:

«فَالْمُورِياتِ قَدْحاً ».

و (القبس) بفتحتين شعله من النّار قال سبحانه:

«لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ ».

و القابس هو الذى يطلب النّار يقال قبس نارا يقبسها من باب ضرب أخذها و قبس علما تعلمه و قبست الرّجل علما يتعدّى و لا يتعدّى و أقبسته نارا و علما بالالف و (الخابط) الذى يسير على غير جادّه ليلا و (العلم) بالتّحريك ما يستدلّ به على الطريق.

و (البعيث) بمعنى المبعوث كالجريح و القتيل و (فسحت) له فى المجلس فسحا من باب نفع فرجت له من مكان يسعه، و المفسح إما مصدر أو اسم مكان، و بعثته رسولا بعثا أوصلته و ابتعثته كذلك و فى المطاوع فانبعث مثل كسرته فانكسر و كلّ شىء ينبعث بنفسه يتعدّى الفعل إليه بنفسه فيقال بعثه، و كلّ شىء لا ينبعث بنفسه كالكتاب و الهديه يتعدّى الفعل إليه بالباء فيقال بعثت به.

و (الخطه) بالضّم الخصله و الحاله، و فى اكثر النّسخ و خطبه فصل و هو الأظهر و (برد العيش) قال المعتزلى، العرب يقول عيش بارد و عيشه بارده أى لا حرب

ص:۱۹۱

فيها و لا نزاع، لأنّ البرد و السّكون متلازمان كتلازم الحرّ و الحركه و (قرّ) الشيء قرّا من باب ضرب استقرّ و الاسم القرار.

و (الأهواء) جمع هوى بالقصر و هو ما تحبه النّفوس و تميل إليه من هويته هوى من باب تعب إذا أحببته و علقت به و (رخى) و رخو من باب تعب و قرب رخاوه بالفتح إذ الان، و كذلك العيش رخى و رخو اذا اتسع فهو رخىّ على فعيل و الاسم الرّخاء و (الدعه) بفتح الدّال السّكون و السّعه فى العيش و (الطمأنينه) اسم من اطمأنّ القلب إذا سكن و (التحف) جمع التّحفه بالضّم و كهمزه البرّ و اللطف و الطرفه و أصلها وحفه بالواو.

الاعراب

داحى المدحوات و داعم المسموكات منصوبان على النّداء، و شقيّها و سعيدها بالجرّ على البدل من القلوب، و اضافه الشّرايف و النوامى من باب اضافه الصّفه إلى الموصوف، و الكاف فى قوله كما حمل إمّا بمعنى لام التعليل كما فى قول الشّاعر:

فقلت أبا الملحاه خذها كما أو سعتنا بغيا و عدوا

اى خذ هذه الضّربه لأجل بغيك و تعدّيك علينا، ويحتمل كونهاعلى أصل التشبيه و قوله: قائما، منصوب على الحال و كذلك المنصوبات بعده أعنى مستوفزا و غير ناكل و ما عطف عليه، و واعيا و حافظا و ماضيا و اضافه الخوضات الى الفتن ظرفيه، و اضافه الموضحات و النيرات الى الأعلام و الأحكام من باب اضافه الصفه الى الموصوف، و المخزون بالجرّ صفه علمك، و مقبول الشهاده و كذلك مرضى المقاله منصوب على المفعوليه من اجزه، و ذا منطق منصوب على الحال.

المعنى

اشاره

اعلم انّ هذه الخطبه مشتمله على فصول ثلاثه الاول فى صفات المدعوّ و تمجيده، و هو اللّه سبحانه الثانى فى صفات المدعوّ له و هو النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الثالث فى أنواع المدعوّ به.

ص:١٩٢

اما الاول

فاليه الاشاره بقوله (اللهمّ داحى المدحوّات) أى باسط الأرضين السّبع المبسوطه، و وصفها بالبسط لا ينافى كرويّتها إذ بسطها باعتبار سطحها البارز الذى هو مسكن الحيوان فانّه فى الأوهام سطح مبسوط و إن كان بالاعتبار العقلى محدّبا و إلى ذلك ينظر قوله سبحانه:

«وَ اللّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً » وَ «اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً ».

(و داعم المسموكات) أى حافظ السّماوات المرفوعه بالدّعامه التى هى القدره على ما مرّ تحقيقه فى شرح الفصل الثّامن من فصول الخطبه الاولى (و جابل القلوب على فطرتها شقيّها و سعيدها) أراد كونه سبحانه خالق شقىّ القلوب و سعيدها على فطراتها الأصليّه المكتوبه فى اللوح المحفوظ، و المراد بالقلوب النّفوس.

و أهل العرفان كثيرا ما يعبّرون عن النّفس بالقلب، و بالسّعاده ما يوجب دخول الجنّه و النّعمه الدّائمه و اللذه الأبديه، و بالشّقاوه ما يوجب دخول النّار و العقوبات الأبديّه و الآلام الدّائمه.

فمحصّل المعنى أنه خالق النّفوس و موجدها فى الخارج موافقا لفطراتها التى كتبت فى الألواح السّماويّه قبل خلق الخلق و قدّرت أنّها من أهل الجنّه أو من أهل النّار موافقا لعلمه سبحانه التّابع لما يختارونه بعد وجودهم و تكليفهم بارادتهم و اختيارهم.

و إلى هذا ينظر ما رواه فى الكافى باسناده عن منصور بن حازم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اللّه خلق السّعاده و الشقاوه قبل أن يخلق خلقه، فمن خلقه اللّه سعيدا لم يبغضه أبدا و إن عمل شرّا أبغض عمله و لم يبغضه، و إن كان شقيّا لم يحبّه أبدا و إن عمل صالحا أحبّ عمله و أبغضه لما يصير إليه فاذا أحبّ اللّه شيئا لم يبغضه أبدا و إذا أبغض شيئا لم يحبّه أبدا.

ص:۱۹۳

و اما الثانی

فالیه أشار بقوله:(اجعل شرایف صلواتک و نوامی برکاتک علی محمّد عبدک و رسولک) قیل فی تفسیر العبد: العین علمه باللّه، و الباء بونه عن الخلق، و الدّال دنوّه من اللّه بلا اشاره و لا کیف، یعنی أنّ العبد لا یکون کامل العبودیه إلاّ إذا کان عارفا باللّه سبحانه قریبا منه بالقرب المعنوی و باینا من الخلق بأن یکون فیهم و لا یکون منهم، و ذلک مستلزم لاستغراقه فی طاعه معبوده اذ لولاه لما حصل التّقرب و لا یتحصّل معنی العبودیه.

و من هنا قیل: إنّ حقیقه العبودیه عنوان ثلاثه أشیاء: أن لا یری العبد لنفسه فیما خوّله اللّه ملکا لأنّ العبید لا یکون لهم ملک بل یرون المال مال اللّه یضعونه حیث امرهم اللّه، و لا یدبّر العبد لنفسه تدبیرا، و یکون جمله اشتغاله فیما امر اللّه تعالی و نهاه عنه، فاذا لم یر العبد فیما خوّله اللّه ملکا هان علیه الانفاق و إذا فوّض العبد نفسه إلی مدبّرها هانت علیه مصائب الدّنیا، و إذا اشتغل العبد فیما أمره اللّه و نهاه لا یتفرّغ منهما إلی المراء و المباهات مع النّاس.

فاذا اکرم اللّه العبد بهذه الثّلاث هانت علیه الدّنیا و لا یطلب الدّنیا تفاخرا و تکاثرا و لا یطلب عند النّاس عزّا و علوّا و لا یدع أیّامه باطله فیکون تارکا لدنیاه و فارغا لطاعه مولاه، فاذا وصل العبد إلی هذا المقام انکشفت له الحجابات الغیبیه و أدرکته الألطاف الرّبانیه، و تحصل له معنی العبودیه «و هی ظ» جوهره کنهها الرّ بوبیه، و یصیر مظهرا لصفات الکمال و مصدرا لنعوت الجلال.

و إلی هذا المعنی ینظر الحدیث القدسی: إنّ عبدی لیتقرّب إلیّ بالنّافله حتّی احبّه فاذا أحببته کنت سمعه الذی یسمع به و بصره الذی یبصر به و لسانه الذی ینطق به و یده التی یبطش بها إن دعانی أجبته و إن سألنی أعطیته و لمّا کان هذا المعنی غایه الکمال وصف اللّه سبحانه جمله من أولیائه المقرّبین فی کتابه المجید بذلک فقال:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ » و قال:

«عَبْداً مِنْ عِبادِنا » و قال: «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ ».

الى غير هـذا، ثمّ انّه لما كان مرتبه الرّساله فوق مرتبه العبوديه و من عادتهم تقديم غير الابلغ على الابلغ كما يقولون: عالم نحرير و جواد فياض لا جرم قدّم توصيفه بالعبوديه على توصيفه بالرّساله، و إنّما قلنا إنّ درجه الرّساله فوق هذه الدّرجه لأنّ الرّسول من يسع قلبه الجانبين و لا يحجب بشهود الحقّ عن الخلق، فهو أكمل ممن يستغرق فيه تعالى غافلا عن خلقه.

و يـدلّ على تقدّمها عليها روايه زيد الشّحام التى مرّت فى شـرح الفصل الثانى من فصول الخطبه الثّانيه فتذكر (الخاتم لما سبق) إن جاز استعمال كلمه ما فى ذوى العقول فالمراد بها النّبيّون و المرسلون، و إلّا فالمراد أنّه خاتم لشرعه للشرايع و الأديان السّابقه.

(و الفاتـح لمـا انغلق) من باب الهـدى و طريق الرّشاد و الجنّه، و إنّما كان منغلقا لغلبه أمر الجاهليه و انـدراس الشّرايع السّابقه (و المعلن الحقّ بـالحقّ) قـال الشّـارح المعتزلى: اى المظهر الحقّ الـذى هو خلاـف الباطل بالحقّ أى بالحرب و الخصومه يقال حاق فلان فلانا أى خاصمه فخصمه.

أقول: و منه الحاقّه للقيامه قال تعالى: الحاقّه ما الحاقّه، سـمّيت بذلك لأنها تحاقّ الكفّار الذين حاقّوا الأنبياء أى خاصـموهم هذا، و الأـظهر أن يكون المراد بالحقّ الأول الـدّين و بالثّانى الحقّ المرادف للصـدق أى مظهر الـدّين بقول حقّ ثابت فى نفس الأمر و بيان صواب.

(و الـدّافع جيشـات الاباطيـل) اى لثـوران فتن المشـركين و اجتمـاعهم على إطفـاء نـور اللّه أو لفتنتهم الـتى كـانت عـاده بينهم و استمرت عليها سـجيتهم من القتل و الغاره و حرب بعضـهم لبعض، فانّ هـذا كلّه امور خارجه عن قانون العداله و قد اندفع ذلك كلّه بميامن قدومه صلوات اللّه عليه و آله.

(و الدّامغ صولات الأضاليل) أى المهلك لسطوات الضّلالات و قامع هيبات أهل

ص:١٩٥

الضّلال المنحرفين عن سبيل اللّه و سبيل الرّشاد إلى الفساد (كما حمل فاضطلع) معناه على جعل الكاف بمعنى اللّام: اجعل شرايف صلواتك عليه لأجل أنّه حمل أعباء الرّساله فنهض بها قوّيا، و على جعلها بمعناها الأصلى صلّ عليه صلاه مناسبه مشابهه لتحميلك له الرّساله إذ الجزاء من الحكيم العدل لا بدّ أن يكون مناسبا للعمل المجزى عليه.

(قائما بأمرك مستوفزا فى مرضاتك) أى مستعجلا فى تحصيل رضاء اللّه سبحانه و رضوانه غير بطىء فيه حاثا نفسه عليه (غيرنا كل عن قدم و لا واه فى عزم) أراد كونه غير جبان عن التّقدّم فيما يلزمه التقدم فيه و لا متوان فى الاتيان بما عزم عليه (واعيا لوحيك) ضابطا له قوىّ النفس على قبوله (حافظا لعهدك) المأخوذ عليه فى تبليغ الرّساله و أداء الامانه (ماضيا على انفاذ امرك) مصرّا فى إجرائه و فى جذب الخلق إلى سلوك سبيل الآخره.

(حتّى) انتهى فى اصراره فى هدايه الخلق و جذبهم إلى الآخره إلى النّهايه و بلغ الغايه ف (أورى قبس القابس) أى أخرج نور الحقّ و أشعله لطالبيه و المقتبسين له (و أضاء الطريق) طريق الجنّه و الصّراط المستقيم (للخابط) فى ظلمات الجهل السّالك على غير جادّه واضحه.

(و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن) و الآثام اللازمه عما اجترحته من السّيئات (و أقام موضحات الأعلام) أى الأدله الواضحه على الحقّ التى هى كالأعلام المستدلّ بها على الطريق (و نيرات الأحكام) أى الأحكام الشّرعيه و التكاليف الالهيه ذوات النّور المستنبطه من الأدلّه الواضحه.

(فهو أمينك المأمون) أى ائتمنه على وحيه و رسالته و المأمون تاكيد للامين (و خازن علمك المخزون) أراد به علمه الذى لا يقدر على حمله عموم الخلق و هو المشار إليه بقوله: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلّاَ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ ».

روى سدير قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السّلام و يقول أرأيت

ص:١٩۶

قوله: «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً »، فقال له أبو جعفر عليه السّلام «إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً »، و كان و اللّه محمّد ممن ارتضاه و أما قوله «عالِمُ الْغَيْبِ »، فانّ اللّه تبارك و تعالى عالم بما غاب عن خلقه ممّا يقدر من شيء و يقضيه فى علمه فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيه فيقضيه إذا أراد و يبدو له فيه فلا يمضيه، فأما العلم الذى يقدره اللّه و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول اللّه ثمّ الينا.

(و شهيدك يوم الدّين) يحتمل أن يكون المراد بذلك شهادته على امّته و شهادته على أئمه الدّين خصوصا و جميع الحجج الذين لم يخل اللّه سبحانه ارضه منهم من لدن آدم إلى آخر الدهر و قد ورد الاحتمالات الثلاثه فى أخبار أهل البيت و مثل كلامه قوله تعالى فى سوره النحل:

«وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنا بِكَ شَهِيداً عَلى هؤُلاءِ ».

و فى سوره البقره: «وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ».

و فى سوره النّساء: «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً ».

قال الطبرسى فى تفسير هذه الآيه إنّ اللّه يستشهد يوم القيامه كلّ نبىّ على امّته فيشهد لهم و عليهم و يستشهد نبينا على امّته.

و فى البحار فى الأخبار ما يدلّ على أنّ حجّه كلّ زمان شهيد على أهل ذلك الزمان و نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله شهيد على الشهداء.

و فيه من الكافى باسناده عن سماعه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: فى قول

اللّه عزّ و جلّ:

«فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً».

نزلت فی أمّه محمّد خاصه فی کلّ قرن منهم إمام منا شاهد علیهم و محمّد شاهد علینا قال المجلسیّ یمکن أن یکون المراد تخصیص الشّاهد و المشهود علیهم جمیعا بهذه الامه فیکون المراد بکل امّه فی الآیه کلّ قرن من تلک الامه واحد من الأئمه علیهم السّلام شاهدا علی من فی عصرهم من هذه الامه و علی جمیع من مضی من الامم، و الأوّل أظهر لفظا و الثانی معنا و إن کان بحسب اللفظ یحتاج إلی تکلّفات أقول: و یدلّ علی الوجه الأوّل ما عن تفسیر فرات بن إبراهیم عن أبی جعفر علیه السّلام فی تفسیر الآیه الثانیه قال: منا شهید علی کلّ زمان علیّ بن أبی طالب فی زمانه و الحسن فی زمانه و الحسین فی زمانه و کلّ من یدعو منّا إلی أمر اللّه.

و علی الثانی ما عن تفسیر علیّ بن إبراهیم فی تفسیر الآیه الثانیه أیضا باسناده عن برید العجلی قال: سألت أبا جعفر علیه السّلام عن تفسیر هذه الآیه قال نحن الامّه الوسط و نحن شهداء اللّه علی خلقه و حجّته فی أرضه.

و ما عن بصائر الدّرجات باسناده عن سلیم بن قیس عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: إنّ اللّه طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء علی خلقه و حجته فی أرضه و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لا نفارقه و لا یفارقنا.

و علی هذا فمعنی کونهم شهیدا أنّهم علیهم السلام یشهدون علی الأنبیاء أنّ اللّه أرسلهم و یشهدون للأنبیاء أنّهم بلغوا رسالات ربّهم و یشهدون لمن أجابهم و أطاعهم باجابته و اطاعته و علی من خالفهم و عصاهم بمخالفته و عصیانه و یشهدون علی محمّد أنّ اللّه أرسله و یشهدون له انّه بلغ ما امر بتبلیغه و علی امته و لهم کذلک و یشهد رسول اللّه علیهم بما حملهم من أمر الخلافه و لهم بما أدّوا ما حملوا و لمن أجاب بما أجاب و لمن عصی بالعصیان هذا.

و غير خفىّ على الفطن العارف أنّ الشّهاده لما كانت مشروطه بالعلم و اليقين و من ذلک أنّ رسول اللّه أرى للشّاهد الشّمس و قال على مثل هذا فاشهد أودع، فاللازم من كونهم صلوات اللّه عليهم شهداء على النّاس أن يكونوا عالمين بأعمال النّاس غير غائبين عنها، و يستفاد ذلک من الأخبار و هى على قسمين.

احدهما ما دلّت على أنّه سبحانه أعطى الامام عمودا من نور يرى فيه أعمال الخلايق كرؤيه الشّخص فى المرات و أنّ الدّنيا بأسرها و ما فيها عند الامام كالدرهم فى يد أحدكم يقلّبه كيف شاء.

فمن ذلک ما فى البحار من بصاير الدّرجات عن معاويه بن حكيم عن أبى داود المسترقّ عن محمّد بن مروان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الامام يسمع الصّوت فى بطن امّه فاذا بلغ أربعه أشهر كتب على عضده الأيمن:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ ».

فاذا وضعته امّه سطع له نور ما بين السّماء و الأرض فاذا درج رفع له عمود من نور يرى ما بين المشرق و المغرب.

و منه باسناده عن ابن ظبيان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الامام لسمع فى بطن امّه فاذا ولد خطّ على منكبيه، ثمّ قال هكذا بيده فذلک قول اللّه تعالى:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ ».

و جعل له فى كلّ قريه عمودا من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها.

و عن محمّد بن الفضيل عن بعض رجاله عن أبى عبد اللّه عليه السّلام الامام يسمع الكلام فى بطن امّه فاذا سقط إلى الأرض نصب له عمود فى بلاده و هو يرى ما فى غيرها.

و عن محمّد بن مروان قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ الامام يسمع فى بطن امّه فاذا ولد خط بين كتفيه:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِهِ ».

فاذا صار الأمر إليه جعل اللّه له عمودا من نور يبصر به ما يعمل به أهل كلّ بلده.

و عن إسحاق القميّ قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام ما قدر الامام؟ قال يسمع فى بطن امّه فاذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوبا:

«وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّکَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ».

ثمّ يبعث أيضا له عمودا من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلايق كلّها، ثمّ ينشعب له عمود آخر من عند اللّه إلى اذن الامام كلّما احتاج إلى مزيد افرغ فيه افراغا.

أقول: و العمود الآخر ما اشير إليه فى روايه صالح بن سهل.

عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: كنت جالسا عنده فقال لى ابتداء منه: يا صالح بن سهل إنّ اللّه جعل بينه و بين الرّسول رسولا و لم يجعل بينه و بين الامام رسولا، قال:

قلت: و كيف ذاک؟ قال: جعل بينه و بين الامام عمودا من نور ينظر اللّه به إلى الامام و ينظر الامام به إليه فاذا أراد علم شىء نظر فى ذلک النّور فعرفه.

قال المحدّث المجلسىّ: نظر اللّه تعالى إليه كنايه عن إفاضاته عليه و نظره إليه كنايه عن غايه عرفانه.

و القسم الثانى من الأخبار ما دلّت على عرض أعمال العباد على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و على الأئمه عليهم السلام و إلى ذلک اشير فى الكتاب العزيز:

قال تعالى: «وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ فَيُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ».

روی فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن محمّد بن الحسن الصّفار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ما من مؤمن یموت أو کافر یوضع فی قبره حتّی یعرض عمله علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و علی أمیر المؤمنین علیه السّلام و هلمّ جرّا إلی آخر ما فرض اللّه طاعته فذلک قوله:

«وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ».

و عنه علیه السّلام قال: إنّ أعمال العباد یعرض علی رسول اللّه کل صباح أبرارها و فجّارها فاحذروا فلیستحی أحدکم أن یعرض علی نبیّه العمل القبیح.

و من بصایر الدّرجات باسناده عن معلّی بن خنیس عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه تعالی:

«وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ».

قال: هو رسول اللّه و الأئمه تعرض علیهم أعمال العباد کلّ خمیس.

و عن محمّد بن مسلم و زراره قالا سألنا أبا عبد اللّه علیه السّلام عن الأعمال تعرض علی رسول اللّه؟ قال ما فیه شکّ، ثمّ تلاهذه الآیه:

«وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ».

قال إنّ للّه شهداء فی أرضه.

و عن ابن أبی عمیر عن غیر واحد من أصحابنا عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأصحابه حیاتی خیر لکم و مماتی خیر لکم، قالوا: أما حیاتک یا رسول اللّه فقد عرفناه، فما فی وفاتک؟ قال: أمّا حیاتی فانّ اللّه یقول: و ما کان اللّه لیعذّبهم و أنت فیهم و ما کان اللّه معذّبهم و هم یستغفرون، و أمّا وفاتی فتعرض علیّ أعمالکم فأستغفر لکم.

و عن داود الرّقی قال: دخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقال یا داود أعمالکم عرضت علیّ یوم الخمیس فرأیت لک فیها شیئا فرحنی و ذلک صلتک لابن عمک أما

ص:۲۰۱

أنّه سيمحق أجله و لا ـ ينقص رزقک، قال داود: و کان لی ابن عمّ ناصب کثير العيال محتاج، فلما خرجت إلى مکّه أمرت له بصله، فلما دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام أخبرنى بهذا هذا.

و قد تحصّل ممّا ذکرنا کلّه اطلاع النبىّ و اطلاع الأئمه على جميع أفعال النّاس و أعمالهم من خير أو شرّ و أنّه لا تفاوت فى ذلک بين حالتى الموت و الحياه فان قلت: ما فايده تلک الشّهاده و ما ثمره عرض الأعمال عليهم و اطلاعهم بذلک و النّاس کلّهم يردّون إلى عالم الغيب و الشّهاده و ينبّئهم بما کانوا يعملون.

قلت: ثمره ذلک أنّ النّاس إذا علموا أنّ لهم شهداء و رقباء و کتّابا يکتبون ما يفعلون لا يغادرون صغيره و لا کبيره و أنّ النبىّ و الأئمه يعرض عليهم الأعمال و يطلعون بما يعملون کان ذلک رادعا للنّفس الاماره عن الانهماک فى الشّهوات و مانعا لها عن متابعه الأهواء و اللذات، فلا بدّ للعاقل البصير أن ينظر إلى عمله و يحذر من عرض عمله القبيح على نبيّه و أئمته و يستحى من ذلک و لا يفعل ما يوجب مسائه حالهم و استحيائهم من اللّه سبحانه من قبايح أعمال شيعتهم و اللّه ولىّ التوفيق.

(و بعيثک بالحقّ و رسولک إلى الخلق) أراد کونه مبعوثا بالدّين الثابت الباقى نفعه إلى الخلق و رسولا إليهم، و هذان الوصفان کساير الأوصاف المذکوره فى هذا الفصل إشاره إلى جهات استحقاق الصّلاه و الرّحمه.

الفصل الثالث

فى أنواع المدعوّ به

، و إليها الاشاره بقوله(اللهمّ افسح له مفسحا فى ظلّک)أى مکانا متّسعا فى حظيره قدسک، و الظلّ إمّا استعاره للجود و الافضال و وجه الشّبه استراحه المستظلّ بالظلّ من حراره الشّمس و کذلک الملتجى إلى جود اللّه سبحانه و افضاله يستريح بجوده تعالى من شديد العذاب الاليم و حرّ نار الجحيم، و يحتمل أن يکون المراد معناه الحقيقى کما فى قوله تعالى:

«وَ أَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَ طَلْحٍ »

ص:۲۰۲

«مَنْضُودٍ وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ ».

قال فى مجمع البيان أى دائم لا تنسخه الشّمس فهو باق لا يزول، و قد ورد فى الخبر أنّ فى الجنّه شجره يسير الرّاكب فى ظلّها مأئه سنه لا يقطعها، و روى أيضا أنّ أوقات الجنه كغدوات الصّيف لا يكون فيها حرّ و لا برد.

(و اجزه مضاعفات الخير من فضلك) أراد به أن يضاعف له الكمالات من نعمه إذ مراتب استحقاق نعمه سبحانه غير متناهيه (اللهمّ و اعل على بناء البانين بناءه) المراد بالبانين إمّا الأنبياء و ببنائهم ما شيّدوه من أمر الدّين فيكون المقصود بالدّعاء علوّ دينه و ظهوره على الدّين كله و لو كره المشركون، و إما مطلق عباد اللّه الصّالحين البانين بأعمالهم الصّالحه غرفا فى الجنّه و قصورا فيها فيكون المقصود علوّ منزله على ساير المنازل (و اكرم لديك منزلته) بانزاله المنزل المبارك الموعود و هو سبحانه خير المنزلين، قال تعالى مخاطبا لنوح:

«وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ».

(و اتمم له نوره) المراد بذلك اتمام نوره يوم القيامه بحيث يطفى ساير الأنوار و هو النّور الذى يسعى بين أيدى الامه حتّى ينزلوا منازلهم فى الجنّه، و إليه الاشاره فى قوله.

«يَوْمَ لا يُخْزِي اللّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَ اغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » قال الطبرسى: يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم على الصّراط يوم القيامه و هو دليلهم إلى الجنّه و يريد بالنّور الضّياء الذى يرونه و يمرّون فيه عن قتاده، و قيل نورهم هداهم عن الضّحاك قال قتاده: إنّ المؤمن يضىء له نور كما بين عدن إلى صنعا و دون ذلك حتّى أنّ من المؤمنين من لا يضىء له نوره إلاّ موضع قدميه.

قال الشّارح المعتزلى: قد روى أنّه يطفى ساير الأنوار إلاّ نور محمّد، ثمّ يعطى المخلصون من أصحابه أنوارا يسيره يبصرون بها مواطىء الأقدام فيدعون اللّه

ص:۲۰۳

بزياده تلك الأنوار و إتمامها، ثمّ إنّ اللّه يتمّ نور محمّد فيستطيل حتّى يملاء الآفاق فذلك إتمام نوره.

(و اجزه من انبعاثك له مقبول الشّهاده و مرضىّ المقاله) أراد به أن يجزيه اللّه سبحانه من بعثته له الشّهاده المقبوله عنده و المقاله المرضيّه لديه بأن يكون شهادته صلّى اللّه عليه و اله و سلّم على امته و غيرها نافذه و شفاعته فيهم ماضيه حالكونه (ذا منطق عدل و خطه فصل) أى صاحب نطق عادل و خصله فاصله بين الحقّ و الباطل او ذا قول(۱) غير هازل كما قال تعالى: «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ ما هُوَ بِالْهَزْلِ ».

و المطلوب بهذه الاعتبارات كلّها على اختلاف مفاهيمها أمر واحد و هو زياده كمالاته صلّى اللّه عليه و آله و قربه من اللّه سبحانه، ثمّ إنّه عليه السّلام بعد الصّلاه على الرسول دعا لنفسه و للمؤمنين من خالصى شيعته بقوله (اللهمّ اجمع بيننا و بينه فى برد العيش) الذى لا كلفه فيها من الحرب و الخصومه (و قرار النّعمه) مستقرّها فى الحضره الرّبوبيه (و منى الشهوات) فى حظيره القدس (و أهواء اللذّات) فى الجنه العاليه، و فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين (و رخاء الدّعه و منتهى الطمأنينه) أى سعه سكون النّفس و نهايه اتّساع عيشها فى دار الخلد (و تحف الكرامه) المعدّه لأهل اليقين من أولياء اللّه المقرّبين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

تنبيهات

الاول

الصّلاه على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ممّا أمر اللّه تعالى به و حثّ عليه بقوله:

«إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً ».

و ينبغى لنا أن نحقّق الكلام فى ذلك و نذكر ما أتى به الفاضل المقداد صاحب كنز العرفان فى تفسير هذه الآيه و ما يرتبط عليها و نفصّل بعض ما أجمله قدّس اللّه روحه.

ص:۲۰۴

۱- (۱) الترديد على روايه خطبه فصل بالباء كما اشرنا اليه فى بيان اللغه منه.

قال «ره» قرء شاذا برفع ملائكته فقال الكوفيّون بعطفها على أصل إنّ و اسمها و قال البصريّون مرفوعه بالابتداء و خبر إنّ محذوف أى إنّ اللّه يصلّى و ملائكته يصلّون فحذف للقرينه و نظايره كثيره كقول الشّاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرّأى مختلف

اى نحن راضون، و الصّلاه و ان كانت من اللّه الرّحمه فالمراد بها هنا هو الاعتناء باظهار شرفه و رفع شأنه، و من هنا قال بعضهم تشريف اللّه محمّدا بقوله:

«إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ».

أبلغ من تشريف آدم بالسّجود له و التسليم، قيل المراد به الانقياد كما فى قوله:

«فَلا وَ رَبِّکَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ».

و قيل هو قولهم: السّلام عليك أيّها النبىّ قاله الزّمخشرى و القاضى فى تفسيرهما و ذكره الشّيخ فى تبيانه و هو الحقّ لقضيه العطف و لأنّه المتبادر إلى الفهم عرفا و لروايه كعب الآتيه و غيرها إذا تقرّر ذلك فهنا

فوايد

.

الاولى

ذهب أصحابنا و الشّافعى و أحمد إلى وجوب الصّلاه على النبىّ فى الصلاه خلافا لمالك و أبى حنيفه فانّهما لم يوجباها و لم يجعلاها شرطا فى الصّلاه و استدلّ بعض الفقهاء بما تقريره.

شيء من الصّلاه على النّبىّ واجب و لا شيء من ذلك فى غير الصّلاه بواجب ينتج أنّها فى الصّلاه واجب، أمّا الصّغرى فلقوله تعالى: صلّوا، و الأمر حقيقه فى الوجوب، و أمّا الكبرى فظاهره، و فيه نظر لمنع الكبرى كما يجىء و حينئذ فالأولى الاستدلال على الوجوب بدليل خارج.

أمّا من طرقهم فما رووه عن عايشه قالت: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم يقول: لا تقبل صلاه الاّ بطهور و بالصّلاه علىّ، و كذا عن أنس عن النبىّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: إذا صلّى

أحدكم فليبدأ بحمد اللّه ثمّ ليصلّ عليّ.

و من طرقنا ما رواه أبو بصير و غيره عن الصّادق عليه السّلام قال: من صلّى و لم يصلّ على النبيّ و تركه متعمّدا فلا صلاه له، حتّى أنّ الشّيخ جعلها ركنا فى الصّلاه فان عنى الوجوب و البطلان بتركها عمدا فهو صحيح و إن عنى تفسير الرّكن بأنّه ما يبطل الصّلاه بتركه عمدا و سهوا فلا.

الثانيه

قال علمائنا اجمع: إنّ الصّلاه على النبيّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم واجبه فى التشهدين و به قال أحمد، و قال الشّافعيّ: مستحبّه فى الأول واجبه فى الآخر، و قال مالك و أبو حنيفه: مستحبّه فيهما، دليل أصحابنا روايات كثيره عن أئمّتهم عليهم السّلام.

الثالثه

هل تجب الصّلاه على النّبيّ فى غير الصّلاه أم لا، ذهب الكرخى إلى وجوبها فى العمر مرّه، و قال الطحاوى: كلّما ذكر، و اختاره الزّمخشرى، و نقل عن ابن بابويه من أصحابنا، و قال بعضهم: فى كلّ مجلس مرّه، و المختار الوجوب كلّما ذكر لدلاله ذلك على التّنويه(۱) برفع شأنه و الشكر لاحسانه المأمور بها، و لأنه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضا و هو منهيّ عنه فى آيه النّور.

أقول: و أشار بها إلى قوله سبحانه: «لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً » و لما روى عنه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فدخل النّار فأبعده اللّه، و الوعيد أماره الوجوب.

و روى أنّه قيل له: يا رسول اللّه أرأيت قول اللّه إنّ اللّه و ملائكته يصلّون على النّبيّ؟ فقال: هذا من العلم المكنون و لو لا أنّكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم به إنّ اللّه عزّ و جلّ و كل بى ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلّى عليّ إلاّ قال له ذلك الملكان غفر اللّه لك، و قال اللّه و ملائكته: آمين، و لا اذكر عند مسلم فلا يصلّى عليّ إلاّ قال له الملكان: لا غفر اللّه لك و قال اللّه و ملائكته: آمين.

أقول: و مثل ذلك فى إفاده الوعيد ما رواه الصّدوق فى عقاب الأعمال باسناده عن محمّد بن هارون عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا صلّى أحدكم و لم يصلّ على النبيّ

۱- (۱) التعظيم.

خطیء به طریق الجنّه.

و قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله: من ذکرت عنده فنسی الصّلاه علیّ خطیء به طریق الجنّه قال (ره): و أمّا عند عدم ذکره صلوات اللّه علیه فیستحبّ استحبابا مؤکدا، لتظافر الرّوایات أنّ الصّلاه علیه و آله تهدم الذّنوب و توجب اجابه الدّعاء المقرون بها.

الرابعه

روی کعب بن عجره قال: لمّا نزلت الآیه قلنا: یا رسول اللّه هذا السّلام علیک فقد عرفناه فکیف الصّلاه علیک؟ فقال قولوا: اللهمّ صلّ علی محمّد و آل محمّد کما صلّیت علی إبراهیم و آل إبراهیم إنّک حمید مجید، و بارک علی محمّد و آل محمّد کما بارکت علی إبراهیم و آل إبراهیم إنّک حمید مجید، و علی هذا الحدیث سؤال مشهور بین العلماء ذکرناه فی نضد القواعد و ذکرنا ما قیل فی أجوبته من أراده وقف علیه هناک.

أقول: و لا یحضرنی کتاب نضد القواعد حتّی نقف علی ما ذکره و لعلّ المراد بالسؤال المشهور ما ذکروه من أنّ التّشبیه یقتضی أن یکون المشبّه به أقوی من المشبّه فیلزم أن یکون التّشبیه الواقع فیه من باب إلحاق النّاقص بالکامل، و اجیب تاره بأنّ التّشبیه لبیان حال من یعرف بمن لا یعرف، و ثانیه بأنّ التّشبیه فی أصل الصّلاه لا فی قدر الصّلاه، و ثالثه بأنّ معناه: اجعل لمحمّد صلاه بمقدار الصّلاه لإبراهیم و آله و فی آل إبراهیم خلایق لا یحصون من الأنبیاء، و لیس فی اللّه نبیّ فطلب إلحاق جمله فیها نبیّ واحد بما فیه الأنبیاء، و ربّما اجیب باجوبه اخر و لا حاجه إلیها و الأظهر الأوسط.

الخامسه

دلّ حدیث کعب المذکور علی مشروعیّه الصّلاه علی الآل تبعا له صلّی اللّه علیه و آله، و علیه اجماع المسلمین، و هل یجوز علیهم لا تبعا بل افرادا کقولنا: اللهمّ صلّ علی آل محمّد بل الواحد منهم لا غیر أم لا؟ قال أصحابنا: بجواز ذلک، و قال الجمهور:

بکراهته لأنّ الصّلاه علی النبیّ صارت شعارا فلا یطلق علی غیره و لا یهامه الرّفض و الحقّ ما قاله الأصحاب لوجوه.

الأوّل قولی تعالی مخاطبا للمؤمنین کافه: «هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ وَ مَلائِکَتُهُ »

ص:۲۰۷

و هو نصّ فی الباب.

الثّانی قوله تعالی: «اَلَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ » و لا ریب أنّ أهل البیت أصیبوا بأعظم المصائب الذی من جملتها اغتصابهم مقام امامتهم.

أقول: و هذا الدّلیل لعلّه مأخوذ من العلاّمه قدس اللّه روحه و قد حکی فی لؤلؤه البحرین من کتاب حیاه القلوب أنّه قدّس اللّه سرّه ناظر أهل الخلاف فی مجلس سلطان محمّد خدا بنده أنار اللّه برهانه و بعد إتمام المناظره و بیان حقّیه مذهب الامامیه الاثنی عشریه خطب قدّس اللّه لطفه خطبه بلیغه مشتمله علی حمد اللّه و الصّلاه علی رسوله و الأئمه علیهم السّلام.

فلمّا سمع ذلک السّید الموصلی الذی هو من جمله المسکوتین بالمناظره قال ما الدّلیل علی جواز توجیه الصّلاه علی غیر الأنبیاء؟ فقرأ الشّیخ العلاّمه فی جوابه بلا انقطاع الکلام: الّذین إذا أصابتهم مصیبه، الآیه فقال الموصلی بطریق المکابره:

ما المصیبه التی أصابت إلیهم حتّی أنّهم یستوجبون بها الصّلاه؟ فقال الشّیخ: من أشنع المصائب و أشدّها أن حصل من ذراریهم مثلک الذی ترجّح المنافقین الجهّال المستوجبین اللعنه و النکال علی آل رسول المتعال، فاستضحک الحاضرون و تعجّبوا من بداهه آیه اللّه فی العالمین و قد انشد بعض:

إذ العلویّ تابع ناصبیّا بمذهبه فما هو من أبیه

و کان الکلب خیرا منه قطعا لأنّ الکلب طبع أبیه فیه

الثّالث أنّه لمّا أتی أبوأ و فی بزکاته قال النبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم: اللهمّ صلّ علی أبی أوفی و آل أبی أوفی، فیجوز علی أهل البیت بطریق أولی.

الرّابع انّ الصّلاه من اللّه بمعنی الرّحمه و یجوز الرّحمه علیهم إجماعا فیجوز مراد فها لما تقرّر فی الاصول من أنّه یجوز إقامه احد المترادفین مقام الآخر الخامس قولهم إنّه صار شعارا للرسول قلنا مصادره علی المطلوب، لأنّها کما

دلت على الاعتناء برفع شأنه كذلك تدلّ على الاعتناء برفع شان أهله القائمين مقامه فيكون الفرق بينه و بينهم وجوبها فى حقه صلّى اللّه عليه و آله كلّما ذكر كما اخترناه.

أقول: التفريق بذلك غير خال عن التّأمل.

فان قلت: عاده السّلف قصره على الأنبياء.

قلت: العاده لا يخصّص كما تقرّر فى الاصول، هذا مع أنّ من أعظم السّلف الباقر و الصّادق عليهما السّلام، و لم يقولا بذلك.

السادس أنّ قولهم: إنّ ذلك يوهم الرّفض تعصّب محض و عناد ظاهر، نظير قولهم من السنه تسطيح القبور لكن لما اتخذته الرّافضه شعارا لقبورهم عدلنا منه إلى التسنيم، فعلى هذا كان يجب عليهم أنّ كلّ مسأله قال بها الاماميه أن يفتوا بخلافها و ذلك محض التعصّب و العناد، نعوذ باللّه من الأهواء المضلّه و الآراء الفاسده.

السادسه

مذهب علمائنا أجمع أنه يجب الصلاه على آل محمّد فى التشهدين، و به قال بعض الشافعيه، و فى إحدى الرّوايتين عن أحمد، و قال الشافعى بالاستحباب لنا روايه كعب و قد تقدّمت فى كيفيه الصلاه عليه و إذا كانت الصلاه عليه واجبه كانت كيفيتها أيضا واجبه.

و روى كعب أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله كان يقول ذلك فى صلاته و قال: صلّوا كما رأيتمونى أصلّى.

و عن جابر الجعفى عن الباقر عليه السّلام عن ابن مسعود الأنصارى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من صلّى صلاه و لم يصلّ فيها عليّ و على آلى و أهل بيتى لم يقبل منه.

السابعه

الآل الذين يجب الصلاه عليهم فى الصلاه و يستحبّ فى غيرها هم الأئمه المعصومون، لاطباق الأصحاب على أنهم هم الآل و لأنّ الأمر بذلك مشعر بغايه التعظيم المطلق الذى لا يستوجبه إلّا المعصوم، و أما فاطمه عليها السلام فتدخل أيضا لأنها بضعه منه.

الثانى

قال الجمهور: الصلاه من اللّه الرّحمه و من الملائكه الاستغفار و من الآدميّين

الـدّعاء، و اسـتبعد تاره باقتضائه كونه مشتركا لفظيا و الأصل العـدم، و اخرى بأنّا لا نعرف فى العربيه مسـندا واحـدا يختلف معناه باختلاف المسـند إليه إذا كان الاسـناد حقيقيا، و ثالثه بأن الرحمه فعلها متعدّ و الصـلاه فعلها قاصـر و تفسير القاصر بالمتعدّى غير مناسب، و رابعه بأنه لو قيل مكان صلّى عليه دعا عليه انعكس المعنى و لو كانا مترادفين صحّ حلول كلّ منهما محلّ الآخر.

و قـال المحقّقون: إنّه لغه بمعنى العطف و العطف بالنّسـبه إلى اللّه الرّحمه اللايقه و إلى الملائكه الاسـتغفار و إلى الآدميّين دعاء بعضهم لبعض، قال السّهيلى:

الصّلاه كلّهـا و إن اختلفت معانيهـا راجعه إلى أصـل واحـد فلا تظنهـا لفـظ اشتراك و لا اسـتعاره إنّمـا معناها العطف و يكون محسوسا و معقولا انتهى. فعلى ما ذكروه يكون مشتركا معنويا و هو أولى من الاشتراك اللفظى إذا دار الأمر بينه و بينه

الثالث

قال الشّـهيد الثانى نوّر اللّه مضـجعه فى الرّوضه غايه السؤال بالصّلاه عايده إلى المصلّى لأنّ اللّه تعالى قد أعطى نبيّه من المنزله و الزّلفى لديه ما لا يؤثر فيه صلاه مصلّ كما نطقت به الأخبار و صرّح به العلماء الأخيار.

أقول: أمّا انتفاع المصـلّى بالصّلاه و استحقاقه بها الثواب الجزيل و الجزاء الجميل فممّا لا غبار عليه و ستطّلع على ذلك فى التنبيه الآتى، و أمّا عـدم تأثيره فى حقّه صـلوات اللّه عليه و آله فممنوع، لأنّ مراتب القرب إليه تعالى و الزّلفى لـديه غير متناهيه فيجوز أن يوجب كلّ صلاه عليه الارتقاء من مرتبه إلى مرتبه فوقها.

فان قلت: يستلزم ذلک أن يكون صلوات اللّه عليه ناقصا فى ذاته و مرتبته مستكملا بالصّلاه و الدّعاء.

قلت: إن أردت نقصه بالنّسـبه إلى الواجب فمسـلّم و لا ضـير فيه و إن أردت النقص بالنسـبه إلى الموجودات الممكنه فلا بيان ذلک أنّه أفضل الموجودات و أشـرف المجعولات و أكمل المخلوقات، لا موجود سواه إلّا و هو دونه و لا مجعول غيره إلّا و هو ناقص بالنسبه إليه، لكنّه صلوات اللّه عليه و آله مع ذلک كلّه ممكن

ص:۲۱۰

محتاج فی وجوده و بقائه و استکمال ذاته إلی الواجب تعالی و هو قدیم و فیضه غیر متناه، و هو قابل بذاته لکسب الفیوضات و ازدیاد الدّرجات و هو تعالی ولیّ الخیرات و الحسنات، و هو علی کلّ شیء قدیر هذا.

و قد عثرت بعد ما حقّقت المقام علی کلام المحدّث العلامه المجلسی فی هذا المرام ذکره فی کتاب مرآت العقول علی بسط و تفصیل فأحببت نقل ما أورده لتضمّنه فواید ستیّه.

قال «ره»: اختلف العلماء فی أنّه هل ینفعهم الصّلاه شیئا أم لیس إلّا لانتفاعنا فذهب الاکثر إلی أنّهم صلوات اللّه علیهم لم یبق لهم کمال منتظر بل حصل لهم جمیع الخصال السّنیه و الکمالات البشریه و لا یتصوّر للبشر أکثر ما منحهم اللّه تعالی، فلا یزیدهم صلواتنا علیهم شیئا بل یصل نفعها إلینا و إنّما أمرنا بذلک لاظهار حبّهم و ولائهم، بل هی إنشاء لاظهار الاخلاص و الولاء لنا، و لیس الغرض طلب شیء لهم.

و یترتّب علیه أن یفیض اللّه علینا بسبب هذا الاظهار فیوضه و مواهبه و عطایاه کما أنّه إذا کان لأحد محبوب یحبّه حبّا شدیدا و قد أعطاه کلّما یمکن فاذا کان لرجل حاجه عند المحبّ یتقرّب إلیه بالثّناء علی محبوبه و طلب شیء له تقرّبا إلیه باظهار حبّه و تصویبه فی إکرامه و أنّه مستحقّ لما أعطاه حقیق بما أولاه.

و هذا الکلام عندی مدخول بل یمکن توجیهه بوجوه اخر لکلّ منها شواهد من الأخبار.

الأوّل أن تکون الصّلاه سببا لمزید قربهم و کمالاتهم و لم یدلّ دلیل علی عدم ترقیهم إلی ما لا یتناهی من الدّرجات العلی فی الآخره و الاولی، و کثیر من الأخبار یدلّ علی خلافه کما ورد فی کثیر من أخبار التفویض أنّه إذا أراد اللّه سبحانه أن یفیض شیئا علی امام العصر یفیضه أوّلا علی رسول اللّه ثمّ علی إمام إمام حتّی ینتهی إلی إمام الزمان لئلا یکون آخرهم أعلم من أوّلهم.

و کما أنّ بیننا و بین موالینا صلوات اللّه علیهم من أرباب العصمه و الطهاره

درجات غير متناهيه لاـ يمكن لأحدنا و إن عرج على معارج القرب و الكمال أن يصل إلى أدنى منازلهم، فكذا بينهم عليهم السّلام و بين جناب الالوهيه و ساحه الرّبوبيه معارج غير متناهيه كلّما صعدوا بأجنحه الرفعه و الكمال على منازل القرب و الجلال لا تنتهى تلك المعارج و يعدون أنفسهم فى جنب ساحه القدس مثل الذّره أو دونها.

و قد افيض على وجه وجيه فى استغفار النبيّ و الأئمه صلوات اللّه عليهم يناسب هذا الوجه و هو: أنّهم صلوات اللّه عليهم لمّا كانوا دائما فى الترقى فى مدارج المعرفه و القرب و الكمال ففى كلّ آن تحصل لهم معرفه جديده و قرب جليل و كمال عتيد عدّوا أنفسهم مقصّرين فى المرتبه السّابقه فى المعرفه و القرب و الطاعه كانوا يستغفرون منها و هكذا إلى ما لا نهايه لها.

و قد ورد فى الرّوايات الكثيره أنّ أشرف علومنا علم ما يحدث بالليل و النّهار آنا فآنا و ساعه فساعه، و يؤيّده ما روى فى تفسير قوله سبحانه: «وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ »، أنّ أهل الجنّه فى كلّ يوم جمعه يجتمعون فى موضع يتجلّى لهم الرّب تبارك و تعالى بأنوار جلاله، فيرجع المؤمن بسبعين ضعفا ممّا فى يديه فيتضاعف نوره و ضياؤه، و هذا كنايه عن تضاعف قربه و معرفته.

الثانى أن تكون سببا لزياده المثوبات الاخرويّه و إن لم تصر سببا لمزيد قربهم و كمالهم.

و كيف يمنع ذلك عنهم و قد ورد فى الأخبار الكثيره وصول آثار الصّدقات الجاريه و الأولاد و المصحف و تعليم العلوم و العبادات إلى أموات المؤمنين و المؤمنات و أىّ دليل دلّ على استثنائهم عن تلك الفضايل و المثوبات، بل هم آباء هذه الامه المرحومه و الامه عبيدهم و ببركتهم فازوا بالسّعادات و نجوا من المهلكات، و كلّما صدر عن الامه من خير و سعاده و طاعه يصل إليهم نفعها و بركتها و لا منقصه لهم فى ذلك مع أنّ جميع ذلك من آثار مساعيهم الجميله و أياديهم الجليله.

الثالث أن تصير سببا لأمور تنسب إليهم من رواج دينهم و كثره امّتهم و استيلاء

قائمهم و تعظیمهم و ذکرهم فی الماء الأعلی بالجمیل و بالتّفخیم و التبجیل.

و قد ورد فی بعض الأخبار فی معنی السّلام علیهم: أنّ المراد سلامتهم و سلامه دینهم و شیعتهم فی زمن القائم علیه السّلام، انتهی کلامه رفع مقامه.

الرابع

فی فضیله الصّلاه و ثوابها، و الأخبار فی ذلک کثیره لا تحصی.

فمنها ما فی ثواب الأعمال للصّدوق باسناده عن عباس بن ضمره عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: الصّلاه علی النبیّ و آله صلّی اللّه علیه و اله و سلّم أمحق للخطایا من الماء إلی النّار و السّلام علی النبیّ و آله أفضل من عتق رقاب و حبّ رسول اللّه أفضل من مهج الأنفس أو قال ضرب السّیوف فی سبیل اللّه.

و عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إذا ذکر النبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم فأکثروا الصّلاه علیه فانّه من صلّی علی النبیّ صلاه واحده صلّی اللّه علیه ألف صلاه فی ألف صفّ من الملائکه و لم یبق شیء ممّا خلق اللّه إلّا صلّی علی ذلک العبد لصلاه اللّه علیه و صلاه ملائکته، و لا یرغب عن هذا إلّا جاهل مغرور قد بریء اللّه منه و رسوله، و رواه أیضا فی جامع الأخبار کالکلینی فی الکافی نحوه.

و عن أبی البختری عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم: أنا عند المیزان یوم القیامه فمن ثقلت سیئآته علی حسناته جئت بالصّلاه علیّ حتّی اثقل بها حسناته، و رواه فی جامع الأخبار مثله.

و عن عبد السّلام بن نعیم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّی دخلت البیت فلم یحضرنی شیء من الدّعاء إلّا الصّلاه علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال علیه السّلام و لم یخرج أحد بأفضل ممّا خرجت.

و عن الحارث الأعور قال: قال أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام: کلّ دعاء محجوب عن السّماء حتّی یصلّی علی محمّد و آله.

و عن الصّباح بن سیابه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: ألا أعلّمک شیئا یقی اللّه وجهک من حرّ جهنم؟ قال: قلت: بلی، قال: قل بعد الفجر: اللهمّ صلّ علی محمّد و آل محمّد

مأئه مرّه يقى اللّه به وجهك من حرّ جهنم.

و عن محمّد بن أبى عمير عمن أخبره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: وجدت فى بعض الكتب: من صلّى على محمّد و آل محمّد كتب اللّه له مأئه حسنه، و من قال صلّى اللّه على محمّد و أهل بيته كتب اللّه له ألف حسنه.

و عن محمّد بن الفضيل عن أبى الحسن الرّضا قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من صلّى علىّ يوم الجمعه مأئه صلاه قضى اللّه له ستّين حاجه ثلاثون للدّنيا و ثلاثون للآخره.

و عن أبى المغيره قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: من قال فى دبر صلاه الصّبح و صلاه المغرب قبل أن يثنّى رجليه أو يكلّم أحدا: إنّ اللّه و ملائكته يصلّون على النبىّ يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليما اللهمّ صلّ على محمّد و ذرّيته قضى اللّه له مأئه حاجه سبعين «سبعون» فى الدّنيا و ثلاثين «ثلاثون» فى الآخره، قال: قلت: ما معنى صلوات اللّه و صلوات ملائكته و صلوات المؤمن؟ قال: صلوات اللّه رحمه من اللّه و صلوات الملائكه تزكيه منهم له، و صلوات المؤمنين دعاء منهم له.

و من سرّ آل محمّد فى الصّلاه على النبىّ و آله: اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد فى الأوّلين، و صلّ على محمّد و آل محمّد فى الآخرين، و صلّ على محمّد و آل محمّد فى الملاء الأعلى، و صلّ على محمّد و آل محمّد فى المرسلين اللهمّ اعط محمّدا الوسيله و الشّرف و الفضيله و الدّرجه الكبيره، اللهمّ إنّى آمنت بمحمّد و لم أره فلا تحرمنى يوم القيامه رؤيته، و ارزقنى صحبته و توفّنى على ملّته و اسقنى من حوضه مشربا «شرباخ» رويا سائغا هنيئا لا ظمأ بعده أبدا إنّك على كلّ شىء قدير اللهمّ كما آمنت بمحمد و لم أره فعرفنى فى الجنان وجهه اللهمّ بلّغ روح محمّد تحيّه كثيره و سلاما.

فانّ من صلّى على النبىّ بهذه الصّلاه هدمت ذنوبه و محيت خطاياه و دام سروره و استجيب دعاؤه و اعطى أمله و بسط له فى رزقه و اعين على عدوّه و هيّىء له سبب أنواع الخير و يجعل من رفقاء نبيّه فى الجنان الأعلى، يقولهنّ ثلاث مرّات غدوه و ثلاث مرّات عشيّه.

و عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذات يوم

لأمير المؤمنين: ألا أبشّرك؟ قال: بلى بأبى أنت و أمّى، فانّك لم تزل مبشّرا بكلّ خير فقال: أخبرنى جبرئيل آنفا بالعجب، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام و ما الّذى أخبرك يا رسول اللّه؟ قال: أخبرنى أنّ الرّجل من امّتى إذا صلّى علىّ فاتبع بالصلاه على أهل بيتى فتحت له أبواب السّماء و صلّت عليه الملائكه سبعين صلاه و إنّه إن كان من المذنبين تحات عنه الذنوب كما تحات الورق من الشّجر، و يقول اللّه تبارك و تعالى:

لبّيك عبدى و سعديك يا ملائكتى أنتم تصلّون عليه سبعين صلاه و أنا اصلّى عليه سبعمائه صلاه، فان صلّى علىّ و لم يتبع بالصّلاه على أهل بيتى كان بينها و بين السّماء سبعون حجابا و يقول اللّه جلّ جلاله: لا لبيك و لا سعديك يا ملائكتى لا تصعدوا دعائه إلّا أن يلحق بالنبىّ عترته، فلا يزال محجوبا حتّى يلحق بى أهل بيتى.

و عن معاويه بن عمّار عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من قال فى يوم مأئه مرّه ربّ صلّ على محمّد و على أهل بيته، قضى اللّه له مأئه حاجه ثلاثون منها للدّنيا، و سبعون منها للآخره.

و عن عبد اللّه بن سنان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ارفعوا أصواتكم بالصّلاه علىّ فانّها يذهب بالنّفاق.

و فى جامع الأخبار عن أبى هريره أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: من صلّى علىّ فى كتابه لم يزل الملائكه تصلّى عليه ما دام ذلك مكتوبا إلى يوم القيامه.

و فيه أيضا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: من صلّى علىّ مرّه صلّى اللّه عليه ألف مرّه لا يعذّبه «كذا» فى النّار أبدا، و قال: من صلّى علىّ مرّه فتح اللّه عليه بابا من العافيه، و قال من صلّى علىّ مرّه لم يبق من ذنوبه ذرّه.

و روى عن عبد اللّه بن مسعود أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: إنّ أولى النّاس فى يوم القيامه أكثرهم صلاه، و قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى الوصيه: يا على من صلّى كلّ يوم أو كلّ ليله وجبت له شفاعتى و لو كان من أهل الكباير.

عن أنس بن مالك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ أقربكم منّى يوم القيامه فى كلّ موطن أكثركم علىّ صلاه فى دار الدّنيا، و من صلّى فى يوم الجمعه أو فى ليله

ص:۲۱۵

الجمعه مأئه مرّه قضـى اللّه له مأئه حاجه سبعين من حوائـج الآخره و ثلاثين من حوائـج الدّنيا، ثمّ يوكل اللّه له بكلّ صـلاه ملكا يدخل فى قبرى كما يدخل أحدكم الهدايا و يخبرنى من صلّى علىّ باسمه و نسبه إلى عشيرته فاثبته عندى فى صحيفه بيضاء.

عن الرّضا عليه السّلام من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصّلاه على محمّد و آله فانّها تهدم الذّنوب هدما.

و قال النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم من قال: صـلّى اللّه على محمّد و آل محمّد أعطاه اللّه أجر اثنين و سـبعين شهيدا و خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه.

روى عن أنس بن مالك عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ما من أحد يذكرنى ثمّ صلّى علىّ إلاّ غفر اللّه له ذنوبه و إن كان أكثر من رمل عالج.

و قال صلوات اللّه عليه و آله: من صلّى علىّ يوم الجمعه مأئه مرّه غفر اللّه له خطيئته ثمانين سنه.

و قال صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: من صـلّى علىّ مرّه خلق اللّه تعالى يوم القيامه على رأسه نورا و على يمينه نورا و على شـماله نورا و على فوقه نورا و على تحته نورا، و فى جميع، أعضائه نورا.

و قال صلّى اللّه عليه و آله: لن يلج النّار من صلّى علىّ.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الصّلاه علىّ نور على الصّراط، و من كان له على الصّراط من النور لم يكن من أهل النّار.

و فى روايه عبـد الرحمن بن عون أنّه قال: جائنى جبرئيل و قال: إنّه لا يصـلّى عليك أحد إلاّ و يصـلّى عليه سـبعون ألف ملك و كان من أهل الجنه.

عن أنس عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: من صلّى علىّ ألف مرّه لم يمت حتّى يبشّر بالجنّه.

و قال قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم من صـلّى علىّ و على آلى تعظيما خلق اللّه من ذلك القول ملكا يرى جناح له بـالمغرب و الآخر بالمشـرق و رجلاه مغموسـتان من الأرض السّـفلى و عنقه ملتوى تحت العرش، فيقول اللّه عزّ و جلّ: صلّ على عبدى كما صلّى

على النبيّ، فهو يصلّى عليه إلى يوم القيامه إلى غير هذه من الأخبار المتجاوزه عن حدّ الاحصاء.

و الحمد للّه الذى جعل صلاتنا عليه و آله و ما خصّنا به من ولايتهم طيبا لخلقنا و طهاره لأنفسنا و تزكيه لنا و كفاره لذنوبنا، و له الشّكر على ما آثرنا بذلك و خصّصنا به دون غيرنا كثيرا كثيرا.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست كه تعليم فرموده خلق را در آن صلوات فرستادن به پيغمبر را.

اى خداوند ما اى گستراننده گستردها چون هفت طبقه زمين و أى نگه دارندۀ بلند شده ها چون طبقات چرخ برين و أى مجبول نمايندۀ قلبها بر فطرت اصليۀ آنها كه مجبول نموده قلبهاى با شقاوت را بشقاوت و قلبهاى با سعادت را بسعادت، بگردان شريف ترين درودهاى خود را و بلندترين و افزونترين بركتهاى خود بر محمّد بن عبد اللّه كه بندۀ برگزيده و رسول پسنديدۀ تو است كه ختم كنندۀ آن چيزى است كه گذشته از پيش از شريعت و ملت، و گشايندۀ آن چيزيست كه بسته شده از باب رشاد و هدايت، و اظهار كنندۀ دين حق است با بيان درست و حق و دفع كنندۀ غلبهاى باطلان و شكنندۀ صولتهاى گمراهان.

صلوات فرست بر آن حضرت صلواتى كه مشابه باشد برسالتى كه برداشت آنرا و قوى شد به برداشتن او در حالتى كه استاده بود بفرمان تو و صاحب تعجيل بود در تحصيل رضاى تو، و در حالتى كه جبون نبود از پيشى گرفتن در أداء أوامر شريعت و سست نبود در عزيمت بابلاغ أحكام ملت، نگاه دارنده بود وحى تو را، حفظ كننده بود عهد تو را، گذرنده باجراء فرمان تو تا آنكه برافروخت شعلۀ نور حق را بجهه طالبين، و روشن ساخت راه شرع متين را از براى خبط كننده و جاهلين، و هدايت يافته شده بوجود مبارك آن قلبها بعد از غوطه خوردن در فتنها، و بر پا نمود علمهاى راه نماينده و احكام روشنى دهنده را.

ص:٢١٧

پس او امین تو است و خزینه دار علم مخزون و سرّ مکنون تو، و شاهد تو است در روز جزا و فرستادهٔ تو بسوی خلق بار خدایا گشاده گردان از برای آن حضرت مکان با وسعت در سایهٔ کشیدهٔ خود، و جزا بده او را زیادتیهای خیر را از فضل و رحمت خود.

بار خدایا بلند گردان بر بنای بانیان بنای او را که عبارتست از دین مبین و شرع متین، و گرامی دار نزد خود منزل او را که جنت عدن است و فردوس برین، و تمام گردان از برای او نور او را که احاطه نماید بهمه خلایق، و پاداش ده او را از جهه مبعوث نمودن تو او را شهادت پذیرفته شده و گفتار پسندیده در حالتی که او صاحب نطق عادلست و صاحب خصلت جدا کننده میان حق و باطل.

بار خدایا جمع کن میان ما و میان او در خوشی زندگانی و در ثبات نعمت جاودانی و در مطلوبهای آرزوها و در خواهشات لذّتها و در گشادگی آسایش و راحت و در پایان آرامی و استراحت و در تحفهای کرامت که معدّاست و مهیا برای أهل جنّت.

و من کلام له علیه السلام قاله لمروان بن الحکم

اشاره

بالبصره و هو الثانی و السبعون من المختار فی باب الخطب

قالوا: اخذ مروان بن الحکم اسیرا یوم الجمل فاستشفع الحسن و الحسین علیهما السّلام إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فکلّماه فیه فخلّی سبیله فقالا ـ له: یبایعک یا أمیر المؤمنین. فقال: أو لم یبایعنی بعد قتل عثمان؟ لا حاجه لی فی بیعته، إنّها کفّ یهودیّه لو بایعنی بکفّه لغدر بسبّته، أما إنّ له إمره کلعقه الکلب أنفه، و هو أبو الأکبش الأربعه، و ستلقی الامّه منه و من ولده یوما أحمر.

ص:۲۱۸

اللغه

قال الشّارح المعتزلی یقال استشفعت فلانا إلی فلان و سألته ان یشفع لی إلیه و تشفّعت إلی فلان فی فلان فشفّعنی فیه تشفیعا، و قول النّاس استشفعت بفلان إلی فلان لیس بذلک الجید انتهی، و (السّبه) بالفتح الاست، و (الامره) بالکسر مصدر کالاماره و قیل اسم و (لعقه) کسمعه لحسه لعقه و یضمّ و (کبش) القوم رئیسهم و (الولد) بالتّحریک مفرد و جمع.

الاعراب

فاعل استشفع فی کلام السّید راجع إلی مروان، قوله: انّها وارد فی مقام التّعلیل لعدم الحاجه و حذف منه الجار، و الضّمیر فیه راجع إلی الکفّ المفهوم من البیعه لجریان العاده بوضع المبایع کفّه فی کفّ المبتاع، و یهودیّه بالرّفع صفه لکفّ.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ مروان الملعون هو ابن الحکم بن أبی العاص بن امیّه بن عبد شمس ابن عبد مناف، و کان أبوه الحکم لعنه اللّه عمّ عثمان بن عفّان و قد طرده رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و نفاه عن المدینه مع ابنه مروان، و کان مروان یومئذ طفلا فلم یزالا بالطایف حتّی ولی عثمان فردّه إلی المدینه مع ولده.

و اختلف فی السّبب الموجب لنفیه له فقیل: إنّه یتحیل و یستخفی و یسمع ما یسرّه رسول اللّه إلی أکابر الصّحابه فی مشرکی قریش و سایر الکفّار و المنافقین، و قیل: یتجسّس علی رسول اللّه و هو عند نسائه و یصغی إلی ما لا یجوز الاطلاع علیه ثمّ یحدّث به المنافقین علی طریق الاستهزاء، و قیل: کان یحکیه فی بعض مشیه و بعض حرکاته، فقد قیل: إنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله إذا مشی یتکفّاء، و کان الحکم بن العاص یحکیه و کان شانئا له حاسدا مبغضا، فالتفت رسول اللّه یوما فرآه یمشی خلفه یحکی فی مشیته فقال له کذلک فلتکن یا حکم، فکان الحکم مختلجا یرتعش من یومئذ.

و فی شرح المعتزلی من کتاب الاستیعاب باسناد ذکره عن عبد اللّه بن عمرو بن

العاص أنّ الرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يدخل عليكم رجل لعين، قال: و كنت قد رأيت أبى يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول اللّه فلم أزل مشفقا أن يكون أوّل من يدخل، فدخل الحكم بن أبى العاص.

و عن النّهايه فى حديث عايشه قالت لمروان: إنّ اللّه لعن أباك و أنت فضض من لعنه اللّه أى قطعه و طائفه منها، و رواه بعضهم فظاظه من لعنه اللّه بظائين من الفظيظه و هو ماء الكرش. و قال الزّمخشرى افتظظت الكرش اعتصرت مائها كأنّها عصاره من لعنه اللّه.

و كيف كان فهو الطريد ابن الطريد، و اللعين ابن اللعين و منافق ابن منافق، و لذلك أنّ الحسنين عليهما السّلام لمّا قالا لأمير المؤمنين عليه السّلام إنّه يبايعك يا أمير المؤمنين فقال (أ و لم يبايعنى بعد قتل عثمان) فغدر و حضر فيمن حضر حرب الجمل (لا حاجه لى فى بيعته إنّها) أى كفّه (كفّ يهوديّه) غادره و النّسبه إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم كما نبّه عليه السّلام على ذلك بقوله (لو بايعنى بيده لغدر بسبّته) أراد أنّه لو بايع فى الظاهر لغدر فى الباطن و ذكر السّبه إهانه له.

(أما انّ له امره كلعقه الكلب أنفه) أشار بذلك إلى قصر مدّه امارته، فقد قيل: انّه ولى الأمر تسعه أشهر، و قيل: ستّه أشهر، و قيل أربعه أشهر و عشره أيّام (و هو أبو الكبش الأربعه) فسّر الأكثر ذلك ببنى عبد الملك بن مروان: الوليد، و سليمان، و يزيد، و هشام، و لم يل الخلافه من بنى اميّه و لا من غيرهم أربعه اخوه إلاّ هؤلاء.

قال المعتزلى: و عندى أنّه يجوز أن يعنى به بنى مروان لصلبه، و هم عبد الملك الذى ولى الخلافه، و بشر الذى ولى العراق، و محمّد الذى ولى الجزيره، و عبد العزيز الذى ولى مصر، و لكلّ منهم آثار مشهوره (و ستلقى الامّه منه و من ولده يوما أحمر) أى شديدا و فى بعض النّسخ موتا أحمر و هو كنايه عن القتل.

تكمله

هذا الكلام مروىّ بنحو آخر، و هو ما رواه فى البحار من الخرائج عن

ابن الصّير فى عن رجل من مراد قال: كنت واقفا على رأس أمير المؤمنين عليه السّلام يوم البصره إذ أتاه ابن عبّاس بعد القتال فقال: إنّ لى حاجه فقال ما اعرفنى ما الحاجه التى جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم؟ قال: نعم اريد أن تؤمنه قال أمنته و لكن اذهب و جئنى به و لا تجئنى به إلّا رديفا فانّه أذلّ له.

فجاء به ابن عباس رد فاخلفه كانّه قرد قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أ تبايع؟ قال:

نعم، و فى النّفس ما فيها قال: اللّه أعلم بما فى القلوب فلمّا بسط يده ليبايعه أخذ كفّه عن كفّ مروان فترها فقال لا حاجه لى فيها إنّها كفّ يهوديّه لو بايعنى بيده عشرين مرّه لنكث باسته، ثمّ قال:

هيه هيه يابن الحكم خفت على رأسك أن تقع فى هذه المعمعه، كلّا و اللّه حتّى يخرج من صلبك فلان و فلان يسومون هذه الامّه خسفا و يسقونه كاسا مصبره قال المجلسى: قوله فترّها، كذا فى أكثر النّسخ باليّاء و الرّاء المهمله فى القاموس ترّ العظم و يترّ تريرا و ترور ابان و انقطع، و قطع كأترّ و التّرتر كالتزلزل و التّقلقل، و فى بعض النّسخ فنترها بالنّون و الثّاء المثلثه أى نفضها، و فى بعضها فنترها بالنّون و التّاء المثنّاه من النّترو هو الجذب بقوّه و فى القاموس يقال لشىء يطرد هيه هيه بالكسر و هى كلمه استراده أيضا، و فى النّهايه المعامع شدّه الموت و الجدّ فى القتال و المعمعه فى الاصل صوت الحريق و المعمعان شدّه الحرّ.

أقول: و لعله أراد بقوله كأسا مصبره كأسا مرّا كان فيها صبرا.

الترجمه

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرت است كه فرمود از براى مروان بن حكم در شهر بصره، راويان گويند كه گرفتند مروان بن حكم را اسير در روز حرب جمل پس شفيع نمود حسن و حسين عليهما السّلام را مروان بسوى أمير المؤمنين عليه السّلام پس سخن گفتند آن دو بزرگوار بآن حضرت در خصوص آن بى اخلاص، پس رها كرد آن را، پس عرض كردند ايشان كه بيعت ميكند مروان بتو اى أمير مؤمنان پس آن حضرت فرمود كه:

آیا بیعت نکرد آن بیدین بعد از کشته شدن عثمان لعین هیچ حاجت نیست مرا در بیعت آن بدبخت، بدرستی که دست آن ملعون دست یهودی است یعنی مثل طائفهٔ یهود مکار و غدار است اگر بیعت کند بمن بدست خود هر آینه غدر کند باد بر خود، یعنی اگر ظاهرا بیعت نماید باطنا نقض آن را خواهد نمود.

آگاه باشد که بدرستی باشد او را امارتی بغایت کوتاه مانند لیسیدن سک بینی خود را و او است پدر چهار رئیس، مراد عبد الملك و عبد العزيز و بشر و محمّد است که همه پسران مروان بودند، و زود باشد که برسند این امت از جانب مروان و از جانب پسران او روز با شدّت، مراد قتل و غارتیست که از ایشان صادر شد.

و من كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعه عثمان

اشاره

و هو الثالث و السبعون من المختار فی باب الخطب

لقد علمتم أنّى أحقّ بها من غيرى، و و اللّه لاسلّمنّ ما سلمت أمور المسلمين، و لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصّه التماسا لأجر ذلك من فضله، و زهدا فيما تنافستموه من زخرفها و زبرجها.

اللغه

(نافست) فى الشىء منافسه و نفاسا إذا رغبت فيه على وجه المباراه و (الزّخرف) بالضمّ الذّهب و كمال حسن الشىء قال تعالى: «حَتّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها » و (الزّبرج) بالكسر الزّينه.

الاعراب

كلمه ما فى قوله ما سلمت ظرفيّه مصدريه، و خاصّه منصوب على الحاليّه، و التماسا مفعول له و العامل لاسلّمن و من زخرفها بيان لما.

المعنى

المستفاد من شرح المعتزلى أنّ هذا الكلام صدر منه عليه السّلام بعد أن بايع أهل الشّورى عثمان و عدّ عليه السّلام فضائله و سوابقه، و ناشد أصحاب الشّورى فقطع عبد الرّحمن ابن عوف كلامه و قال يا على: قد أبى النّاس إلاّ على عثمان فلا تجعلنّ على نفسك سبيلا، ثمّ قال عليه السّلام: يا با طلحه ما الذى أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شقّ عصا الجماعه، فقال عبد الرّحمن لأمير المؤمنين بايع إذن و إلاّ كنت متّبعا غير سبيل المؤمنين و انفذنا فيك ما أمرنا به فعند ذلك قال:

(لقد علمتم أنّى أحقّ بها) أى بالخلافه المستفاده من قرينه المقام (من غيرى) لاستجماعه عليه السّلام الكمالات النّفسانيه و الفضايل الدّاخليّه و الخارجيّه مضافا إلى وصيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بها، فيكون أولى و أحقّ و ذلك لا يستلزم كون غيره حقيقا أيضا إذا سم التّفضيل فى كلامه نحوه فى قوله تعالى:

«قُلْ أ ذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّهُ الْخُلْدِ ».

ثمّ نبه عليهما السّلام على أنّ رغبته فيها ليست حرصا على زخارف الدّنيا و زينتها و امارتها كما هى فى غيره، و إنّما هى لرعايه مصلحه الاسلام و صلاح حال المسلمين فقال (و و اللّه لاسلمنّ) و أتركن المخالفه (ما سلمت امور المسلمين) أى مهما كان فى تسليمى سلامه امور المسلمين (و لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصّه) و إنّما سلمت ذلك (التماسا لأجر ذلك من فضله) أى لأجر المظلوميّه و الجور الواقع فى حقّى من فضل اللّه سبحانه (و زهدا فيما تنافستموه) و رغبه عمّا رغبتم فيه (من زخرفها و زبرجها) أى ذهب الدّنيا و زينتها.

قال المحدّث المجلسى: فى هذا الكلام دلاله على أنّ خلافه غيره جور مطلقا و أنّ التّسليم على التّقدير المفروض و هو سلامه امور المسلمين و إن لم يتحقّق الفرض لرعايه مصالح الاسلام و التّقيه انتهى.

و بذلك يظهر ما فى كلام الشّارح المعتزلى حيث قال:

فان قلت: فهلاّ سلم إلى معاويه و إلى أصحاب الجمل و اغضى على اغتصاب

ص:۲۲۳

حقّه حفظا للاسلام من الفتنه.

قلت: إنّ الجور الدّاخل عليه من أصحاب الجمل و من معاويه و أهل الشّام لم يكن مقصورا عليه خاصّه، بل كان يعمّ الاسلام و المسلمين جميعا، لأنّهم عنده لم يكونوا ممّن يصلح لرياسه الامّه و تحمّل أعباء الخلافه، فلم يكن الشّرط الذى اشترطه متحقّقا و هو قوله: و لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصّه.

ثمّ قال: و هذا الكلام يدلّ على أنّه عليه السّلام لم يكن يذهب إلى أنّ خلافه عثمان تتضمّن جورا على المسلمين و الاسلام و إنّما يتضمّن جورا عليه خاصّه و إنّما وقعت على جهه مخالفه الاولى لا على جهه الفساد الكلّى و البطلان الأصلى و هذا محض مذهب أصحابنا انتهى.

و أقول: أماما ذكره من التفرقه بين المتخلّفين الثلاثه و بين النّاكثين و القاسطين بكون جور الأولين مقصورا عليه خاصّه و جور الآخرين عامّا له و للاسلام و المسلمين، فضعيف جدّا كضعف توهّمه صلاحيه الأوّلين عنده عليه السّلام لرياسه الامه و عدم صلاحيه الآخرين لها.

أما أولا فلمنع انحصار جور الأولين فيه خاصّه ألم يبعث الأوّل خالد بن الوليد لعنه اللّه إلى مالك بن نويره فقتله و أصحابه و زنى امرئته بمجرّد امساكه عن الزكاه و منع بضعه الرّسول من فدك أليس جورا بيّنا و ظلما فاحشا فضلا عن ساير ما صدر عنه؟ أو لم يأمر الثّانى باحراق بيت الصّديقه و منعها حقّها و أعطى عايشه و حفصه عشره آلاف درهم فى كلّ سنه و ظلم المسلمين فى بيت مالهم؟ أولا تنظر إلى الثّالث كيف اخرج أبى ذر إلى الرّبذه و كسر ضلع عبد اللّه بن المسعود و حمل بنى أبى معيط على رقاب النّاس و أتلف مال المسلمين و ظلمهم فى حقّهم و قام معه بنو اميّه «أبيه» يخضمون مال اللّه خضم الابل نبته الرّبيع؟ و لو لم يكن منهم جور إلاّ فى حقّه عليه السّلام لكفى فى بطلان خلافتهم إذ الجائر لا يكون إماما لقوله تعالى:

«لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ ».

و اما ثانيا فلمنع صلاحيّه الأولين عنده عليه السّلام للرياسه، و كيف يتوّهم ذلك مع تصريحه فى الخطبه الشّقشقيه و غيرها ممّا مرّت و يأتى بعد ذلك ببطلان خلافتهم و اغتصابهم حقّه فضلا عما حقّقنا سابقا فى غير موضع فساد خلافتهم و بطلان دعواهم لها.

فان قلت: فلم أمسك عنهم و نهض إلى معاويه و أصحاب الجمل؟ قلت: قد بيّنا جواب ذلك فيما سبق و قلنا إنّ إمساكه النكير على الأوّلين لعدم وجود ناصر و معين له يومئذ ينصره و يحمى له فأمسك عنهم تقيّه و حقنا لدمه بخلاف يوم الجمل، و صفّين كما مر تفصيلا فى تنبيهات كلامه السّابع و الثّلاثين، و بالجمله لا ريب فى بطلان خلافه الجميع و كون الكلّ جائرا ظالما فى حقّه و فى حقّ المسلمين، غايه الأمر أنّ معاويه و أصحاب الجمل هتكوا حرمه الاسلام بالمرّه و أعلنوا بعداوته عليه السّلام و شهر و اسيوفهم عليه، و الأولين لم يبلغوا هذه المثابه.

و بهذا كلّه ظهر فساد ما توّهمه أخيرا و نسبه إليه عليه السّلام من عدم ذهابه إلى بطلان خلافه عثمان أصلا و رأسا و إنّما كان يذهب إلى أنّها متضمنه للجور عليه خاصه فافهم جيدا.

الترجمه

از جمله كلام آن امام همام است كه فرموده در زمانى كه عزم كردند أهل شورى ببيعت عثمان.

بتحقيق هر آينه دانسته ايد كه آنكه بدرستى من سزاوارترم بخلافت از غير من و قسم بذات خداوند كه هر آينه تسليم ميكنم مادامى كه سلامت باشد كارهاى مسلمانان و نباشد در خلافت ديگران ستمى مگر بر من تنها از جهت خواهش نمودن ثواب آنرا از فضل خداوند تبارك و تعالى و از جهت اعراض نمودن در آنچه شما رغبت نموديد در آن از طلاى آن و زينت و آرايش آن.

و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بنى اميه

اشاره

له بالمشاركه فى دم عثمان و هو الرابع و السبعون

من المختار فى باب الخطب

أو لم ينه أميّه علمها بى عن قرفى؟ أو ما وزع الجهّال سابقتى عن تهمتى؟ و لما وعظهم اللّه به أبلغ من لسانى أنا حجيج المارقين، و خصيم المرتابين، و على كتاب اللّه تعرض الأمثال، و بما فى الصّدور تجازى العباد

اللغه

قوله (أو لم ينه اميّه) فى بعض النّسخ بنى اميه و كلاهما صحيحان، و المراد القبيله يقال كليب و بنو كليب و يراد بهما القبيله قال الشّاعر:

أشارت كليب بالأكفّ الأصابع

و قال آخر:

أبنى كليب إنّ عمّى اللّذا

و (قرف) فلانا من باب ضرب اتّهمه و عابه و (وزعه) عنه صرفه و كفّه و (السّابقه) الفضيله و التّقدّم و (الحجيج) المحاج من حجّ فلان فلانا اذا غلبه بالحجه و (المارق) الخارج من الدّين و (الخصيم) المخاصم.

الاعراب

الهمزه فى قوله أ و لم ينه و أ و ما وزع استفهام على سبيل الانكار التّوبيخى نحو قوله تعالى:

«أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ »...، «أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ ».

و الواو فى قوله و لما وعظهم يحتمل القسم و الاستيناف و الحال.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له وارد فى توبيخ بنى اميه و الطعن عليهم، فانّه عليه السّلام لما بلغه اتّهامهم له بالمشاركه فى دم عثمان و بخهم بقوله (أ و لم ينه اميّه علمها بى عن قرفى) قال الشّارح المعتزلى: يقول عليه السّلام أما كان فى علم بنى اميّه بحالى ما ينهيها عن قرفى و اتّهامى بدم عثمان، و حاله التى أشار إليها و ذكر أنّ علمهم بها يقتضى أن لا يقرفوه بذلك هى منزلته فى الدّين التى لا منزله أعلى منها، و ما نطق به الكتاب الصّادق من طهارته و طهاره بنيه و زوجته فى قوله:

«إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ».

و قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنت منّى بمنزله هارون من موسى، و ذلك يقتضى عصمته عن الدّم الحرام كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك ثمّ أكّد ذلك بقوله (أ و ما وزع الجهال) و ردعهم (سابقتى) فى الاسلام (عن تهمتى) ثمّ اعتذر عليه السّلام لنفسه فى عدم تاثير موعظته فيهم بقوله (و لما وعظهم اللّه به) فى كتابه (ابلغ من لسانى) و قولى.

يعنى انّ كلام اللّه سبحانه مع كونه أبلغ الموعظه و أكمل فى الرّدع و التحذير لا يوجب و زعهم و ردعهم عن القول و الاعتقاد بما لا يجوز و لا يؤثر فيهم، فكيف بكلامى و هذا الكلام نظير قوله فى الخطبه الرّابعه: و قر سمع لم يفقه الواعيه و كيف يراعى النبأه من أصمّته الصّيحه، و المراد بما و عظهم اللّه به الآيات النّاهيه عن الظنّ و الرّادعه عن الغيبه و المحذره من ايذاء المؤمنين مثل قوله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لا تَجَسَّسُوا وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ » و قوله: «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً ».

ص:۲۲۷

إلی غیر ذلک و هو کثیر فی القرآن ثمّ قال (أنا حجیج المارقین و خصیم المرتابین) أی مغالب الخارجین عن الدّین باظهار الحجه علیهم فی الدّنیا و الآخره و مخاصم الشّاکین فی الدّین أو فی کلّ حقّ فی خصوص الامامه من بنی امیّه و غیرهم.

روی فی غایه المرام عن الشّیخ فی أمالیه باسناده عن قیس بن سعد بن عباده قال: سمعت علیّ بن أبی طالب یقول: أنا أوّل من یجثو بین یدی اللّه عزّ و جلّ للخصومه أقول: و إلی تلک المخاصمه اشیرت فی قوله تعالی:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِی رَبِّهِمْ فَالَّذِینَ کَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ یُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِیمُ یُصْهَرُ بِهِ ما فِی بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ وَ لَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِیدٍ ».

روی فی غایه المرام عن ابن بابویه مسندا عن النّصر بن مالک قال: قلت للحسین بن علیّ بن أبی طالب علیهما السّلام: یا أبا عبد اللّه حدّثنی عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِی رَبِّهِمْ ».

قال: نحن و بنو امیّه اختصمنا فی اللّه عزّ و جلّ قلنا صدق اللّه و قالوا کذب اللّه فنحن و إیّاهم الخصمان یوم القیامه.

و من کشف الغمه عن مسلم و البخاری فی حدیث فی قوله تعالی:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا ».

نزلت فی علیّ و حمزه و عبیده بن الحارث الذین بارزوا المشرکین یوم بدر عتبه و شیبه ابنار بیعه و الولید بن عتبه.

و من تفسیر علیّ بن إبراهیم فی معنی الآیه قال: قال یعنی الصّادق علیه السّلام نحن و بنو امیه نحن قلنا صدق اللّه و رسوله، و قالت بنو امیّه کذب اللّه و رسوله:

«فَالَّذِینَ کَفَرُوا » یعنی بنی أمیّه «قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ »

إلی قوله «حدید».

قال قال علیه السّلام: تشویه النار فتسترخی شفته السفلی حتّی یبلغ سرّته و تتعلّق شفته العلیا حتّی تبلغ وسط رأسه، و لهم مقامع من حدید، قال: قال الأعمده التی یضربون بها.

و من تفسیر الثعلبی فی تفسیر قوله تعالی:

«ثُمَّ إِنَّکُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ عِنْدَ رَبِّکُمْ تَخْتَصِمُونَ » قال: روی خلف بن خلیفه عن أبی هاشم عن أبی سعید الخدری قال: کنا نقول ربّنا واحد و نبیّنا واحد و دیننا واحد فما هذه الخصومه، فلما کان یوم صفین و شدّ بعضنا علی بعض بالسیوف قلنا: نعم هو هذا، ثمّ قال علیه السّلام (و علی کتاب اللّه تعرض الأمثال) یرید نحو قوله تعالی:

«هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا » الآیه. و قوله تعالی: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِینَ کَالْفُجّارِ ».

روی فی غایه المرام من طریق العامه عن ابن عبّاس فی قوله:

«أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ » قال علی و حمزه و عبیده «کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ » عتبه و شیبه و الولید بن عتبه «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِینَ » هؤلاء علیّ و أصحابه «کَالْفُجّارِ » عتبه و أصحابه، و قوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ کَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ سَواءً مَحْیاهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما یَحْکُمُونَ ».

قال ابن عبّاس فالذین آمنوا بنو هاشم و بنو عبد المطلب، و الذین اجترحوا السّیئات بنو عبد شمس، و قال بعضهم لما کان فی أقواله و أفعاله علیه السّلام ما یشبه الأمر بالقتل أو

ص:۲۲۹

فعله فأوقع فی نفوس الجهّال شبهه القتل نحو ما روی عنه علیه السّلام اللّه قتله و أنا معه و کتخلّفه عن الخروج یوم قتل عثمان حسبما تقدّم فی شرح کلامه التاسع و العشرین فقال علیه السّلام: ینبغی أن یعرض ذلک علی کتاب اللّه فان دلّ علی کون شیء من ذلک قتلا فیحکم به و إلّا فلا و لن یدلّ علیه أبدا.

قال المحدّث العلاّمه المجلسی: و یحتمل أن یراد بالأمثال الحجج أو الأحادیث کما ذکر فی القاموس أی ما احتجّ به فی مخاصمه المارقین و المرتابین و ما یحتجّون به فی مخاصمتی ینبغی عرضها علی کتاب اللّه حتّی یظهر صحّتهما و فسادهما، أو ما یسندون إلیّ فی أمر عثمان و ما یروی فی أمری و أمر عثمان یعرض علی کتاب اللّه (و بما فی الصّدور تجازی العباد) أی بالنیّات و العقائد أو بما یعلمه اللّه من مکنون الضّمایر لا علی وفق ما یظهره المتخاصمون عند الاحتجاج یجازی اللّه العباد.

الترجمه

از جمله کلام آن عالی مقام است در حینی که رسید بأو متّهم کردن بنی امیه او را بشریک شدن او در خون عثمان علیه اللّعنه و النّیران.

آیا نهی کرد بنی امیه را علم ایشان بحالت من از متّهم داشتن من، آیا منع و ردع نکرد جاهلان را سابقهٔ فضیلت من از اتّهام من و هر آینه آنچه که موعظه فرموده است خداوند ایشان را بأو ابلغ است از کلام من، من احتجاج کننده ام با کسانی که از دین خارجند و خصومت کننده ام با اشخاصی که در دین شک دارند بر کتاب خدا عرض و تطبیق شود شبه ها و مثلها و به آن چه در سینهاست از اعتقادهای نیک و بد جزا داده میشوند بندگان در این جهان و آن جهان.

و من خطبه له علیه السلام و هی الخامسه و السبعون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

رحم اللّه عبدا «امرء» سمع حکما فوعی، و دعی إلی رشاد فدنی،

ص:۲۳۰

و أخذ بحجزه هاد فنجى، راقب ربّه، و خاف ذنبه، قدّم خالصا، و عمل صالحا، اكتسب مذخورا، و اجتنب محذورا، رمى غرضا، و أحرز عوضا، كابر هواه، و كذّب مناه، جعل الصّبر مطيّه نجاته، و التّقوى عدّه وفاته، ركب الطّريقه الغرّاء، و لزم المحجّه البيضاء، اغتنم المهل و بادر الأجل، و تزوّد من العمل.

اللغه

(و عيت) الحديث حفظته قال تعالى: «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَهٌ » و (الحجزه) بالضمّ معقد الازار و (رقبته) أرقبه من باب قتل حفظته و أنا رقيب و راقبت اللّه خفت عذابه و (اكتسب) بمعنى كسب و (الغرض) ما يرمى بالسّهام و فى بعض النّسخ عرضا بالعين المهمله و هو متاع الدّنيا و (كابرته) مكابره غالبته و عاندته، و فى بعض النّسخ كاثر بالثاء المثلثه و هو بمعنى غالب أيضا، يقال: كاثرناهم فكثرناهم أى غلبناهم بالكثره و (المطيّه) المركب و (الغرّاء) و (البيضاء) بمعنى و (المحجّه) بالفتح معظم الطريق و (المهل) بالفتح فالسّكون و بفتحتين أيضا اسم من المهله أو مصدر

الاعراب

جمله سمع و ما بعدها منصوب المحل على الوصفيّه و قوله: راقب ربّه، و قدّم خالصا، و ما بعدهما من الافعال بحذف العواطف فيها نوع من الفصاحه كثير فى استعمالهم قال سبحانه:

«وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَهٌ لِسَعْيِها راضِيَهٌ فِي جَنَّهٍ عالِيَهٍ لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَهً فِيها عَيْنٌ جارِيَهٌ فِيها سُرُرٌ ».

و ربّه و ذنبه مفعولان بالواسطهو نسبه الخوف إلى الذّنبمجاز لأنّه انّما هو من اللّه سبحانه إلاّ أنّه لمّا كان سببه الذّنب نسب إليه و حقيقه الكلام خاف من اللّه

ص:٢٣١

لأجل ذنبه.

المعنی

اعلم أنّه علیه السّلام ترحّم فی کلامه ذلک علی عبد اتّصف بما ذکر فیه من الأوصاف و فیه حثّ و ترغیب علی ملازمه تلک الصّفات و الاتّصاف بهذه الأوصاف و هی علی ما ذکره علیه السّلام عشرون.

الأوّل ما أشار إلیه بقوله (رحم اللّه عبدا سمع حکما فوعی) أراد بالحکم الحکمه الأعمّ من العلمیّه و العملیّه کما فی قوله تعالی:

«وَ آتَیْناهُ الْحُکْمَ صَبِیًّا ».

الثّانی قوله (و دعی إلی رشاد فدنی) أی الی رشد و هدایه فدنی من الداعی و قرب من المرشد و الهادی.

الثّالث قوله (و أخذ بحجزه هاد فنجی) أی اعتصم به و التجأ إلیه و استهدی به فهداه من الضّلاله و انقذه من الجهاله فاهتدی و نجی من الهلکه و امن من العقوبه و الهادی فی کلامه و إن کان مطلقا إلاّ أنّ الأظهر عندی أنّ المراد به الأئمه الذین یهدون بالحقّ و به یعدلون، فیکون المراد بالأخذ بحجزتهم المتمسّکین بحبل الولایه و المقتبسین من أنوارها، و یدلّ علی ما استظهرته ما ورد فی تفسیر قوله تعالی انّما انت منذر و لکلّ قوم هاد، بطرق کثیره أنّ الهادی هو أمیر المؤمنین و ولده المعصومون سلام اللّه علیهم أجمعین.

فمنها ما فی غایه المرام من تفسیر العیاشی عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن جدّه علیهم السّلام قال: قال أمیر المؤمنین: فینا نزلت هذه الآیه:

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ ».

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنا المنذر و أنت الهادی یا علیّ، فمنّا الهادی و النّجاه و السّعاده إلی یوم القیامه.

و منه أیضا عن برید، عن معاویه عن أبی جعفر علیه السّلام

«إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكَلِّ قَوْمٍ هادٍ ».

فقال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا المنذر و فى كلّ زمان إمام منّا يهديهم إلى ما جاء به نبىّ اللّه و الهداه من بعده علىّ ثمّ الأوصياء من بعده واحد بعد واحد، و اللّه ما ذهبت منّا و ما زالت فينا إلى السّاعه، رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله المنذر و بعلىّ يهتدى المهتدون.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره بالغه حدّ الاستفاضه يطول الكتاب بذكرها و قد روى فى غايه المرام ثلاثين روايه من طريق العامّه و الخاصّه فى ذلك من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

الرابع قوله (راقب ربّه) و المراقبه احدى ثمرات الايمان و هى على ما قيل رتبه عظيمه من رتب السّالكين، و حقيقتها أنّها حاله للنّفس يثمرها نوع خاص من المعرفه و لها تأثير خاصّ فى القلب و الجوارح أمّا الحاله فهى مراعات القلب للرّقيب و اشتغاله به، و أما العلم المثمر لها فهو العلم بأنّ اللّه تعالى مطلع على الضمائر و السّرائر قائم على كلّ نفس بما كسبت كما قال تعالى:

«إِنَّ اللّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ».

فهذه المعرفه إذا استولت على القلب و لم يبق فيها شبهه فلا بدّ أن تجذ به إلى مراعات الرّقيب، و الموقنون بهذه المعرفه طائفتان.

احداها الصّديقون و مراقبتهم التّعظيم و الاجلال و استغراق قلبهم بملاحظه ذلك الجلال و الانكسار تحت الهيبه و العظمه بحيث لا يبقى فيه مجال للالتفات إلى الغير أصلا، و جوارحهم معطله عن الالتفات و التلفّت إلى المباحات فضلا عن المحظورات و إذا تحرّكت بالطاعه كانت كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها و لا يحتاج إلى تدبير فى ضبطها على سنن السّداد، و من نال هذه المرتبه فقد يغفل عن الخلق حتّى لا يبصرهم و لا يسمع أقوالهم.

و الطائفه الثّانيه الورعين من أصحاب اليمين و هم قوم غلب بعض اطلاعات اللّه على قلوبهم و لكن لم تدهشهم ملاحظه الجلال، بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متّسعه

للتّلفت، إلى الأقوال و الأعمال إلاّ أنّها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبه فقد غلب الحياء من اللّه على قلوبهم فلا يقدمون و لا ـ يجحمون «يحجمون» إلاّ ـ عن تثبّت فيمتنعون عن كلّ أمر فاضح يوم القيامه إذ يرون اللّه مشاهدا لأعمالهم فى الدّنيا كما يرونه مشاهدا فى القيامه.

و لا بدّ لأهل هذه الدّرجه من المراقبه فى جميع حركاته و سكناته و يلزم عليه أن يرصد كلّ خاطر يسنح له، فان كان إلهيّا يعجل مقتضاه، و إن كان شيطانيّا يبادر إلى قمعه، و إن شكّ فيه توقف إلى أن يظهر له بنور الحقّ من أيّ جانب هو روى فى الوسائل عن محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم مسندا عن داود الرّقى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ».

قال: من علم أنّ اللّه يراه أو يسمع ما يقول و يعلم ما يفعله من خير أو شرّ فيحجزه ذلك عن القبح من الأعمال فذلك الذى خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى.

الخامس قوله (و خاف ذنبه) و الخوف توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب و إذا علق بالذّوات كما تقول خفت اللّه و خفت زيدا فمعناه توقّع مكروه أو حرمان يقع من جهته و إلاّ فالذّوات لا يتعلّق بها خوف فمعنى الخوف من الذّنب ممّا يكون الذّنب سببا له من العقوبه الدّنيويّه أو الاخرويه أو نقصان الدّرجه و انحطاط الرّتبه و حرمان الجنّه.

قال بعض العلماء: خوف الخائفين من اللّه قد يكون لامور مكروهه لذاتها و قد يكون لامور مكروهه لادائها إلى ما هو مكروه لذاته.

أمّا القسم الأوّل فمثل أن يتمثّل فى نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت و شدّته أو سؤال القبر أو عذابه أو هول الموقف بين يدى اللّه تعالى و الحياء من كشف السّر و السؤال عن كلّ صغيره و كبيره، أو الخوف عن المرور على الصّراط مع حدّته أو من النّار و أهوالها و أغلالها أو من حرمان الجنّه أو من نقصان الدّرجات فيها أو خوف الحجاب من اللّه، و كلّ هذه الأسباب مكروهه فى أنفسها و يختلف أحوال

السّالکین إلی اللّه فیها و أعلاها رتبه خوف الفراق و الحجاب عن اللّه و هو خوف العارفین و ما قبل ذلک فهو خوف العابدین و الصّلحاء و الزاهدین.

و أما القسم الثّانی فأقسام کثیره کخوف الموت قبل التّوبه أو خوف نقض التّوبه أو خوف الانحراف عن القصد فی عباده اللّه أو خوف استیلاء القوی الشّهوانیّه بحسب مجری العاده فی استعمال الشّهوات المألوفه أو خوف تبعات النفس عنده أو خوف سوء الخاتمه أو خوف سبق الشّقاوه فی علم اللّه، و کلّ هذه و نحوها مخاوف عباد اللّه الصّالحین و أغلبها علی قلوب المتّقین خوف الخاتمه فانّ الأمر فیه خطیر.

قال بعض اولی الالباب: إذا اسکن الخوف القلب أحرق الشّهوه و أطرد عنه الغفله.

السّادس قوله (قدّم خالصا) قال الصّادق علیه السّلام العمل الخالص الذی لا ترید أن یمدحک علیه أحد إلّا اللّه و هذا هو معنی الاخلاص قال تعالی:

«وَ ما أُمِرُوا إِلّا لِیَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ ».

و للقوم فی تعریف الاخلاص عبارات فقیل: هو تصفیه العمل عن ملاحظه المخلوقین حتّی عن ملاحظه النفس فلا یشهد غیر اللّه، و قد مرّ تفصیل ذلک فی شرح الخطبه الاولی عند قوله علیه السّلام و کمال توحیده الاخلاص له، و قیل: هو تنزیه العمل عن ان یکون لغیر اللّه فیه نصیب، و قیل: هو إخراج الخلق عن معامله الحقّ، و قیل: هو ستر العمل من الخلایق و تصفیته من العلایق، و قیل: إنّه لا یرید عامله علیه عوضا فی الدّارین و هذه درجه رفیعه و الیها أشار أمیر المؤمنین و سیّد الموحّدین بقوله: ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فی جنّتک و لکن وجدتک أهلا للعباده فعبدتک.

السّابع قوله (و عمل صالحا) و العمل ما صدر عن الحیوان بقصده قلبیّا أو قالبیّا فهو أخصّ من الفعل، و المراد بالعمل الصّالح إتیان المأمور به کما امر به و یقابله العمل الفاسد قال تعالی:

«فَمَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا یُشْرِکْ بِعِبادَهِ رَبِّهِ أَحَداً ».

و قال فی سوره الفاطر: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ ».

قال الصّادق علیه السّلام: الکلم الطیّب قول المؤمن لا إله إلا اللّه محمّد رسول اللّه علیّ ولیّ اللّه و خلیفه رسول اللّه قال علیه السّلام: و العمل الصّالح الاعتقاد بالقلب أنّ هذا هو الحقّ من عند اللّه لا شکّ فیه من ربّ العالمین.

أقول: و لعلّ مقصوده علیه السّلام أنّ العمل الصّالح الموجب لرفع الکلم الطیّب بالمعنی الذی ذکره هو الاعتقاد الذی نبّه علیه، لما قد علمت أنّ متعلق العمل أعمّ من الاعتقاد.

الثّامن قوله (اکتسب مذخورا) أی ذخیره مرجوّه لیوم فاقته و زادا معدّا لوقت حاجته و خیر الزّاد هو التّقوی کما أفصح به الکتاب المبین و صرّح به أخبار سیّد المرسلین.

التّاسع قوله (و اجتنب محذورا) أی تجنّب ممّا یلزم الحذر منه و یجب الاحتراز عنه و هو مخالفه الأوامر الشّرعیّه و منابذه التکالیف الالزامیّه قال سبحانه «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ».

أوجب الحذر لمخالفی أمره من إصابه الفتنه و هی العقوبه الدّنیویه و إصابه العذاب الألیم و هی العقوبه الاخرویّه.

العاشر قوله (رمی غرضا) أی رمی بسهام أعماله الصّالحه الباطنه و الظاهره فأصاب الغرض غیر خاطئه(۱) فأدرک مناه و حاز ما تمنّاه، و علی روایه عرضا بالمهمله فالمعنی أنّه رمی عرض الدّنیا و حذف متاعها و رفض حطامها و أخرج حبّها من قلبه علما منه بسرعه زوالها و فنائها.

۱- (۱) حال من السهام.

الحادى عشر قوله (و احرز عوضا) اى أحرز متاع الآخره الباقيه الـذى هو عوض من متاع الـدّنيا الفانيه، و ادّخر ما يفاض عليه من الحسنات و أعدّ ما يثاب عليه من الصالحات.

«وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلًا ».

الثّانى عشر قوله (كابر هواه) أى غالب هواه بوفور عقله و يجاهد نفسه الأماره و يطوّعها لقوّته العاقله، قوله تعالى:

«وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى ».

أى نهى نفسه عن المحارم التى تهويها و تشتهيها فانّ الجنّه مستقرّه و مأواه.

روى فى الوسائل عن الصّدوق باسناده عن الحسين بن زيد عن الصّادق عن آبائه عليهم السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى حديث المناهى قال: من عرضت له فاحشه أو شهوه فاجتنبها مخافه اللّه عزّ و جلّ حرّم اللّه عليه النّار و آمنه من الفزع الأكبر و أنجز له ما وعده فى كتابه:

«وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ».

ألا ـ و من عرضت له دنيا و آخره فاختار الـدّنيا على الآخره لقى اللّه عزّ و جلّ يوم القيامه و ليست له حسنه يتّقى بها النّار، و من اختار الآخره و ترك الدّنيا رضى اللّه عنه و غفر له مساوى عمله.

و عن عبد اللّه بن سنان قال سألت أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام فقلت الملائكه أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب: إنّ اللّه ركب فى الملائكه عقلا بلا شهوه و ركب فى البهائم شهوه بلا عقل و ركب فى بنى آدم كلتيهما من غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكه و من غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم.

و عن السكونى عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله طوبى لمن ترك شهوه حاضره لموعد لم يره.

الثالث عشر قوله (و كذب مناه) أى قابل ما يلقيه إليه الشيطان من الأمانى الباطله بالتكذيب، قال تعالى:

«وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً يَعِدُهُمْ وَ يُمَنِّيهِمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلّا غُرُوراً أُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً».

قال فى مجمع البيان فى تفسير قوله و لا منينهم يعنى امنينهم طول البقاء فى الدّنيا فيؤثرون بذلك الدّنيا و نعيمها على الآخره، و قيل معناه أقول لهم ليس ورائكم بعث و لا نشر و لا جنه و لا نار و لا ثواب و لا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبى، و قيل: امنينهم بالأهواء الباطله الدّاعيه إلى المعصيه و ازيّن لهم شهوات الدّنيا و زهراتها أدعو كلّا منهم إلى نوع ميل طبعه إليه فأصدّه بذلك عن الطاعه و القيه فى المعصيه.

الرّابع عشر قوله (جعل الصبر مطيّه نجاته) و الصبر قوّه ثابته و ملكه راسخه بها يقتدر على حبس النفس و منعه عن قبايح اللذات و منى الشهوات و على حمله على مشاق العبادات و التكليفات و على التحمل على المصائب و الآفات و الدّواهى و البليات و بها يحصل النجاه و الخلاص من غضب الجبار و عذاب النار، و لذلك جعلها مطيّه يتمكن بها من الهرب، و الفرار عن العدوّ فى مقام الحاجه و الاضطرار، و الآيات القرآنيه و الأخبار المعصوميه فى مدحها و فضلها و الحثّ عليها أكثر من أن تحصى و لعلّنا نشبع الكلام فى تحقيقها و بيان أقسامها فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و السبعين

ص:٢٣٨

و نقتصر هنا على بعض ما ورد فيها على ما اقتضاه المقام.

فأقول فى الوسائل من الكافى باسناده عن هشام بن الحكم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إذا كان يوم القيامه فيقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنه فيقال من أنتم، فيقولون نحن أهل الصبر، فيقال لهم على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعه اللّه و نصبر عن معاصى اللّه فيقول اللّه عزّ و جلّ: صدقوا ادخلوهم الجنه و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ ».

و عن عمرو بن شمر اليمانى يرفع الحديث إلى علىّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الصّبر ثلاثه: صبر عند المصيبه، و صبر عند الطاعه، و صبر عن المعصيه، فمن صبر على المصيبه حتّى يردها بحسن عزائها كتب اللّه له ثلاثمأه درجه ما بين الدّرجه إلى الدّرجه كما بين السّماء و الأرض، و من صبر على الطاعه كتب اللّه له ستّمأه درجه ما بين الدّرجه إلى الدّرجه كما بين تخوم الأرض إلى العرش، و من صبر عن المعصيه كتب اللّه له تسعمائه درجه ما بين الدّرجه إلى الدّرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.

و عن عثمان بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال اصبروا على الدّنيا فانّما هى ساعه فما مضى منه لا تجد له ألما و لا سرورا، و ما لم يجىء فلا تدرى ما هو و إنّما هى ساعتك التى أنت فيها، فاصبر فيها على طاعه اللّه و اصبر فيها عن معصيه اللّه.

الخامس عشر قوله (و التّقوى عدّه وفاته) قد مرّ معنى التّقوى و بعض ما ورد فيها فى شرح الخطبه الثالثه و العشرين، و أقول هنا إنّ العدّه لما كانت عباره عمّا أعدّها الانسان و هيّئها لحوادث دهره و ملمّات زمانه و كان الموت أعظم الحوادث، و بالتّقوى يحصل الوقايه من سكراته و غمراته و به يتّقى من شدايد البرزخ و كرباته و يستراح من طول الموقف و مخاوفه، لا جرم جعلها عليه السّلام عدّه للوفاه و وقايه يحصل بها النجاه، و استعار عنها الكتاب المجيد بالزاد فقال:

«وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى ».

بملاحظه أنّ الزّاد لمّا كان هو الطعام الذى يتّخذ للسّفر ليتقوّى به الطبيعه على الحركات الحسيّه و كانت تقوى اللّه ممّا تقوى به النّفس على الوصول إلى حظيره القدس حسن الاستعاره به عنها لما بين المعنيين من كمال المشابهه و تمامها.

قال بعض العارفين: ليس السّفر من الدّنيا أهون من السّفر فى الدّنيا و هذا لا بدّ له من زاد و كذلك ذلك بل يزداد، فانّ زاد الدّنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم و زاد الآخره ينجيك من عذاب مقطوع معلوم، زاد الدّنيا يوصلك إلى متاع الغرور و زاد الآخره يبلغك دار السّرور، زاد الدّنيا سبب حظوظ النّفس و زاد الآخره سبب الوصول إلى عتبه الجلال و القدس.

السّادس عشر قوله (ركب الطريقه الغرّاء) أى سلك جادّه الشّريعه الواضحه المستقيمه الموصله لسالكها الى الجنان و مقام القرب و الرّضوان.

السّابع عشر قوله (و لزم المحجه البيضاء) قال الشّارح البحرانى و الفرق بين ذلك و الذى قبله أنّ الأوّل أمر بركوب الطريقه الغرّاء و الثّانى أمر بلزومها و عدم مفارقتها و انّها و إن كانت واضحه إلاّ أنّها طويله كثيره المخاوف و سالكها أبدا محارب للشّيطان و هو فى معرض أن يستزلّه عنها.

الثامن عشر قوله (اغتنم المهل) أى أيام مهلته و هو مدّه عمره و أيّام حياته فى دار الدّنيا.

قال زين العابدين و سيد الساجدين عليه السّلام فى دعاء مكارم الأخلاق من الصّحيفه:

اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و نبّهنى لذكرك فى أوقات الغفله و استعملنى بطاعتك فى أيّام المهله و انهج لى إلى محبّتك سبيلا سهله.

و انّما عبّر عنها بأيّام المهله لأنّ العنايه الأزليّه لمّا كانت مقتضيه لسوق النّاقص إلى كماله فاقتضت العنايه عدم معاجله العباد بالعقوبه و السّخط و الأخذ

بالذّنوب و المعصیه فی هذه الحیاه الدّنیا لیرجعوا إلی التّوبه و یراجعوا الانابه فکأنّه تعالی أمهلهم مدّه حیاتهم فی الدّنیا و أنظرهم طول بقائهم فیها و جعلهم فی النّظره و المهله.

التّاسع عشرقوله(بادر الأجل)أی سارع إلی أجله الموعود بصحبه عمله الصّالح و هو کنایه عن جعله الموت نصب عینیه و عدم غفلته عنه و ترقبه له فاذا کان کذلک لا یخاف من حلول الموت و نزوله و لا یبالی أوقع علی الموت أم وقع الموت علیه.

العشرون قوله (و تزوّد من العمل) أی تزوّد من أعماله الصالحه لقطع منازل الآخره نسأل اللّه سبحانه أن یوفّقنا للاتّصاف بتلک الأوصاف الشّامخه الفایقه حتّی نستوجب بذلک رحمته العامه الواسعه بمحمّد و عترته الطاهره.

الترجمه

از جمله خطبهای شریفهٔ آن حضرت است که می فرماید: خداوند رحمت کند بندهٔ را که بشنود حکمت را پس گوش گیرد و حفظ نماید و خوانده شود به سوی رشد و صلاح پس اجابت کند و نزدیک آید، و بگیرد کمرگاه هدایت کننده را و معتصم او بشود پس نجات یابد، مراقب باشد پروردگار خود را و بترسد از گناه خود، پیش فرستد کردار پاکیزه و عمل کند عمل شایسته، کسب نماید چیزی را که ذخیره می شود از برای آخرت، و اجتناب نماید از چیزی که باعث حذر است و ندامت.

بیندازد با تیر اعمال حسنه بسوی غرض و نشانه و جمع کند متاع دار جاودانی را بعوض متاع دنیای فانی، غلبه نماید بهوا و هوس و شهوات نفسانیه و تکذیب نماید آمال و امانی باطله شیطانیه بگرداند صبر و شکیبائی را مرکب نجات خویش و تقوی و پرهیزکاری را توشه وفات خود، سوار بشود بر طریقه روشن شریعت و لازم شود بر جادهٔ آشکار ملّت، غنیمت شمارد ایام مهلت حیاه را و مبادرت نماید بنیکوکاری قبل از ممات و توشه بگیرد از اعمال صالحه بجهت سفر آخرت.

ص:۲۴۱

و من كلام له عليه السلام و هو السادس

اشاره

و السبعون من المختار فى باب الخطب

إنّ بنى أميّه ليفوّقو ننى تراث محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تفويقا، و اللّه لئن بقيت لهم لأنفضنّهم نفض اللّحام الوذام التّربه.

قال السّيد: و يروى التّراب الوذمه و هو على القلب، قوله عليه السّلام: ليفوقوننى أى يعطوننى من المال قليلا قليلا كفواق الناقه و هى الحلبه الواحده من لبنها، و الوذام جمع و ذمه و هى الحزّه من الكرش و الكبد يقع فى التراب فتنفض.

اللغه

(التراث) بضمّ التا الارث و التّاء و الهمزه فيهما بدل من الواو، و (نفضه) نفضا من باب قتل حرّكه ليزول عنه الغبار و نحوه فانتفض أى تحرّك لذلك و نفضت الورق من الشّجر نفضا اسقطته و النفض بفتحتين ما تساقط فعل بمعنى مفعول و (اللحام) القصّاب و (الوذام) ككتاب جمع و ذمه محرّكه و (ترب) الشّيء يترب من باب تعب لصق بالتراب، و فى القاموس التّراب بالكسر أصل ذراع الشّاه و منه التراب الوذمه أو هى جمع ترب مخفّف ترب و الصواب الوذام التربه انتهى.

و «الحزّه» بالضمّ القطعه من اللحم و نحوه تقطع طولا و الجمع حزز كغرفه و غرف و «الكرش» لذى الخف و الظلف كالمعده للانسان.

الاعراب

اضافه تراث إلى محمّد من قبيل الحذف و الايصال أى يفوقوننى تراثى من محمّد و التربه صفه للوذام.

المعنى

اشاره

قوله(انّ بنى اميّه ليفوقوننى تراث محمّد صلّى اللّه عليه و آله تفويقا)اى يعطوننى إرثى من

ص:۲۴۲

رسول اللّه و هو الفیء الحاصل ببرکته صلوات اللّه علیه و آله قلیلا قلیلا قلیلا استعار لفظ التّفویق عن اعطائهم المال قلیلا بمشابهه القله و کونه فی دفعات کما یدفع الفصیل ضرع امّه لتدر ثم یدفع عنها لتحلب ثمّ یعاد إلیها لتدرّ و هکذا،ثمّ قال(و اللّه لئن بقیت)و صرت أمیرا(لهم لأنفضنّهم نفض اللحام الوذام التربه).

قیل الظاهر أنّ المراد من نفضهم منعهم من غصب الأموال و أخذ ما فی أیدیهم من الأموال المغصوبه و دفع بغیهم و ظلمهم و مجازاتهم بسیئات أعمالهم.

و قال الشّارح البحرانی: أقسم علیه السّلام ان بقی لبنی امیّه لیحرمنهم التّقدم فی الامور، و استعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلک و شبه نفضه لهم بنفض القصاب القطعه من الکبد أو الکرش من التّراب إذا أصابته.

أقول: و الأظهر عندی أنّه شبّههم بالوذام التّربه من حیث إنّ الوذمه إذا وقعت فی التّراب و تلطخت به یتنفّر عنها الطباع و لا یرغب إلیها النّاس فینفضها القصاب أی یسقطها و یعزلها عن سایر لحماته لمکان ذلک التنفّر فیقول علیه السّلام: إنّی لو بقیت لهم لاسقطهم عن درجه الاعتبار و اعزلهم عن الاماره و المداخله لامور المسلمین بحیث لا یرغب إلیهم أحد و یتنفّر النّاس عنهم و یکونون حقیرا عندهم کمالا یرغبون إلی الوذام لحقارتها و اللّه العالم بحقایق کلام ولیه هذا.

و قد روی عنه علیه السّلام هذا الکلام فی روایه اخری بزیاده و نقصان و تفاوت لما هنا و هی ما رواها أبو الفرج فی کتاب الأغانی باسناد رفعه إلی الحرب بن جیش قال:

بعثنی سعید بن العاص و هو یومئذ أمیر الکوفه من قبل عثمان بهدایا إلی المدینه و بعث معی هدیه إلی علیّ علیه السّلام و کتب إلیه أنی لم ابعث إلی أحد ممّا بعثت به الیک إلاّ إلی أمیر المؤمنین فلما أتیت علیّا و قرء کتابه قال: لشدّ ما یخطر علیّ بنو امیّه تراث محمّد أما و اللّه لان ولیّتها لأنفضنّها نفض القصاب التراب الوذمه.

قال أبو الفرج هذا خطاء إنّما هو الوذام التّربه قال: و قد حدّثنی بذلک أحمد ابن عبد العزیز الجوهری عن أبی یزید عمر بن شیبه باسناد ذکره فی الکتاب أنّ سعید

ابن العاص حیث کان أمیر الکوفه بعث مع ابن أبی العایشه مولاه إلی علیّ بن أبی طالب بصله فقال علیّ و اللّه لا یزال غلام من غلمان بنی امیّه یبعث إلینا ممّا أفاء اللّه علی رسوله بمثل قوت الأرمله، و اللّه لئن بقیت لهم لأنفضنّها نفض القصاب الوذام التربه.

تذنیبان

الاول

فی بیان نسب بنی امیه.

فأقول فی البحار من کامل البهائی أن امیّه کان غلاما رومیّا لعبد الشمس فلما ألقاه کیّسا فطنا اعتقه و تبنّاه فقیل: امیّه بن عبد الشمس کما کانوا یقولون قبل نزول الآیه: زید بن محمّد، و لذا روی عن الصّادقین علیهما السّلام فی قوله تعالی:

الم غلبت الرّوم، أنّهم بنو امیّه و من هنا یظهر نسب عثمان و معاویه و حسبهما و أنّهما لا یصلحان للخلافه لقوله صلّی اللّه علیه و آله: الأئمه من قریش.

و قال مؤلف کتاب إلزام النّواصب: امیّه لم یکن من صلب عبد شمس و إنما هو من الرّوم فاستلحقه عبد شمس فنسب إلیه فبنو امیّه کلّهم لیس من صمیم قریش و إنّما هم یلحقون بهم و یصدّق ذلک قول أمیر المؤمنین علیه السّلام: إنّ بنی امیه لصاق و لیسوا صحیحی النسب إلی عبد مناف و لم یستطع معاویه إنکار ذلک.

الثانی

فی ذکر بعض ما ورد من الآیات و الأخبار فی لعن بنی امیّه و کفرهم و إلحادهم.

فأقول: فی الکافی عن الصادق علیه السّلام رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی منامه أنّ بنی امیّه یصعدون علی منبره و یضلّون النّاس عن الصّراط القهقری، فأصبح کئیبا حزینا، قال علیه السّلام فهبط علیه جبرئیل فقال: یا رسول اللّه ما لی أراک کئیبا حزینا؟ قال: یا جبرئیل إنّی رأیت فی لیلتی هذه یصعدون منبری من بعدی یضلّون النّاس عن الصّراط القهقری، فقال: و الذی بعثک بالحقّ نبیّا إنّی ما اطلعت علیه فعرج إلی السّماء فلم یلبث أن نزل بآی من القرآن یونسه بها قال:

«أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ » و أنزل عليه: «إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَهِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَهُ الْقَدْرِ لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ».

جعل اللّه ليله القدر لنبيّه خيرا من ألف شهر ملک بنی اميّه.

و فی مفتتح الصحيفه الكامله السّجاديه علی صاحبها ألف سلام و تحيّه عن الصادق عليه السّلام قال، إنّ أبی حدّثنی عن أبيه عن جدّه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله أخذته نعسه و هو علی منبره فرأی فی منامه رجالا ـ ينزون علی منبره نزو القرده يردّون النّاس علی أعقابهم القهقری، فاستوی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم جالسا و الحزن يعرف فی وجهه فأتاه جبرئيل بهذه الآيه:

«وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِی أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَهً لِلنّاسِ وَ الشَّجَرَهَ الْمَلْعُونَهَ فِی الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْياناً كَبِيراً ».

يعنی بنی اميّه قال: يا جبرئيل أعلی عهدی يكونون و فی زمنی؟ قال: و لا و لكن تدور رحی الاسلام من مهاجرک فتلبث بذلک عشرا، ثمّ تدور رحی الاسلام علی رأس خمس و ثلاثين من مهاجرک فتلبث بذلک خمسا، ثمّ لا بدّ من رحی ضلاله هی قائمه علی قطبها، ثمّ ملک الفراعنه و أنزل اللّه فی ذلک.

«إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَهِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَهُ الْقَدْرِ لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ».

يملكها بنو اميّه ليس فيها ليله القدر.

أقول: قوله و الشّجره الملعونه فی القرآن فيه تقديم و تأخير أی و ما جعلنا الرّؤيا التی أريناک و الشّجره الملعونه فی القرآن إلاّ فتنه للنّاس، و قيل: الشجره الملعونه بالرّفع مبتداء و حذف الخبر أی و الشّجره الملعونه كذلک أی فتنه للناس

ص:۲۴۵

و قوله: یعنی بنی امیّه تفسیر للشجره الملعونه، و قوله: تدور رحی الاسلام من مهاجرک، أی من هجرتک فتلبّث بذلک عشرا أی عشر سنین هی مدّه حیاته ثمّ تدور علی رأس خمس و ثلاثین هی العشر المذکوره و مدّه خلافه المتخلفین، و هی خمس و عشرون سنه فتلک خمس و ثلاثون، قوله فتلبث بذلک خمسا هی مدّه خلافه أمیر المؤمنین، ثمّ لا بد من رحی ضلاله اشاره إلی ملک بنی امیّه، و قوله ثمّ ملک الفراعنه اشاره إلی ملک بنی عباس.

و فی مجمع البیان فی تفسیر قوله تعالی:

«وَ مَثَلُ کَلِمَهٍ خَبِیثَهٍ کَشَجَرَهٍ خَبِیثَهٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ » قال هی کلمه الشّرک و الکفر و قیل: کل کلام فی معصیه اللّه کشجره خبیثه غیر زاکیه و هی شجره الحنظل و قیل: انّها شجره هذه صفتها و هو أنّه لاقرار لها فی الأرض، و روی أبو الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام أنّ هذا مثل لبنی امیّه و فیه أیضا فی تفسیر قوله:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ کُفْراً وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ الْبَوارِ جَهَنَّمَ یَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ الْقَرارُ ».

قال سأل رجل أمیر المؤمنین عن هذه الآیه فقال هما الأفجران من قریش بنو امیّه و بنو المغیره، فأمّا بنو امیّه فمتّعوا إلی حین و أما بنو المغیره فکفیتموهم یوم بدر.

و فی البحار من تفسیر علیّ بن ابراهیم فی قوله تعالی:

«اَلَّذِینَ یَتَّخِذُونَ الْکافِرِینَ أَوْلِیاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِینَ أَ یَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّهَ فَإِنَّ الْعِزَّهَ لِلّهِ جَمِیعاً ».

قال: نزلت فی بنی امیّه حیث خالفوهم علی ان لا یردّوا الأمر فی بنی هاشم، و فی قوله:

«وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلَی النّارِ فَقالُوا یا لَیْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ ».

قال: نزلت فی بنی امیّه ثمّ قال:

«بَلْ بَدا لَهُمْ ما کانُوا یُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ » قال من عداوه أمیر المؤمنین.

«وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ » و فی قوله تعالی:

«إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِینَ کَفَرُوا فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ ».

عن أبی جعفر علیه السّلام قال نزلت فی بنی امیّه فهم شرّ خلق اللّه هم الذین کفروا فی باطن القرآن فهم لا یؤمنون.

و عن أبی جعفر علیه السّلام أیضا فی قوله:

«وَ کَذلِکَ حَقَّتْ کَلِمَهُ رَبِّکَ عَلَی الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النّارِ » یعنی بنی أمیّه.

و من کنز جامع الفواید و تأویل الآیات باسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن تفسیر الم غلبت الرّوم، قال: هم بنی «بنوظ» امیّه و إنّما انزلها اللّه الم غلبت الرّوم بنو امیّه فی أدنی الأرض و هم من بعد غلبهم سیغلبون فی بضع سنین للّه الأمر من قبل و من بعد و یومئذ یفرح المؤمنون بنصر اللّه، عند قیام القائم.

أقول: کذا فی النّسخ غلبت الرّوم بنو امیّه، فیحتمل أنّ أصل الکلام غلبت بنو امیّه فزاد النّساخ لفظ الرّوم کما احتمله فی البحار أو أنّه کذلک و بنو امیّه بدل من الرّوم، و علی کلّ تقدیر فلا بدّ أن یکون غلبت علی ذلک بصیغه المعلوم، و قوله سیغلبون بصیغه المجهول و التعبیر عن بنی امیّه بالروم من حیث إنّها نسبهم إلی عبد رومی حسبما قدّمنا، و اللّه العالم.

ص:۲۴۷

و من تفسير الثعلبى فى قوله تعالى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ » نزلت فى بنى اميّه و بنى هاشم و فى غايه المرام عن الكلينى باسناده عن صالح بن سعد الهمدانى قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ:

«اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاهٍ » فاطمه عليها السّلام «فِيها مِصْباحٌ » الحسن «اَلْمِصْباحُ فِي زُجاجَهٍ » الحسين «كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ » فاطمه فكوكب درّى بين نساء أهل الدّنيا «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَهٍ مُبارَكَهٍ » إبراهيم «زَيْتُونَهٍ لا شَرْقِيَّهٍ وَ لا غَرْبِيَّهٍ » لا يهوديّه و لا نصرانيّه «يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ » يعنى يكاد العلم ينفجر («وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ » إمام منها بعد إمام «يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ » ظ) للأئمّه «مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ » قلت «أَوْ كَظُلُماتٍ » قال الأوّل و صاحبه «يَغْشاهُ مَوْجٌ » الثّالث «ظُلُماتٌ » الثّانى «بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ » فتن بنى أميّه «إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ » المؤمن فى ظلمه فتنتهم «لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً » أمانا (اماما ظ) من ولد فاطمه «فَما لَهُ مِنْ نُورٍ » يوم القيامه هذا، و الآيات و الرّوايات فى هذا المعنى كثيره و فيما ذكرناه كفايه لمن اهتدى أو ألقى السّمع و هو شهيد.

ص:۲۴۸

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست فرمود آنرا هنگامی که فرستاده بود سعید بن عاص أموی که أمیر عراق بود أز جانب عثمان هدیه بخدمت آن حضرت از مال غنیمت و از کمی آن اعتذار کرده بود.

بدرستی بنی امیه می دهند اندک اندک بمن میراث محمّد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله را اندک اندک دادنی بخدا قسم اگر بمانم از برای آن قوم عنود و والی امر بشوم هر آینه ساقط میکنم ایشان را از درجه اعتبار همچون ساقط نمودن قصاب شکنبه یا جگر پارهٔ خاک آلود را از میان سایر گوشت های گوسفند، یا این که بیفشانم ایشان را هم چو افشاندن قصاب شکنبه و پارهٔ جگر خاک آلود را، و این استعاره می شود از دور کردن ایشان از امر خلافت و از باز گرفتن اموال مغصوبه از دست ایشان علیهم اللعنه و النیران.

و من کلمات له علیه السلام کان یدعو بها و هی السابعه

اشاره

و السبعون من المختار فی باب الخطب

ألّلهمّ اغفر لی ما أنت أعلم به منّی، فإن عدت فعد علیّ بالمغفره ألّلهمّ اغفر لی ما و إیت من نفسی و لم تجد له وفاء عندی، ألّلهمّ اغفر لی ما تقرّبت به إلیک بلسانی ثمّ خالفه قلبی، ألّلهمّ اغفر لی رمزات الألحاظ، و سقطات الألفاظ، و شهوات الجنان، و هفوات اللّسان.

اللغه

(غفر) اللّه له ذنبه غفرا و غفرانا من باب ضرب صفح عنه و ستر علیه ذنبه و غطاه، و أصل الغفر السّتر یقال الصّبغ أغفر للوسخ ای استر له و (الوأی) الوعد الذی یوثقه

ص:۲۴۹

الرّجل على نفسه و يعزم على الوفاء به، و منه و أيته و أيا و عدته و (الرّمز) هو تحريك الشفتين فى اللفظ من غير اثباته بصوت و قد يكون اشاره بالعين و الحاجب و (اللحظ) النظر بمؤخّر العين و (السقط) بالتحريك ردئ المتاع و الخطاء من القول و الفعل و (الهفوه) الزلّه.

الاعراب

قوله ما و أيت كلمه ما موصول اسمى بمعنى الّذى، و وأيت صلته و العايد محذوف و قول البحرانى إنّ ما ههنا مصدريه لا أرى له وجها، و من فى قوله من نفسى نشويّه، و جمله و لم تجد فى محلّ النّصب على الحال، و الباء فى قوله تقربت به سببيّه، و فى قوله بلسانى استعانه.

المعنى

اعلم أنّ المطلوب بهذا الكلام هو غفران اللّه سبحانه له، و مغفره اللّه للعبد عباره عن صفحه عما يؤدّى إلى الفضاحه فى الدّنيا و الهلكه فى الآخره و ستره عليه عيوباته الباطنه و الظاهره و أن يوّفقه لأسباب السّعاده الرّادعه عن متابعه الشيطان و النّفس الأماره، و هذا كلّه فى حقّ غيره عليه السّلام و أما طلبه سلام اللّه عليه و آله للمغفره و كذلك استغفار ساير المعصومين من الأنبياء و أئمه الدّين سلام اللّه عليهم أجمعين فقد قدّمنا تحقيقه بما لا مزيد عليه فى التّنبيه الثالث من تنبيهات الفصل الثالث عشر من فصول الخطبه الاولى فليتذكّر.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح ما يؤدّيه ظاهر كلامه عليه السّلام فأقول: قوله:

(اللهمّ اغفر لى ما أنت أعلم به منّى فان عدت فعد علىّ بالمغفره) طلب للمغفره ممّا هو عند اللّه معصيه و سيئه فى حقّه و هو لا يعلمها فيفعلها أو يعلمها لا كعلم اللّه سبحانه إن كان صيغه التّفضيل على معناها الأصلى و طلب لتكرار المغفره لما يعاوده و يكرّره كذلك.

فان قلت: الطاعه و المعصيه عباره عن امتثال التّكليف و مخالفته و هو فرع العلم به و مع الجهل و عدم العلم لا أمر و لا نهى و لا خطاب و لا طاعه و لا معصيه و لا ثواب و لا عقاب إذ النّاس فى سعه ممّا لا يعلمون و لا يكلّف اللّه نفسا إلّا ما آتيها.

قلت: الجهل بالتّكليف قد يكون ناشئا عن القصور و قد يكون ناشئا من التقصير

ص:٢٥٠

فی تحصیل العلم فحینئذ لا یقبح المؤاخذه علیه کما لا یقبح المؤاخذه عن النّسیان إن نشأ عن قلّه المبالاه و عن التقصیر فی المقدّمات، و لذلک قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ربّنا لا تؤاخذنا إن نسینا أو أخطانا، مع أنّ المؤاخذه علیه مرفوعه عن الامّه بحکم حدیث رفع التسعه هذا.

مع أنّ العلم بأنّ ما وقع عن الجهل و النسیان معفوّ عنه و غیر مؤاخذ علیه لا یمنع من حسن طلب العفو عنه بالدّعاء، فربما یدعو الداعی بما یعلم أنّه حاصل قبل الدّعاء من فضل اللّه تعالی إمّا لاعتداد تلک النّعمه و إمّا لاستدامتها أو لغیر ذلک کقوله تعالی:

«قالَ رَبِّ احْکُمْ بِالْحَقِّ » و قول إبراهیم «وَ لا تُخْزِنِی یَوْمَ یُبْعَثُونَ » (اللهم اغفر لی ما و أیت من نفسی و لم تجد له وفاء عندی) و هو استغفار ممّا وعده من نفسه و عاهد علیه اللّه فعلا أو ترکا زجرا أو شکرا ثمّ لم یف به، و ذلک لأنّ حنث الیمین و نقض العهد موجب للخذلان و معقب للخسر ان کما صرّح علیه فی غیر آیه من القرآن، قال تعالی فی سوره البقره:

«اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ » و فی سوره بنی إسرائیل: «وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ کانَ مَسْؤُلاً » و فی سوره النّحل: «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَیْمانَ بَعْدَ تَوْکِیدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَیْکُمْ کَفِیلاً إِنَّ اللّهَ یَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ » قال الطبرسی فی تفسیر الآیه الأخیره: قال ابن عباس: الوعد من العهد، و قال المفسرون: العهد الذی یجب الوفاء به و الوعد هو الذی یحسن فعله و عاهد اللّه لیفعلنّه فانّه یصیروا جبا علیه، و لا تنقضوا الایمان بعد توکیدها، هذا نهی منه سبحانه عن

حنث الایمان و هو أن ینقضها بمخالفه موجبها و ارتکاب ما یخالف عقدها، و قوله:

بعد توکیدها أی بعد عقدها و ابرامها و توثیقها باسم اللّه تعالی و قیل: بعد تشدیدها و تغلیظها بالعزم و العقد علی الیمین بخلاف لغو الیمین.

(اللهمّ اغفر لی ما تقرّبت به الیک) ای ما عملته لک (بلسانی) و یدی و رجلی و بصری و سایر جوارحی (ثمّ خالفه قلبی) و جعله مشوبا بالرّیا و السّمعه المنافی للقربه (اللهمّ اغفر لی رمزات الألحاظ) أی اشارات اللحاظ لتعییب شخص و هجائه و نحو ذلک (و سقطات الالفاظ) أی ردّیتها و ساقطتها عن مناط الاعتبار بأن لا یکون له مبالات فی قوله و کلامه، روی عبد اللّه بن سنان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إذا رأیتم الرّجل لا یبالی ما قال و لا ما قیل له فهو شرک شیطان (و شهوات الجنان) أی مشتهیات القلوب المخالفه للشّرع.

و روی فی الوسایل عن الکلینی باسناده عن أبی محمّد الوابشی قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: احذروا أهوائکم کما تحذرون أعدائکم فلیس بشیء أعدی للرجال من اتباع أهوائهم و حصائد ألسنتهم.

و عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: کان أبو الحسن علیه السّلام یقول: لا تدع النفس و هواها فانّ هواها فی رداها و ترک النّفس و ما تهوی اذاها، و ترک النّفس عما تهوی دواؤها، هذا.

و فی بعض النّسخ سهوات القلوب بالسین المهمله فالمراد بها غفلاتها کما فی قوله سبحانه:

«فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ ».

أی غافلون عنها تارکین لها أو تحمل سهواتها علی سهواتها الناشئه عن ترک التّحفظ و قلّه المبالاه فانّها لا تقبح المؤاخذه علیها حینئذ کما أشرنا إلیه آنفا فی شرح قوله اللهمّ اغفر لی ما أنت أعلم به منّی، فانّ السهو و النسیان متقاربان و کلاهما من

ص:۲۵۲

الشیطان بهما یقطع العبد عن سلوک لللل الجنان و الرّضوان کما قال أمیر المؤمنین فی روایه الکافی «فی القلب ظ» لمتان لمه من الشیطان و لمه من الملک فلمه الملک الرّقه و الفهم و لمه الشیطان السّهو و القسوه هذا.

و ذکر قوله:(و هفوات اللسان) بعد سقطات الألفاظ إمّا من قبیل التّاکید أو ذکر الخاصّ بعد العامّ لمزید الاهتمام بأن یکون المراد بسقطات الألفاظ ما لیس فیها ثمره اخرویّه سواء کانت حراما و مضرّه فی الآخره أو لا یکون فیها نفع و لا ضرر کالکلام اللغو، و بهفوات اللسان خصوص ما یوجب المؤاخذه فی الآخره کالغیبه و البهت و النمیمه و السعایه و الاستهزاء و التهمه و السبّ و الکذب إلی غیر ذلک، فانّ کلّ ذلک مباین لمکارم الأخلاق و حسن الشّیمه مناف لمقتضی الایمان و التّقوی و المروّه و معقب للخسران و الندامه فی الآخره.

و لذلک قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم طوبی لمن انفق فضلات ماله و أمسک فضلات لسانه.

و قال أیضا إنّ مقعد ملکیک علی ثنییک(۱) لسانک قلمهما و ریقک مدادهما و أنت تجری فیما لا یعنیک(۲) و لا تستحی من اللّه و لا منهما.

و عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعذّب اللّسان بعذاب لا یعذّب به شیء من الجوارح فیقول: أی ربّ عذّبتنی بعذاب لا تعذّب به شیئا من الجوارح قال فیقال له: خرجت منک کلمه فبلغت مشارق الأرض و مغاربها فسفک بها الدّم الحرام و أخذ بها المال الحرام و انتهک بها الفرج الحرام فوعزّتی لاعذّبنک بعذاب لا أعذّب به شیئا من جوارحک، رواه فی الکافی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نحوه.

و من غریب ما وقع لأبی یوسف و هو من أکابر علماء الأدبیّه و عظماء الشیعه و هو من أصحاب الجواد و الهادی علیهما السّلام أنّه قال فی التّحذیر من عثرات اللّسان.

یصاب الفتی من عثره بلسانه و لیس یصاب المرء من عثره الرّجل

۱- (۱) ای ثنایا الاسنان.

۲- (۲) ای لا یهمّک.

فعثرته فی القول تذهب رأسه و عثرته فی الرّجل تذهب عن مهل

فاتّفق أنّ المتوكل العباسی ألزمه تأديب ولديه المعتزّ و المؤيّد، فقال له يوما: أيّما أحبّ إليك ابناى هذان أم الحسن و الحسين؟ فقال: و اللّه إنّ قنبر الخادم خادم علیّ خير منک و من ابنيک، فقال المتوكّل لعنه اللّه لأتراكه: سلّوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات رحمه اللّه عليه.

و روی عن سيّد السّاجدين عليه السّلام قال: لسان ابن آدم يشرف كلّ يوم على جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا و يقولون: اللّه اللّه فينا و يناشدونه و يقولون: إنّما نثاب و نعاقب بک.

إلی غير هذه من الأخبار الوارده فی مدح الصّمت و ذم التكلّم و يأتی إنشاء اللّه جمله منها فی شرح الخطبه المأه و الثالثه و التّسعين، فاللّازم على العاقل الصمت و السّكوت بقدر الامكان كی يسلم عن زلّات اللّسان و عثرات البيان و فضول الكلام و «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ».

الترجمه

از جمله كلمات آن امامست كه دعا ميكرد به آنها و مى گفت:

بار خدايا بيامرز از براى من آن چيزى را كه تو داناترى بآن از من پس اگر من باز گردم بسوى آن پس باز گرد تو از براى من بآمرزيدن، خداوندا بيامرز از براى من آن چيزى را كه من وعده كردم از نفس خود از براى تو و نيافتي مر او را وفا در نزد من بار خدايا بيامرز از براى من عملهائى كه تقرّب جستم با آنها بسوى تو پس مخالفت نمود آنرا قلب من. بار خدايا بيامرز از براى من اشارتهاى گوشه هاى چشم ببديها و بيهوده هاى گفتارها و شهوات قلب و لغزشات زبان را، و لنعم ما قيل:

زبان بسيار سر بر باد داد است زبان سر را عدوى خانه زاد است

عدوى خانه خنجر تيز كرده تو از خصم برون پرهيز كرده

نشد خاموش كبك كوهسارى از آن شد طعمهٔ باز شكارى

ص:۲۵۴

اگر طوطی زبان می بست در کام نه خود را در قفس دیدی نه در دام

خموشی پرده پوش راز باشد نه مانند سخن غمّاز باشد

و من کلام له علیه السلام و هو الثامن و السبعون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و هو مرویّ فی غیر واحد من الکتب المعتبره باختلافات کثیره علی ما ستطلع علیها، و فی الاحتجاج مثل الکتاب قاله علیه السّلام لبعض أصحابه لمّا عزم علی المسیر إلی الخوارج فقال له بعض أصحابه: یا أمیر المؤمنین إن سرت فی هذا الوقت خشیت أن لا تظفر بمرادک من طریق علم النّجوم فقال:

تزعم أنّک تهدی إلی السّاعه الّتی من سار فیها صرف عنه السوء و تخوّف السّاعه الّتی من سار فیها حاق به الضّرّ، فمن صدّقک بهذا فقد کذّب القرآن و استغنی عن الاستعانه باللّه فی نیل المحبوب و دفع المکروه، و ینبغی فی قولک للعامل بأمرک أن یولّیک الحمد دون ربّه، لأنّک بزعمک أنت هدیته إلی السّاعه الّتی نال فیها النّفع و أمن الضّرّ، ثمّ أقبل علیه السّلام علی النّاس فقال: أیّها النّاس إیّاکم و تعلّم النّجوم إلاّ ما یهتدی به فی برّ أو بحر فإنّها تدعو إلی الکهانه، المنجّم کالکاهن، و الکاهن کالسّاحر، و السّاحر کالکافر، و الکافر فی النّار سیروا علی اسم اللّه.

ص:۲۵۵

اللغه

(حاق به الضـرّ) أحاط قال تعالى: و لا يحيق المكر السّيِء إلّا بأهله، و الضـرّ بالضمّ و فى بعض النّسخ بالفتح ضدّ النّفع أو بالفتح مصدر و بالضمّ اسم أو بالفتح ضدّ النفع و بالضمّ سوء الحال قال تعالى: ربّ إنّى مسّنى الضّرّ، و (يوليك) مضارع باب الافعال أو من باب التّفعيل يقال أوليته الأمر وليته ايّاه أى جعلته واليا له و متسلّطا عليه و (كهن) له من باب نصر و منع و كرم كهانه بالفتح و تكهنّ تكهنا قضى له بالغيب فهو كاهن و الجمع كهنه و كهان و حرفته الكهانه بالكسر.

الاعراب

الفاء فى قوله فمن صـدقك فصيحه اى أنت إذا زعمت هـذا فمن صدّقك بهذا اه، و قوله: و ينبغى فى قولك أى على قولك أو بسبب قولك أو هى للظرفيّه المجازيه، و قوله دون ربّه، ظرف مستقرّ متعلّق بمحذوف وقع حالا من فاعل يولى أى متجاوزا ربه و دون ممّا يتوسّع فيه و يستعمل فى كلّ مجاوز حـدّ الى حـدّ و تخطى أمر إلى أمر، و قوله أنت هـديته، لفظ أنت إمّا تأكيد لكاف انّك أو ضمير فصل بين الاسم و الخبر على حدّ قوله: إنك أنت السّميع العليم.

و قوله أيّها النّاس كلمه أىّ اسم وضع للتوصّل إلى نـداء ما فيه أل اسـتكراها لاجتماع آلتى التعريف أعنى النّدا و حرف التعريف فحاولوا أن يفصـلوا بينهما بشىء فطلبوا اسما مبهما غير دالّ على ماهيّه معيّنه محتاجا بالوضع فى الدّلاله عليها إلى شىء آخر يزيل عنه الابهام يقع النّداء فى الظاهر على ذلك الاسم المبهم و فى الحقيقه على ذلك المخصّص الرافع للابهام عنه.

فوجدوا الاسم المتّصف بهذه الصّـِفه أيّا بشرط قطعه(۱) عن الاضافه و اسم الاشاره حيث وضـعها مبهمين مشروطا بازاله إبهامهما بشىء اما اسم الاشاره فبالاشاره الحسيّه و أمّا أىّ فباسم آخر بعده إلّا أنّ أىّ لما كان أدخل فى الابهام من اسم

۱- (۱) و انما شرطوا ذلک لأنّ الاضافه يخصصه نحو أىّ رجل، منه.

الاشاره و أحوج إلی الوصف منه لأنّ زوال ابهامه انّما هو باسم بعده بخلاف اسم الاشاره فانّه قد یزول ابهامه بالاشاره الحسیّه حسبما ذکرنا، و لهذا جاز یا هذا و لم یجزیا أیّ لا جرم خصّوا الفصل بین حرف النداء و اللام التعریف به و جعلوا المعرّف باللام المزیل عنه الابهام وصفا له.

فأیّ فی قوله أیّها النّاس منادی مفرد معرفه مبنیّ علی الضمّ و ها حرف تنبیه و النّاس صفه لأیّ و قال الأخفش فی یا أیّها الرّجل: إنّ أیّا لا تکون وصله و إنّما هو موصول و ذو اللام بعده خبر مبتداء محذوف و الجمله صله أیّ و إنّما وجب هذا المبتدأ لمناسبه التخفیف للمنادی و لا سیّما إذا زید علیه کلمتان أعنی أیّها فالمعنی یا من هو الرّجل.

قال الرّضیّ و یصحّ تقویه مذهبه بکثره وقوع أیّ موصوله فی غیر هذا الموضع و ندور کونها موصوفه و قوله: إیّاکم و تعلم النّجوم تحذیر و قال ابن الحاجب فی الکافیه التحذیر معمول بتقدیر اتّق تحذیرا ممّا بعده أو ذکر المحذر منه مکرّرا نحو ایّاک و الأسد و إیّاک و أن تحذف و الطریق الطریق.

و قال نجم الأئمه الرّضیّ فی شرحه: قال المصنّف: کان أصل إیّاک و الأسد اتقک ثمّ انّهم لما کانوا لا یجمعون بین ضمیر الفاعل و المفعول لواحد إذا اتّصلا جاءوا بالنّفس مضافا إلی الکاف فقالوا اتّق نفسک ثمّ حذفوا الفعل لکثره الاستعمال، ثمّ حذفوا النّفس لعدم الاحتیاج إلیه لأنّ اجتماع الضمیرین زال بحذف الفاعل مع الفعل فرجع الکاف، و لم یجز أن یکون متّصلا لانّ عامله مقدّم کما یجیء فی باب المضمر فصار منفصلا.

قال الرّضیّ: و أری أنّ هذا الذی ارتکبه تطویل مستغنی عنه و الأولی أن یقال هو بتقدیر ایّاک باعد أونحّ باضمار العامل بعد المفعول و انّما جاز اجتماع ضمیری الفاعل و المفعول لواحد لکون أحدهما منفصلا کما جاز ما ضربت إلا ایّاک و ما ضربت إلاّ إیّای، إلی أن قال و انّما وجب حذف الفاعل فی نحو إیّاک لأنّه

فی معنی المکرّر الذی ذکرنا(۱) انّه یجب حذف فعله لأنّ معنی إیّاک أی بعّد نفسک من الأسد.

و فحوی هـذا الکلام احـذر الأسـد و معنی الأسـد أی بعّـد الأسد عن نفسک و هو أیضا بمعنی لحذر الأسد لأنّ تبعید الأسد عن نفسک بأن تتباعد عنه فکأنک قلت:

الأسد الأسد.

فان قلت المعطوف فی حکم المعطوف علیه و ایّاک محـذّر و الأسـد المحـذّر منه و هما متخالفان فکیف جاز العطف؟ فالجواب أنّه لاـ یجب مشارکه الاـسم المعطوف للمعطوف علیه إلاّ فی الجهه المنتسب بها المعطوف علیه إلی عامله و جهه انتساب ایّاک إلی عامله کونه مفعولا به أی مبعدا و کذا الأسد إذ المعنی إیّاک بعّد و بعّد الأسد.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام قاله (لمّا عزم إلی المسیر إلی) حرب (الخوارج فقال له بعض أصحابه) و هو عفیف بن قیس أخو أشعث بن القیس الکندی الملعون رأس المنافقین و مثیر الفتن فی أیّام خلافه أمیر المؤمنین و لا سیّما وقعه صفّین حسبما عرفت فیما سبق.

و کیف کـان فقـال له عفیف (یا أمیر المؤمنین إن سـرت فی هـذا الوقت خشیت أن لا تظفر بمرادک) الـذی هو الغلبه علی أهل النهر (من طریق علم النّجوم) فقال له علی سبیل الاسـتفهام التقریری (أ تزعم أنّک تهدی إلی السّاعه التی من سار فیها صرف عنه السّوء) لسعود السّـاعه (و تخوف) من (السـاعه التی من سـار فیهـا حاق به الضـرّ) و أحاط به سوء الحال بملاحظه نحوس السّاعه (فمن صدّقک بهذا فقد کذّب القرآن) أی من صدّقک بدعواک العلم بالسّاعتین فقد کذّب کتاب اللّه لأنّ اللّه

۱- (۱) و هو ما ذکره سابقا بقوله و حکمه اختصاص وجوب الحـذف بالمحـذّر منه المکرّر کون تکریره دالا علی مقارنه محذّر منه للمحذّر بحیث یضیق الوقت الاّ عن ذکر محذّر منه علی ابلغ ما یمکن و ذلک بتکریره و لا یتّسع بذکر العامل مع هذا المکرّر انتهی.

تعالی یقول:

«وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً » و «قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلَّا اللّهُ » «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلاّ هُوَ ».

إلی غیر ذلک ممّا أفاد انحصار العلوم الغیبیّه فی اللّه سبحانه.

و قال العلامه المجلسی (ره): و یمکن حمل الکلام علی وجه آخر و هو أنّ قول المنجم بأنّ صرف السّوء و نزول الضرّ تابع للسّاعه سواء قال إنّ الأوضاع العلویّه مؤثره تامه فی السّفلیات و لا یجوز تخلّف الآثار عنها أو قال بأنّها مؤثرات ناقصه و لکن باقی المؤثرات امور لا یتطرّق إلیها التغییر أو قال بأنّها علامات تدلّ علی وقوع الحوادث حتما فهو مخالف لما ثبت من الدین من أنّه سبحانه یمحو ما یشاء و یثبت و أنّه یقبض و یبسط و یفعل ما یشاء و یحکم ما یرید، و لم یفرغ من الأمر و هو تعالی کلّ یوم فی شأن.

و الظاهر من أحوال المنجّمین السّابقین و کلماتهم جلّهم بل کلّهم أنّهم لا یقولون بالتّخلف وقوعا أو إمکانا فیکون تصدیقهم مخالفا لتصدیق القرآن و ما علم من الدّین و الایمان من هذا الوجه.

و لو کان منهم من یقول بجواز التخلّف و وقوعه بقدره اللّه و اختیاره و أنّه تزول نحوسه السّاعه بالتوکل و الدّعاء و التوسل و التصدّق و ینقلب السّعد نحسا و النّحس سعدا و بأنّ الحوادث لا یعلم وقوعها إلاّ إذا علم أنّ اللّه سبحانه لم تتعلّق حکمته بتبدیل أحکامها، کان کلامه علیه السّلام مخصوصا بمن لم یکن کذلک، فالمراد بقوله صرف عنه السّوء و حاق به الضّر أی حتما هذا.

و لمّا نبّه علی فساد زعم المنجّم بکون تصدیقه موجبا لتکذیب کلام اللّه سبحانه نبّه علی فساده ثانیا بقوله (و استغنی) أی مصدّقک و متّبعک (عن الاستعانه باللّه) تعالی (فی نیل المحبوب و دفع المکروه) لأنک اذا کنت عارفا بالسّاعه السّعد

ص:۲۵۹

و السّاعه النّحس و هاديا إليهما فيهتـدى بك التابعون لك و المصـدّقون بك و يتراقبون بعد السّاعات فينالون الخير و السِّعاده و يتّقون نحسـها فيسلمون من النحوسه و الكراهه فيلزم على ذلك استغنائهم بك عن اللّه و غناهم برأيك عن اللجأ إلى اللّه و الفزع إليه سبحانه.

(و) أيضا (ينبغى فى قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمـد دون ربّه لانّك بزعمك أنت هـديته إلى السّاعه التى نال فيها النفع و آمن فيها الضـرّ) فكنت أنت المنعم عليه بتلك النعمه فلا بدّ أن تسـتحقّ الحمد و الثّناء بذلك و لزم أن يكون حمده على تلك النعمه راجعا إليك.

(ثم) إنّه بعـد التنبيه على فسـاد زعم المنجّم بـالوجوه الثلاثه (أقبل على الناس) و نهاهم عن الأخـذ بالنجوم و حـذّرهم عن تعلّمها (فقال أيها الناس إياكم و تعلّم النجوم) قال الشارح البحرانى: الذى يلوح من سرّ نهى الحكمه النبويّه عن تعلّم النجوم أمران الأوّل اشتغال متعلّمها بها و اعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب و الأوقات و الاشـتغال بـالفزع إليه و إلى ملاحظه الكواكب عن الفزع إلى اللّه و الغفله عن الرّجوع إليه فيما يهمّ من الأحوال و قـد علمت أنّ ذلك يضادّ مطلوب الشارع إذ كان غرضه ليس إلّا دوام التفات الخلق إلى اللّه و تذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثـانى أنّ الأحكام النجوميه اخبارات عن امور سـيكون و هى تشـبه الاطلاع على الامور الغيبيه و أكثر الخلق من العوام و النساء و الصبيان لا يتميزون بينها و بين علم الغيب و الأخبار به فكان تعلّم تلك الأحكام و الحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق و موهنا لاعتقـاداتهم فى المعجزات أو الاخبـار عن الكاينـات منهـا و كـذلك فى عظمه بارئهم و يشـككهم فى عموم الآيات الـدّاله على اختصاص علم الغيب باللّه سبحانه، و كان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانه و السحر و العزائم و نحوهما.

و كيف كان فلما نهى الناس عن تعلّم النجوم بالوجهين الذين عرفت استثنى عن ذلك قوله (إلّا ما يهتدى به فى برّ أو بحر) لعدم استلزام ذلك الجهتين المذكورتين

و قد نصّ على جواز الاهتداء بها الآيات الكريمه مضافه إلى الأخبار الكثيره قال تعالى «هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ » و قال تعالى: «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ ».

قال الطبرسی لأنّ من النجوم ما یکون بین یدی الانسان و منها ما یکون خلفه و منها ما یکون عن یمینه و منها ما یکون عن یساره و یهتدی بها فی الاسفار و فی البلاد و فی القبله و أوقات اللیل و إلى الطرق فی مسالک البراری و البحار، و قیل أراد الاهتداء به فی القبله، قال ابن عباس: سألت رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم عنه فقال: الجدی علامه قبلتکم و به تهتدون فی برّکم و بحرکم.

أقول: و هذه الرّوایه موافقه لما رواه الصدوق مرسلا قال: قال رجل للصادق علیه السّلام: أنا اکون فی السفر و لا اهتدی إلى القبله باللیل قال أتعرف الکوکب الذی یقال له جدی؟ قلت: نعم قال: اجعله على یمینک و إذا کنت فی طریق الحجّ فاجعله بین کتفیک.

و روى أیضا محمّد بن سنان عن أحدهما علیه السّلام قال: سألته عن القبله قال: ضع الجدی فی قفاک و صلّ هذا.

و لا ـ ینحصر جواز تعلّمها فیما ذکر بل ربّما یجوز التعلّم لما یترتّب علیها من الأحکام الشّرعیه المتعلّقه بها فی أبواب العبادات و المعاملات بل قد یجب لوجوب الحکم المرتّب علیها فیجب معرفتها من باب المقدّمه مثلا ـ لوجوب معرفه الأوقات الخمسه للصّلاه و معرفه الحول المضروبه للزکاه و اتیان الحجّ و العمره فی الأشهر المعلومات و ضبط عدد الحولین لرضاع الحاملات و تعیین أیام العده للمتوفّى عنها زوجها و للحامل و سایر المطلقات، و العلم بما ضربت للدّین المؤجل من الأوقات کما اشیر إلى ذلک فی غیر واحده من الآیات قال تعالى:

«أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّیْلِ » و قال

ص:۲۶۱

«يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّهِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنّاسِ وَ الْحَجِّ » و قال «هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللّهُ ذلِکَ إِلاّ بِالْحَقِّ یُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ » و قد مضی فی سادس تنبیهات الفصل الثامن من فصول الخطبه الاولی ما یوجب ازدیاد بصیرتک فی المقام فتذکّر، و قوله (فانّها تدعو إلی الکهانه) تعلیل للنّهی عن النّجوم و الکهانه بالکسر.

قال فی البحار هی عمل یوجب طاعه بعض الجانّ له بحیث یأتیه بالأخبار الغایبه و هو قریب من السّحر قیل: قد کان فی العرب کهنه کشق و سطیح و غیرهما فمنهم من یزعم أنّ له تابعا من الجنّ و دئیا یلقی إلیه الأخبار، و منهم من کان یزعم أنّه یعرف الامور بمقدّمات و أسباب یستدلّ بها علی مواقعها من کلام من یسأله أو فعله أو حاله و هذا یخصونه باسم العراف کالذی یدّعی معرفه الشّیء المسروق و مکان الضاله و نحوهما.

و دعوه علم النّجوم إلی الکهانه إمّا لانّه ینجرّ أمر النجم إلی الرغبه فی تعلّم الکهانه و التّکسب به أو ادّعاء ما یدّعیه الکاهن، ثمّ إنّه شبّه المنجّم بالکاهن و قال (المنجّم کالکاهن)و وجه الشّبه إمّا الاشتراک فی الاخبار عن الغاییات أو فی الکذب و الاخبار بالظنّ و التخمین و الاستناد إلی الامارات الضعیفه و المناسبات السّخیفه أو فی العدول و الانحراف عن سبیل الحقّ و التمسک فی نیل المطالب و درک المآرب بأسباب خارجه عن حدود الشّریعه و صدّهم عن التوسل إلی اللّه بالدعاء و الصدقه و سایر أصناف الطاعه، أو فی البعد عن الرحمه و المغفره.

و یجری بعض هذه الوجوه فی التشبیهین فی قوله:(و الکاهن کالساحر و الساحر کالکافر)و المشبه به فی التشبیهات أقوی.

و السحر علی ما قیل کلام أو کتابه أو رقیه أو أقسام و عزایم و نحوها یحدث بسببها ضرر علی الغیر، و منه عقد الرّجل عن زوجته و القاء البغضاء بین الناس، و منه استخدام الملائکه و الجنّ و استنزال الشّیاطین فی کشف الغاییات و علاج المصاب

و استحضارهم و تلبسهم ببدن صبىّ أو امرئه و كشف الغايبات على لسانه انتهى.

و الظاهر أنّه لا يختصّ بالضّرر بل ربّما يفعل لعبا أو لإبداء أمر غريب و عن صاحب العين السّحر عمل يقرب إلى الشّياطين و من السّحر الاخذه التى تأخذ العين حتّى تظن أنّ الأمر كما ترى، و ليس الأمر كما ترى فالسحر عمل خفىّ لخفاء سببه يصوّر الشّىء بخلاف صورته و يقلبه من جنسه فى الظاهر و لا يقلبه من جنسه فى الحقيقه ألا ترى إلى قوله تعالى:

«يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعى ».

و قال: الشّيخ فى محكىّ كلامه عن التبيان قيل فى معنى السّحر أربعه أقوال:

احدها أنّه خدع و مخاريق و تمويهات لا حقيقه يخيل إلى المسحور أنها حقيقه.

و الثّانى أنّه اخذ بالعين على وجه الحيله.

و الثّالث أنّه قلب الحيوان من صوره إلى صوره و إنشاء الاجسام على وجه الاختراع فيمكن السّاحر أن يقلب الانسان حمارا و ينشى أجساما.

و الرّابع أنّه ضرب من خدمه الجنّ و أقرب الأقوال الأوّل لأنّ كلّ شىء خرج عن العاده الجاريه فانّه سحر لا يجوز أنّ يأتى من السّاحر، و من جوّز شيئا من هذا فقد كفر لأنّه لا يمكن معذلك العلم بصحه المعجزات الدّاله على النبوات لانّه أجاز مثله على جهه الحيله و السّحر و فى الرّياض و السّحر عرف تاره بما فى الكتاب قال تعالى:

«فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ ».

و فى الاحتجاج من أكبر السّحر النميمه يفرق بها بين المتحابّين و يجلب العداوه بين المتصادقين، قيل: و منه استخدام الجنّ و عرف بانّه عمل يستفاد منه حصول ملكه نفسانيه يقتدر بها على أفعال غريبه و اخرى لوجه يدخل فيه العلم الطلسمات و النّيرنجات و غير ذلك، و ذلك أن يقال هو استحداث الخوارق إمّا بمجرّد التأثيرات النفسانيه

و هو السّحر أو بالاستعانه بالفلكيات فقط و هو دعوه الكواكب، أو على تمزيج القوى السّماويه بالقوى الأرضيه و هو الطلسمات، أو على سبيل الاستعانه بالأرواح السّاذجه و هو العزائم قيل: و الكلّ حرام فى شريعه الاسلام.

و ظاهره اجماع المسلمين عليه و هو الحجه مضافا إلى النّصوص المستفيضه منها، و يدخل فيه النير نجات على ما ورد فى الساحر أنّ دم السّاحر حلال و أنّ تعلم السّحر آخر العهد باللّه تعالى و حدّه القتل و نحو ذلك، و ظاهرها التّحريم مطلقا و قد استثنى منه السّحر للتوقى و دفع المتنبّى و ربّما وجب كفايه.

و روى فى العيون فى تفسير آيه هاروت و ماروت أنّه كان بعد نوح قد كثرت السّحره و المموهون فبعث اللّه ملكين إلى نبىّ ذلك الزّمان يذكر ما يسحر به السحره و ذكر ما يبطل به سحرهم و يردّ به كيدهم فتلقاه النبىّ من الملكين و أداه إلى عباد اللّه بأمر اللّه أن يقفوا به على السّحر و أن يبطلوه و نهاهم أن يسحروا به الناس، و ربّما خصّت روايات الحلّ بغير السّحر كالقرآن و الذّكر و التعويذ و نحوها جمعا و هو أحوط.

ثمّ إنّه بعد تشبيه المنجّم بالكاهن و الكاهن بالساحر و الساحر بالكافر أشار بقوله (و الكافر فى النّار) إلى نتيجه الجميع و هو دخول النّار إما على وجه الخلود كما فى الكافر أولا كما فى غيره، و لما فرغ من تنفير أصحابه عن تعلّم النجوم و قبول أحكامها أمرهم بالمسير بقوله:(سيروا على اسم اللّه) و عونه.

و ينبغى

تذييل المقام بامور مهمه

الأوّل

اعلم أنّ هذا الكلام ممّا اشتهرت روايته بين الخاصّه و العامّه و قد روى بطرق مختلفه مع اختلاف كثير فى متنه و لا بأس بالاشاره إلى بعض تلك الطرق استبصارا و اطلاعا منك على مواقع الاختلاف و استظهارا و استنصارا لما أورد السّيد فى الكتاب فأقول:

منها ما فى شرح المعتزلى عند شرح لخطبه السّادسه و الثلاثين قال: روى ابن ديزيل قال: عزم على الخروج من الكوفه إلى الحروريّه و كان فى أصحابه منجّم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسرفى هذه السّاعه و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار

فانک إن سرت فی هذه الساعه أصابک و أصاب أصحابک أذی و ضرّ شدید، و إن سرت فی ساعه التی أمرتک بها ظفرت(۱) و ظهرت و أصبت ما طلبت.

فقال له علیّ أ تدری ما فی بطن فرسی هذه أذکر هو أم انثی؟ قال: إن حسبت علمت، فقال من صدّقک بهذا فقد کذّب القرآن قال اللّه تعالی: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ » الآیه.

ثمّ قال إنّ محمّدا ما کان یدّعی علم ما ادّعیت علمه، أ تزعم أنک تهدی إلی الساعه التی یصیب النفع من سار فیها و تصرف عن الساعه التی یحیق(۲) السوء لمن سار فیها فمن صدّقک فقد استغنی عن الاستعانه باللّه جلّ ذکره فی صرف المکروه عنه و ینبغی للمؤمن بأمرک أن یولیک الحمد دون اللّه جلّ جلاله لأنک بزعمک هدیته إلی السّاعه التی یصیب النفع من سار فیها، و صرفته عن الساعه التی یحیق السوء بمن سار فیها فمن آمن بک فی هذا لم امن علیه أن یکون کمن اتّخذ من دون اللّه ضدا و ندا، اللهمّ لا طیر إلاّ طیرک و لا ضیر إلاّ ضیرک و لا إله غیرک.

ثمّ قال: نخالف و نسیر فی الساعه التی نهیتنا عنها، ثمّ أقبل علی الناس فقال:

أیها النّاس إیاکم و التعلم للنجوم إلاّ ما یهتدی به فی ظلمات البرّ و البحر إنما المنجّم کالکاهن و الکاهن کالکافر و الکافر فی النّار، أما و اللّه لان بلغنی أنک تعمل بالنّجوم لأخلدنک فی السجن أبدا ما بقیت و لأحرمنّک العطاء ما کان لی من سلطان.

ثمّ سار فی الساعه التی نهاه عنها المنجّم فظفر بأهل النهر و ظهر علیهم، ثمّ قال علیه السّلام لو سرنا فی الساعه التی أمرنا بها المنجّم لقال الناس سار فی الساعه التی أمر بها المنجّم فظفر و ظهر أما أنّه ما کان لمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منجّم و لا لنا من بعده حتّی فتح اللّه علینا بلاد کسری و قیصر أیّها الناس توکّلوا علی اللّه و اتّقوا اللّه فانّه یکفی ممّن سواه.

و منها ما فی البحار من مجالس الصّدوق عن محمّد بن علیّ ما جیلویه عن محمّد

۱- (۱) ظفر بمطلوبه فاز، لغه.

۲- (۲) حاق به السوء لزمه.

ابن أبی القاسم عن محمّد بن علیّ القرشی عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن یوسف بن یزید عن عبد اللّه بن عوف بن الأحمر.

قال: لما أراد أمیر المؤمنین المسیر إلی النهر و ان أتاه منجّم فقال له: یا أمیر المؤمنین لا تسرفی هذه الساعه و سرفی ثلاث ساعات مضین من النهار، فقال أمیر المؤمنین: و لم ذلک؟ قال: لأنک إن سرت فی هذه الساعه أصابک و أصاب أصحابک اذی و ضرّ شدید و إن سرت فی الساعه التی أمرتک ظفرت و ظهرت و أصبت کما طلبت.

فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام تدری ما فی بطن هذا الدابه ذکر أم انثی؟ قال:

إن حسبت علمت، قال له أمیر المؤمنین علیه السّلام من صدّقک علی هذا القول کذب بالقرآن قال اللّه تعالی: إنّ اللّه عنده علم الساعه و ینزل الغیث و یعلم ما فی الأرحام و ما تدری نفس ما ذا تکسب غدا، و ما تدری نفس بأیّ أرض تموت إنّ اللّه علیم خبیر.

ما کان محمّد یدعی ما ادّعیت أ تزعم أنک تهدی إلی الساعه التی من سار فیها صرف عنه سوء و الساعه التی من سار فیها حاق به الضّر من صدّقک بهذا استغنی بقولک عن الاستعانه باللّه عزّ و جلّ، و فی ذلک الوجه و أحوج إلی الرّغبه إلیک فی دفع المکروه عنه و ینبغی له أن یولیک دون ربه عزّ و جلّ فمن آمن لک بهذا فقد اتّخذک من دون اللّه ندّا و ضدّا.

ثمّ قال: اللّهم لا طیر إلّا طیرک و لا ضیر إلّا ضیرک و لا خیرک إلّا خیرک و لا إله غیرک بل نکذبک و نخالفک و نسیر فی الساعه التی نهیت عنها.

قال المحدّث المجلسی بعد ما أورد الرّوایه: قوله: من صدّقک علی هذا القول فقد کذب بالقرآن لادّعائه العلم الذی أخبر اللّه سبحانه أنّه مختصّ به إذ ظاهر قوله تعالی عنده الاختصاص.

فان قیل: فقد أخبر النبیّ فالأئمه بالخمسه المذکوره فی الآیه فی مواطن کثیره فکیف ذلک؟

ص:۲۶۶

قلنا: المراد أنّه لا يعلمها أحد بغير تعليمه سبحانه و ما أخبروه من ذلك فانّما كان بالوحى و الالهام أو التّعلم من النبىّ الذى علمه بالوحى.

لا ـ يقال: علم النّجوم أيضا من هـذا القبيل لما سيأتى من الأخبار الـدّاله على أنّ له أصـلا و أنّه ممّا علمه اللّه أنبياءه فكيف يكون تصديق المنجّم تكذيبا بالقرآن؟ لأنا نقول الذى سيظهر من الأخبار أنّ نوعا من هذا العلم حقا يعلمه الأنبياء و الأوصياء و أمّا أنّ ما فى أيدى النّاس من ذلک فلا.

و قوله أن يوليـک الحمـد، على بنـاء الافعـال أو التّفعيـل أى يقربـک من الحمـد من الولى بمعنى القرب أو من قولهم ولاه الأمير عمـل كـذا أى قلّده ايّاه أى يجعلـک وليـا لمحمّـد «للحمـد ظ» و أهلاـ له أو من قولهم أوليته معروفا أى أنعمت عليه لا طير إلّا طيرك الطير من الطيره و هى التّشـام بالشّـىء أى لا تاثير للطيره إلّا طيرك أى قضاؤک و قـدرک على المشاكله و يـدلّ على أنّ ضرر النّجوم من جهه الطيره، و الضير الضرر.

الثانى

قـال السّـيد الجليـل علىّ بن طـاوس (ره) فى محكىّ كلامـه عن كتـاب النّجوم بعـد مـا أورد هـذا الكلام له عليه السّـلام نقلا عن الرّضىّ (ره) فى الكتاب:

إنّنى رأيت فيما وقفت عليه فى كتاب عيون الجواهر تأليف أبى جعفر محمّـد بن بابويه (ره) حـديث المنجّم الـذى عرض لمولانا علىّ عليه السّـلام عند مسيره إلى النهروان مسندا عن محمّد بن علىّ ما جيلويه عن عمّه محمّد بن أبى القاسم عن محمّد بن علىّ القرشـى عن نصـر بن مزاحم المنقرّى عن عمر بن سـعد عن يوسف بن يزيـد عن عبد اللّه بن عوف ابن الأحمر قال: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السّلام المسير إلى النّهروان أتاه منجّم، ثمّ ذكر حديثه.

قال: فأقول إنّ فى هـذا الحـديث عدّه رجال لا يعمل علماء أهل البيت عليهم السّـلام على روايتهم و يمنع من يجوّز العمل بأخبار الآحـاد من العمـل بأخبـارهم و شـهادتهم و فيهم عمر بن سـعد بن أبى وقـاص مقاتـل الحسين عليه السّـلام فانّ أخباره و رواياته مهجوره

و لا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه.

ثمّ طعن فى الرّوايه بانّها لو كانت صحيحه لكان عليه السّلام قد حكم فى هذا على صاحبه الذى قد شهد مصنف نهج البلاغه أنّه من أصحابه أيضا بأحكام الكفار إمّا بكونه مرتدّا عن الفطره فيقتله فى الحال أو يردّه عن غير الفطره فيتوبه أو يمتنع من التّوبه فيقتل لأنّ الرّوايه قد تضمّنت أنّ المنجّم كالكافر أو كان يجرى عليه أحكام الكهنه أو السّحره لأنّ الرّوايه تضمّنت أنّه كالكاهن و السّاحر و ما عرفنا إلى وقتنا هذا أنّه حكم على هذا المنجّم أحكام الكفار و لا السّحره و لا الكهنه و لا أبعده و لا عزّره بل قال: سيروا على اسم اللّه و المنجّم من جملتهم لانّه صاحبه.

و هذا يدلك على تباعد الرّوايه من صحّه النّقل أو يكون لها تأويل غير ظاهر موافق للعقل.

ثمّ قال: و ممّا نذكره من التّنبيه على بطلان ظاهر الرّوايه بتحريم علم النّجوم قول الرّاوى فيها إنّ من صدّقك فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانه باللّه و نعلم أنّ الطلائع للحروب مديون على السّلامه من هجوم الجيش و كثير من النّحوس و يبشّرون بالسّلامه و ما الزم من ذلك أن يوليهم الحمد دون ربّهم ثمّ انّنا وجدنا فى الدّعوات الكثيره التّعوذ من أهل الكهانه و السّحره فلو كان المنجّم مثلهم كان قد تضمن بعض الأدعيه التّعوّذ منه و ما عرفنا فى الأدعيه التعوّذ من النّجوم و المنجّم إلى وقتنا هذا.

و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الروايه أنّ الدّعوات تضمّن كثير منها و غيرها من صفات النبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه لم يكن كاهنا و لا ساحرا و ما وجدنا إلى الآن و لا كان عالما بالنّجوم، فلو كان المنجّم كالكاهن و الساحر ما كان يبعد أن يتضمنه بعض الرّوايات و الدعوات فى ذكر الصّفات انتهى كلامه رفع مقامه.

و اورد عليه المحدّث المجلسى (ره) بعد نقل كلامه فى البحار بقوله، و أقول:

أمّا قدحه فى سند الرّوايه فهى من المشهورات بين الخاصّه و العامّه و لذا أورده السّيّد (ره) فى النهج اذ دأبه فيه أن يروى ما كان مقبول الطرفين و ضعف سند الرّوايه

ص:۲۶۸

التی أورده الصّدوق لا یدلّ علی ضعف سایر الأسانید.

و عمر بن سعد الذی یروی عنه نصر بن مزاحم لیس الملعون الذی کان محارب الحسین علیه السّلام کما یظهر من کتابه کتاب الصّفین الذی عندنا، فان أکثر ما رواه فیه رواه عن هذا الرّجل و فی کثیر من المواضع عمر و مکان عمر، و لم یکن الملعون من جمله رواه الحدیث و حمله الأخبار حتّی یروی عنه هذه الأخبار الکثیره.

و أیضا روایه نصر عنه بعید جدّا فانّ نصر کان من أصحاب الباقر علیه السّلام و الملعون لم یبق بعد شهاده الحسین علیه السّلام إلّا قلیلا، و الشّواهد علی کونه غیره کثیره لا تخفی علی المتدرّب فی الاخبار العارف بأحوال الرّجال و هذا من السیّد غریب و أمّا قوله إنّه لم یحکم بکفر المنجّم فیرد علیه أنّ ظاهر التشبیه بالکافر أنّه لیس بکافر و إنّما یدلّ علی اشتراکه معه فی بعض الصفات لا فی جمیع الأحکام کقتله فی الحال أو بعد امتناعه من التوبه علی أنه علیه السّلام لم یشبهه بالکافر بل بالمشبه بالکافر.

و أما قوله و لا أبعده و لا عزّره، ففیه أنه قد ظهر مما رواه ابن أبی الحدید الابعاد بالحبس المؤبد و التحریم من العطاء، و لم یعلم أنه أصرّ المنجّم علی العمل بالنجوم بعد ذلک حتی یستحقّ تعزیرا أو نکالا و عدم اشتمال روایه السید علی هذه الزّیاده لا یدلّ علی عدمها، فانّ عاده السید الاختصار علی ما اختاره من کلامه علیه السّلام بزعمه استیفاء النقل و الرّوایه مع عدم النقل فی مثل هذا لا یدلّ علی العدم.

و کونه من أصحابه علیه السّلام و بینهم لا یدلّ علی کونه مرضیا فانّ جیشه علیه السّلام کان مشتملا علی کثیر من الخوارج و المنافقین کالأشعث أخی هذا المنجّم علی ما ذکره السید و غیره أنه کان عفیف بن قیس أخا الأشعث رأس المنافقین و مثیر أکثر الفتن.

و أما قیاسه علی طلائع الحروب فالفرق بین الأمرین بیّن، فانّ ما یهدی إلیه الطلائع و نحوهم لیست امورا یترتب علیها صرف السوء و نیل المحبوب حتما بل یتوقف علی اجتماع امور کوجود الشرائط و ارتفاع الموانع و کلّ ذلک لا یتیسّر الظفر بها الّا بفضل مسبّب الأسباب بخلاف ما ادّعاه المنجّم من أنّ الظفر یترتّب حتما علی

علی الخروج فی الساعه التی اختاره.

و أما عـدم التعوّذ من النجوم و المنجّم فلأن المنجّم إنما یعود ضـرره إلی نفسه بخلاف السّاحر و الکاهن فانه یترتّب منهما ضـرر کثیر علی الناس، مع أنّ الدّعاء الذی رواه السید فی کتاب الاستخارات و أوردناه فی هذا الباب یتضمّن البراءه إلی اللّه من اللّجاء إلی العمل بالنّجوم و طلب الاختیارات منها.

و أما عدم وصف النبیّ بأنه لم یکن منجّما لأنّ الکفار إنما کانوا یصـفونه بالسحر و الکهانه و الشعر فورد براءته عنها ردا علیهم و لم یکونوا یصفونه بالنجوم مع أنه کان عالما بما هو الحقّ من علم النجوم و کان من فضائله صلّی اللّه علیه و آله

الثالث

روی فی الاحتجـاج و البحـار قصّـه المنجّم معه علیه السّـلام بنحـو آخر مشـتمل علی مطـالب غریبه و أحکـام عجیبه أحببت ایراد ذلک ضنّنا منّی أن یخلو الشّرح عن ذلک فأقول.

فی الاحتجـاج عن سـعید بن جـبیر قـال اسـتقبل أمیر المـؤمنین دهقـان من دهـاقین الفرس فقـال له بعـد التهنیه: یـا أمیر المـؤمنین تناحست النّجوم الطالعات و تناحست السّـعود بالنّحوس و إذا کان مثل هـذا الیوم وجب علی الحکیم الاختفاء و یومک هـذا یوم صعب قد انقلب فیه (کوکبان خ ل) و انقدح من برجک النّیران و لیس الحرب لک بمکان.

فقـال أمیر المؤمنین علیه السّـلام ویحـک یـا دهقـان المنبئ بالآثـار المحـذّر من الأقـدار مـا قصّه صـاحب المیزان و قصّه صاحب السّـرطان؟ و کم المطالع من الأسد و السّاعات من المحرکات و کم بین السـراری و الدّراری؟ قال: سانظرو أومأ بیده إلی کمّه و أخرج منه اسـطر لابا ینظر فیه، فتبسّم علیه السّلام فقال أ تدری ما حدث البارحه؟ وقع بیت بالصّین، و انفرج برج ما جین، و سقط سور سر اندیب، و انهزم بطریق الرّوم بارمنیه (بارمیتّیه خ ل)، و فقد دیّان الیهودی بایله، و هاج النّمل بوادی النّمل، و هلک ملک أفریقیّه أ کنت عالما بهذا؟

قال: لا يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السّلام: البارحه سعد سبعون ألف عالم، و ولد فى كلّ عالم سبعون ألفا و الليله يموت مثلهم و هذا منهم، و أومأ بيده إلى سعد بن مسعده الحارثى لعنه اللّه و كان جاسوسا للخوارج فى عسكر أمير المؤمنين، فظنّ الملعون أنّه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات، فخرّ الدّهقان ساجدا.

فقال أمير المؤمنين ألم اروّك من عين التّوفيق؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السّلام أنا و صاحبى لا شرقىّ و لا غربىّ نحن ناشئه القطب و أعلام الفلك أما قولك انقدح من برجك النيران، فكان الواجب أن تحكم به لى لا علىّ، و أمّا نوره و ضياؤه فعندى و أمّا حريقه و لهبه فذهب عنّى فهذه مسأله عميقه احسبها إن كنت حاسبا.

قال المحدّث المجلسى فى شرحه بعد ما أورده فى البحار: «ما قصّه صاحب الميزان» أى الكواكب التى الآن فى برج الميزان أو الكواكب المتعلّقه بتلك البرج المناسبه لها، و كذا صاحب السّرطان و «كم المطالع» أى كم طلع من ذلك البرج الان و «السّاعات» أى كم مضى من طلوع السّاعات من طلوع ساير المحرّكات.

و لعلّ المراد «بالسّرارى» الكواكب الخفيه تشبيها لها بالسّريه «و الدّرارى» الكواكب الكبيره المضيئه أو اصطلاحان فى الكواكب لا يعرفهما المنجّمون، و الغرض أنّه لو كان هذا العلم فانّما يمكن الحكم به بعد الاحاطه بجميع أوضاع الكواكب و أحوالها و خواصّها فى كلّ آن و زمان و المنجّمون لم يرصدوا من الكواكب إلّا أقلها و مناط أحكامهم أوضاع السّيارات فقط مع عدم احاطتهم بأحوال تلك أيضا.

ثمّ نبّهه عليه السّلام على عدم احاطته بذلك العلم أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير من الامور الحادثه، و فى القاموس «البطريق» ككبريت القايد من قوّاد الرّوم تحت يده عشره آلاف رجل انتهى و «ديّان اليهود» عالمهم و فى بعض النّسخ بالنّون جمع دن و هو الجبّ العظيم «و صاحبى» أى النّبىّ «لا شرقى و لا غربى» ايماء إلى قوله سبحانه لا شرقيّه و لا غربيه، و الغرض لسنا كساير الناس

حتّى تحكم علينا بأحكامهم كالنّجوم المنسوبه إلى العرب أو إلى الملوک أو إلى العلماء و الأشراف فانا فوق ذلک کلّه.

«نحن ناشئه القطب» أی الفرقه النّاشئه المنسوبه إلى القطب أی حقيقه لثباتهم و استقرارهم فی درجات العزّ و الكمال أو كنايه عن أنّهم غير منسوبين إلى الفلک و الكواكب بل هی منسوبه إليهم و سعادتها بسببهم، أو أنّهم قطب الفلک إذ الفلک يدور ببركتهم «و» هم «أعلام الفلک» بهم يتزيّن و يتبرّک و يسعد.

ثمّ الزم عليه السّلام عليه فی قوله «انقدح من برجک النّيران» بأنّ للنّار جهتين جهه نور وجهه إحراق فنورها لنا و إحراقها على عدوّنا، و يحتمل أن يكون المراد به أنّ اللّه يدفع ضررها عنّا بتوسّلنا به تعالى و توكلنا عليه «فهذه مسأله عميقه» أی كوننا ممتازين عن ساير الخلق فی الأحكام أو كون النيران خيرا لنا و شرّا لعدوّنا و أنّ التوسل و الدّعاء يدفع النحوس و البلاء مسأله عميقه خارجه عن قانون نجومک و حسابک و يبطل جميع ما تظنّ من ذلک.

و فی البحار روينا باسنادنا إلى الشيخ سعيد محمّد بن رستم بن جرير الطبری الامامی عن الحسين بن عبد اللّه الجرمی و محمّد بن هارون التلعكبری عن محمّد بن أحمد ابن محروم عن أحمد بن القاسم عن يحيی بن عبد الرحمن عن علیّ بن صالح بن حیّ الكوفی عن زياد بن المنذر عن قيس بن سعد قال:

كنت كثيرا اساير أمير المؤمنين عليه السّلام إذا سار إلى وجه من الوجوه فلما قصد أهل النهروان و صرنا بالمداين و كنت يومئذ مسايرا له إذ خرج إليه قوم من أهل المداين من دهاقينهم معهم براذين قد جاءوا بها هديه إليه فقبلها، و كان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المداين يدعى سرسفيل، و كانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى و ترجع إلى قوله فيما سلف فلما بصر بأمير المؤمنين قال له:

يا أمير المؤمنين لترجع عما قصدت قال و لم ذاک يا دهقان؟ قال: يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع فنحس أصحاب السعود و سعد أصحاب النحوس و لزم الحكيم

فى مثل هـذا اليوم الاسـتخفاء و الجلوس، و أنّ يومـك هـذا يوم مميت قـد اقترن فيه كوكبان قتّالان، و شـرف فيه بهرام فى برج الميزان، و انقدح «و انفذت خ» من برجك النيران و ليس الحرب لك بمكان.

فتبسّم أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ قال: أيّها الدّهقان المنبئ بالاخبار و المحذّر من الاقدار ما نزل البارحه فى آخر الميزان و أىّ نجم حلّ فى السّرطان؟ قال: سأنظر ذلك و أخرج من كمه اسطرلابا و تقويما، قال له أمير المؤمنين: أنت مسير الجاريات؟ قال: لا قـال: فـأنت تقضـى على الثابتات؟ قال لا: قال: فاخبرنى عن طول الأسـد و تباعـده من المطالع و المراجع و ما الزّهره من التوابع و الجوامع؟ قال: لا علم لى بذلك.

قال عليه السّلام: فما بين السوارى إلى الدّرارى و ما بين السّاعات إلى المعجزات و كم قدر شعاع المبدرات و كم تحصل الفجر فى الغـدوات؟ قـال: لا علم لى بـذلك، قال: فهل علمت يا دهقان أنّ الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصّين و انقلب برج ماجين و احترق دور بالزّنـج و طفح جبّ سـرانديب و تهدم حصن الاندلس و هاج نمل الشّـيخ و انهزم مراق الهندى و فقد ديان اليهود بـايله و هزم بطريـك الرّوم بروميه و عمى راهب عموديّه و سـقطت شـرفات القسـطنطنيه أفعا لم أنت بهـذه الحوادث و ما الذى أحدثها شرقيها أو غربيها من الفلك؟ قال: لا علم لى بذلك.

قـال و بـأىّ الكواكب تقضـى فى أعلى القطب و بأيّها تنحس من تنحس؟ قال: لا علم لى بـذلك قال: فهل علمت أنّه سـعد اليوم اثنان و سبعون عالما فى كلّ عالم سبعون عالما، منهم فى البرّ و منهم فى البحر و بعض فى الجبال و بعض فى الغياض و بعض فى العمران و ما الذى أسعدهم؟ قال: لا علم لى بذلك.

قـال يـا دهقـان أظنـك حكمت على اقتران المشترى و زحل لما اسـتنار لك فى الغسق و ظهر تلا لاشـعاع المريـخ و تشـريقه فى السـحر و قد سار فاتّصل جرمه بجرم تربيع القمر، و ذلك دليل على اسـتحقاق ألف ألف من البشـر كلّهم يولدون اليوم و الليله و يموت مثلهم و أشار بيده إلى جاسوس فى عسكره لمعاويه فقال: و يموت هذا فانّه منهم.

ص:۲۷۳

فلما قال علیه السّلام ذلک ظن الرّجل أنّه قال: خذوه فأخذه شیء بقلبه و تکسرت نفسه فی صدره فمات لوقته.

فقال: یا دهقان ألم أرک عین «غیر خ ل» التقدیر فی غایه التصویر؟ قال: بلی یا أمیر المؤمنین قال: یا دهقان أنا مخبرک إنی و صحبی هؤلاء لا شرقیّون و لا غربیّون إنما نحن ناشئه القطب و ما زعمت أنّه انقدح البارحه من برجی النیران فقد کان یجب أن تحکم معه لی لأنّ نوره و ضیائه عنده فلهبه ذاهب عنّی.

یا دهقان هذه قضیه عیص فاحسبها و ولّدها ما إن کنت عالما بالأکوار و الأدوار، فقال: لو علمت ذلک لعلمت تحصی عقود القصب فی هذه الاجمه.

و مضی أمیر المؤمنین فهزم أهل النهروان و قتلهم و عاد بالغنیمه و الظفر، فقال الدّهقان لیس هذا العلم بما فی أیدی أهل زماننا هذا علم مادته فی السّماء.

قال المجلسی أکثر السّؤالات المذکوره فی الرّوایه علی تقدیر صحّتها و ضبطها مبتیّه علی اصطلاحات معرفتها مختصه بهم اوردها لبیان عجزه و جهله و عدم إحاطه علمه بما لا بد منه فی هذا العلم «و کم تحصل الفجر فی الغدوات» یحتمل أن یکون المراد به زمان ما بین طلوع الفجر إلی طلوع الشمس فانّ ذلک یختلف فی الفصول و «طفح جبّ سراندیب» امتلاء و ارتفع، و منه سکران طافح و «الشّیح» نبت معروف و یحتمل أن یکون المراد هنا الوادی الذی هو منبته.

و «العمودیه» ماء للنّصاری یغمسون فیه اولادهم و «ما الذی أحدثها» أی بزعمک «شرقیها» أی الکواکب «ألم أرک غیر التّقدیر» بکسر الغین و فتح الیاء ای التغیرات النّاشئه من تقدیرات اللّه تعالی و فی بعض النّسخ عین التّقدیر أی أصله «هذه قضیه عیص» بالاضافه إلی الاصل فی القاموس العیص بالکسر الاصل و فی بعض النّسخ عویصه ای صعبه شدیده و «ولّدها» بصیغه الأمر و تشدید اللّام أی استنتج منها.

الرابع

فی تحقیق الکلام فی علم النجوم و جواز العمل بأحکامه، و قد اختلف فی

ذلک الأخبار ککلمات علمائنا الأخیار و البحث فی مقامات ثلاثه.

المقام الاول

فی بطلان ما زعمه قدماء المنجمین من أنّ الکواکب تفعل فی الأرض و من علیها أفعالا یسندونها إلی طباعها.

فأقول: إنّ اعتقاد ذلک کفر و زندقه و الحاد دلّت علی امتناعه الأدلّه النقلیّه و البراهین العقلیّه.

قال الشّیخ إبراهیم بن نوبخت فی کتاب الیاقوت: قول المنجمین یبطله قدم الصّانع و اشتراط اختیاره و یلزم علیهم أن لا یستقرّ الفعل علی حال من الأحوال و قول أهل الطبایع یبطل بمثل ذلک.

و قال العلامه فی شرح ذلک: اختلف قول المنجّمین علی قسمین: أحدهما قول من قال إنّ الکواکب السّبعه حیه مختاره، و الثانی قول من قال إنّها موجبه و القولان باطلان أما الأوّل فلأنها أجسام محدثه فلا تکون آلهه، و لأنّها محتاجه إلی محدث غیر جسم فلا بدّ من القول بالصّانع، و أما الثانی فلأنّ الکواکب المعین کالمریخ مثلا إذا کان مقتضیا للحرب لزم دوام وقوع الهرج و المرج فی العالم و أن لا یستقرّ أفعالهم علی حال من الأحوال و لما کان ذلک باطلا کان ما ذکروه باطلا، و أما القائلون بالطبایع الذین یسندون الأفعال إلی مجرّد الطبیعه فیبطل قولهم بمثل ذلک أیضا فانّ الطبیعه قوّه جسمانیه فی کلّ جسم محدث فکلّ قوه حاله فهی محدثه تفتقر إلی محدث غیر طبیعه و إلّا لزم التسلسل فلا بدّ من القول بالصّانع سبحانه.

و قال أیضا فی محکیّ کتاب المنتهی: التنجیم حرام و کذا تعلّم النجوم مع اعتقاد أنّها مؤثره أو أنّ لها مدخلا فی التاثیر بالنفع و الضّرر و بالجمله کلّ من یعتقد ربط الحرکات النفسانیه و الطبیعیه بالحرکات الفلکیه و الاتّصالات الکوکبیه کافر و أخذ الاجره علی ذلک حرام.

و قال علم الهدی فی کتاب الغرر و الدّرر: و قد فرغ المتکلّمون من الکلام فی أنّ الکواکب لا یجوز أن تکون فینا فاعله و تکلّمنا نحن أیضا فی مواضع علی ذلک

و بيّنا بطلان الطبايع التى يهذون بذكرها و إضافه الافعال إليها و بيّنا أنّ الفاعل لا بدّ أن يكون حيا قادرا و قد علمنا أنّ الكواكب ليست بهذه الصفه فكيف تفعل و ما يصحّح الأفعال مفقود فيها.

و قد سطر المتكلّمون طرفا كثيره فى أنها ليست بحيّه و لا قادره أكثرها معترض و اشف(١) ما قيل فى ذلك أنّ الحياه معلوم انّ الحراره الشّديده كحراره النّار تنفيها و لا تثبت معها و معلوم أنّ حراره الشمس أشدّ و أقوى من حراره النّار بكثير لأنّ الذى يصل إلينا على بعد المسافه من حراره الشّمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حراره النار و ما كان بهذه الصّفه من الحراره يستحيل كونه حيّا.

و أقوى من ذلك كلّه فى نفى كون الفلك و ما فيه من شمس و قمر و كوكب أحياء السمع و الاجماع و أنه لا- خلاف بين المسلمين فى ارتفاع الحياه عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب و أنها مسخّره مدبّره مصرفه، و ذلك معلوم من دين رسول اللّه ضروره و إذا قطعنا على نفى الحياه و القدره عن الكواكب فكيف تكون فاعله.

و على أننا قد سلّمنا لهم استظهارا فى الحجه أنّها قادره قلنا إنّ الجسم و إن كان قادرا قدرا فانّه لا يجوز أن يفعل فى غيره إلاّ على سبيل التوليد، و لا بدّ من وصله بين الفاعل و المفعول فيه، و الكواكب غير مماسه لنا و لا وصله بيننا و بينها فكيف تكون فاعله فينا، فان ادّعى أنّ الوصله بيننا الهواء فالهواء أوّلا لا يجوز أن يكون آله فى الحركات الشّديده و حمل الاثقال، ثمّ لو كان الهواء آله تحرّكنا بها الكواكب لوجب أن نحسّ بذلك و نعلم أنّ الهواء يحرّكنا و يصرفنا كما نعلم فى غيرنا من الأجسام إذا حرّكنا بآله على أنّ فى الحوادث الحادثه فينا ما لا يجوز أن يفعل بآله و لا يتولّد عن سبب كالارادات و الاعتقادات و أشياء كثيره فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا.

و هى لا يصحّ أن تكون مخترعه للأفعال لأنّ الجسم لا يجوز أن يكون قادره إلاّ

١- (١) أى أفضل منه.

بقدره و القدره لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال فأمّا الادمه(۱) فليس تؤثرها الشّمس على الحقيقه فى وجوهنا و أبدانا و إنّما اللّه تعالى هو المؤثر لها و فاعلها بتوسّط حراره الشّمس كما أنّه تعالى هو المحرّق على الحقيقه بحراره النّار و الهاشم لما يهشمه الحجر بثقله و حراره الشّمس مسوّده الأجسام من جهه معقوله مفهومه كما أنّ النّار تحرق الاجسام على وجه معقول فأىّ تأثير للكواكب فينا يجرى هذا المجرى فى تمييزه و العلم بصحته فليشر إليه فانّ ذلك لا قدره عليه.

و ممّا يمكن أن يعتمد فى إبطال أن تكون الكواكب فاعله و مصرّفه لنا أن ذلك يقتضى سقوط الأمر و النهى و المدح و الذّم عنّا، و نكون معذورين فى كلّ إساءه تقع منا و نجيئها بأيدينا و غير مشكورين على شىء من الاحسان و الافضال و كلّ شىء نفسد به قول المجبره فهو مفسد لهذا المذهب.

الثانى

فى أنّه بعد ما تحقق بطلان كون الكواكب عللا مؤثره مدّبره لهذا العالم السّفلى موجده لما فيه فهل يمكن كونها أمارات و علامات على وقوع بعض الحوادث فى هذا العالم ممّا يوجده اللّه تعالى بقدرته، و هل يمكن الاطلاع بالحوادث الاستقباليه من أشكال الكواكب و اتّصالاتها و ما يعرض لها من الأوضاع و الهيآت بقرب بعضها من بعض أو بعده بأن يجرى عاده اللّه سبحانه على فعل كذا عند كذا.

الحقّ إمكان ذلك وفاقا لاكثر الأصحاب لما سمعنا و شاهدنا من إصابه كثير من المنجمين فى أحكامهم النّجوميّه و إن كان خطائهم فيها كثيرا أيضا، و يبعد بأن تكون تلك الاصابه كلّها من باب البخث و الاتفاق.

و قد خالف فى ذلك المرتضى و بالغ كلّ المبالغه فى إنكار أصل هذا العلم و زعم أنّ جميع ما اتفق من اخبار المنجمين من باب الاتفاق و التخمين نحو ما يقوله الفوّالون.

۱- (۱) الادمه بالضمّ السمره، ق.

قال فی کتاب الغرر و الدرر ما ملخصه: إنّ جریان عاده اللّه بأن یفعل أفعالا مخصوصه عند طلوع کوکب أو غروبه أو اتّصاله أو مفارقته و إن کان جائزا لکن لا طریق إلی العلم بأنّ ذلک قد وقع و ثبت من أین لنا بأنّ اللّه تعالی قد أجری العاده بأن یکون زحلا و المرّیخ إذا کان فی درجه الطالع کان نحسا، و أنّ المشتری إذا کان کذلک کان سعدا، و أیّ سمع مقطوع به جاء بذلک و أیّ نبی خبر به و استفید من جهته.

فان عوّلوا فی ذلک علی التجربه بانّا جرّ بنا ذلک و من کان قبلنا فوجدناه علی هذه الصّیفه و إذا لم یکن موجبا وجب أن یکون معتادا.

قلنا و من سلم لکم صحّه هذه التّجربه و انتظامها و اطرادها و قدر أینا خطائکم فیها أکثر من صوابکم و صدقکم أقلّ من کذبکم فالاّ نسبتم الصّحه إذا اتفقت منکم إلی الاتفاق الذی یقع من المخمن و المرجّم، فقد رأینا من یصیب من هؤلاء أکثر ممّن یخطی و هو غیر أصل معتمد و لا قاعده صحیحه.

فاذا قلتم: سبب خطاء المنجم زلل دخل علیه فی أخذ الطالع أو تسییر الکواکب، قلنا و لم لا کانت اصابته سببها التخمین و إنّما کان یصحّ لکم هذا التأویل و التخریج لو کان علی صحّه احکام النجوم دلیل قاطع هو غیر اصابه المنجّم، فامّا إذا کان دلیل صحّه الاحکام الاصابه فالا کان دلیل فسادها الخطاء فما أحدهما فی المقابله إلاّ کصاحبه إلی أن قال.

و بعض الرّؤساء بل الوزراء ممّن کان فاضلا فی الأدب و الکتابه و مشعوفا بالنّجوم عاملا علیها قال لی یوما و قد جری حدیث یتعلق بأحکام النجوم و رای من مخایلی التّعجب ممّن یتشاغل بذلک و یفنی زمانه به: ارید أن أسألک عن شیء فی نفسی، فقلت: سل عمّا بدا لک، فقال: ارید أن تعرّفنی هل بلغ بک التّکذیب باحکام النّجوم إلی أن لا تختار یوما لسفر و لبس ثوب جدید و توجه فی حاجه؟ فقلت: قد بلغت إلی ذلک و الحمد للّه و زیاده علیه و ما فی داری تقویم و لا انظر فیه و ما رأیت مع ذلک إلاّ خیرا.

ثم أقبلت عليه فقلت نـدع ما يـدلّ على بطلان احكام النجوم ممّا يحتاج إلى ظن دقيق و رويه طويله و ههنا شـيء قريب لا يخفى على أحد ممن علت طبقته فى الفهم او انخفضت.

خبرنى لو فرضـنا جادّه مسلوكه و طريقا يمشى فيه النّاس ليلا و نهارا و فى محجته آبار متقاربه و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمّل و توقف حتّى يتخلّص من السّقوط فى بعض تلك الآبار هل يجوز أن يكون سـلامه من يمشـى فى هذا الطريق من العميـان كسـلامه من يمشـى من البصـراء، و قـد فرضـنا أنّه لا يخلو طرفه عين من المشاه فيه بصـراء و عميان و هل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان أو سلامه العميان مقاربه بسلامه البصراء؟ فقال: هذا ممّا لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامه البصراء أكثر من سلامه العميان و لا يجوز فى مثل هذا التّقارب.

فقلت: إذا كـان هـذا محالا فـاحيلوا نظيره و ما لا فرق بينه و بينه و أنتم تجيزون شبيه ما ذكرناه و عـديله، لأنّ البصـراء هم الـذين يعرفـون أحكـام النّجـوم و يميزّون سـعدها من نحسـها و يتوقون بهـذه المعرفه مضـارّ الزّمـان و يتحفّظونهـا و يعتمـدون منـافعه و يقصـدونها، و مثـال العميـان كـلّ من لا يحسن تعلّم النّجوم و لا يلتفت إليه من الفقهاء و الفهماء و أهل الـدّيانات و العبادات ثمّ سـاير العوام و الأعراب و الأكراد و هم أضـعاف أضـعاف من يراعى عـدد النّجوم، و مثـال الطريق الـذى فيه الآبار الزّمان الـذى يمضى عليه الخلق أجمعون، و مثال آباره مصايبه و نوائبه و محنه.

و قـد كـان يجب لو صـحّ العلم بالنجوم و أحكامها أن تكون سـلامه المنجّمين أكثر و مصايبهم أقلّ لأنّهم يتوقّون المحن لعلمهم بها قبل كونها و تكون محن كلّ من ذكرناه من الطبقات الكثيره أوفر و أظهر حتّى تكون السّـلامه هى الطريقه الغريبه و قد علمنا خلاف ذلك أنّ السّلامه و المحن متقاربه غير متفاوته.

فقـال: ربّما اتّفق مثل ذلك، فقلت له: فيجب أن نصـدّق من خبرنا فى ذلك الطريق المسـلوك الـذى فرضـناه بأنّ سـلامه العميان كسلامه البصراء، و نقول لعلّ

ذلک اتّفق، و بعد فانّ الاتّفاق لا یستمرّ بل ینقطع و هذا الذی ذکرناه مستمرّ غیر منقطع إلی أن قال:

و من أدلّ الدّلیل علی بطلان أحکام النّجوم إنّا قد علمنا أنّ من جمله معجزات الأنبیاء علیهم السلام الاخبار عن الغیوب و عدّ ذلک خارقا للعادات کاحیاء المیّت و ابراء الأکمه و الأبرص، و لو کان العلم بما یحدث طریقا نجومیا لم یکن ما ذکرناه معجزا و لا خارقا للعاده، و کیف یشتبه علی مسلم بطلان أحکام النّجوم.

و قد أجمع المسلمون قدیما و حدیثا علی تکذیب المنجمین و الشّهاده بفساد مذاهبهم و بطلان احکامهم، و معلوم من دین الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ضروره التّکذیب بما یدّعیه و الازراء علیهم و التعجیز لهم و فی الرّوایات عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من ذلک ما لا یحصی کثره و کذلک عن علماء أهل بیته علیهم السّلام و خیار أصحابه فما زالوا یبرون من مذاهب المنجمین و یعدّونها ضلالا و محالا و ما اشتهر هذه الشهره فی دین الاسلام کیف یفتی بخلافه منتسب إلی الملّه و مصلّ إلی القبله.

فأمّا إصابتهم فی الاخبار عن الکسوفات فلأجل أنّ الکسوفات و اقترانات الکواکب و انفصالها طریقه و الحساب و تسییر الکواکب، و له اصول صحیحه و قواعد سدیده، و لیس کذلک ما یدعونه من تأثیرات الکواکب فی الخیر و الشّر و النّفع و الضرّ، انتهی کلامه رفع مقامه.

و مثله شیخ المتکلمین محمود بن علیّ الحمصی قال فی محکی کلامه فی البحار: إنّا لا نردّ علیهم فیما یتعلّق بالحساب فی تسییر النّجوم و اتّصالاتها التی یذکرونها فانّ ذلک ممّا لا یهمّنا و لا هو مما یقابل بانکار و ردّ ثمّ قال:

فان قیل: کیف تنکرون الاحکام و قد علمنا أنهم یحکمون بالکسوف و رؤیه الأهلّه و یکون الأمر علی ما یحکمون فی ذلک، و کذلک یخبرون عن امور مستقبله تجری علی الانسان و تجری تلک الامور علی ما أخبروا عنها فمع وضوح الأمر فیما ذکرناه کیف تدفع الأحکام؟ قلنا إنّ إخبارهم عن الکسوف و الخسوف و رؤیه الأهلّه فلیس من الأحکام

و إنّما هو من باب الحساب إنّما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا و كذا، فامّا الامور المستقبله التى يخبرون عنها فأكثرها لا تقع على ما يخبرون عنه و إنّما يقع قليل منه بالاتفاق و مثل ذلك يتفق لأصحاب الفال و الزّجر الذين لا يعرفون النجوم بل للعجايز اللواتى يتفأ لن بالأحجار و الذى قد يخبر المصروع و كثير من ناقصى العقول عن أشياء فيتّفق وقوع ما يخبرون عنه انتهى.

و نحوهما الشّيخ محمّد بن الحسين الكيدرى قال فى شرحه على الكتاب على ما حكى عنه فى البحار: كيف يمكن أن يكون الانسان يعرف الحوادث و أسبابها فى الحال حتّى يعرف المسبّبات فى المستقبل كما فى الجزر و المدّ، و من ادّعى أنّه يعرف أسباب الكاينات فمقدّماته ليست برهانيه و إنما هى تجربيه أو شعريّه أو خطابيه مؤلفه من المشهورات فى الظاهر أو المقبولات و المظنونات.

و مع ذلك فلا يمكنه أن يتعرّض إلاّ لجنس من أجناس الأسباب و هو تعرّض بعض الأسباب العلوّيه و لا يمكنه أن يتعرّض لجميع الاسباب السّماويه و القوابل و اذا تغيرت القوابل عن احوالها تغير أثر الفاعل فيها فانّ النّار فى الحطب اليابس مؤثره تأثيرا لا تؤثر فى الرّماد و كذلك معرفه بقائها على استعداد القبول شرط و يمكن أن يكون القوابل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب و المسببات إلاّ اللّه تعالى.

و أيضا فانّ المنجم يحكم على مفردات الكواكب و لا يحكم على جميعها ممتزجه و كما أنّ أحكام مفردات الترياق و ساير المعاجين غير أحكام المركب الذى حصلت له صوره نوعيه، كذلك حكم الكواكب المركوزه فى الأفلاك غير حكم أفرادها، و إذا لم يمكن المنجم الحكم إلاّ على المفردات كان الحكم ناقصا غير موثوق به.

ثمّ إنّه ربّما يحصل التوأمان فى غشاء فيكشف عنهما فاذا فيه صبيّان حيّان و على قوانين الاحكاميين يجب أن يكونا مثلين فى الصوره و العمر و الحركات حتّى لا يجوز أن يختلفا فى شيء من الأشياء و لا يجوز أن يسكت أحدهما فى وقت كلام

الآخر و لا يقوم فى وقت قعود الآخر و لا ينام فى وقت لا ينام فيه الآخر، و إذا دخلا بيتا فيه باب ضيق فلا يمكنهما الدّخول فانّه لا بدّ ههنا من التّقدم و التّأخر، و لا يجوز أن يمسّ الانسان أحدهما دون الآخر، و لا يجوز أن يكون فى التزويج امرأه أحدهما غير امرأه الآخر و لا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر فى الأرض و هذا ما لا يخفى فساده.

و أيضا فانّ الحكم الكلّى عند أكثرهم يغلب الجزئى ألا ترى أنّ طالع ناحيه أو بلد إذا كان فاسدا فانّه لا يفيد عطيه الكدخداه لانسان فكيف يعتمد على الطوالع و الاختيارات مع نفى العلم بالكليات.

و من شنيع قولهم انّهم يقولون إذا ولد للملك فى حال ولد و لسوقى ولد، فانّ الكواكب تدلّ لابن الملك بخلاف ما يدلّ لابن السوقى مع اتّفاقهما فى كميه العمر لأن حيلاجهما و كدخداهما لا يختلفان، فاذا جاز دلاله النّجوم مختلفه فى سعاده هذين الولدين فما أنكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضا مختلفه.

و اختلفوا فى تقويم الكواكب باختلاف الزّيجات و لا برهان على فساد بعضها و صواب بعضها فربما يوجد فى تقويم الشّمس من التّفاوت خمس درج و تختلف درج الطوالع و بروج التّحاويل بسبب ذلك فتفسد الاحكام.

ثمّ أورد عليهم كثيرا من الاختلافات و التّناقضات لا نطيل الكلام بايرادها.

اقول: و ما ذكره هؤلاء الأفاضل من الاختلافات و التناقضات و الاستبعادات كلّها مسلم إلّا أنّ دلالتها على بطلان علم النّجوم من أصله ممنوعه، و نحن لا نضايق من كثره خطاء المنجمين و خبطهم فى أحكامهم إلّا أنّ إصابتهم فيها أيضا غير عزيز و دعوى أنّ كلّ هذه الاصابه على كثرتها من باب الاتفاق كما ترى، و سرّ كثره وقوع الخطاء فيها أنّ ما فى أيدى النّاس من هذا العلم غير تامّ و تمامه إنّما هو عند أئمه الدين الذينهم خزّان العلم و اليقين.

و يشهد بما ذكرناه من صحّه هذا العلم فى الجمله و على أنّ له أصلا الأخبار

و الاعتبار.

اما الاخبار فهى كثيره لا تحصى.

منها روايتا الاحتجاج و البحار السالفتان فى التنبيه الثالث.

و منها ما رواه فى الكافى باسناده عن معلّى بن خنيس قال سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن النّجوم أحقّ هى؟ قال: نعم إنّ اللّه عزّ و جل بعث المشترى إلى الأرض فى صوره رجل فأخذ رجلا من العجم فعلّمه النجوم حتّى ظن أنّه قد بلغ، ثمّ قال له: انظر أين المشترى، فقال: ما أراه فى الفلك و ما أدرى أين هو، قال: فنحاه و أخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتّى ظن أنّه قد بلغ، و قال: انظر إلى المشترى اين هو فقال: إنّ حسابى ليدلّ على أنك أنت المشترى، و قال فشهق شهقه فمات و ورث علمه أهله فالعلم هناك.

و منها ما فى البحار من كتاب النجوم عن الرّيان بن الصّلت، و ذكر اجتماع العلماء بحضره المامون و حضور الصّباح بن نصر الهندى عند مولانا الرّضا عليه السّلام و سؤاله عن مسائل كثيره منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السّلام ما هذا لفظه:

هو علم فى أصل صحيح ذكروا أنّ أوّل من تكلّم فى النجوم إدريس و كان ذو القرنين بها ماهرا و أصل هذا العلم من عند اللّه عزّ و جلّ و يقال أنّ اللّه بعث النجم الذى يقال له المشترى إلى الأرض فى صوره رجل فأتى بلد العجم فعلّمهم فى حديث طويل فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلّم رجلا منهم فمن هناك صار علم النجوم بها و قد قال قوم هو علم من علم الأنبياء خصّوا به لأسباب شتّى فلم يستدرك المنجمون الدّقيق منها فشابوا الحقّ بالكذب.

هذا آخر لفظ مولينا علىّ بن موسى الرّضا عليه السّلام فى هذه الروايه الجليله الأسناد و قوله عليه السّلام حجه على العباد، و قوله عليه السّلام ذكروا و يقال فانّ عادته عند التّقيه من المخالفين و العامه يقول نحو هذا الكلام و تاره يقول كان أبى يقول و تاره روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ص:۲۸۳

و منها ما فيه أيضا من كتاب النجوم و جاده فى كتاب عتيق عن عطا قال: قيل لعلىّ بن أبى طالب عليه السّلام: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم نبىّ من الأنبياء قال له قومه إنا لا نؤمن بك حتّى تعلّمنا بدء الخلق و آجاله فأوحى اللّه عزّ و جلّ إلى غمامه فأمطرتهم و استنقع حول الجبل ماء صافيا، ثمّ أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى الشّمس و القمر و النجوم أن تجرى فى ذلك الماء، ثمّ أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى ذلك النبىّ أن يرتقى هو وقوعه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتّى عرفوا بدء الخلق و آجاله بمجارى الشّمس و القمر و النجوم و ساعات الليل و النّهار.

و كان أحدهم يعلم متى يموت و متى يمرض و من ذا الّذى يولد له و من ذا الّذى لا يولد له فبقوا كذلك برهه من دهرهم.

ثمّ إنّ داود عليه السّلام قاتلهم على الكفر فاخرجوا إلى داود فى القتال من لم يحضر أجله و من حضر أجله أخلفوه فى بيوتهم فكان يقتل من أصحاب داود و لا يقتل من هؤلاء واحد، فقال داود عليه السّلام ربّ اقاتل على طاعتك و يقاتل هؤلاء على معصيتك فيقتل أصحابى و لا يقتل من هؤلاء أحد؟ فأوحى اللّه عزّ و جلّ إنّى كنت علّمتهم بدء الخلق و آجاله إنّما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله و من حضر أجله خلفوه فى بيوتهم فمن ثمّ يقتل من أصحابك و لا يقتل منهم أحد قال داود: يا ربّ على ما ذا علّمتهم؟ قال تعالى: على مجارى الشمس و القمر و النجوم و ساعات الليل و النهار.

قال عليه السّلام فدعا اللّه عزّ و جلّ فحبس الشمس عليهم فزاد فى النّهار و اختلط الزّياده بالليل و النهار فلم يعرفوا قدر الزّياده فاختلط حسابهم قال علىّ عليه السّلام فمن ثمّ كره النظر فى علم النجوم، و رواه فيه أيضا عن الدّر المنثور، نعم زاد فيه أنّ النبىّ المذكور كان يوشع بن نون.

و منها ما رواه يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام جعلت فداك أخبرنى عن علم النجوم ما هو؟ قال عليه السّلام هو علم من علم الأنبياء، قال فقلت: كان علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يعلمه؟ فقال: كان أعلم النّاس به.

و الاخبار فى هذا المعنى كثيره لا نطيل بذكرها و من أراد الزّياده فليراجع

ص:۲۸۴

إلى كتاب السّماء و العالم من البحار، فقد عقد المجلسى «ره» فيه بابا على ذلك و استوفى الكلام فيه.

و اما الاعتبار فهو إنا قد سمعنا تظافرا بل تواترا و حصل لنا العلم وجدانا بأنّ من المنجمين من حصل له العلم بجمله من الحوادث الاستقباليه فى موارد شتى من طريق النجوم و حكموا فيه فكان حكمه مطابقا للواقع و لا بأس بالاشاره إلى بعض تلك الموارد تاييدا و استظهارا.

فمنها دلاله النجوم على نبوّه نوح فقد رواه فى البحار من كتاب التجمل باسناده عن جميل عن زراره عن أبى جعفر عليه السّلام عمن ذكره قال: قد كان علم نبوّه نوح بالنجوم.

و منها دلالتها على إبراهيم ففى البحار أيضا من كتاب النجوم من كتاب التجمّل إنّ آذر أبا إبراهيم كان منجما لنمرود و لم يكن يصدر إلّا عن أمره فنظر ليله فى النجوم فأصبح و هو يقول لنمرود لقد رأيت فى النجوم عجبا، قال: و ما هو؟ قال:

رأيت مولودا يولد فى زماننا يكون هلاكنا على يديه و لا يلبث إلّا قليلا حتى يحمل به قال: فتعجب من ذلك ثم قال: هل حملت به النساء بعد؟ قال: لا، فحجب الرّجال عن النساء و لم يدع امرأه إلّا جعلها فى المدينه و لا يخلص إليها بعلها.

قال فوقع آذر على أهله فحملت بابراهيم فظنّ أنّه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزّمان و كنّ أعلم النّاس بالجنين و لا يكون فى الرّحم شىء إلاّ عرفنه و علمن به، فنظرن فالزم ما فى الرّحم الظهر فقلن ما نرى فى بطنها شيئا، قال و كان ممّا اوتى من العلم أنّ المولود سيحرق بالنار و لم يؤت علما أنّ اللّه سينجيه منها.

قال المجلسى و قد روى هذا الحديث علىّ بن إبراهيم فى كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرّوايه و رواه أيضا أبو جعفر محمّد بن جرير الطبرى فى الجزء الأول من تاريخه، و رواه أيضا سعيد بن هبه اللّه الراوندى فى كتاب قصص الأنبياء، و رواه الثعلبى فى تفسيره و غيره من العلماء.

و منها دلالتها على نبوّه موسى عليه السّلام و كتب التواريخ مشحونه بذلك و قد روى

المجلسی من کتاب العرایس للثعلبی قال إنّ فرعون رأی فی منامه أنّ نارا قد أقبلت من بیت المقدس حتّی اشتملت علی بیوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط و ترکت بنی اسرائیل، فدعی فرعون السّحره و الکهنه و المعبرین و المنجمین و سألهم عن رؤیاه فقالوا له: إنّه یولد فی بنی اسرائیل غلام یسلبک ملکک و یغلبک علی سلطانک، و یخرجک و قومک من أرضک و یذلّ دینک و قد اطلک زمانه الذی یولد فیه.

و منها دلالتها علی نبوّه عیسی علیه السّلام روی فی البحار من کتاب النبوه لابن بابویه فی باب سیاقه حدیث عیسی بن مریم فقال ما هذا لفظه: و قدم علیها و فد من علماء المجوس زائرین معظمین لامر ابنها و قالوا إنا قوم ننظر فی النجوم فلما ولد ابنک طلع بمولده نجم من نجوم الملک فنظرنا فیه فاذا ملکه ملک نبوّه لا یزول عنه و لا یفارقه حتی یرفعه إلی السماء و یجاور ربّه عزّ و جلّ ما کانت الدنیا مکانها ثمّ یصیر إلی ملک هو أطول و أبقی مما کان فیه.

فخرجنا من قبل حتّی رفعنا إلی هذا المکان فوجدنا النجم متطلعا علیه من فوقه فبذلک عرفنا موضعه و قد اهدینا له هدیه جعلناها له قربانا لم یقرب مثله لأحد قط و ذلک إنا وجدنا هذا القربان یشبه أمره و هو الذهب و المرّ و اللبان لأنّ الذهب سید المتاع کلّه و کذلک ابنک سید الناس ما کان حیّا، و لأنّ المرّجبار الجراحات و العاهات کلّها و لأنّ اللّبان یبلغ دخانه السّماء و لن یبلغها دخان شیء غیره و کذلک ابنک یرفعه اللّه عزّ و جلّ إلی السّماء و لیس یرفع من أهل زمانه غیره.

و منها دلالتها علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ففی البحار و جاده فی کتاب دلایل النبوّه جمع أبی القاسم الحسین بن محمّد السّکونی باسناده عن حسان بن ثابت قال إنی و اللّه لغلام یافع یقوا بن سبع أو ثمان سنین أعقل کلّما سمعت إذ سمعت یهودیّا و هو علی أکمه یثرب یصرخ یا معشر الیهود فلما اجتمعوا قالوا ویلک مالک؟ قال: طلع نجم أحمد الذی یبعث به اللیله.

قال: و وجدت کتابا عندنا الآن اسمه کتاب الید الصینی عمله کشینا ملک

الهند يذكر فيه تفصيل دلاله النّجوم على نبوّه نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و منها موارد متفرقه ذكر السيّد بن طاوس (ره) فى رسالته التى دوّنها فى النّجوم و ذكر جماعه من العلماء المعتنين بهذا العلم العارفين به تاييدا لصحّته.

قال المجلسى: و السيّد الجليل النبيل علىّ بن طاوس (ره) لانس قليل له بهذا العلم عمل فى ذلك رساله و بالغ فى الانكار على من اعتقد أنّ النّجوم ذوات إراده فاعله أو مؤثره و استدلّ على ذلك بدلايل كثيره و أيّده بكلام جمّ غفير من الأفاضل إلاّ أنّه أنكر على السّيد الأجلّ المرتضى (ره) فى تحريمه و ذهب إلى أنّه من العلوم المباحات و أنّ النّجوم علامات و دلالات على الحادثات لكن يجوز للقادر الحكيم أن يغيّرها بالبرّ و الصدقه و الدّعآء و غير ذلك من الاسباب و الدّواعى على وفق إرادته و حكمته، و جوّز تعليم علم النّجوم و تعلّمه و النظر فيه و العمل به إذا لم يعتقد انها مؤثره، و حمل أخبار النّهى و الذّم على ما إذا اعتقد ذلك.

ثمّ ذكر تأييدا لصحّه هذا العلم أسماء جماعه من الشيعه كانوا عارفين به فقال:

إنّ جماعه من بنى نوبخت كانوا علماء بالنجوم و قدوه فى هذا الباب و وقفت على عدّه مصنّفات لهم فى النّجوم و أنها دلالات على الحادثات.

منهم الحسن بن موسى النّوبختى.

و من علماء المنجمين من الشيعه أحمد بن محمّد بن خالد البرقى و ذكر النجاشى فى كتبه كتاب النّجوم.

و منهم أحمد بن محمّد بن طلحه، فقد عدّ الشيخ و النجاشى من كتبه كتاب النجوم و الشيخ النجاشى كان له تصنيف فى النجوم.

و من المذكورين بعلم النّجوم الجلودى البصرى.

و منهم علىّ بن محمّد بن العدوى و الشّمشاطى فانّه ذكر النجاشى أنّ له رساله فى إبطال أحكام النجوم.

و منهم علىّ بن محمّد العباس فانّ النجاشى ذكر فى كتبه كتاب الرّدّ على المنجمين كتاب الرّد على الفلاسفه.

ص:٢٨٧

و منهم محمّد بن أبى عمير.

و منهم محمّد بن مسعود العياشى فانّه ذكر فى تصانيفه كتاب النجوم.

و منهم موسى بن الحسن بن عباس بن اسماعيل بن أبى سهل بن نوبخت قال النجاشى كان حسن المعرفه بالنجوم و له مصنّفات فيه و كان مع ذلك حسن العباده و الدّين.

و منهم الفضل بن أبى سهل بن نوبخت وصل إلينا من تصانيفه ما يدلّ على قوّه معرفته بالنجوم و ذكر عن العيون ما أوردته فى أبواب تاريخ الرّضا عليه السّلام من أنّه أخبر المأمون بخطاء المنجمين فى السّاعه التى اختاروها لولايه العهد، فزجره المأمون و نهاه أن يخبر به أحدا فعلم أنّه تعمد ذلك.

أقول: و الظاهر أنّ المراد بها هى ما رواها فى العيون عن البيهقى عن الصّولى عن عون بن محمّد قال: حدّثنى الفضل بن أبى سهل النوبختى أو عن أخ له قال: لما عزم المأمون على العقد للرّضا عليه السّلام بالعهد قلت و اللّه لأعتبر ما فى نفس المأمون من هذا الأمر أيحبّ تمامه أو هو تصنع به، فكتبت إليه على يد خادم له كان يكاتبنى باسراره على يده:

قد عزم ذو الرّياستين على عقد العهد و الطالع السّرطان و فيه المشترى و السّرطان و إن كان شرف المشترى فهو برج منقلب لا يتمّ أمر يعقد فيه و مع هذا فانّ المريخ فى الميزان فى بيت العاقبه و هذا يدلّ على نكبه المعقود له و عرفت أمير المؤمنين ذلك لئلا يعتب علىّ إذا وقف على هذا من غيرى.

فكتب إلىّ إذا قرأت جوابى إليك فاردده إلىّ مع الخادم و نفسك أن يقف أحد على ما عرفتنيه أو أن يرجع ذو الرّياستين عن عزمه فانّه إن فعل ذلك الحقت الذّنب بك و علمت أنك سببه، قال فضاقت علىّ الدّنيا و تمنّيت أنّى ما كنت كتبت إليه.

ثمّ بلغنى أنّ الفضل بن سهل ذو الرّياستين قد تنبّه على الأمر و رجع عن

عزمه و كان حسن العلم بالنجوم فخفت و اللّه على نفسى و ركبت إليه فقلت له: أتعلم نجما فى السّماء أسعد من المشترى؟ قال: لاـ قلت: أ فتعلم أنّ فى الكواكب نجما تكون فى حال أسعد منها فى شرفها؟ قال: لا، قلت: فامض العزم على رأيك إذ كنت تعتقد أن الفلك فى أسعد حالاته فامضى الأمر على ذلك فما علمت أنّى من أهل الدّنيا حتّى وقع العقد فزعا من المأمون.

قال: و منهم السّيد الفاضل علىّ بن أبى الحسن العلوىّ المعروف بابن الأعلم و كان صاحب الزّيج.

و منهم أبو الحسن النقيب الملقب أبا قيراط.

و منهم الشّيخ الفاضل الشّيعى علىّ بن الحسين بن علىّ بن المسعودى مصنّف كتاب مروج الذّهب.

و منهم أبو القاسم ابن نافع من أصحابنا الشّيعه.

و منهم ابراهيم الفرازى صاحب القصيده فى النّجوم و كان منجّما لمنصور.

و منهم الشّيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصرى كاتب آل طولون.

و منهم الشّيخ الفاضل محمّد بن عبد اللّه بن عمر الباز يار القمىّ تلميذ أبى معشر.

و منهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبى الخضيب القمىّ.

و منهم أبو جعفر السقاء المنجم ذكره الشّيخ فى الرّجال.

و منهم محمّد بن أحمد بن سليم الجعفى مصنّف كتاب الفاخر.

و منهم محمود بن الحسين بن السّندى بن شاهك المعروف بكشاجم ذكر ابن شهر آشوب أنّه كان شاعرا منجّما متكلّما.

و منهم العفيف بن قيس أخو الأشعث ذكره المبرد، و قد مرّ أنّه قيل إنه هو الذى أشار إلى أمير المؤمنين بترك قتال الخوارج فى السّاعه التى أراد.

ثمّ قال (ره) و ممّن أدركته من علماء الشّيعه العارفين بالنجوم و عرفت بعض إصاباته

الفقيه العالم الزّاهد الملقب خطير الدّين محمود بن محمّد.

و ممّن رأيته الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن على القمّى، ثمّ عدّ من اشتهر بعلم النّجوم و قيل انّه من الشّيعه فقال:

منهم أحمد بن محمّد السّنجرى، و الشّيخ الفاضل علىّ بن أحمد العمرانى، و الفاضل اسحاق بن يعقوب الكندى.

قال و ممّن اشتهر بالنجوم من بنى العباس محمّد بن عبد العزيز الهاشمى و علىّ بن القاسم القصرى، و قال وجدت فيما وقفت عليه أنّ علىّ بن الحسين بن بابويه القمى كان ممن أخذ طالعه فى النّجوم و أنّ ميلاده بالسنبله، ثمّ قال روى الشيخ فى اختيار الكشى فى بيان حال أبى خالد السجستانى حمدويه و إبراهيم عن محمّد بن عثمان قال:

حدّثنا أبو خالد السجستانى أنّه لما مضى أبو الحسن عليه السّلام وقف عليه ثمّ نظر فى نجومه فزعم أنّه قد مات فقطع على موته و خالف أصحابه.

ثمّ قال: ففى هذا عدّه فوايد منها أنّ هذا أبو خالد كان واقفيا يعتقد أنّ أبا الحسن موسى عليه السّلام ما مات فدله اللّه تعالى بعلم النجوم على موته و قد كان هذا العلم سبب هدايته.

و منها أنّه كان من أصحاب الكاظم عليه السّلام و لم يبلغنا أنّه عليه السّلام أنكر عليه علم النّجوم و منها أنّه لو علم أبو خالد أنّ علم النّجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه فى عقيدته و منها اختيار جدّى الطوسى لهذا الحديث و تصحيحه و قد تقدّم ثناؤه على جماعه من العلماء بالنجوم ثم قال:

و ممّن اشتهر بعلمه من بنى نوبخت عبد اللّه بن أبى سهل.

و من العلماء بالنجوم محمّد بن إسحاق النديم كان منجما للعلوى المصرى.

و من المذكورين بالتصنيف فى علم النّجوم حسن بن أحمد بن محمّد بن عاصم المعروف بالعاصمى المحدّث الكوفى ثقه سكن بغداد فمن كتبه الكتب النّجوميه ذكر ذلك ابن شهر آشوب فى كتاب معالم العلماء.

و ممّن اشتهر بعلم النّجوم من المنسوبين إلى مذهب الاماميّه الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمّد بن عبدوس الجهشيارى و غيره ما معناه أنّه لما وقع بين الأمين و المأمون ما وقع و اضطربت خراسان و طلب جند المأمون أرزاقهم و توجّه علىّ بن

عیسی بن ماهان من العراق لحرب المأمون و صعد المأمون إلی منظره للخوف علی نفسه من جنده و معه الفضل و قد ضاق علیه مجال التدبیر و عزم علی مفارقه ما هو فیه أخذ الفضل طالعه و رفع اسطر لابا و قال ما تنزل من هذه المنزله إلّا خلیفه غالبا لأخیک الأمین فلا تعجل و ما زال یسکنه و یثبته حتّی ورد علیهم فی تلک الساعه رأس علیّ بن عیسی و قد قتله طاهر و ثبت ملکه و زال ما کان یخافه و ظفر بالامان و روی خبرا آخر مثل ذلک.

ثمّ قال و ممّن کان عالما بالنجوم من المنسوبین إلی الشیعه الحسن بن سهل ثمّ ذکر ما أخرجنا من العیون فی أبواب تاریخ الرّضا علیه السّلام من حدیث الحمام و قتل الفضل فیه.

أقول: الرّوایه فی العیون بسنده عن یاسر الخادم یذکر فیها خروج الرّضا علیه السّلام و المأمون و ذی الرّیاستین من مرو إلی المدینه و فیها:

و خرج المأمون و خرجنا مع الرّضا علیه السّلام فلما کان بعد ذلک بأیام و نحن فی بعض المنازل ورد علی ذی الرّیاستین کتاب عن أخیه الحسن بن سهل إنّی نظرت فی تحویل هذه السنه فی حساب النجوم فوجدت فیه أنّک تذوق فی شهر کذا یوم الأربعا حرّ الحدید و حرّ النار و أری أن تدخل أنت و الرّضا علیه السّلام و أمیر المؤمنین الحمام فی ذلک الیوم فتحتجم أنت فیه و تصب الدّم لیزول نحسه عنک.

فبعث الفضل إلی المأمون و کتب إلیه بذلک و سأله أن یدخل الحمام معه و سأل أبا الحسن علیه السّلام أیضا ذلک فکتب المأمون إلی الرّضا علیه السّلام رقعه فی ذلک فسأله أن یدخل الحمام معه فکتب إلیه أبو الحسن علیه السّلام لست بداخل غدا الحمام و لا أری لک یا أمیر المؤمنین أن تدخل الحمام غدا و لا أری الفضل أن یدخل الحمام غدا فأعاد إلیه مرّتین فکتب إلیه أبو الحسن علیه السّلام لست بداخل غدا الحمام فانی رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی النوم فی هذه اللیله یقول لی یا علی لا تدخل الحمام غدا فکتب إلیه المأمون: صدقت یا سیدی و صدق رسول اللّه لست بداخل غدا الحمام و الفضل فهو أعلم و ما فعله.

قال یاسر فلما أمسینا و غابت الشمس فقال لنا الرّضا علیه السّلام قولوا نعوذ باللّه من

شرّ ما ينزل فى هذه الليله فأقبلنا نقول ذلك فلما صلّى الرّضا عليه السّلام الصّبح قال لنا:

قولوا نعوذ باللّه من شرّ ما ينزل فى هذا اليوم فما زلنا نقول ذلك.

فلما كان قريبا من طلوع الشّمس قال لى الرّضا عليه السّلام اصعد السّطح فاستمع هل تسمع شيئا فلما صعدت سمعت الصّيحه «الضجه خ ل» و النّحيب و كثره ذلك فاذا بالمأمون قد دخل من الباب الذى كان إلى داره من دار أبى الحسن عليه السّلام يقول يا سيدى يا أبا الحسن آجرك اللّه فى الفضل و كان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسّيوف و اخذ من دخل عليه فى الحمام و كانوا ثلاثه نفر أحدهم ابن خاله الفضل ذو العلمين قال و اجتمع القواد و الجند و من كان من جند ذى الرّياستين على باب المأمون فقالوا اغتاله و قتله فلنطلبن بدمه.

فقال المأمون للرّضا عليه السّلام يا سيدى ترى أن تخرج إليهم فتفرّقهم قال: ياسر فركب الرّضا عليه السّلام و قال لى اركب فلما خرجنا من الباب نزل الرّضا عليه السّلام إليهم و قد اجتمعوا و جاءوا بالنّيران ليحرقوا الباب فصاح بهم و أومى إليهم بيده تفرّقوا، فتفرّقوا قال ياسر فأقبل النّاس و اللّه يقع بعضهم على بعض و ما اشار إلى أحد الّا ركض و مرّ و لم يقف به.

ثمّ قال السّيد رأيت فى كتاب الوزراء جمع عبد الرّحمن بن المبارك أنّه ذكر محمّد بن سعيد أنّه وجد على كتاب من كتب ذى الرّياستين بخطه هذه السنه الفلانيه التى تكون فيها النكبه و إلى اللّه نرغب فى رفعها و إن صحّ من حساب الفلك شىء فالأمر واقع فيها لا محاله و نسأل اللّه أن يختم لنا بخير بمنّه، و كان يعمل لذى الرّياستين تقويم فى كلّ سنه فيوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا و يجنب فى هذا اليوم كذا، فلما كان فى السّنه التى قتل فيها عرض عليه اليوم فجعل يوقع فيه ما يصلح حتّى انتهى إلى اليوم الذى قتل فيه فقال: افّ لهذا اليوم ما أشرّه علىّ و رمى بالتّقويم.

و روى عن اخت الفضل قالت: دخل الفضل إلى امّه فى الليله التى قتل فى صبيحتها فقعد إلى جانبها و أقبل يعظها و يعزّيها عن نفسه و يذكرها حوادث الدّهر

و تقضى امور العباد، ثمّ قبّل صدرها و ثديها و ودّعها و داع المفارق، ثمّ قام فخرج و هو قلق منزعج لما دلّه عليه الحساب، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع و من مجلس إلى مجلس و امتنع عليه النوم.

فلما كان السّحر قام إلى الحمام و قدر أن يجعل غمه و حرارته و كربه هو الذى دلّت عليه النّجوم، و قدمت له بغله فركبها و كان الحمام فى آخر البستان فكبت به البغله فسرّه ذلك و قدر أنّها هى النكبه التى كان يتخوّفها، ثمّ مشى إلى الحمام و لم يزل حتّى دخل الحمام و اغتسل فيه فقتل.

قال: و من المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل، وجدت فى مجموع عتيق أنّ بوران كان فى المنزله العليا بأصناف العلوم لا ـ سيّما فى النجوم فانها برعت فيه و بلغت أقصى نهايته و كانت ترفع الاسطر لاب كلّ وقت و تنظر إلى مولد المعتصم فعثرت يوما بقطع عليه سببه الخشب.

فقالت لوالدها الحسن انصرف إلى أمير المؤمنين و عرّفه أنّ الجاريه فلانه قد نظرت إلى المولد و رفعت الاسطر لاب فدلّ الحساب و اللّه أعلم أنّ قطعا يلحق أمير المؤمنين من خشب فى السّاعه الفلانيه من يوم بعينه.

قال الحسن: يا قرّه عينى يا سيّده الحراير إنّ أمير المؤمنين قد تغيّر علينا و ربّما أصغى إلى شىء بخلاف ما يقتضيه وجه المشوره و النّصيحه، قالت يا أبه و ما عليك من نصيحه إمامك لأنّه خطر بروح لا عوض منها، فان قبلها و إلاّ كنت قد أدّيت المفروض عليك.

قال: فانصرف الحسن إلى المعتصم و عرّفه ما قالت بوران، قال المعتصم: أيّها الحسن أحسن اللّه جزائها و جزائك انصرف اليها و خصّها عنى بالسّلام و اسألها ثانيا و احضر عندى اليوم الذى عيّنت عليه و لازمنى حتّى ينصرم النوم و يذهب فلست اشار ككك فى هذه المشوره و التّدبير أحدا من البشر.

قال فلما كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتصم حتّى خرج كلّ من فى المجلس و خلا إليه و أشار عليه أن ينتقل عن المجلس الثّقفى إلى مجلس

ابن ارخی «رازجی کذا فی الاصل» لا- یوجد فیه وزن درهم واحد من الخشب، و ما زال الحسن یحدثه و المعتصم یمازحه و ینشطه حتّی أظهر النّهار و ضربت نوبه الصّلاه فقام المعتصم لیتوضّأ فقال الحسن لا تخرج أمیر المؤمنین عن هذا المجلس و یکون الوضوء و الصّلاه و کلّ ما ترید فیه حتّی ینصرم الیوم.

فجائه خادم و معه المشط و المسواک فقال الحسن للخادم امتشط بالمشط و استک بالسّواک فامتنع و قال و کیف أتناول آله أمیر المؤمنین، قال المعتصم و یلک امتثل قول الحسن و لا تخالف ففعل فسقطت ثنایاه و انتفخ دماغه و خرّ مغشیّا علیه و رفع میتا، و قام الحسن لیخرج فاستدعاه المعتصم إلیه و احتضنه و لم یفارقه حتّی قبّل عینیه و ردّ علی بوران أملاکا و ضیاعا، و کان ابن الزّیات سلبها عنها و ذکر مثله بروایه اخری.

و روی من کتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس عن إسماعیل بن صبیح قال: کنت یوما بین یدی یحیی بن خالد البرمکی فدخل علیه جعفر بن یحیی فلما رآه صاح و اعرض بوجهه عنه و قطب و کره رؤیته فلما انصرف قلت له: أطال اللّه بقائک تفعل هذا بابنک و حاله عند أمیر المؤمنین حاله لا یقدم علیه ولدا و لاولیا، فقال: إلیک عنی أیّها الرّجل فو اللّه لا یکون هلاک أهل هذا البیت إلّا بسببه.

فلما کان بعد مدّه من ذلک دخل علیه أیضا جعفر و أنا بحضرته ففعل مثل ما فعل الأوّل و أکدت علیه القول فقال: ادن منّی الدّوات، فأدنیتها و کتب کلمات یسیره فی رقعه و ختمها و دفعها إلیّ و قال: بلی لیکن عندک فاذا دخلت سنه سبع و ثمانین و مأئه و مضی النّجوم فانظر فیها، فلما کان فی صفر أوقع الرّشید بهم فنظرت فی الرقعه فکان الوقت الذی ذکره، قال اسماعیل، و کان یحیی أعلم النّاس بالنجوم.

و روی أیضا عن محمّد بن عبدوس صاحب کتاب الوزراء عن موسی بن نصر الوصیف عن أبیه قال: غدوت إلی یحیی بن خالد فی آخر أمرها ارید عیادته من علّه کان یجدها، فوجدت فی دهلیزه بغلا مسرّجا فدخلت إلیه فکان یأنس بی و یفضی إلیّ بسرّه، فوجدته مفکرا مهموما و رأیته مستخلا مشتغلا بحساب النّجوم و هو

ينظر فيه فقلت له:

إنی لما رأیت بغلا مسرّجا سرّنی لأنی قدرت انصراف العلّه و أنّ عزمک الرّکوب، ثمّ قد غمّنی ما أراه من همک قال: فقال لی: إنّ لهذا البغل قصّه إنّی رأیت البارحه فی النّوم کأنی راکبه حتّی وافیت رأس الجسر من الجانب الأیسر فوقفت فاذا بصایح یصیح من الجانب الآخر:

کان لم یکن بین الحجون الی الصفا انیس و لم یسمر بمکه سامر

قال فضربت یدی علی قربوس السّوج و قلت:

بلی نحن کنا أهلها فأبادنا صروف اللیالی و الجدود العواثر

ثمّ انتبهت فلجأت إلی أخذ الطالع فأخذته و ضربت الأمر ظهرا لبطن فوقفت علی أنه لا بد من انقضاء مدّتنا و زوال أمرنا، قال: فما کان یکاد یفرغ من کلامه حتّی دخل علیه مسرور الخادم بخوانه مغطاه و فیها رأس جعفر بن یحیی و قال له: یقول لک أمیر المؤمنین: کیف رأیت نقمه اللّه فی الفاجر فقال له یحیی قوله یا أمیر المؤمنین أری انّک أفسدت علیه دنیاه و أفسد علیک آخرتک.

ثمّ قال: و من رأیت ذکره فی علماء النجوم و إن لم أعلم مذهبه إبراهیم بن السّندی بن شاهک و کان منجما طبیبا متکلّما.

و من العلماء بالنّجوم عضد الدوله بن بویه و کان منسوبا إلی التشیّع و لعلّه کان یری مذهب الزّیدیه.

و منهم الشّیخ المعظم محمود بن علیّ الحمصی کما حکینا عنه.

و منهم جابر بن حیّان صاحب الصّادق علیه السّلام و ذکره ابن النّدیم فی رجال الشّیعه.

و ممّن ذکر بعلم النجوم من الوزراء أبو أیّوب سلیمان بن مخلد الموریانی.

و ممن ظهر فیه العمل علی النجوم البرامکه ذکر عبد اللّه «الرحمن فی الأصل» بن المبارک أنّ جعفرا لما عزم علی الانتقال إلی قصره الذی بناه و جمع المنجمین لاختیار وقت ینتقل فیه فاختار واله وقتا من اللیل، فلما حضر الوقت خرج علی حمار من الموضع الذی

ينزل على قصره و الطرق خاليه و النّاس ساكنون فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجلا يقول:

يدبّر بالنجوم و ليس يدرى و ربّ النّجم يفعل ما يريد

فاستوحش و وقف و دعا بالرّجل فقال له: أعد علىّ ما قلت فأعاده فقال: ما أردت بهذا؟ قال: و اللّه ما أردت به معنى من المعانى لكنّه عرض لى و جاء على لسانى فأمر له بدنانير.

ثمّ ذكر اصابات كثيره من المنجّمين نقلاـ من كتبهم، و نقل من كتاب ربيع الأبرار أنّ رجلا دخل اصبعيه فى حلقتى مقراض و قال لمنجّم: ايش ترى فى يدى؟ فقال: خاتمى حديد.

و قال: فقدت فى دار بعض الرّؤساء مشربه فضه فوجّه إلى ابن هامان يسأله فقال: المشربه سرقت نفسها، فضحكت منه و اغتاض و قال: هل فى الدار جاريه اسمها فضّه أخذت الفضّه فكان كما قال.

و قال: سعى بمنجّم فامر بصلبه فقيل له هل رأيت هذا فى نجومك؟ فقال: رأيت ارتفاعا و لكن لم أعلم أنّه فوق خشبه.

و قال: من الملوك المشهورين بعلم النجوم و تقريب أهله المأمون، و ذكر محمّد بن اسحاق أنّه كان سبب نقل كتب النجوم من بلاد الرّوم و نشرها بين المسلمين.

و ذكر المسعودى فى حديث وفات المأمون قال: فأمرنا باحضار جماعه من أهل الموضع فسألهم ما تفسير التديون فقالوا: تفسيره مدّ رجليك، فلما سمع المأمون بذلك اضطرب و تطيّر بهذا الاسم و قال سلوهم ما اسم هذا الموضع بالعربيه قالوا: اسمه بالعربيّه الرقه، و كان فيما عمل من مولد المأمون أنّه يموت بالرقه، فلما سمع اسم الرقه عرفه أنّه الموضع الذى ذكر فى مولده و أنّه لا يموت إلّا برقه فمات به كما اقتضت دلاله النّجوم، انتهى ما أردنا ايراده من كلام السيّد.

ص:۲۹۶

فقد بان و ظهر منه و ممّا قدّمنا أنّ الاصابه فى النّجوم غير عزيزه و إن كان الخطاء فيها كثيرا أيضا إلّا أنّ وقوع الخطاء لا يدلّ على بطلانها من أصلها و سرّ كثره الخطاء هو ما أشرنا إليه سابقا من عسر الضّبط و الاحاطه بأقطارها.

و إليه الاشاره فى خبر عبد الرّحمن بن السّيابه قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام:

جعلت فداك إنّ النّاس يقولون إنّ النّجوم لا يحلّ النّظر فيها فان كان يضرّ بدينى فلا حاجه لى فى شىء يضرّ بدينى، و إن كان لا يضرّ بدينى فو اللّه إنّى لأشتهيها و أشتهى النّظر إليها، فقال: عليه السّلام ليس كما يقولون لا يضرّ بدينك، ثمّ قال عليه السّلام: إنّكم تنظرون فى شىء كثيره لا يدرك و قليله لا ينفع.

و فى خبر هشام قال قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام كيف بصرك فى النّجوم؟ قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنّجوم ثمّ سأله عن أشياء لم يعرفها، ثمّ قال عليه السّلام: فما بال العسكرين يلتقيان فى هذا و فى ذاك فيحسب هذا لصاحبه بالظفر و يحسب هذا لصاحبه بالظفر فيلتقيان فيهزم أحدهما الآخر فأين كانت النّجوم؟ قال: فقلت: و اللّه ما أعلم ذلك، فقال عليه السّلام: إنّ أصل الحساب حقّ و لكن لا يعلم ذلك إلّا من علم مواليد الخلق.

الامر الخامس

فى الحكم الشرعى للعمل بالنّجوم و أنّه هل يجوز تعليمه و تعلّمه و استنباط الأحكام منه و الاخبار عن الحوادث الاستقباليّه على وجه القطع أو الظنّ من طريق النّجوم.

المستفاد من السّيد بن طاوس (ره) فى كلامه الذى قدّمنا ذكره فى المقام الثانى هو الجواز بحمل الأخبار النّاهيه على ما إذا اعتقد التأثير.

و مثله شيخنا البهائى (ره) فى محكىّ كلامه و ما يدّعيه المنجّمون من ارتباط بعض الحوادث السفليّه بالأجرام العلويّه إن زعموا أنّ تلك الأجرام هى العلّه المؤثّره فى تلك الحوادث بالاستقلال أو أنّها شريكه فى التأثير فهذا لا يحلّ للمسلم اعتقاده، و علم النّجوم المبتنى على هذا كفر و العياذ باللّه، و على هذا حمل ما ورد فى

ص:۲۹۷

الحديث من التّحذير عن علم النّجوم و النّهى عن اعتقاد صحّته.

و إن قالوا إنّ اتصالات تلك الاجرام و ما يعرض لها من الاوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم ممّا يوجده اللّه سبحانه بقدرته و إرادته كما أنّ حركات النّبض و اختلافات أوضاعه علامات يستدلّ بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصّحه و اشتداد المرض و نحو ذلک، و كما يستدلّ باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبله، فهذا لا مانع منه و لا حرج فى اعتقاده، و ما روى من صحّه علم النّجوم و جواز نقله محمول على هذا المعنى.

ثمّ قال: الامور التى يحكم بها المنجّمون من الحوادث الاستقباليّه اصول بعضها مأخوذه من أصحاب الوحى سلام اللّه عليهم، و بعضها يدّعون فيها التّجربه، و بعضها مبتن على امور منشعبه لا تفى قوّه البشريّه فى الأغلب بضبطها و الاحاطه بها كما يؤمى إليه قول الصّادق عليه السّلام: كثيره لا يدرک و قليله لا ينتج «ينفع»، فلذلک وجد الاختلاف فى كلامهم و تطرّق الخطاء إلى بعض أحكامهم و من اتّفق له الجرى على الاصول الصّحيحه صحّ كلامه و صدقت أحكامه لا محاله كما نطق به كلام الصّادق عليه السّلام فى الرّوايه المذكوره قبيل هذا الفصل يعنى روايه ابن سيابه، و لكن هذا أمر عزيز المنازل لا يظفر به إلا القليل و اللّه الهادى إلى سواء السّبيل.

أقول: و لقد أجاد (ره) فيما أفاد إلاّ أنّ فى الأخبار النّاهيه ما يأبى عن الحمل الذى ذكره مثل خبر المنجّم الذى عرض لأمير المؤمنين عليه السّلام عند المسير إلى النّهروان على ما تقدّم روايته منّا و من السّيد (ره) فى المتن، فانّ الظاهر منها أنّ المنجّم المذكور لم يكن معتقدا للتّأثير فى النّجوم و مع ذلک فقد نهاه عليه السّلام عنه بمحض حكمه المستند إليه فافهم.

و يظهر من شيخنا صاحب الجواهر الميل إلى الجواز أيضا حيث قال: و التّحقيق أنّه لا بأس بالنّظر فى هذا العلم و تعلّمه و تعليمه و الاخبار عمّا يقتضيه ممّا وصل إليه من قواعده لا على جهه الجزم بل على معنى جريان عاده اللّه بفعل كذا عند كذا و عدم اطّراده غير قادح، فانّ اللّه يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب، بل قد يتوقّف

فی الکراهه فضلا عن الحرمه، بل یمکن حصول زیاده العرفان بمعرفته و الترقّی إلی بعض درجات الایمان بممارسته.

و دعوی أنّ فیه تعریضا للوقوع فی المحظور من اعتقاد التّأثیر فیحرم لذلک أو لأنّ أحکامه تخمینیّه کما تری خصوصا الثّانی ضروره عدم حرمه مراعات الظنون فی أمثال ذلک بل لعلّ المعلوم من سیره النّاس و طریقتهم خلافه فی الطبّ و غیره و التّعریض المزبور مع أنّه ممنوع لا یکفی فی الحرمه و إلاّ لحرّم النّظر فی علم الکلام الذی خطره أعظم من ذلک فلا ریب فی رجحان ما ذکرناه بل لا یبعد أن یکون النّظر فیه نحو النّظر فی علم هیئه الأفلاک الذی یحصل بسببه الاطلاع علی حکمه اللّه و عظم قدرته.

نعم لا ینبغی الجزم بشیء من مقتضیاته لاستیثار اللّه بعلم الغیب، انتهی.

و ذهب المرتضی (ره) إلی الحرمه، و هو ظاهر المحدّث المجلسی بل صریحه فی البحار حیث قال بعد بسط الکلام فی علم النّجوم و نقل الأخبار و أقوال العلماء فیه ما لفظه: و أمّا کونها امارات و علامات جعلها اللّه دلاله علی حدوث الحوادث فی عالم الکون و الفساد فغیر بعید عن السداد و قد عرفت أنّ کثیرا من الأخبار تدلّ علی ذلک.

و هی إمّا مفیده للعلم العادی لکنّه مخصوص ببعض الأنبیاء و الأئمه علیهم السلام و من أخذها منهم لأنّ الطریق إلی العلم بعدم ما یرفع دلالتها من وحی أو إلهام و الاحاطه بجمیع الشّرایط و الموانع و القوابل مختصّه بهم.

أو مفیده للظنّ، و وقوع مدلولاتها مشروط بتحقّق شروط و رفع موانع، و ما فی أیدی النّاس لیس ذلک العلم أصلا أو بعضه منه لکنّه غیر معلوم بخصوصه و لا یفید العلم قطعا، و افادته نوعا من الظنّ مشکوک فیه.

و أمّا تعلیمه و تعلّمه و العمل به و الاخبار بالامور الخفیّه و المستقبله و أخذ الطوالع و الحکم بها علی الأعمار و الأحوال الظاهر حرمه ذلک لشمول النهی له، و ما ورد أنّها دلالات و علامات لا یدلّ علی التّجویز لغیر من أحاط علمه بجمیع

ذلک من المعصومین و ما دلّ علی الجواز فأخبار أکثرها ضعیفه.

و یمکن حملها علی التّقیه لشیوع العمل بها فی زمن خلفاء الجور و السلاطین فی أکثر الأعصار و تقرّب المنجّمین عندهم و ربّما یؤمی بعض الأخبار إلیه، و یمکن حمل اخبار النّهی علی الکراهه الشّدیده و الجواز علی الاباحه أو حمل أخبار النّهی علی ما إذا اعتقد التأثیر و الجواز علی عدمه کما فعله السّید ابن طاوس و غیره و لکن الأوّل أظهر و أحوط.

أقول: و الأظهر عندی هو الجواز مع الکراهه، أمّا الجواز فللأخبار المجوّزه و أمّا الکراهه فخروجا عن خلاف من منعه و لوجود أخبار النّهی المحموله علیها.

فان قلت: أخبار النّهی ظاهره فی الحرمه فلم لا تحملها علی ظاهرها.

قلت: إبقاؤها علی ظواهرها موجب لطرح الأخبار الاخر و الجمع بقدر الامکان أولی، فلا بدّ من صرفها عن الظاهر بحملها علی الکراهه أو بالحمل علی صوره اعتقاد التأثیر و ذلک إنّما یجری فی بعضها حسبما أشرنا، و أمّا حمل الأخبار المجوّزه علی التّقیه فبعید لاشتهار العمل بها بین الخاصّه کالعامّه کما عرفت فی المقام الثّالث(۱) و عمل بعض أصحاب الأئمه علیهم السّلام بها مع عدم منعهم عن ذلک حسبما قدّمنا.

و إلی ذلک ذهب المحقّق الکرکی (ره) حیث قال بعد الحکم بحرمه اعتقاد التّأثیر و کونه کفرا: أمّا التّنجیم لا علی هذا الوجه مع التّحرز عن الکذب فانّه جایز فقد ثبت کراهیّه التّزویج و سفر الحجّ فی العقرب و ذلک من هذا القبیل، نعم هو مکروه و لا ینجرّ إلی الاعتقاد الفاسد و قد ورد النّهی عنه مطلقا حسما للمادّه و هو أیضا مذهب شیخنا العلاّمه الأنصاری فی المکاسب، قال بعد ذکر الأخبار الدّالّه علی أنّ للنّجوم أصلا و الأخبار الدّالّه علی کثره خطاء المنجّمین ما هذا لفظه: و من تتبع هذه الأخبار لم یحصل له ظنّ بالأحکام المستخرجه عنها فضلا

۱- (۱) - لا یخفی أنّ المقام الثالث لم یتقدّم ذکره فیما قبل، نعم ذکر المصنف (قده) فیما سبق ما أشار الیه هنا فی ضمن المقام الثانی فتذکر «المصحح»

عن القطع، نعم قد يحصل من التّجربه خلفا عن سلف الظنّ بل العلم بمقارنه حادث من الحوادث لبعض الأوضاع الفلكيه، فالأولى التجنّب عن الحكم بها و مع الارتكاب فالأولى الحكم على سبيل التقريب و أنّه لا يبعد أن يقع كذا عند كذا، و اللّه المسدّد.

الترجمه

از جملۀ كلام هدايت نظام آن حضرتست كه فرموده است آن را از براى بعض اصحاب خود در حينى كه عزم فرموده بود بر رفتن بسوى خوارج نهروان، پس گفت آن حضرت را بعض اصحاب او اى أمير مؤمنان اگر سير بفرمائى در اين وقت مى ترسم كه نرسى بمقصود خويش از طريقه و قاعدۀ علم نجوم پس فرمود او را كه:

آيا گمان مى كنى كه تو راه مى يابى بساعتى. كه هر كه سفر كند در آن بگردد از او بدى و مى ترسانى از ساعتى كه هر كه سير نمايد در آن احاطه كند باو ضرر هر كه تصديق كند تو را باين سخنان پس بتحقيق كه تكذيب نموده است بر قرآن و مستغنى شده است از يارى جستن بخدا در رسيدن بأمر محبوب و در دفع كردن مكروه و سزاوار است در گفتار تو اين كه تو را حمد نمايد نه پروردگار خود را از جهه اين كه تو بگمان خود راه نما شدى او را بساعتى كه رسيده در آن بمنفعت، خواطر جمع شد در آن از مضرّت، بعد از آن توجّه فرمود آن حضرت بمردمان پس فرمود كه أى مردمان حذر نمائيد از تعلّم علم نجوم مگر آن چيزى كه هدايت بيابيد بآن در بيابان يا در دريا پس بدرستى كه معرفت نجوم داعى مى شود بر كاهنى و منجّم همچو كاهن است و كاهن همچو ساحر است و ساحر همچو كافر است و كافر در آتش است، بعد از آن حضرت فرمود بأصحاب خود كه: سير كنيد بسوى دشمن بر نام خداوند و يارى او.

ص:۳۰۱

و من كلام له عليه السلام و هو التاسع

اشاره

و السبعون من المختار فى باب الخطب

بعد حرب الجمل فى ذم النساء معاشر النّاس إنّ النّساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول، فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلوه و الصّيام فى أيّام حيضهنّ، و أمّا نقصان عقولهنّ فشهاده امرئتين كشهاده الرّجل الواحد و أمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الإنصاف من مواريث الرّجال، فاتّقوا شرارهنّ و كونوا من خيارهنّ على حذر، و لا تطيعوهنّ فى المعروف حتّى لا يطمعن فى المنكر.

اللغه

(المعاشر) جمع المعشر و هى الجماعه من النّاس و (الانصاف) بفتح الهمزه و كسرها و قد يضمّ كما فى القاموس جمع النّصف بتثليث النّون و هو أحد جزئى الشيء.

الاعراب

الفاء فى قوله فأمّا نقصان ايمانهنّ عاطفه قال الرّضىّ (ره) فى مبحث فاء العطف و إن عطفت الفاء جمله على جمله أفادت كون مضمون الجمله التى بعدها عقيب مضمون التى قبلها بلا فصل، نحو قام زيد فقعد عمرو، و قد تفيد فاء العطف فى الجمل كون المذكور بعدها كلاما مرتبا فى الذّكر على ما قبلها لا أنّ مضمونه عقيب مضمون

ص:٣٠٢

ما قبلها فی الزّمان کقوله تعالی:

«اُدْخُلوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ » و قوله «وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّهِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ ».

فانّ ذکر ذمّ الشّیء أو مدحه یصحّ بعد جری ذکره، قال و من هذا الباب عطف تفصیل المجمل علی المجمل کقوله:

«وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ».

و تقول: أجبته فقلت لبیّک انتهی، و کلام الامام علیه السّلام من هذا القبیل لأنّه بعد الاشاره إلی نقصان ایمانهنّ و عقولهنّ و حظوظهنّ اجمالا نبّه علی تفصیل جهه النّقصان بقوله فأما نقصان ایمانهنّ اه، و نظیرها الفاء فی قوله:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ » و فی قوله «إِنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَهً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللّهُ بِهذا مَثَلًا ».

فافهم و الفاء فی قوله: فقعود هنّ رابطه للجواب و فی قوله فاتّقوا شرارهنّ فصیحه.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ الغرض من هذا الکلام التّعریض علی عایشه و توبیخها و ذمّ من تبعها و ارشاد النّاس إلی ترک طاعه النّساء و الاتقاء منهنّ لکونهنّ ناقصات فی أنفسهنّ و لا ینبغی للکامل إطاعه النّاقص و الایتمام به و وجوه النّقصان ثلاثه کما نبّه علیها بقوله(معاشر النّاس إنّ النساء نواقص الایمان نواقص الحظوظ نواقص العقول) و لما

ص:۳۰۳

نبّه على نقصانهنّ بهذه الوجوه الثّلاثه أشار إلى علّه جهات النقص بقوله (فأمّا نقصان ايمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاه و الصّيام فى أيام حيضهنّ) و قعودهنّ عنها و إن كان بأمر اللّه سبحانه إلاّ أنّ سقوط التّكليف لنوع من النقص فيهنّ و سبب النقص هو حاله الاستقذار و الحدث المانعه من القرب المعنوى المشروط فى العبادات و فى كلامه دلاله على كون الأعمال اجزاء الايمان.

و يشهد به ما رواه فى الكافى باسناده عن أبى الصّباح الكنانى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام: من شهد أن لا إله إلا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان مؤمنا؟ قال: فأين فرايض اللّه؟ قال: و سمعته يقول: لو كان الايمان كلاما لم ينزل فيه صوم و لا صلاه و لا حلال و لا حرام.

(و أما نقصان عقولهنّ فشهاده امرئتين كشهاده الرّجل الواحد) قال تعالى:

«فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ ».

روى فى الوسائل عن تفسير العسكرى عليه السّلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه قال: عدلت امرئتان فى الشهاده برجل واحد فاذا كان رجلان أو رجل و امرئتان أقاموا الشّهاده قضى بشهادتهم.

قال عليه السّلام و جاءت امرئه إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالت: ما بال الامرئتين برجل فى الشهاده و فى الميراث؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّ ذلك قضاء من ملك عدل حكيم لا يجور و لا يحيف أيّتها المرأه لأنكنّ ناقصات الدّين و العقل إنّ احد اكنّ تقعد نصف دهرها لا تصلّى بحيضه، و أنكنّ تكثرن اللعن و تكفرن العشير تمكث إحدا كنّ عند الرّجل عشر سنين فصاعدا يحسن إليها و ينعم عليها فاذا ضاقت يده يوما أو ساعه خاصمته و قالت: ما رأيت منك خيرا قطّ.

و فيه عن محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه القمىّ قال مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على نسوه فوقف عليهنّ ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا معاشر النساء ما رأيت نواقص عقول و دين

أذهب بعقول ذوی الألباب منکنّ إنی رأیت أنکنّ أکثر أهل النّار عذابا فتقرّبن إلی اللّه ما استطعتنّ، فقالت امرأه منهنّ: یا رسول اللّه ما نقصان دیننا و عقولنا؟ فقال: أما نقصان دینکنّ فالحیض الذی یصیبکنّ فتمکث إحداکنّ ما شاء اللّه لا تصلّی و لا تصوم، و أمّا نقصان عقولکنّ فشهادتکنّ إنّما شهاده المرأه نصف شهاده الرّجل.

و قال وهب بن منبه قد عاقب اللّه النساء بعشر خصال: بشدّه النّفاس و الحیض و جعل میراث اثنتین میراث رجل و شهادتهما شهاده واحد و جعلها ناقصه الدّین و العقل لا تصلّی أیّام حیضها و لا تسلم علی النساء و لیس علیها جمعه و لا جماعه و لا یکون منها نبیّ و لا تسافر إلّا بولیّ هذا.

و قوله (و أما نقصان حظوظهنّ فمواریثهنّ علی الانصاف من مواریث الرّجال) قد مرّ فی ثالث تذنیبات الفصل الثّانی عشر من فصول الخطبه الاولی علّه زیاده حظّ الذّکر علی الانثی فی المیراث و نقول هنا مضافا إلی ما سبق: إنّه قد ذکر لها فی بعض الأخبار علل و أسرار اخری.

و هو ما فی الوسائل عن ثقه الاسلام الکلینی باسناده عن الأحول قال قال ابن أبی العوجا: ما بال المرأه المسکینه الضعیفه تأخذ سهما واحدا و یأخذ الرّجل سهمین؟ قال: فذکر ذلک بعض أصحابنا لأبی عبد اللّه علیه السّلام فقال: إنّ المرأه لیس علیها جهاد و لا نفقه و لا معقله و إنّما ذلک علی الرّجال فلذلک جعل للمرأه سهما واحدا و للرّجل سهمین.

و فیه عن الصّدوق باسناده عن محمّد بن سنان أنّ الرّضا علیه السّلام کتب إلیه فیما کتب من جواب مسائله: علّه إعطاء النساء نصف ما یعطی الرّجال من المیراث لأنّ المرأه إذا تزوجّت اخذت و الرّجل یعطی فلذلک و فرّ علی الرّجال، و علّه اخری فی اعطاء الذکر مثلی ما تعطی الانثی لأنّ الانثی فی عیال الذکر إن احتاجت و علیه أن یعولها و علیه نفقتها، و لیس علی المرأه أن تعول الرّجل و لا تؤخذ بنفقته إن احتاج

فوّفر على الرّجال لذلك و ذلك قول اللّه عزّ و جل:

«اَلرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ ».

و عنه أيضا باسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: لأىّ علّه صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين؟ قال: لما جعله اللّه لها من الصّداق.

و باسناده عن علىّ بن سالم عن أبيه قال سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام فقلت له: كيف صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين؟ فقال، لأنّ الحبات التى أكل آدم و حوّاء فى الجنّه كانت ثمانيه عشر حبّه أكل آدم منها اثنتى عشره حبّه و أكلت حوّاء ستّا فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد التّنبيه على جهه النّقصان فى النساء أمر بقوله (فاتّقوا شرارهنّ) على التجنّب و الهرب من الشّرار، و بقوله (و كونوا من خيارهنّ على حذر) على الحذر من الخيار، قال البحرانى: و يفهم من ذلك أنّه لا بدّ من مقاربتهنّ (1) و كان الانسان إنما يختار مقاربه الخيره منهنّ فينبغى أن يكون معها على تحرّز و تثبّت فى سياستها و سياسه نفسه معها إذا لم تكن الخيره منهنّ خيره إلّا بالقياس إلى الشّريره.

روى فى الفقيه عن جابر بن عبد اللّه الانصارى قال: كنّا جلوسا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال فتذاكرنا النساء و فضل بعضهنّ على بعض فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ألا أخبركم بخير نسائكم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه فأخبرنا، قال: إنّ من خير نسائكم الولود الودود السّتيره العفيفه العزيزه فى أهلها الذليله مع بعلها المتبرّجه مع زوجها الحصان مع غيره التى تسمع قوله و تطيع أمره و إذا خلا بها بذلت له ما أراد منها و لم تبذل له تبذّل الرّجل.

قال و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ألا اخبركم بشرّ نسائكم؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه فأخبرنا

۱- (۱) اى مقاربه الخيار منه.

قال: من شرّ نسائكم الذليله فى أهلها العزيزه مع بعلها العقيم الحقود التى لا تتوّرع عن قبيح المتبرّجه إذا غاب عنها زوجها الحصان معه إذا حضر التى لا تسمع قوله و لا تطيع أمره فاذا خلابها تمنّعت تمنّع الصّعبه عند ركوبها و لا تقبل له عذرا و لا تغفر له ذنبا و رواه فى الكافى عن جابر بن عبد اللّه نحوه فى كتاب النكاح فى باب خير النساء و شرار النساء، و روى فيه أخبارا اخرى فى معنى الخير و الشرّ.

و قوله (و لا تطيعوهنّ فى المعروف حتّى لا يطمعن فى المنكر) من قبيل المثل السائر: لا تعط عبدک کراعا فيأخذ ذراعا قال العلاّمه المجلسى: و ترک طاعتهنّ فى المعروف إما بالعدول إلى فرد آخر منه أو فعله على وجه يظهر أنّه ليس لطاعتهنّ بل لكونه معروفا أو ترک بعض المستحبات و يكون الترک حينئذ مستحبّا کما ورد ترکها فى بعض الأحوال کمال الحلال هذا.

و قد ورد الحثّ على ترک طاعتهنّ فى غير واحد من الأخبار مثل ما فى الفقيه عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال فى النساء: لا تشاوروهنّ فى النجوى و لا تطيعوهنّ فى ذى قرابه إنّ المرأه إذا كبرت ذهب خير شطريها و بقى شرّهما، ذهب جمالها و احتدّ لسانها و عقم رحمها، و إنّ الرّجل إذا كبر ذهب شرّ شطريه و بقى خيرهما ثبت عقله و استحكم رأيه و قلّ جهله.

و فيه أيضا قال علىّ عليه السّلام: كلّ امرء تدبّره امرأه فهو ملعون، و قال: فى خلافهنّ البركه، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا أراد الحرب دعى نسائه فاستشارهنّ ثمّ خالفهنّ.

و فى بعض الرّوايات العاميّه قال أمير المؤمنين عليه السّلام لا تطيعوا النساء على حال و لا تأمنوهنّ على مال، و لا تذروهنّ لتدبير العيال، فانّهنّ إن ترکن و ما يرون أوردن المهالک، و أذلن الممالک، لا دين لهنّ عند لذّتهنّ، و لا ورع لهنّ عند شهوتهنّ، ينسين الخير و يحفظن الشّر، يتهافتن بالبهتان و يتمارين للطغيان يتصدّين للشّيطان.

و من طريق العامه أيضا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شاوروهنّ خالفوهنّ.

تنبیه ظریف

ینبغی لنا أن نذکر هنا شطرا من أوصاف النساء و أخبارهن و بعض مکایدهنّ من طریق الأخبار و غیرها، و المقصود بذلک التحذیر عنهنّ و التنبیه علی کیدهنّ، حیث وصفه اللّه سبحانه فی کتابه العزیز بالعظمه مع أنّه جعل کید الشیطان ضعیفا حیث قال:

«إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ » و قال: «إِنَّ کَیْدَ الشَّیْطانِ کانَ ضَعِیفاً ».

و لذلک قال بعض أهل العرفان: إنا من النّسوان أحذر من الشّیطان فأقول:

قال رسول اللّه شاوروهنّ و خالفوهنّ و قیل: إیّاک و موافقه النساء فرأیهنّ إلی أفن(1) و عزمهنّ إلی وهن، و قیل:

أکثروا لهنّ من لا، فانّ نعم یغریهنّ بالمثله قال الشّاعر:

تعیّرنی بالغزو عرسی و ما درت بأنّی لها فی کلّ ما أمرت ضدّ

و رأی سقراط امرأه تحمل نارا فقال نار تحمل نارا و الحامل شرّ من المحمول و قیل له: أیّ السّباع شرّ قال: المرأه و قیل: المرأه إذا أحبّتک آذتک و إذا أبغضتک خانتک فحبّها أذی و بغضها داء و قیل المرأه سبع معاشر و قیل حیوان شریر.

و فی الحدیث أنّه لما خلقت المرأه نظر إلیها إبلیس فقال أنت سؤلی و موضع سرّی و نصف جندی و سهمی الذی ارمی به فلا اخطی و إذا اختصمت هی و زوجها فی البیت قام فی کلّ زاویه من زوایا البیت شیطان یصفق و یقول فرّح اللّه من فرّحنی حتّی إذا اصطلحا خرجوا عمیا یتعادون یقولون: أذهب اللّه نور من ذهب بنورنا.

و فی الفقیه عن إسحاق بن عمار عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی حدیث إنّ إبراهیم

۱- (۱) قال فی مجمع البحرین فی حدیث النساء فانّ رأیهن الی الافن و عزمهنّ الی الوهن الافن بالتحریک ضعف الرای قاله الجوهری و قال غیره: الافن النقص و رای أفن و مأفون ناقص منه.

خليل الرّحمن شكى إلى اللّه خلق ساره فأوحى اللّه عزّ و جلّ إليه إنّ مثل المرأه مثل الضّلع إن أقمته انكسر و إن تركته استمتعت به.

و فى حديث إبليس مع يحيى بن ذكريا على نبيّنا و عليهما السّلام المروىّ فى المجلّد السماء و العالم من البحار و جاده فى كتاب الترمذى قال أى إبليس: يا نبىّ اللّه فأوّل ما اصيد به المؤمن من قبل النّساء «إلى أن قال» يا نبىّ اللّه إنّ أرجى الأشياء عندى و أدعمه لظهرى و أقرّه لعينى النّساء، فانّها حبالتى و مصائدى و سهمى الذى به لا اخطى بآبائى هنّ لو لم يكن هنّ ما اطعت(۱) اضلال أدنى آدمىّ، قرّت عينى بهنّ أظفر بمقراتى و بهنّ أوقع فى المهالك إذا اغتممت ليشت(۲) على النّساك و العبّاد و العلماء غلبونى بعد ما ارسلت عليهم الجيوش فانهزموا و بعد ما ركبت و قهرت ذكرت النّساء طابت و سكنت غضبى و اطمأنّ كظمى و انكشف غيظى و سلمت كأبتى و قرّت عينى و اشتدّ ازرى، ولولاهنّ من نسل آدم لسجدتهنّ فهنّ سيّداتى و على عنقى سكناهنّ و علىّ تمماهنّ ما اشتهت امرأه من حبالتى حاجه إلاّ كنت أسعى برأسى دون رجلى فى اسعافها بحاجتها، لأنّهنّ رجائى و ظهرى و عصمتى و سندى و ثقتى و غوثى، الحديث.

أقول: النّسخه كانت سقيمه جدّا فأثبتّه كما وجدت.

و فى الأنوار النّعمانيّه للسّيد نعمه اللّه الجزائرى و من أسباب الدّنيا و الميل إليها النّساء و إطاعتهنّ.

روى أنّ رجلا من بنى إسرائيل رأى فى المنام انّه خير ثلاث دعوات مستجابات بأن يصرفها حيث شاء، فشاور امرأته فى محلّ الصّرف فرأت أن يصرف واحده منها فى حسنها و جمالها ليزيد حسن المعاشره بينهما فصرفها فى ذلك فصارت جميله فيما بين بنى اسرائيل فاشتهرت فاشتهر أمرها إلى أن غصبها ملك ظالم فدعا الرّجل غيره بأن يصيرها اللّه تعالى على صوره كلب فصارت كلبا أسود و جاءت إلى باب زوجها

۱- (۱) هكذا فى البحار و الظاهر ان المجرد بمعنى المزيد اى ما استطعت أو أنه من تصحيف الناسخ و الاصل أطقت بالقاف بمعنى قدرت و هو الاظهر، منه.

۲- (۲) ايش واش فرح.

و تضرّعت إليه مدّه حتّى رقّ قلبه فدعا بأن يصيّرها اللّه على صورتها الأولى، فضاعت الدّعوات الثلاث فيها و هى كما كانت بشوم مشاوره المرأه.

و حكى أنّ خسرو الملك أتى إليه رجل بسمكه كبيره فأمر له بأربعه آلاف درهم فقالت شيرين فكيف تصنع إذا احتقر من اعطيته شيئا من حشمك و قال: أعطانى ما أعطى الصّياد أو أقلّ، فقال خسرو الملك إنّ الرّجوع عن الهبه قبيح خصوصا من الملوك فقالت شيرين: التّدبير أن تدعوه و تقول له هذه السّمكه ذكر أو انثى، فان قال ذكر فتقول له إنّما أردت انثى، و إن قال انثى فتقول له إنّما أردت ذكرا فاستدعاه فسأله عن ذلك فقال: أيّها الملك إنّها خنثى لا ذكر و لا انثى، فاستحسن جوابه و أمر له بأربعه آلاف درهم اخرى، فلمّا تسلّم الصيّاد ثمانيه آلاف درهم من الخزّان و رجع سقط منها فى الطريق درهم فاشتغل بأخذ الدّرهم الساقط فقالت شيرين للملك: انظر إلى خسّته و غلبه حرصه، فاستدعاه و سأله عن غرضه فى اشتغاله بأخذه فقال أيّها الملك: كان عليه اسمك و حكمك فخفت أن يطأه أحد برجله غافلا عنه، فاستحسن أيضا جوابه و أمر له بأربعه آلاف درهم اخرى و ذهب الصّياد باثنى عشر ألف درهم.

و فى موضع آخر منه أنّ كلّ فتنه وقعت فى العالم فانّما جاءت من قبلهنّ و ذلك:

إنّ الفتنه الاولى و هى اكل آدم من الشّجره و اخراجه إلى الأرض إنّما جاء من قبل حوّا، لأنّ آدم لمّا لم يقبل و ساوس الشيطان وسوس إلى حوّاء فجاءت إلى آدم و كلّمته فى أمر الأكل من الشّجره حتى حملته عليه.

و أمّا الفتنه الأخيره التى نشأ منها خراب العالم و هى غصب خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام و استظهارهم و اتّفاقهم على عداوته فانّما جاء من قبل عايشه و عداوتها و حسدها لفاطمه عليها السّلام بسبب أن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يظهر المحبّه لها و لولديها فغارت من هذا عايشه و أضمرت العداوه لها ثمّ أظهرتها فتخطت تلك العداوه من النّساء إلى الرّجال فبغض عليا عليه السّلام أبو بكر و عمر ففعلا ما فعلا و فعلت عايشه بعدهما ما فعلت.

ص:۳۱۰

أقول: و شهاده أمير المؤمنين عليه السّلام بسبب قطام و سمّ جعده للحسن بن عليّ عليهما السّلام غير خفيّ.

و فى البحار روى عن جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام أنّه قال: كان فى بنى اسرائيل رجل صالح و كان له مع اللّه معامله حسنه و كان له زوجه و كان ظنينا بها و كانت من أجمل أهل زمانها مفرطه فى الجمال و الحسن، و كان يقفل عليها الباب فنظرت يوما شابّا فهوته و هواها فعمل لها مفتاحا على باب دارها و كان يخرج و يدخل ليلا و نهارا متى شاء و زوجها لم يشعر بذلك.

فبقيا على ذلك زمانا طويلا فقال لها زوجها يوما و كان أعبد بنى اسرائيل و أزهدهم: إنّك قد تغيرت علىّ و لم أعلم ما سببه و قد توسوس قلبى علىّ و كان قد أخذها بكرا، ثمّ قال و اشتهى منك أنك تحلفى لى أنّك لم تعرفى رجلا غيرى، و كان لبنى اسرائيل جبل يقسمون به و يتحاكمون عنده و كان الجبل خارج المدينه عنده نهر جار و كان لا يحلف أحد عنده كاذبا إلاّ هلك، فقالت له و يطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل؟ قال: نعم، قالت: متى شئت فعلت.

فلمّا خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشّاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها و أنّها تريد أن تحلف له عند الجبل و قالت ما يمكننى أن أحلف كاذبه و لا أقول لزوجى فبهت الشّاب و تحيّر و قال فما تصنعين؟ فقالت بكّر غدا و البس ثوب مكار و خذ حمارا و اجلس على باب المدينه فاذا خرجنا فأنا أدعه يكترى منك الحمار فاذا اكتراه منك بادر و احملنى و ارفعنى فوق الحمار حتّى احلف له و أنا صادقه أنّه ما مسّنى أحد غيرك و غير هذا المكارى، فقال: حبّا و كرامه.

و أنّه لمّا جاء زوجها قال لها قومى إلى الجبل لتحلفى به قالت مالى طاقه بالمشى فقال: اخرجى فان وجدت مكاريّا اكتريت لك فقامت و لم تلبس لباسها فلمّا خرج العابد و زوجته رأت الشّاب ينتظرها فصاحت به يا مكارى اكترى «كذا» حمارك بنصف درهم إلى الجبل قال: نعم.

ثمّ تقدّم و رفعها على الحمار و ساروا حتّى وصلوا إلى الجبل فقالت للشّاب

انزلنی عن الحمار حتّی أصعد الجبل، فلمّا تقدّم الشّاب إلیها القت بنفسها إلی الأرض فانکشفت عورتها فشتمت الشاب فقال: و اللّه مالی ذنب.

ثمّ مدّت یدها إلی الجبل و حلفت له أنه لم یمسّها أحد و لا نظر إنسان مثل نظرک إلیّ مذ عرفتک غیرک و هذا المکاری، فاضطرب الجبل اضطرابا شدیدا و زال عن مکانه و انکرت بنو اسرائیل فذلک قوله تعالی:

«وَ إِنْ کانَ مَکْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ ».

و فی زهر الرّبیع کان فی الهند رجل شجاع غیور و له امرأه جمیله فاتفق انّه سافر عنها، فجلست یوما علی قصرها فرأت برهمن من براهمه الهند شابّا فحصل بینهما عشق و وصال و کان یأتی الیها متی ما أراد، فخرجت یوما إلی بیت جارها و أتی ذلک الشّاب إلی منزلها فلم یجدها فخرج فی طلبها فلمّا دخلت أخذ الشّاب الهندی سوطا کان معه و ضربها.

و کان فی تلک الحاله أتی زوجها من السّفر فقال لها برهمن: هذا زوجک أتی فکیف الحیله؟ فقالت: اضربنی بهذا السّوط فاذا دخل زوجی و سألک فقل إنّ هذه المرأه فیها صرع أتی الیها بعد سفرک و طلبونی لاعوذبها بالأسماء و أقرء علیها و أضربها حتّی یخرج منها الجنّ، فتکدّرت علی زوجها عیشه و خرج الشّاب الهندی و بعد هذا صارت کلما اشتهت وصال الشّاب الهندی صرعت نفسها و مضی زوجها یلتمس من الهندی و الهندی یمنّ علیه و یأخذ منه حقّ الجعاله حتّی یأتی إلی منزله لأجل أن یعوّذها ممّا عنده فصار الرّجل الغیور قوّادا دیّوثا.

و فی حکمه آل داود امرأه السّوء مثل شرک الصّیاد لا ینجو منها إلاّ من رضی اللّه عنه و المرأه السّوء غلّ یلقیه اللّه فی عنق من یشاء.

و قال داود علیه السّلام المرأه السّوء الحمل الثّقیل علی الشّیخ الکبیر، و المرأه الصّالحه کالتّاج المرصع بالذهب کلّما رآها قرّت عینه.

و عن مولینا أمیر المؤمنین علیه السّلام فی قوله تعالی:

«رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا حَسَنَةً » قال علیه السّلام: المرأه الحسناء الصّالحه

«وَ فِی الْآخِرَهِ حَسَنَهً » حوریّه من حور العین «وَ قِنا عَذابَ النّارِ » امرئه السّوء.

قال بعضهم.

لقد کنت محتاجا إلی موت زوجتی و لکن قرین السّوء باق معمّر

فیا لیتها صارت إلی القبر عاجلا و عذّبها فیه نکیر و منکر

أقول، و حیث انجرّ الکلام إلی هذا المقام فینبغی أن نختمه بحدیث المتکلّمه بالقرآن تذکره للعاقلین و تنبیها للغافلین و إشاره إلی أنّ الأخبار المطلقه فی مذمّه النّساء محموله علی الأفراد الغالبه و إلاّ ففیها من لا یوجد مثلها فی الرّجال زهدا و ورعا و صلاحا.

قال عبد اللّه بن المبارک: خرجت حاجّا إلی بیت اللّه الحرام فبینما أنا فی بعض الطریق فاذا أنا بسواد یلوح فاذا هی عجوز فقلت: السّلام علیک، فقالت: «سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِیمٍ »، فقلت لها: یرحمک اللّه ما تصنعین فی هذا المکان؟ قالت: «مَنْ یُضْلِلِ اللّهُ فَلا هادِیَ لَهُ »، فعلمت أنّها ضالّه عن الطریق فقلت لها: أین تریدین؟ قالت:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی »، فعلمت أنّها قضت حجّها و ترید بیت المقدّس.

فقلت لها: أنت منذ کم فی هذا الموضع؟ فقالت: «ثَلاثَ لَیالٍ سَوِیًّا »، قلت: ما أری معک طعاما تأکلین قالت: «هُوَ یُطْعِمُنِی وَ یَسْقِینِ »، قلت: فبأیّ شیء تتوضین؟ قالت:

«فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَیَمَّمُوا صَعِیداً طَیِّباً » قلت: إنّ معی طعاما فهل تأکلین؟ قالت:

«ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّیامَ إِلَی اللَّیْلِ »، قلت: لیس هذا شهر رمضان قالت: «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَهُوَ خَیْرٌ لَهُ »، قلت: قد ابیح لنا الأفطار فی السّفر قالت: «وَ أَنْ تَصُومُوا خَیْرٌ لَکُمْ ».

قلت: فلم لا تتکلّمین مثل کلامی؟ قالت: «ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ » عتید، قلت: من أیّ النّاس أنت؟ قالت: «وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً »، قلت: قد أخطأت فاجعلنی فی حلّ،

قالت: «لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكَمْ »، قلت: فهل لک أن أحملک علی ناقتی فتدرکی القافله؟ قالت: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ ».

فأنخت ناقتی: فقالت: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ »، فغضضت بصری عنها فلمّا أرادت أن ترکب نفرت الناقه فمزقت ثيابها فقالت: «وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَهٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ »، فقلت لها: اصبری حتّی أعقلها، قالت: «فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ ».

فشددت لها الناقله فقلت: ارکبی، فرکبت فقالت: «سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنّا إِلی رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ »، قال: فأخذت بزمام الناقه و جعلت أسعی و اصيح، فقالت: «وَ اقْصِدْ فِی مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ »، فجعلت أمشی رويدا و أترنّم بالشعر فقالت: «فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ »، فقلت لها: لقد اوتيت «خَيْراً كَثِيراً »، قالت «وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

فلما مشيت بها قليلا قلت: أ لک زوج؟ قالت: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ »، فسرت حتی أدرکت القافله فقلت لها هذه القافله فمن لک فيها؟ قالت: «اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَياهِ الدُّنْيا »، فعلمت أنّ لها أولادا قلت: و ما شأنهم فی الحجّ قالت: «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »، فعلمت أنهم أولاد الرّکب فقصدت بها القباب و العماريات(۱).

و قلت: هذه القباب فمن لک فيها؟ قالت: «وَ اتَّخَذَ اللّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً » «وَ كَلَّمَ اللّهُ مُوسی تَكْلِيماً » «يا يَحْيی خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّهٍ »، فناديت يا إبراهيم يا موسی يا يحيی فاذا بشبان کأنهم الدنانير قد أقبلوا.

فلما استقرّ بهم الجلوس قالت: «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَی الْمَدِينَهِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكی طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ »، فمضی أحدهم و اشتری طعاما فقدّموه فقالت «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِی الْأَيّامِ الْخالِيَهِ » فقلت الآن طعامکم حرام علیّ حتی تخبرونی بأمرها فقالوا: إنّها امّنا و لها منذ أربعين سنه لا تتکلّم إلاّ بالقرآن مخافه أن تزلّ فيسخط عليها الرّحمن.

۱- (۱) العماريه کجاوه، منه.

تنبیه و تحقیق

قال الشّارح المعتزلی فی شرح هذا الکلام له علیه السّلام: و هذا الفصل کلّه رمز إلی عایشه و لا یختلف أصحابنا فی انّها أخطات فیما فعلت ثمّ تابت و ماتت تائبه، و أنّها من أهل الجنّه.

قال قال کلّ من صنّف فی السیر و الأخبار إنّ عایشه کانت من أشدّ النّاس علی عثمان حتّی أنّها اخرجت ثوبا من ثیاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فنصبته فی منزلها و کان تقول للدّاخلین إلیها هذا ثوب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یبل و عثمان قد أبلی سنّته.

قالوا أول من سمّی عثمان نعثلا عایشه و النعثل الکثیر شعر اللحیه و الجسد، و کانت تقول اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا.

و روی المدائنی فی کتاب الجمل قال: لما قتل عثمان کانت عایشه بمکّه و بلغ قتله إلیها و هی بشراف فلم تشک فی أن طلحه هو صاحب الأمر و قالت بعدا لنعثل و سحقا ایه ذا الاصبع ایه أبا شبل ایه یابن عمّ (۱) لکأنّی انظر إلی اصبعه و هو یبایع له حثوا الابل و دعدعتها(۲) ثمّ قال و قال أبو مخنف: إنّ عایشه لما بلغها قتل عثمان و هی بمکّه أقبلت مسرعه و هی تقول ایه ذا الاصبع للّه أبوک أما أنّهم وجدوا طلحه لها. کفوا(۳)

ص:۳۱۵

۱- (۱) أراد به طلحه لأنّ طلحه و عایشه کلاهما من بنی تیم و لذلک کانت هو اهافی کون الامر بطلحه منه (ره).

۲- (۲) فی نسخه ابن ابی الحدید التی عندی حثوا الابل بالثاء المثلثه و دعد عنها بالدال المهمله و علی ذلک فلفظ حثوا الابل من کلام عایشه امر بسوق الابل و حثها علی السیر و لفظه دعدعتها من کلام الراوی ای حرکت عایشه ابلها للعدو و قال فی القاموس و الدعدع عدو فی بطوء و لکن فی البحار عن ابن ابی الحدید حنوها لابل و ذعذعوها قال المجلسی (ره) فی تفسیره ای جعلوا اصبعه منحنیه للبیعه لابل و ذعذعوها ای کسروها و بددوها لهجومهم علی البیعه انتهی فعلی ما ذکره (ره) حنوها بالنون المهمله و ذعذعوها بالذالین المعجمتین من الذعذع منه (ره).

۳- (۳) ای للخلافه م.

فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبى سلمه الليثى فقالت له: ما عندك؟ قال: قتل عثمان قالت: ثمّ ما ذا؟ قال: ثمّ جاز بهم الامور إلى خير مجاز بايعوا عليا، فقالت: لوددت أن السّماء انطبقت على الأرض إنّ تمّ هذا و يحك انظر ما ذا تقول قال: هو ما قلت لك يا امّ المؤمنين فولولت، فقال لها: ما شأنك يا أمّ المؤمنين و اللّه ما أعرف بين لابتيها أحدا أولى بها منه و لا أحقّ و لا أرى له نظيرا فى جميع حالاته، فلما ذا تكرهين ولايته؟ قال: فما ردّت عليه جوابا.

و فى روضه الصّفا و قال عبيده بن أبى سلمه فى هذا المعنى أبياتا منها قوله:

فمنك البدار و منك المفر و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الامام و قاتله عندنا من أمر

قال أبو مخنف: و قد روى من طرق مختلفه أنّ عايشه لما بلغها قتل عثمان و هى بمكه قالت: أبعده اللّه ذلك بما قدمت يداه و ما اللّه بظلّام للعبيد.

قال: و قد روى قيس بن أبى حازم أنّه حجّ فى العام الذى قتل فيه عثمان و كان معه عايشه لما بلغتها قتلته فتحمل إلى المدينه قال فسمعها تقول فى بعض الطريق: ايه ذا لاصبع و إذا ذكرت عثمان قالت: أبعده اللّه حتّى أتتها خبر بيعه علىّ فقالت: لوددت إن هذه وقعت على هذه، ثمّ أمرت بردّ ركابيها إلى مكه فردّت معها و رأيتها فى مسيرها إلى مكّه تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحدا: قتلوا ابن عفّان مظلوما.

فقلت لها: يا امّ المؤمنين ألم اسمعك آنفا تقول أبعده اللّه و قد كنت قبل أشدّ النّاس عليه و أقبحهم فيه قولا فقالت: لقد كان ذلك و لكنى نظرت فى أمره فرأيتهم استتابوه حتى تركوه كالفضه البيضاء أتوه صائما محرما فى شهر حرام فقتلوه.

ثم قال: قال أبو مخنف جاءت عايشه إلى أمّ السلمه تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان، فقالت لها: يا بنت أبى اميّه أنت أوّل مهاجره فى أزواج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنت كبيره امّهات المؤمنين و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقسم لنا من بيتك و كان جبرئيل أكثر ما يكون فى منزلت فقالت: امّ السّلمه: لأمر ما قلت هذه المقاله؟ فقالت عايشه:

إنّ عبد اللّه أخبرنى أنّ القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما فى شهر حرام و قد عزمت الخروج إلى البصره و معى الزّبير و طلحه فاخرجى معنا لعلّ اللّه أن يصلح هذا الأمر على أيدينا و بنا.

فقالت انا امّ سلمه إنّك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقول فيه أخبث القول و ما كان أسمعه عندك إلاّ نعثلا و إنك لتعرفين منزله علىّ بن أبى طالب عليه السّلام كانت عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاذكرك؟ قالت: نعم.

قالت: أ تذكرين يوم أقبل عليه السّلام و نحن معه حتّى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلىّ عليه السّلام يناجيه فأطال فأردت أن تهجمين عليهما فنهيتك فعصيتنى فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكيه فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إنّى هجمت عليهما و هما يتناجيان، فقلت لعلىّ: ليس لى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إلاّ يوم من تسعه أيّام أ فما تدعنى يابن أبى طالب و يومى فأقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علىّ و هو غضبان محمّر الوجه فقال:

أرجعى و راءك و اللّه لا يبغضه أحد من أهل بيتى و لا من غيرهم من النّاس الاّ هو خارج من الايمان، فرجعت نادمه ساقطه.

فقالت عايشه: نعم اذكر ذلك.

قالت و اذكرك أيضا كنت أنا و أنت مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أنت تغسلين رأسه و انا احيس له حيسا(۱) و كان الحيس يعجبه فرفع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رأسه و قال: ليت شعرى أيتكنّ صاحب «صاحبه ظ» الجمل الاذنب(۲) تنبحها كلاب الحوئب فتكون ناكبه عن الصراط فرفعت يدى من الحيس فقلت أعوذ باللّه و برسوله صلّى اللّه عليه و آله من ذلك، ثمّ ضرب على ظهرك و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إياك أن تكونيها، ثمّ قال: يا بنت أبى اميّه إياك أن تكونيها، يا حميراء أما

۱- (۱) الحيس تمر يخلط بسمن و أقط فيعجن شديدا ثمّ يندر منه نواه و ربما جعل فيه السويق ق.

۲- (۲) فى نسخه ابن ابى الحديد التى عندى لفظ الاذنب بالذال و النون و لعلّه تصحيف و الصحيح ما فى القاموس قال و الادب الجمل الكثير الشعر و باظهار التضعيف جاء فى الحديث صاحبه الجمل الاديب منه.

أنّی فقد أنذرتک.

قالت عایشه؟ نعم اذکر هذا.

قالت و اذکرک أیضا کنت أنا و أنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی سفر له و کان علیّ یتعاهد نعلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیخصفها و یتعاهد أثوابه فیغسلها، فبقیت له نعل یومئذ یخصفها و بعد فی ظلّ سمره(۱) و جاء أبوک و معه عمر فاستأذنا علیه فقمنا إلی الحجاب و دخلا یحادثاه فیما أرادا، ثمّ قالا: یا رسول اللّه إنا لا ندری قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من یستخلف علینا لیکون بعدک لنا مفزعا، فقال لهما: أما أنّی أری مکانه و لو فعلت لتفرّقتم عنه کما تفرّقت بنو اسرائیل عن هارون بن عمران، فسکتا ثمّ خرجا، فلما خرجنا إلی رسول اللّه قلت له: و کنت أجره علیه منّا من کنت یا رسول اللّه مستخلفا علیهم؟ فقال علیه السّلام: خاصف النّعل، فنزلنا و لم نر أحدا إلاّ علیا، فقلت: یا رسول اللّه ما نری إلاّ علیّا، فقال: هو ذاک.

فقالت عایشه: نعم اذکر ذلک.

فقالت فأیّ خروج تخرجین بعد هذا؟ فقال: إنّما أخرج للاصلاح بین النّاس و أرجو فیه الأجر إن شاء اللّه، فقالت: أنت و رأیک فانصرفت عایشه عنها فکتبت أمّ سلمه ما قالت و قیل لها إلی علی.

قال الشّارح بعد نقل هذه الرّوایه: فان قلت فهذا نصّ صریح فی إمامه علیّ علیه السّلام فما تصنع أنت و أصحابک المعتزله فیه؟ قلت: کلاّ إنّه لیس بنصّ کما ظننت لأنّه لم یقل قد استخلفت و إنّما قال لو استخلفت أحدا لاستخلفته، و ذلک لا یقتضی حصول الاستخلاف و یجوز أن یکون مصلحه المسلمین متعلّقه بالتّعب علیه لو کان النبیّ مأمورا بأن ینصّ علی إمام بعینه من بعده فیکون من مصلحتهم أن یختاروا لأنفسهم من شاءوا إذا ترکهم النبیّ و أراهم و لم یعیّن أحدا.

ثمّ قال: قال أبو مخنف: و ارسلت إلی حفصه تسألها الخروج و المسیر فبلغ

۱- (۱) واحد سمر شجر معروف، ق.

ذلک عبد اللّه بن عمر فأتی اخته فعزم علیها فأقامت و حطت الرّحال بعد ما همّت.

قال: و کتب الأشتر من المدینه إلی عایشه و هی بمکه: أمّا بعد فانّک ظعینه رسول اللّه و قد أمرک أن تقری فی بیتک فان فعلت فهو خیر لک، فان أبیت إلّا أن تأخذ منسئتک(۱) و تلقی جلبابک و تبدی للنّاس شعیراتک قاتلتک حتّی أردّک إلی بیتک و الموضع الذی یرضاه لک ربک.

فکتبت إلیه فی الجواب أما بعد فانّک أوّل العرب شبّ الفتنه و دعا إلی الفرقه و خالفت الأئمه و قد علمت أنّک لن تعجز اللّه حتّی یصیبک منه بنقمه ینتصر بها منک للخلیفه المظلوم، و قد جائنی کتابک و فهمت ما فیه و سیکفیّنک و کلّ من أصبح مماثلا لک فی ضلالک و غیک إنشاء اللّه.

قال ابو مخنف: لما انتهت عایشه فی مسیرها إلی الحوئب و هو ماء لبنی عامر ابن صعصعه نبحتها الکلاب حتّی نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها ألا ـ ترون ما أکثر کلاب الحوئب و ما أشد نباحها، فأمسکت زمام بعیرها و قالت: و إنّها لکلاب الحوئب ردّونی ردّونی فانّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول، و ذکرت الخبر، فقال قائل. یرحمک اللّه فقد جزنا ماء الحوئب فقالت فهل من شاهد؟ فلفّقوا لها خمسین أعرابیّا جعلوا لهم جعلا فحلفوا أنّ هذا لیس بماء الحوئب فسارت لوجهها.

انتهی ما أهمّنا نقله من کلامه هبط مقامه.

أقول لا یخفی علی الناقد البصیر و الذّکیّ الخبیر المراقب للعدل و الانصاف و المجانب للتّعصب و الاعتساف وجوه الدّلاله فیما أورده الشّارح و رواه علی مطاعن عایشه امّ الفاسقین و فضایح المتخلّفین الذینهم أئمّه النّار و جنود ابلیس اللعین، و لا یخفی علیه أیضا عصبیّه الشّارح و من حذا حذوه من أصحاب المعتزله فی حقّ الخاطئه و أولیائهم الثلاثه و لا بأس بالتّنبیه علی بعض تلک الوجوه فأقول:

اولا أنّ ما ذکره من خطاء الخاطئه مسلّم و ما عقّبه به من توبتها و کونها من أهل الجنّه ممنوع و لا بدّ للمدّعی لها من الاثبات و أنّی لهم بذلک، بل الظاهر من

۱- (۱) ای العصا.

حالات عایشه و فرط بغضها و شدّه عداوتها لعلیّ هو العدم و یؤیّد ذلک أنها کانت فی مقام اللجاجه و العداوه مع خلیفتهم عثمان حتّی سمته نعثلا، و النّعثل علی ما فی القاموس الشّیخ الأحمق و یهودیّ کان بالمدینه و رجل لحیانی کان یشبه به عثمان اذا نیل منه و کانت تقول: اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا، و کانت باقیه علی عداوتها بعد وفاته أیضا حیث إنّها کانت تقول بعدا لنعثل و سحقا و تقول أبعده اللّه ذلک بما قدّمت یداه و ما ربّک بظلّام للعبید، و کذلک نار غضبها و نایره حسدها لأمیر المؤمنین علیه السّلام لم تکن بحیث تطفی.

یدلک علی ذلک ما رواه الحمیدی فی الجمع بین الصّحیحین أنّ ابن الزّبیر دخل علی عایشه فی مرضها فقالت له إنّی قاتلت فلانا و سمت المقاتل برجل قاتلته و قالت لوددت أنّی کنت نسیا منسیّا، فانّ تعبیرها عنه علیه السّلام بالرّجل و بفلان من دون أن یذکر لقبه الشّریف أو اسمه السّامی مقرونا بالتعظیم تدلّ علی فرط عصبیّتها و استنکافها من التّصریح بالاسم و اللقب.

و أظهر من ذلک ما رواه الشّارح فی هذا المقام من أنّه لمّا بعث أمیر المؤمنین ابن عبّاس بعد انقضاء حرب الجمل إلی عایشه یأمرها بالرّحیل إلی المدینه قال لها:

إنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام أرسلنی إلیک یأمرک بالرّحیل إلی المدینه فقالت: و أین أمیر المؤمنین ذاک عمر، فقال: عمر و علیّ، قالت: اثبت إلی أن قالت إنّی معجله الرّحیل إلی بلادی انشاء اللّه و اللّه ما من بلد أبغض من بلد أنتم فیه.

فانّ استکراهها من إطلاق لفظ أمیر المؤمنین علیه الذی لقّبه اللّه تعالی به و أمر رسوله بأن یأمر أصحابه علی السّلام علیه بامره المؤمنین، علی ما ورد فی غیر واحد من الرّوایات، دلیل علی کراهتها لحکم اللّه و إنکارها لأمر رسوله و ما ذلک إلّا من فرط الحقد و الحسد.

و ببالی انّی رأیت فی بعض الرّوایات(۱) أنّها سمّت بعد وفات أمیر المؤمنین

۱- (۱) و هو روایه مسروق المرویه فی البحار من تلخیص الشافی قال روی عن مسروق انه قال دخلت علی عایشه فجلست الیها فحدثتنی و استدعت غلاما لها اسود یقال له عبد الرحمن فجاء حتی وقف فقالت یا مسروق أ تدری لم سمیته عبد الرحمن فقلت لا فقالت حبا منّی بعبد الرحمن بن ملجم منه.

و شهادته أحد غلمانه عبد الرّحمن أخذا من اسم عبد الرّحمن قاتل أمير المؤمنين شعفا بقتله و تيمّنا باسمه.

و هنا لطيفه و هی أنّ بهلول العاقل مرّ يوما بجماعه يذاكرون الحديث و يروون عن عايشه أنّها قالت: لو أدركت ليله القدر لما سألت ربّی إلاّ العفو و العافيه، فقال بهلول: و الظفر بعلیّ بن ابی طالب، يعنی أنّها كانت أهمّ مسئولاتها الظفر عليه عليه السّلام.

هذا كلّه مضافا إلى أنّ توبتها لا يمكن أن تحصل بمجرّد النّدم على الخروج من البيت و الحرب بل يتوقف على التّفصی عمّا أراقها من دماء المسلمين من الأنصار و المهاجرين و ما نهبت من بيت مال المسلمين إلى غير ذلک من المفاسد و المظالم، و لم يتحقّق منها شیء من ذلک و أنّی لها بذلک.

و ثانيا أنها إن كانت صادقه فی قولها أنّ عثمان قد أبلی سنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فعليه لعنه اللّه، و إن كانت كاذبه فعليها غضب اللّه.

و ثالثا أنّ اللازم عليها أن تكون سالما لمن سالمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و حربا لمن حاربه محبّه لمن أحبّه و مبغضه لمن أبغضه و شعفها بكون الخلافه لطلحه و استنكافها من كونها لأمير المؤمنين يدلّ على عكس ذلک.

و ذلک لأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله توفّی و هو ساخط على طلحه للكلمه التی قالها يوم نزلت آيه الحجاب على ما قدّمنا روايتها فی تذييل الثانی من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبه الثالثه، و فی الطعن الثالث عشر من مطاعن عثمان التی أوردنا فی التذييل الثانی من تذييلات كلامه الثالث و الأربعين و مات و هو راض عن أمير المؤمنين عليه السّلام فكانت عايشه ساخطه لأمير المؤمنين راضيه عن طلحه موذيه لرسول اللّه مخالفه لرأيه طارحه للغيره و الحميه.

و رابعا أنّ هجومها على رسول اللّه و علیّ حين ما يتناجيان و قولها لعلیّ

ليس لى من رسول اللّه إلّا يوم من تسعه أيام أ فما تدعنى يابن أبى طالب و يومى، يدلّ على قلّه حيائها و عدم مبالاتها.

و خامسا أنّ قول رسول اللّه لها و هو غضبان محمرّ الوجه: ارجعى ورائك و اللّه لا يبغضه أحد من أهل بيتى و لا من غيرهم من الناس إلاّ و هو خارج من الايمان، تدلّ على كونها مبغضه لأمير المؤمنين عليه السّلام خارجه من الايمان و رجوعها بعد إلى الايمان محتاج إلى البينه و البرهان و لم يثبت بالبديهه و العيان.

و سادسا أنّ سؤال رجلين عن رسول اللّه من الخليفه و الخلافه فى حال السفر مع عدم اقتضاء الحال و المقام لذلك لما عليهم من تعب السفر و وصيته إمّا أن يكون رعايه لمصلحه الاسلام و إشفاقا للامه و شدّه فى الدّين و الايمان أم استخبارا من وقت وفات الرّسول و تحصيلا للعلم بأنّهما متى يكونان مطلقى العنان، أم طمعا منهما فى الخلافه و حرصا فى الولايه و رجاء لأن ينصّ على أحدهما و يبدى البيان.

لا سبيل إلى الأوّل حتما زعمه الشّارح المعتزلى و صرّح به فى كلامه الذى حكيناه فى أواخر المقدّمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الشّقشقيه و فى غيره من كلماته أيضا فى تضاعيف الشّرح إذ لو كان غرضهما الرّعايه لجانب الدّين و الشّفقه على الامّه كان اللازم عليهما الاصرار على السؤال و الاكمال فى الكلام حتّى يسفر لهما وضح الحقّ، و كان ينبغى لهما بعد ما اجاب لهما رسول اللّه بقوله: إنّى قد أرى مكانه و لو فعلت لتفرّقتم عنه أن يقولا: دلّنا يا رسول اللّه على مكانه نعرفه و تلازمه و كيف يمكن أن نتفرّق عنه بعد تعيينك إيّاه و أمرك باتّباعه، فلمّا لم يصرّا على السؤال و لم يتفوّها بشىء من ذلك و سكتا و خرجا بمجرّد أن قال لهما رسول اللّه: أرى مكانه علم أنّ غرضهما لم يكن الاشفاق على الامه و لحاظ مصلحه الاسلام و إنّما كان الطمع فى الخلافه فلمّا قال أرى مكانه يأسا منهما و علما أنّ الخليفه غيرهما فسكتا و خرجا و سابعا أنّ قوله: لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو اسرائيل عن هارون، لا يخفى ما فى هذا التّشبيه من النكته، فانّ هارون كان وصىّ موسى و بنو اسرائيل قد تفرّقوا عنه و اتخذوا عجلا جسدا له خوار، لا يكلّمهم و لا يهديهم سبيلا فأظهر

ص:٣٢٢

صلوات اللّه عليه بهذا الكلام ما فى قلبهما من النّفاق و أعلمهم أنّهم يتفرّقون عن وصيّه و لا يطيعون أمره كما خالف بنو اسرائيل موسى و تفرّقوا عن هارون.

و ثامنا أنّ إنكار الشّارح لدلاله الرّوايه على خلافه أمير المؤمنين لا معنى له، إذ قوله: لو فعلت لتفرّقتم و إن لم يكن مستلزما لوقوع الفعل إلاّ أنّ الضّمير فى أرى مكانه راجع إلى المسئول عنه و قد سألا عن المستخلف و المفزع فقال: أرى مكانه فيدلّ على أنّ المستخلف و المفزع كان موجودا حين السؤال و إلاّ لزم أن يكون كلامه غير مطابق للواقع و نعوذ باللّه من ذلك.

و هذا كلّه بعد الغضّ عن صحّه الرّوايه و عن تصحيف العامه فيها و إلاّ فقد قدّمنا هذه الرّوايه من الاحتجاج فى التّنبيه الثّانى من تنبيهات الكلام الثالث عشر و فيها أنّهما قالا: يا رسول اللّه فهل استخلفت أحدا؟ قال: ما خليفتى فيكم إلاّ خاصف النّعل فمرّا على علىّ و هو يخصف نعل رسول اللّه، و عليه فالرّوايه ناصّه على خلافته من هذه الجهه أيضا.

و تاسعا ما زعمه الشّارح من جواز كون المصلحه فى اختيار الامّه لأنفسهم من شاءوا و ترك النبىّ لهم فآرائهم فاسد جدا، إذ قد أثبتنا فى المقدمه الثّانيه من مقدّمات الخطبه الشّقشقيّه وجوب عصمه الامام، و العصمه ملكه خفيّه لا يمكن أن يبلغها الجهّال و الضّلال و يدركوها بأوهامهم فيقيموا إماما بآرائهم.

و قد مرّ فى شرح الخطبه الثّانيه إبطال الرّضا عليه السّلام لهذا الزّعم الفاسد و الرّأى الكاسد حيث قدّمنا هناك منه روايه شريفه فى معرفه شأن الامام و قوله عليه السّلام فيها: إنّ الامامه أجلّ قدرا و أعظم شأنا و أعلا مكانا و أمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها النّاس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم إلى آخر ما قاله، و فيه كفايه لمن له علم و درايه هذا.

و قد مرّ فى شرح الكلام الثالث عشر بعض مطاعن عايشه و شطر من الكلام فيها فليراجع ثمّه.

ص:٣٢٣

الترجمه

از جملهٔ خطبه های آن حضرتست بعد از انقضاء حرب جمل در مذمت زنان می فرماید و مقصود آن حضرت طعن بر عایشه بود و توبیخ باهل بصره که تابع آن خاطئه بودند:

جماعه مردمان بدرستی که طایفهٔ زنان ناقص الایمانند و ناقص النصیبند و ناقص العقلند أما نقص ایمان ایشان پس نشستن ایشان است از نماز و روزه در ایام حیضشان، و أما نقصان عقل ایشان پس شهاده دو زن مثل شهادت یک مرد است، و أما ناقص بودن نصیب ایشان پس میراثهای ایشان بر نصفهاست از میراث مردان، پس بترسید از بدترین زنان و بباشید از خوبترین آنها بر حذر، و اطاعت نکنید آنها را در کارهای پسندیده تا این که طمع ننمایند در کارهای ناپسندیده، و نعم ما قیل:

زن بد در سرای مرد نکو هم درین عالمست دوزخ او

زینهار از قرین بد زنهار و قنا ربّنا عذاب النّار

و من خطبه له علیه السلام و هی الثمانون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

أیّها النّاس الزّهاده قصر الأمل، و الشّکر عند النّعم، و الورع عند المحارم، فإن عزب ذلک عنکم فلا یغلب الحرام صبرکم، و لا تنسوا عند النّعم شکرکم، فقد أعذر اللّه إلیکم بحجج مسفره و کتب بارزه العذر واضحه.

اللغه

(الزّهاده) کسعاده و الزّهد بمعنی و هو ترک المیل إلی الشیء و فی الاصطلاح

ص:۳۲۴

إعراض النّفس عن الدّنيا و طيّباتها، و قيل: هو ترك راحه الدّنيا طلبا لراحه الآخره و (عزب) الشيء بالعين المهمله و الزّاء المعجمه غاب و ذهب و (أعذر اللّه إليكم) أظهر عذره و الأظهر أن يكون الهمزه للسلب كما قيل فى الحديث: أعذر اللّه إلى من بلغ من العمر ستّين سنه، أى أزال عذره قال فى النّهايه أى لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدّه و لم يعتذر.

الاعراب

الواو فى قوله و الشكر و الورع عاطفه تفيد الجمع مع المصاحبه، قوله:

و كتب بارزه العذر واضحه، اعلم أنّه قد حقّق فى الأدبيّه أنّ النعت لا بدّ أن يطابق منعوته فى وجوه الاعراب الثلاثه الرّفع و النّصب و الجرّ و فى التّعريف و التنكير تقول جاء زيد الفاضل بالرّفع فيهما و جائنى رجل فاضل كذلك و هكذا.

و أن يطابقه فى الافراد و التّثنيه و الجمع و التذكير و التّأنيث أيضا إن اسند النّعت إلى ضمير المنعوت حقيقه أو تأويلا و نعنى بالاسناد الحقيقى ان يجرى النعت على من هوله، تقول جائتنى امرأه كريمه و رجل كريم و رجلان كريمان و رجال كرام و هكذا، ففى الوصف فى الجميع ضمير مستتر عايد إلى الموصوف باعتبار حاله فى التأنيث و نقيضه و الافراد و نقيضيه، و نعنى بالاسناد التأويلى أن يجرى النعت على غير من هو له إذا حوّل الاسناد عن الظاهر إلى ضمير المنعوت.

و جرّ الظاهر بالاضافه إن كان معرفه و نصب على التميز إن كان نكره تقول جائتنى امرأه كريمه الاب بالاضافه أو كريمه أبا بالتميز و جائنى رجلان كريما الاب أو كريمان ابا و رجال كرام الآباء أو كرام آباء فانّ الوصف فى جميع ذلك رافع ضمير الموصوف تحويلا و تأويلا.

و ان اسند النّعت إلى الاسم الظاهر أو إلى الضّمير البارز لا يلاحظ حال المنعوت فى الافراد و نقيضيه و التذكير و نقيضه بل يعطى الوصف حكم الفعل تقول:

مررت برجل قائمه امّه و بامرئه قائم أبوها كما تقول قامت امّه و قام أبوها و هكذا تقول أيضا جائنى غلام امرئه ضاربه هى و أمه رجل ضاربها هو، كما تقول ضربته هى

و ضربه هو و هكذا.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ قوله عليه السّلام بارزه العذر صفه للكتب مسند إلى ضمير موصوفه تأويلا، و قوله واضحه صفه أيضا لكنها مسنده إلى الضمير حقيقه أو محذوفه الفاعل بقرينه المذكور و لذلك وافقتا مع الموصوف فى الاعراب و التأنيث و التّنكير و انّما اتى بهما مفردا إمّا باعتبار فاعلهما أو باعتبار تأويل الموصوف بالمفرد فافهم.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبه بيان معنى الزّهد و التنبيه على لزومه لكونه من عظائم مكارم الصالحين و جلايل صفات المتّقين و عمده مقامات السالكين إلى اللّه تعالى بقدمى الطاعه و اليقين، و الرّغبه ضدّه و الأوّل من جنود العقل و الثّانى من جنود الجهل و قد فسّره بقوله (أيّها النّاس الزّهاده قصر الامل و الشّكر عند النّعم و الورع عن المحارم) و هذه الثّلاثه من لوازم الزّهد فيكون تعريفا بالخاصّه المركبه و إنّما قلنا إنّها من لوازمه لأنّ الزّهد فى الحقيقه عباره عن اعراض النّفس عن الدّنيا و إقبالها إلى الآخره، و من هنا قيل إنّه جعل القلب حيّا بمشاهده أحوال الآخره و ميّتا فى طمع الدّنيا، و من المعلوم أن إعراض النّفس عن الدّنيا مستلزم لقصر الأمل فيها، و الاقبال إلى الآخره مستلزم للشّكر إذ الكفران موجب للعذاب باعث للسّخط و العقاب كما قال تعالى:

«وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ ».

و كذلك يلزمه الورع عن المحارم و الكفّ عنها إذ لا ينال ما عند اللّه إلاّ بالورع قال الصّادق عليه السّلام فى روايه الوسايل: عليكم بالورع فانّه الدّين الذى نلازمه و ندين اللّه تعالى به و نريده ممّن يوالينا لا تتعبونا بالشّفاعه.

و فى حديث أبى ذر قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا أبا ذر من لم يأت يوم القيامه بثلاث فقد خسر، قلت: و ما الثلاث فداك أبى و امّى؟ قال: ورع يحجزه عمّا حرّم اللّه عزّ و جلّ عليه، و حلم يردّ به جهل السّفيه، و خلق يدارى به النّاس، هذا.

و لما كان ملازمه هذه الامور الثلاثه بأجمعها شاقّه صعبه فى حقّ الأغلب من النّاس لا جرم رخّص لهم فى طول الأمل بقوله (فان عزب) و بعد (ذلک عنکم فلا يغلب الحرام صبركم و لا تنسوا عند النّعم شكركم) يعنى أنّكم إن لم تتمكّنوا من الاتيان بالامور الثلاثه فلا محاله لا تتركوا الاثنين إذ ما لا يدرک كلّه لا يترک كلّه، و إنما رخّص فى ترک طول الأمل و لم يرخّص فى ترک الشّكر أو الورع لأنّ طول الأمل ليس محرما بالذّات و إن كان ينجرّ إلى المحرم احيانا بخلاف الكفران و التّقحم فى المحارم، فانّهما محرّمان بالذّات و التّرخيص فيهما موجب للاغراء بالقبيح.

ثمّ اكد ملازمه الزّهاده و علل لزومها بقوله (فقد أعذر اللّه اليكم بحجج مسفره و كتب بارزه العذر واضحه) يعنى أظهر عذره إليكم فى تعذيبكم لو خالفتم تكاليفه باقامه الحجج الظاهره المضيئه و إنزال الكتب الواضحه التى أبرز فيها عذره، «لِيَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ »، و «لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ».

أو أنّه سبحانه أزال عذره باقامه البراهين العقليّه و النقليه و الحجج الباطنيّه و الظاهريه فلم يبق لكم مقام للاعتذار و أن تقولوا يوم القيامه «رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى ».

تبصره

ينبغى أن نشير الى بعض ما ورد فى فضيله صفه الزهاده و ذمّ نقيضها أعنى الرغبه من الآيات و الأخبار و نردف ذلک بذكر اقسام الزّهد.

فأقول قال سبحانه:

«فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياهَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقّاها إِلَّا الصّابِرُونَ ».

ص:۳۲۷

فنسب الزّهد إلى العلماء و وصف أهله بالعلم، و هو غايه المدح و الثناء و قال:

«وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَياهِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقى » و قال «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَهِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ ».

و أما الاخبار ففى الكافى فى باب ذم الدّنيا و الزّهد فيها باسناده عن الهيثم بن واقد الحريرى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من زهد فى الدّنيا أثبت اللّه الحكمه فى قلبه و أنطق بها لسانه و بصّره عيوب الدّنيا دائها و دوائها و أخرجه من الدّنيا سالما إلى دار السّلام.

و عن حفص بن غياث عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سمعته يقول جعل الخير كلّه فى بيت و جعل مفتاحه الزّهد فى الدّنيا.

و عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام إنّ من أعون الأخلاق على الدّين الزّهد فى الدّنيا.

و عن علىّ بن هاشم بن البريد عن أبيه أنّ رجلا سأل علىّ بن الحسين عليهما السّلام عن الزّهد فقال: عشره أشياء فأعلى درجه الزّهد أدنى درجه الورع، و أعلى درجه الورع أدنى درجه اليقين، و أعلى درجه اليقين أدنى درجه الرّضا ألا و إنّ الزّهد فى آيه من كتاب اللّه عزّ و جلّ:

«لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ ».

و عن سفيان بن عيينه قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام و هو يقول: كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، و إنّما أرادوا بالزّهد فى الدّنيا لتفرغ قلوبهم فى الآخره

و عن محمّد بن مسلم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السّلام إنّ علامه الرّاغب فی ثواب الآخره زهده فی عاجل زهره الحیاه الدّنیا، أما إنّ زهد الزّاهد فی هذه الدّنیا لا ینقصه ممّا قسم اللّه عزّ و جلّ له فیها و إن زهد، و إنّ حرص الحریص علی عاجل زهره الدّنیا لا یزیده فیها و إن حرص، فالمغبون من حرّم حظّه من الآخره.

الی غیر ما فی هذا المعنی من الرّوایات، و قد عقد فی الکافی با بالها و مضی شطر منها فی شرح الخطبه الثامنه و العشرین اذا عرفت ذلک فلنذکر اقسام الزّهد.

فأقول انّه ینقسم علی ما ذکره أبو حامد الغزالی فی احیاء العلوم، تاره بالنظر الی نفسه، و اخری بالنّظر الی المرغوب فیه، و ثالثه بالنّظر الی المرغوب عنه.

اما الاول فهو انّه یتفاوت بحسب الشدّه و الضّعف و الکمال و النقصان علی مراتب ثلاث.

المرتبه الاولی و هی السّفلی أن یزهد فی الدّنیا و هو لها راغب و القلب الیها مایل و نفسه لها مشتهیه و لکنّه یجاهدها و یکفّها و هذا یسمّی المتزّهد.

المرتبه الثّانیه ترک الدّنیا طوعا لاستحقاره إیّاها بالاضافه إلی ما طمع فیه کالذی یترک درهما لأجل درهمین فانّه لا یشقّ علیه ذلک و إن کان یحتاج إلی انتظار قلیل و لکن هذا الزّاهد لا محاله یری زهده و یلتفت إلیه، و یکون معجبا بنفسه و یزهده و یظن فی نفسه أنّه ترک شیئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه.

المرتبه الثالثه و هی العلیا الزّهد طوعا و الزّهد فی الزهد بأن لا یری زهده إذ لا یری أنّه ترک شیئا لمعرفته بأنّ الدنیا لا شیء کمن ترک قذره و أخذ جوهره فلا یری ذلک معاوضه و لا یری نفسه تارکا شیئا إذا لدنیا بالنّسبه الی الآخره أخسّ من قذره بالنّسبه إلی الجوهره فهذا هو الکمال فی الزّهد و سببه کمال المعرفه.

و اما الثانی فهو أنّه ینقسم بالنّسبه إلی المرغوب فیه أیضا علی ثلاث مراتب.

المرتبه الاولی أن یکون المرغوب فیه النّجاه من النّار و من سایر الآلام

كعذاب القبر و طول الحساب و خطر الصراط و ساير ما بين يدى الانسان من الأهوال على ما وردت فى الأخبار.

المرتبه الثانيه أن يكون المرغوب فيه اللذائذ الموعوده و النعم الموجوده فى الجنّه من الحور و القصور و الأنهار و الأثمار و ساير ما أعدّت للمتقين و هذا زهد الراجين فانّهم لم يتركوا الدنيا قناعه بالعدم و خلاصا من الألم و إنّما تركوها رغبه فى وجود دائم و طمعا فى نعمه غير منقطعه.

المرتبه الثالثه أن لا يكون له رغبه إلاّ فى اللّه و فى لقائه فلا يكون له توجّه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها، و لا التفات إلى النعم ليقصد الفوز بها، بل هو مستغرق الهمّ باللّه و هو الذى أصبح و همّه هم واحد، و هو الموحّد الحقيقى الذى لا يطلب غير اللّه إذ طلب غيره سبحانه لا يخلو من شرك خفىّ.

و هذه المرتبه مختصّه بالتّأمين فى المحبه و الكاملين فى مقام الرّضا، و ليس غرضهم إلاّ تحصيل الرّضوان و لا لهم نظر إلى الحور و القصور و ساير اللذائذ الموجوده فى الجنان لأنّ لذايذ الجنّه كلّها عندهم بالنسبه إلى لذّه الاستغراق و الفناء مثل لذّه اللعب بالعصفور و الاستيلاء عليه بالنّسبه إلى لذّه الملك و الاستيلاء على أطراف الأرض و رقاب الخلق، و الطالبون لنعيم الجنه عند أهل المعرفه و الكمال كالصبىّ الطالب للّعب بالعصفور التارك للذّه السّلطنه و الملك من حيث قصوره عن ادراك هذه اللذه و إلى هذه أشير فى قوله:

«وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ».

اى الرّضوان من اللّه اكبر من جميع ما فى الجنات من اللذات و هو الفوز العظيم اذ هو غايه كلّ لذّه و منتهى كلّ سعاده يستحقر دونه كلّ بهجه.

ص:۳۳۰

و اما الثالث أعنى الانقسام بالنّسبه إلى المرغوب عنه فنقول: إنّ الأقسام بالنّسبه إلى ذلك كثيره غير محصوره إلاّ أنّ هناك مجامع محيطه بها إجمالا و هى أيضا متفاوته المراتب بعضها أجمل و بعضها أشرح لآحاد الأقسام و أقرب إلى التفصيل.

أمّا الاجمال فى الدّرجه الأولى فهو كلّ ما سوى اللّه فينبغى أن يزهد فيه حتّى يزهد فى نفسه أيضا.

و أمّا الاجمال فى الدّرجه الثّانيه فهو أن يزهد فى كلّ صفه للنّفس فيها تمتع و شهوه، و هذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوه و الغضب و الكبر و الرّياسه و المال و الجاه و غيرها.

و أمّا الاجمال فى الدّرجه الثّالثه فهو أن يزهد فى المال و الجاه و أسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النّفس.

و أما الاجمال فى الدّرجه الرّابعه فهو أن يزهد فى العلم و القدره و الدّينار و الدرهم و الجاه إذ الأموال و إن كثرت أصنافها فيجمعها الدّينار و الدرهم، و الجاه و إن كثرت أسبابه فيرجع الى العلم و القدره و أعنى به كلّ علم و قدره يتعلّق بملك القلوب فانّ المقصود بالجاه ملك القلوب و القدره و الاستيلاء عليها مع الشّعور بذلك كما أنّ المقصود بالمال ملك الأعيان و القدره عليها، فان جاوزنا عن هذا التفصيل الاجمالى إلى شرح و تفصيل أبلغ من ذلك يكاد يخرج ما فيه الزّهد عن الحصر، و قد ذكر اللّه تعالى فى آيه واحده سبعه منها فقال:

«زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ».

ثمّ ردّها فی آیه اخری إلی خمسه فقال عزّ و جلّ:

«أَنَّمَا الْحَیاهُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَهٌ وَ تَفاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ ».

ثمّ ردّها فی موضع آخر الی اثنین فقال تعالی:

«إِنَّمَا الْحَیاهُ الدُّنْیا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ ».

ثمّ ردّ الکلّ الی واحد فقال:

«وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِیَ الْمَأْوی ».

فالهوی لفظ جامع لجمیع حظوظ النّفس فی الدّنیا فینبغی أن یکون الزّهد فیه، فأعلی مراتب الزهد بالنّسبه إلی المرغوب عنه هو الزّهد عن ما سوی اللّه، و بعدها الزّهد عن حظوظ النّفس و أدناها الزّهد عن المحرمات الشّرعیّه، و اللّه ولیّ التّوفیق.

الترجمه

از جملۀ خطب آن مقتدای عالمیان است که ترغیب فرموده مردم را بآن بورع و زهادت و شکر و سپاس حضرت عزت باین نحو که:

أی مردمان زاهد بودن کوتاهی آرزوهاست و شکر کردن است بر نعمتها و پرهیزکاریست از حرامها، پس اگر بعید باشد استجماع این امور از شما پس لازم است که غالب نشود حرام صبر شما را و فراموش ننمائید نزد نعمتها شکر گذاری خود را، پس به تحقیق که اظهار فرمود حضرت کردگار عذر خود را بسوی شما در تعذیب شما بحجتهای روشن و نمایان و کتابهای سماویه که عذر آن ظاهر است و عیان در میان مردمان.

و من كلام له عليه السلام فى صفه الدنيا

اشاره

و هو الحادى و الثمانون من المختار فى

باب الخطب

ما أصف من دار أوّلها عناء، و آخرها فناء، فى حلالها حساب، و فى حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن، و من ساعاها فاتته، و من قعد عنها و اتته، و من أبصر بها بصّرته، و من أبصر إليها أعمته.

قال السّيد: أقول: و إذا تأمّل المتأمل قوله عليه السّلام: من أبصر بها بصّرته، وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا يبلغ غايته و لا يدرك غوره، و لا سيّما اذا قرن إليه قوله: و من أبصر إليها أعمته، فانّه يجد الفرق بين أبصر بها و أبصر اليها واضحا نيّرا و عجيبا باهرا.

اللغه

(العناء) بالمدّ التّعب و المشقه و (فتن) بالبناء على المجهول من الفتنه بمعنى الضلاله و (حزن) بالبناء على المعلوم من باب فرح (و اتته) من المواتاه قال الطريحى:

و هو حسن المطاوعه و الموافقه و أصله الهمزه خفف و كثر حتى يقال بالواو الخالصه و منه الحديث: خير النساء المواتيه لزوجها، و فى المصباح اتيته على الأمر وافقته و فى لغه لأهل اليمن تبدل الهمزه واوا فيقال و اتيته على الأمر مواتاه و هى المشهوره على ألسنه الناس و (الغور) بالفتح من كلّ شيء قعره.

الاعراب

الضـمير فی قوله فاتته منصوب المحلّ بنزع الخافض أی فاتت منه، و الباء فی قوله من أبصـر بها للاسـتعانه أعنی الداخله علی آله الفعل، و تعدیه أبصـر بالحرف فی قوله و من أبصـر إلیها مع کون الفعل فی أصله متعدّیا بنفسه إمّا من أجل تضمینه معنی التّوجه و الالتفـات، أو من أجـل تضـمین معنی النظر و الأوّل أنسب و أقرب لزیاده ظهور الفرق الـذی أشار الیه السّـید بین الفعلین أعنی الجملتین علی ذلـک، و ان کـان الثّـانی صـحیحا أیضـا، و غایته و غوره إمّا بالرفع علی النیابه عن الفاعل و إمّا بالنّصب علی کون الفعلین مبنیّا للمعلوم و فاعلهما الضّمیر المستتر الرّاجع إلی المتأمل.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام له علیه السّلام مسوق للتنفیر عن الدّنیا و الذمّ لها و قد ذکر من أوصافها امورا عشره.

الأوّل قوله (ما أصف من دار أوّلها عناء) أی مشقّه و تعب و ذلک لأنّ مبدء نشور الانسان علی ما حقّق فی الطب هو الماء الدافق یخرج من بین الصّـلب و التّرائب، و ذلک الماء إذا وقع فی الرّحم اختلط بماء المرأه و دمها و غلظ ثمّ الرّیـح یمخض ذلک الماء حتّی یترکه کـالرّائب الغلیـظ، ثمّ یقسـمه فی الأعضاء، فان کان ذکرا فوجهه قبل ظهر امّه، و إن کان انثی فوجهها قبل بطن امّها و ذقنه علی رکبتیه و یداه علی جنبیه مقبض فی المشـیمه کأنّه مصرور فی صرّه و یتنفّس من متنفّس شاقّ و لیس منه عضو الاّ کأنه مقموط (1) فـوقه حرّ البطـن و تحته مـا تحته، و هـو منـوط بمعـاء من سـرّته إلی سرّه امّه و منهـا یمتصّ و یعیش من طعـام امّه و شرابها.

فهو بهـذه الحـاله فی الغمّ و الظلمـات و الضـیق حـتّی إذا کـان وقت ولاـدته سـلط اللّه الرّیـح علی بطن امّه و قوی علیه التحریک فتصوب رأسه قبل المخرج فیجد من ضیق المخرج و عصره ما یجده صاحب الرّهق، فاذا وقع علی الأرض فأصابته ریح أو مسّته

۱- (۱) هو من القماط و هی الخرقه العریضه التی یقمط أی یشدّ بها الصبیّ، لغه.

يد وجد من ذلك من الألم ما لا يجده من سلخ جلده.

ثمّ هو فى ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام و إن عطش فليس له استسقاء أو وجع فليس له استغاثه مع ما يلقاه من الرفع و الوضع و اللف و الحلّ إذا انيم على ظهره لا يستطيع تقلبا أو اقعد لا يستطيع تمدّدا.

فلا يزال فى أصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا أفلت من ذلك اخذ بعذاب الأدب فاذيق منه ألوانا، و إذا أدرك فهم المال و الأولاد و الشّره و الحرص و مخاطره الطلب و السعى.

و كلّ هذا يتقلّب فيها معه أعدائه الأربعه: المرّه و البلغم و الدّم و الرّيح، و السم المميت و الحيات اللاذعه مع خوف السّباع و الناس و خوف البرد و الحرّ ثمّ ألوان أوصاب الهرم إن بلغه.

(و) الثانى انّ (آخرها فناء) إذ كلّ نفس ذائقه الموت، مشرفه على الفوت و مفارقه للأهل و الأولاد مهاجره عن الوطن و البلاد، و كلّ شيء هالك إلّا وجهه و كلّ إنسان ملاق ربه.

و الثالث أنّه (فى حلالها حساب) قال سبحانه:

«إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » و قال أيضا «وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ » و قال «وَ وَجَدَ اللّهَ عِنْدَهُ فَوَفّاهُ حِسابَهُ وَ اللّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ ».

قال الطبرسى لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على أفعالهم فى حاله واحده و سئل أمير المؤمنين عليه السّلام كيف يحاسبهم فى حاله واحده؟ فقال: كما يرزقهم فى حاله واحده.

و اعلم أنّ الحساب فى القيامه مما يجب أن يؤمن به و أما أنّ المحاسب عليه و المسئول عنه ما ذا فقد اختلف فيه الأخبار فبعضها كالآيات وارده على نحو العموم أو الاطلاق و بعضها مخصوصه أو مقيّده.

ففی النبویّ المعروف بین الخاصّه و العامّه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لا یزال قدم عبد یوم القیامه من بین یدی اللّه عزّ و جلّ حتی یسأل عن أربع خصال: عمرک فیما أفنیته و جسدک فیما أبلیته، و مالک من أین اکتسبته و أین وضعته، و عن حبّنا أهل البیت، فقال عمر بن الخطاب: و ما علامه حبّکم یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟ فقال: محبّه هذا، و وضع یده علی رأس أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و روی الصّدوق باسناده عن ابراهیم بن العباس الصّولی قال: کنّا بین یدی علیّ بن موسی الرّضا علیهما السلام فقال: لیس فی الدّنیا نعیم حقیقیّ، فقال له بعض الفقهاء ممن بحضرته: قول اللّه عزّ و جلّ:

«ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ ».

أما هذا النعیم فی الدّنیا و هو الماء البارد، فقال له الرّضا علیه السّلام و علا صوته، هکذا فسّرتموه أنتم و جعلتموه علی ضروب فقالت طائفه: هو البارد من الماء، و قال غیرهم هو الطعام الطیب، و قال آخرون: هو النوم الطیب.

و لقد حدّثنی أبی عن أبیه أبی عبد اللّه صلّی اللّه علیه و آله إنّ أقوالکم هذه ذکرت عنده فی قوله تعالی:

«لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ ».

فغضب و قال: إنّ اللّه تعالی لا یسأل عباده عمّا تفضّل علیهم به و لا یمنّ بذلک علیهم و الامتنان مستقبح من المخلوقین فکیف یضاف إلی الخالق عزّ و جلّ ما لا یرضی به للمخلوقین، و لکن النعیم حبّنا أهل البیت و موالاتنا یسأل اللّه عنه بعد التّوحید و النبوّه لأنّ العبد إذا وافی بذلک أداه الی نعیم الجنّه الذی لا یزول.

و لقد حدّثنی بذلک أبی عن محمّد بن علیّ عن أبیه عن الحسین بن علیّ عن أبیه علیهم السلام أنّه قاله و قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: یا علی أول ما یسأل عنه العبد بعد موته شهاده أن لا إله إلا اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه و أنک ولیّ المؤمنین بما جعله اللّه «فجعلته خ» لک فمن أقرّ

بذلک و کان معتقده صار إلی النّعیم الذی لا زوال له.

و فی جامع الأخبار و غیره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إذا کان یوم القیامه أمر اللّه تعالی منادیا فینادی أین الفقراء؟ فیقوم عنق من النّاس فیؤمر بهم إلی الجنّه فیقول خزنه الجنّه قبل الحساب. فیقولون ما اعطونا شیئا فیحاسبونا علیه، فیقول اللّه تعالی:

صدقوا عبادی ما أفقرتکم هوانا بکم و لکن ادّخرت بهذا لکم بهذا الیوم، انظروا او تصفّحوا وجوه النّاس فمن أتی إلیکم معروفا فخذوا بیده و ادخلوا الجنّه.

و عن الارشاد عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم تدخل الفقراء علی الجنّه قبل الأغنیاء بنصف یوم و مقداره خمسمائه عام هذا.

و قال المحدّث المجلسی فی کتاب حقّ الیقین: إنّ المعلوم من الآیات و الأخبار أنّ الحساب و السّؤال حقّ و أما الخصوصیّه فی المسئول و المسئول عنه و المحاسب و المحاسب علیه فغیر معلومه.

فذهب جمع إلی أنّ السّؤال من جمیع النّعم و الأموال الدّنیویه، و یدلّ علیه الأخبار الخاصیّه و العامیّه الدّاله علی أنّ فی حلالها حسابا و فی حرامها عقابا، و المستفاد من طائفه من الرّوایات أنّ المؤمن لا حساب علیه، و فی بعضها أنّه لا حساب فی المأکول و الملبوس و المنکوح، و یستفاد من بعض الأخبار أنّ قوما یدخلون الجنّه بغیر حساب کما مرّ فی روایه جامع الأخبار و من بعضها أنّ بعض الأعمال الصّالحه یوجب دخول صاحبه علی الجنه بلا حساب، فهذه مخصوصه لعمومات أدلّه الحساب.

و یمکن الجمع بین الرّوایات بوجهین.

أحدهما حمل الأخبار النّافیه للحساب علی انتفائه فی حقّ المؤمن و الأخبار المثبته علی ثبوته فی حقّ غیر المؤمن.

و الثانی حمل الأخبار الاوله علی عدمه فی الامور الضّروریه مثل الثلاثه السّابقه و حمل الأخبار الثّانیه علی وجوده فی غیر الامور الضّروریه کالاسراف و التّبذیر و الصّرف فی المحرّمات و الکسب من غیر الوجوه المشروعه أو زایدا علی

قدر الحاجه الموجب تحصيله لتضييع العمر و تفويت الزّمان فافهم.

(و) الرّابع أنّه (فی حرامها عقاب) و هو واضح لا غبار علیه، و إلی هذا الوصف و سابقه نظر الشّاعر فی قوله:

الدّهر یومان فیوم مضی عنک بما فیه و یوم جدید

حلال یومیک حساب و فی حرام یومیک عقاب شدید

تجمع ما یأکله وارث و أنت فی القبر وحید فرید

انّی لغیر واعظ تارک نفسی و قولی من فعالی بعید

حلاوه الدّنیا و لذّاتها تکلّف العاقل ما لا یرید

الخامس انّ (من استغنی فیها فتن) لأنّ الاستغناء شاغل عن ذکر اللّه مضلّ عن سبیل اللّه فهو بلاء ابتلاه اللّه به کما نطق به القرآن الکریم.

«اِعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ وَ أَنَّ اللّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ».

(و) السّادس انّ (من افتقر فیها حزن) لظهور أنّ الافتقار فیها لطالبها موجب لشدّه المحنه و منتهی الحزن و الکأبه.

و فی جامع الأخبار قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الفقر أشدّ من القتل، و قال أوحی اللّه إلی إبراهیم فقال یا إبراهیم خلقتک و ابتلیتک بنار نمرود فلو ابتلیتک بالفقر و رفعت عنک الصبر فما تصنع؟ قال إبراهیم: یا ربّ الفقر إلیّ أشدّ من نار نمرود قال اللّه تعالی: فبعزّتی و جلالی ما خلقت فی السّماء و الأرض أشدّ من الفقر الحدیث.

و قال صلّی اللّه علیه و آله الفقر الموت الأکبر، و قال لو لا رحمه ربّی علی فقراء امّتی کاد الفقر أن یکون کفرا هذا.

و لشدّته دعا سید العابدین و زین السّاجدین سلام اللّه علیه و علی آبائه الطاهرین أن یصرفه اللّه عنه و لا یبتلیه به حیث قال:

اللهمّ لا طاقه لی بالجهد و لا صبر لی علی البلاء و لا قوّه لی علی الفقر فلا تخطر علیّ رزقی و لا تکلنی إلی خلقک بل تفرّد بحاجتی و تولّ کفایتی و انظر الیّ و انظر لی فی جمیع

اموری فانّک إن وکلتنی إلی نفسی عجزت عنها و لم اقم ما فیه مصلحتها و إن وکلتنی إلی خلقک تجهموا لی و إن ألجأتنی إلی قرابتی حرمونی و إن أعطونی اعطونی قلیلا نکدا و منّوا علیّ طویلا و ذمّوا کثیرا فبفضلک اللهمّ فأغننی و بعظمتک فانعشنی، و بسعتک فابسط یدی و بما عندک فاکفنی.

(و) السابع انّ (من ساعاها فاتته و) الثامن انّ (من قعد عنها واتته) و علّلهما الشّارح البحرانی بأنّ أقوی أسباب هذا الفوات أنّ تحصیلها أکثر ما یکون بمنازعه أهلها علیها و مجاذبتهم(۱) إیّاها و قد علمت ثوران الشّهوه و الغضب و الحرص عند المجاذبه للشیء و قوّه منع الانسان له و تجاذب الخلق للشیء و عزّته عندهم سبب لتفویت بعضهم له علی بعض، و القعود عنها و ترکها و إن کان الغرض منهما المواتاه سبب لمواتاتها کما یفعله أهل الزّهد الظاهری المشوب بالرّیا الذی ترک الدّنیا للدّنیا، فانّ الزّهد الظاهری أیضا مطلوب الشّارع إذ کان وسیله إلی الزهد الحقیقی کما قال الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: الرّیا قنطره الاخلاص.

أقول و الأظهر عندی غیر هذا المعنی و هو أن یکون المراد بفواتها فی حقّ السّاعین لها عدم بقائها فی حقّهم لسرعه زوالها و فنائها فیصبحون مع شدّه رغبتهم إلیها و طلبهم إیاها و أیدیهم عاریه من حطامها خالیه من زبرجها و زخرفها لحلول الموت و نزول الفوت.

و یحتمل إراده فواتهما عنهم فی حال الحیاه فیکون کلامه علیه السّلام محمولا علی الغالب فانّ أکثر النّاس و أغلبهم مع کونهم تابعین للدّنیا راغبین عن الآخره لا یقع الدّنیا فی أیدیهم و إن خلعوا عن أعینهم الکری و طال لهم السّهر، و هذا بخلاف التّارکین لها و الزّاهدین فیها زهدا حقیقیا، فانّ الدّنیا مطیعه لهم مقبله إلیهم و هم معرضون عنها غیر ناظرین إلیها.

أ لا تری إلی قول أمیر المؤمنین علیه السّلام یا دنیا إلیک عنّی أبی تعرّضت أم إلیّ تشوقت لا حان حینک هیهات غرّیّ غیری لا حاجه فیک قد طلّقتک ثلاثا لا رجعه فیها.

۱- (۱) تجاذبوا الشیء جذبه کلّ واحد الی نفسه، منه.

و فى النبوىّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ اللّه جلّ جلاله أوحى إلى الدّنيا أن اتعبى من خدمك و اخدمى من رفضك.

و فى روايه اخرى الزّاهد فى الدّنيا يريح قلبه و بدنه، و الرّاغب فيها يتعب قلبه و بدنه.

التاسع و العاشر ما أشار إليه بقوله (و من أبصر بها بصّرته و من أبصر إليها أعمته) يعنى من جعلها آله لابصاره و مرآتا للوصول إلى الغير يجعلها الدّنيا صاحب بصيره و من كان نظره و توجّهه إليها و همّته معطوفا عليها يجعلها الدّنيا أعمى.

توضيح ذلك أنّ النظر إلى الدّنيا يتصوّر على وجهين.

أحدهما أن يكون المطلوب بالذّات من ذلك النّظر هو الدّنيا نفسها و لا شكّ أنّ الدنيا حينئذ تكون شاغله له عن ذكر اللّه صارفه عن سلوك سبيل الحقّ، فيكون ضالاّ عن الصّراط المستقيم ناكبا عن قصد الهدى، و هو المراد بكونه أعمى يعنى أنّ الدّنيا حينئذ تكون موجبه لعماء عين قلبه عن إدراك المطالب الحقّه و عن الاهتداء إلى سلوك سبيل الآخره و لذلك خاطب اللّه سبحانه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ظاهرا و أراد امّته باطنا بقوله:

«وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَياهِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ».

و الثانى أن يكون الغرض بالنظر إلى الدّنيا هو التبصّر بها و الاهتداء إلى المبدأ و المعاد إذ ما من شىء فيها إلّا و هو من آثار الصنع و أدلّه القدره و علامه العزّه و السّلطنه.

ففى كلّ شىء له آيه تدلّ على أنّه واحد

و «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ » فبالنّظر إلى الأنفس و الآفاق يحصل البصيره و الكمال، و يتمكن من المعرفه و الوصول إلى حضرت ذى الجلال كما يهتدى إلى الآخره و يرغب عن الدّنيا بالنّظر إلى الامم الماضيه و القرون الفانيه و الملوك

العاتیه کیف انتسفتهم الأیّام فأفناهم الحمام فامتحت من الدّنیا آثارهم و بقیت فیها أخبارهم.

تکمله

یستفاد من کشف الغمه أنّ هذا الکلام له علیه السّلام ملتقط من کلام طویل أسقط السّید بعض فقراته علی عادته قال: قال علیّ علیه السّلام یوما و قد أحدق به النّاس:

أحذّرکم الدّنیا فانّها منزل قلعه و لیست بدار نجعه هانت علی ربّها فخلط شرّها بخیرها و حلوها بمرّها، لم یصفها اللّه لأولیائه و لم یضنّ بها علی أعدائه، و هی دار ممرّ لا دار مستقرّ، و النّاس فیها رجلان رجل باع نفسه فأوبقها و رجل ابتاع نفسه فأعتقها، إن اعذو ذب جانب منها فحلاّ أمرّ منها جانب فأوبی، أوّلها عناء و آخرها فناء، من استغنی فیها فتن و من افتقر فیها حزن، و من ساعا فاتته و من قعد عنها واتته و من أبصر بها بصّیرته و من أبصر إلیها أعمته، فالانسان فیها غرض المنایا مع کلّ جرعه شرق، و مع کلّ اکله غصص، لا ینال منها نعمه إلاّ بفراق أخری.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در مقام ذمّ دنیا و تنفیر از آن که می فرماید:

چه تعریف کنم سرائی را که أول آن رنج است و عنا، و آخر آن فوتست و فنا، در حلال آن حسابست و در حرام آن عذاب، هر کس غنی شد در آن مبتلا شد بانواع بلا و افتاد در فتنه و ضلال، و هر کس محتاج گردید در او گرفتار شد باندوه و ملال، و هر که سعی نمود و شتافت بسوی آن فوت شد از آن بسبب حلول موت، و هر که قدم پس نهاد و ترک کرد آنرا موافقت نمود او را و مساعدت، و هر که دنیا را آلت بصیرت و واسطۀ معرفت خود گردانید دنیا او را صاحب بصیرت نمود، و هر که نظر همت خود را بدنیا مصروف داشت کور نمود دنیا او را.

و من خطبه له علیه السلام عجیبه و هی الثانیه

اشاره

و الثمانون من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی ضمن فصول و بعض فصولها مرویّ فی البحار بتفاوت و اختلاف لما فی الکتاب تطلع علیه عند الفراغ من شرح الخطبه فی التّکمله الآتیه فانتظر.

الفصل الاول

اشاره

الحمد للّه الّذی علا بحوله، و دنا بطوله، مانح کلّ غنیمه و فضل و کاشف کلّ عظیمه و أزل، أحمده علی عواطف کرمه، و سوابغ نعمه، و أو من به أوّلا بادیا، و استهدیه قریبا هادیا، و استعینه قاهرا قادرا، و أتوکّل علیه کافیا ناصرا، و أشهد أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله عبده و رسوله، أرسله لإنفاذ أمره، و إنهاء عذره، و تقدیم نذره.

اللغه

(الحول) القوّه و (الطول) الفضل و السّعه و (منحه) أعطاه و (الأزل) بفتح الهمزه و سکون الزّاء المعجمه الشّده و الضّیق و (عطفته) عطفا ثنّیته و (أسبع نعمه) علیکم أی أتمّه و (البادی) الظاهر و منه قوله تعالی: بادی الرّأی، أی ظاهره یقال بدا یبدو بدوا أی ظهر فهو باد أو من البدایه مقابل النّهایه (و الانهاء) الابلاغ و (العذر) و (النّذر) فی قوله تعالی عذرا أو نذرا، أی حجه و تخویفا أو إعذارا و إنذارا، أی تخویفا و وعیدا.

الاعراب

أولا و بادیا إما منصوب علی الظرفیه فتکون متعلقا باو من و علیه فیکون

ص:۳۴۲

باديا من البدائه أى او من به ابتداء قبل كلّ شىء أو منصوبان على الحاليه من الضّمير فى به فيكونان فى المعنى و صفين للّه سبحانه، و هذا هو الأظهر من حيث السياق لأنّ المنصوبات السّته بعدهما من أوصاف اللّه تعالى إلاّ أنّ الأوّل أقرب من حيث المعنى فافهم و تأمل.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه له عليه السّلام كما ذكره السّيد من الخطب العجيبه مشتمله على نكات بديعه و مطالب أنيقه حسبما تعرف إليها الاشاره، و هذا الفصل منها مسوغ للثناء على اللّه سبحانه باعتبار نعوت جلاله و صفات كماله.

فقوله (الحمد للّه الّذى علا بحوله) إشاره إلى علوّه عزّ و جلّ على كلّ شىء لكن لا بالمعنى المتعارف فى الخلق من الفوقيه الحسيّه و الخياليه بل العلوّ بالغلبه و القهر و الاستعلاء بالقدره و القوّه، و قوله (و دنا بطوله) إشاره إلى قربه من كلّ شىء لكن لا بالمعنى المتعارف فى الأجسام المتقارنه بل القرب بالفضل و السعه و الدنوّ بالاحسان و العطيه.

و قد قدّمنا الكلام فى علوّه سبحانه و دنوّه بما لا مزيد عليه فى شرح الفصل الخامس و السادس من فصول الخطبه الاولى، و فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين أيضا، و لئن رجعت إلى ما حقّقناه هناك عرفت أن علوّه سبحانه على الأشياء لا ينافى قربه منها، و أنّ قربه بها لا ينافى بعده عنها، فهو تعالى فى كمال علوّه على خلقه منهم قريب، و فى منتهى قربه إلى الخلق عنهم بعيد.

و هو سبحانه (مانح كلّ غنيمه و فضل و كاشف كلّ) داهيه (عظيمه و أزل) لأنّ كلّ نعمه مبدئها وجوده، و كلّ عطيه منشؤها كرمه وجوده، فهو منزل النّعم الجسام و منفس الكرب العظام، و هو الصّارف لطارق البلاء و الدافع للبأساء و الضرّاء و هو مجيب المضطرّ إذا دعاه و كاشف السوء عنه حين ناداه.

«وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ »

«ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكَمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكَمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ »(۱).

(أحمده على عواطف كرمه) و الكريم من أسمائه تعالى و هو الجواد المعطى الذى لا ينفد عطاؤه، و يفيض الخير عنه من غير بخل و منع على كلّ قابل بقدر قابليته، و عواطف كرمه سبحانه عباره عن فيوضاته العائده إلى العباد مرّه بعد اخرى و عن خيراته النازله إليهم تترى فانه تعالى لا يفتقر عن كثره العطاء و لا تعجز عن الجزاء، وجوده يعلو كلّ جواد و به جاد كلّ من جاد:

«وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ »(۲).

(و) نشكره على (سوابغ نعمه) أى نعمه التامه الكامله و آلائه الظاهره و الباطنه كما قال عزّ من قائل:

«أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ »(۳).

قال الطبرسى: النعمه الظاهره ما لا يمكنكم جحده من خلقكم و إحيائكم و إقداركم و خلق الشّهوه فيكم و غيرها من ضروب النعم، و الباطنه ما لا يعرفها إلاّ من أمعن النظر فيها.

و عن ابن عباس الباطنه مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه اللّه و غاب عن العباد علمه.

۱- (۱) الآیه فی سوره النحل.

۲- (۲) اقتباس من الآیه فی سوره لقمان.

۳- (۳) فی سوره لقمان.

و عنه قال سألت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عنه فقال: یابن عباس أمّا ما ظهر فالاسلام و سوی اللّه من خلقک و ما أفاض علیک من الرزق، و أماما بطن فستر مساوی عملک و لم یفضحک به یابن عباس إنّ اللّه تعالی یقول ثلاثه جعلتهنّ للمؤمن و لم تکن له: صلاه المؤمنین علیه من بعد انقطاع عمله، و جعلت له ثلث ماله یکفر خطایاه، و الثالثه سترت مساوی عمله فلم افضحه بشیء منه و لو أبدیتها علیه لنبذه أهله فمن سواهم.

و قیل الظاهره تخفیف الشرائع و الباطنه الشفاعه و قیل الظاهره نعم الدنیا و الباطنه نعم الآخره و قیل الظاهره ظهور الاسلام و النصر علی الأعداء و الباطنه الامداد بالملائکه و قیل الظاهره نعم الجوارح و الباطنه نعم القلب.

و قال الرازی فی التفسیر الکبیر: الظاهره هی ما فی الأعضاء من السّلامه، و الباطنه ما فی القوی فانّ العضو ظاهر و فیه قوّه باطنه ألا تری أنّ العین و الاذن شحم و غضروف ظاهر و اللسان و الأنف لحم و عظم ظاهر و فی کلّ واحد معنی باطن من الابصار و السمع و الذوق و الشمّ و کذلک کلّ عضو و قد تبطل القوّه و یبقی عضو قائما.

أقول و الکلّ لا بأس به إذ الجمیع من نعم اللّه علی عباده، و فی تفسیر أهل البیت علیهم السّلام النعمه الظاهره الرّساله، و النعمه الباطنه الولایه (و أومن به أولا بادیا) أی اصدّق به و أعتقد بالهیته و وحدانیّته أوّلا و ابتداء قبل الاستهداء و الاستعانه منه و مقدما علی التوکّل علیه إذ ما لم یؤمن به و لم یصدق لا یمکن الاستهداء و الاستعانه و التوکّل، لأنّ ذلک کلّه فرع المعرفه و الایمان و هو ظاهر بالعیان، و علی جعل انتصابهما علی الحال فالاشاره بهما إلی الجهه التی هی مبدء الایمان إذ باعتبار أوّلیه وجب وجوده و باعتبار کونه بادیا أظهر الموجودات و ظهر منه الآیات فی الأنفس و الآفاق، فکان ظاهرا بادیا فی العقل بظهور آثاره و وضوح آیاته فباعتبار ظهوره مع أولیه یجب الایمان بوجوب وجوده و الاذعان بالهیّته.

(و أستهدیه قریبا هادیا) و الاشاره بهذین الوصفین کما فی سابقیهما إذ من لا یتّصف بالهدایه کیف یتصوّر الاستهداء منه و من کان بعیدا کیف یطلب منه الارشاد

ص:۳۴۵

إلى الرشاد و الدلاله على السداد (و أستعينه قاهرا قادرا) و الكلام فيهما كما فى سوابقهما إذ العاجز و الضعيف لا يتمكّن من نفسه فكيف يكون معاونا للغير أو يطلب منه الاعانه (و أتوكّل عليه كافيا ناصرا) و الكلام فيهما أيضا كما فيما تقدّم إذ التوكّل عباره عن الوكول و الاعتماد فيما يخاف و يرجى على الغير فلا بدّ من اتصاف المعتمد عليه بالكفايه و النصره ليكفى المعتمد فيما رجاه و ينصره فيما يخاف.

و إليه يرجع ما عن معانى الأخبار مرفوعا إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و هو أنّه جاء جبرئيل إليه فقال له: يا جبرئيل و ما التّوكّل؟ قال: العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ و لا ينفع و لا يعطى و لا يمنع و استعمال الياس من النّاس، فاذا كان العبد كذلك لم يعتمد على أحد سوى اللّه و لم يرج و لم يخف سوى اللّه، و لم يطمع على أحد سوى اللّه و قال سبحانه:

«وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْ ءٍ قَدْراً ».

يعنى من يفوّض أمره إليه سبحانه و وثق بحسن تدبيره فهو كافيه يكفيه أمر الدّنيا و الآخره أنّه يبلغ أمره و ما أراده من قضاياه و تدابيره على ما أراده و لا يقدر أحد على منعه ممّا أراده، لا رادّ لقضائه و لا مبدّل لحكمه، و قد ظهر ممّا ذكرنا أنّ التّوكل من شئونات الايمان و من فروع المعرفه، و لذلك وصف سبحانه المؤمنين بذلك حيث قال:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ ».

(و أشـهد أنّ محمّـدا صـلّى اللّه عليه و آله عبـده و رسوله) قـد تقدّم الكلام فى ثواب الشّـهاده بالرّساله فى شـرح الخطبه الثّانيه و مضى تحقيق معنى العبد و الرّسول فى شرح الخطبه الحاديه و السّبعين فليراجع.

ثمّ أشـار إلى بعض دواعى الرّسـاله بقوله (أرسـله لانفـاذ أمره) يعنى أرسـله اللّه سبحانه لاجراء أحكامه الشـرعيّه و احكام قوانينه العدليّه فى الخلق ليقرّوا له بالعبوديّه و ليمحّضوا له بالطاعه (و انهاء عذره) أى اعلام معذرته و ابلاغ عذره إلى الخلق فى تعذيبهم إن عصوه، و قـد مضـى تحقيق ذلك فى شـرح الخطبه الثّمانين (و تقـديم نذره) اى ليقدّم انذار اللّه إلى الخلق و تخويفه لهم من عقابه و ليبلّغهم ذلك قبل يوم لقائه ليكون ذلك جاذ بالهم إلى الطاعه رادعا لهم عن المعصيه.

الترجمه

از جمله خطبه هـاى عجيبـۀ آن حضـرتست: حمـد و ثنـا مر معبود بحق را سـزاست كه بلنـد است بر همه خلق بـا قـدره و قوّه، و نزديك است از همه بافضل و عظمه، و عطا كنندۀ هر منفعت است و زايل سازندۀ هر بلاى بزرگ و شدّه.

حمـد مى نمـايم او را بر متكرّرات كرم او و بر تمامهـاى نعم او، و ايمان مى آورم باو سـبحانه در حالتى كه اوّلست و هويـدا، و طلب هدايه مى كنم از او در حالتى كه نزديكست و راهنما، و طلب يارى ميكنم از او در حالتى كه غالب است و قادر، و توكل ميكنم باو در حالتى كه كفايه كننـده است و ناصـر، و گواهى مى دهم باين كه محمّـد بن عبد اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بندۀ برگزيدۀ اوست و رسول پسـنديدۀ او كه فرسـتاد او را بجهت اجراء امر شريعت او و اعلام عذر و معذرت او و مقدم داشتن ترسانيدن از عقوبت او پيش از لقاء روز آخرت.

الفصل الثانى

اشاره

أوصيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الّذى ضرب لكم الأمثال، و وقّت

ص:۳۴۷

لكم الآجال، و ألبسكم الرّياش، و أرفغ لكم المعاش، و أحاط بكم الإحصاء، و أرصد لكم الجزاء، و آثركم بالنّعم السّوابغ، و الرّفد الرّوافع، و أنذركم بالحجج البوالغ، فأحصاكم عددا، و وظّف لكم مددا، فی قرار خبره، و دار عبره، أنتم مختبرون فيها، و محاسبون عليها، فإنّ الدّنيا رنق مشربها، ردغ مشرعها، يونق منظرها، و يوبق مخبرها، غرور حائل، وضوء آفل، و ظلّ زائل، و سناد مائل، حتّی إذا أنس نافرها، و اطمئنّ ناكرها، قمصت بأرجلها، و قنصت بأحبلها، و أقصدت بأسهمها، و أعلقت المرء أوهاق المنيّه، قائده له إلی ضنک المضجع، و وحشه المرجع، و معاينه المحلّ، و ثواب العمل، و كذلک الخلف بعقب السّلف، لا تقلع المنيّه اختراما، و لا يرعوی الباقون اجتراما، يحتذون مثالا، و يمضون أرسالا، إلی غايه الانتهاء، و صيّور الفناء.

اللغه

(الرّياش) و الريش واحد قال تعالی: و ريشا و لباس التقوی، و هو ما ظهر من اللّباس الفاخر، و فی المصباح الرّيش الخير و الرّياش بالكسر المال و الحاله الجميله.

أقول: و منه قولهم ارتاش فلان أی حسنت حاله و (ارفغ) بالغين المعجمه من الرّفغ و هو السّعه و الخصب يقال رفغ عيشه بالضمّ رفاغه اتّسع و (الرّفد) جمع

رفده و هی العطیه و الصّیله و (و التّوظیف) التّعیین و (القرار) و القراره ما قرّ فیه و المطمئنّ من الأرض و (الخبره) بالضمّ و الکسر اسم من الاختبار کالعبره من الاعتبار یقال اختبرت فلانا و اعتبرته امتحنته، قال و یکون الاعتبار بمعنی الاتعاظ و منه قوله تعالی «فاعتبروا یا أولی الأبصار» قال الخلیل العبره و الاعتبار بما مضی ای الاتّعاظ و التّذکر و (رنق) الماء من باب فرح و نصر رنقا و رنقا و رنوقا کدر فهو رنق و رنق و رنق کعدل و کتف و جبل و مکان (ردغ) ککتف کثیر الوحل و (یونق) مضارع باب الافعال یقال آنقنی الشّیء أعجبنی و المجرّد أنق کفرح یقال انق الشیء انقا أی راق حسنه و أعجب و (یوبق) من باب الافعال أیضا و المجرّد و بق من باب وعد و وجل و ورث یقال و بق الرّجل و یبق و یوبق و بوقا هلک و (المخبر) کالمنظر مصدر او اسم مکان و (الغرور) بالفتح من غرّته الدّنیا غرورا من باب قعد خدعته بزینتها فهی غرور مثل رسول اسم فاعل مبالغه و (الحائل) المتغیّر اللّون و (أفل) افولا من باب ضرب و نصر و علم غاب و (السّناد) و السّند بفتحتین ما استندت إلیه من حایط و نحوه.

و (انس) به انسا من باب علم و فی لغه من باب ضرب و الانس بالضمّ اسم منه و استأنست به و تأنّست به إذا سکن القلب و لم ینفر و رجل (ناکر) و نکر فاعل من نکر الأمر من باب فرح أی انکره و (قمص) الفرس و غیره عند الرّکوب قمصا من باب ضرب و قتل و هو أن یرفع یدیه معا و یضعهما معا و (قنصه) یقنصه صاده فهو قانص و قنیص و قناص و (أقصد) السهم أصاب فقتل مکانه و فلانا طعنه فلم یخطئه و (الاوهاق) جمع وهق محرّکه و یسکن و هو الحبل یرمی فی عنق الشخص یؤخذ به و یوثق و أصله للدّواب و یقال فی طرفه النشوطه، و هی بالضمّ ربطه دون العقده إذا مدّت بأحد طرفیها انفتحت.

و (الضنک) بسکون النون الضّیق و (ضجع) ضجعا و ضجوعا من باب منع وضع جنبه بالأرض کاضطجع و المضجع کمقعد موضع الضجع و (المرجع) کمنزل مصدر من رجع رجوعا کالمرجعه و هما شاذان لأنّ المصادر من فعل یفعل بالفتح

و كذلك الخلف بعقب السّلف (العقب) بكسر القاف و بسكونها للتخفيف يقال جائنى عقبه و أصل الكلمه جاء زيد يطأ عقب عمرو، و المعنى كلما رفع عمرو قدما وضع زيد قدمه مكانها، ثمّ كثر حتّى قيل جاء عقبه ثمّ كثر حتّى استعمل بمعنيين:

أحدهما المتابعه و الموالاه فاذا قيل جاء فى عقبه فالمعنى فى اثره قال ابن السّكيت بنو فلان يسقى ابلهم عقب بنى فلان أى بعدهم، و قال ابن فارس فرس ذو عقب أى جرى بعد جرى، و ذكر تصاريف الكلمه ثمّ قال و الباب كلّه يرجع إلى اصل واحد و هو أن يجىء الشىء بعقب الشىء أى متأخّرا عنه و منه قولهم خلف فلان بعقبى أى أقام بعدى و عقبت زيدا عقبا و عقوبا من باب قتل جئت بعده.

و المعنى الثّانى إدراك جزء من المذكور معه يقال جاء فى عقب شهر رمضان إذا جاء و قد بقى منه بقيّه و يقال إذا برأ المريض و قد بقى شىء من المرض هو فى عقب المرض.

إذا عرفت ذلك فمعنى قوله عليه السّلام (و كذلك الخلف بعقب السّلف) كذلك جاء الخلف متأخّرا عن السّلف و بعدهم أو جاءوا و قد بقى منهم بقيّه، و فى بعض النّسخ يعقب السّلف بصيغه المضارع أى يجىء بعد السّلف و يتأخّر عنهم أو مع بقاء بقيّه منهم و (قلعه) قلعا من باب منع انتزعه من اصله و الاقلاع عن الأمر الكفّ عنه و (اخترمته) المنيّه أخذته و القوم استأصلتهم و اقتطعتهم و (ارعوى) عن القبيح ارتدع و (الاجترام) اكتساب الجرم و الذنب و (احتذيت) به إذا اقتديت به فى اموره و اصله من حذوت النّعل بالنّعل قدرتها بها و قطعتها على مثالها و قدرها و(الأرسال)جمع رسل بفتحتين مثل سبب و أسباب و هو القطيع من الابل و شبّه به النّاس فقيل جاءوا أرسالا أى متتابعا و (صير) الأمر بالكسر و يفتح مسيره و عاقبته كالصّيّور و الصّيّوره.

الاعراب

قوله عليه السّلام و أحاط بكم الاحصاء قال الشّارح المعتزلى يمكن أن ينصب الاحصاء على أنّه مصدر فيه اللام و العامل فيه غير لفظه، و يجوز أن ينصب بأنّه مفعول به و يكون

ذلك على وجهين:

أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطا فكأنّه جعل الاحصاء و العدّ كالحائط المدار عليهم لأنّهم لا يعدونه و لا يخرجون عنه الثّانى أن يكون من حاط يحوط بالواو بمعنى جمع فادخل الهمزه كأنّه جعل الاحصاء يحوطهم و يجمعهم تقول ضربت زيدا و اضربته أى جعلته ذا ضرب كأنّه جعل الاحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الاولى أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثّانى و يمكن فيه وجه آخر و هو أن يكون الاحصاء مفعولا له و يكون فى الكلام محذوف تقديره و أحاط بكم حفظته و ملائكته للاحصاء و دخول اللّام فى المفعول له كثير انتهى.

و الأظهر هو الانتصاب بالمصدر، و مثله قوله عليه السّلام و أحصاكم عددا فانّه أيضا مصدر بغير لفظه الفعل على ما ذهب إليه الزّجاج من تجويز كون العدد مصدرا مستدلا بقوله تعالى سنين عددا و على هذا فيكون أصل كلامه أحصاكم و عدّكم عددا على حدّ قوله تعالى: لقد أحصيهم و عدّهم عدّا.

و أمّا على مذهب المشهور و هو الحقّ من كون العدد كالعديد اسم مصدر فهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى: و فجّرنا الأرض عيونا، و الأصل أحصا عددكم، و يمكن أن يكون حالاّ أى أحصاكم معدودا محصورا.

و جوّز هذا الوجه مع الوجه الأوّل صاحب الكشّاف فى قوله و أحاط بما لديهم و أحصى كلّ شىء عددا حيث قال: عددا حال أى و ضبط كلّ شىء معدودا محصورا أو مصدر فى معنى الاحصاء.

قوله و أعلقت المرء أوهاق المنيّه بنصب المرء و الأوهاق على المفعوليّه و الفاعل الضمير الرّاجع إلى الدّنيا و الباء فى قوله بعقب السّلف بمعنى فى كما فى قوله بالبكاء الكثير بالاطلال، و اختراما و اجتراما منصوبان بنزع الخافض أى لا تكف عن اخترام و لا يرتدعون عن اجترام، و أرسالا منتصب على الحال.

ص:٣٥١

المعنى

اعلم أنّ هـذا الفصل من الخطبه مسوق للوصـيّه بالتّقوى و الخشـيه من اللّه و متضـمّن للتنفّر عن الـدّنيا بذكر معايبها و مثالبها فأمر أوّلا بالتّقوى بقوله (أوصـيكم عباد اللّه بتقوى اللّه الـذى ضـرب لكم الأمثال) أى ضـربها لكم فى القرآن للتذكره و الموعظه كما قال تعالى:

«وَ لَقَـدْ ضَـرَبْنا لِلنّاسِ فِي هـذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَـذَكَّرُونَ » اى ليتـذكّروا بتلك الأمثال و يتدبّروا فيها فيعتبروا، و الأمثال التى ضربها لهم فيه كثيره منها قوله تعالى بعد الآيه السّابقه.

«ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ».

فانّه مثل ضـربه سـبحانه لعبده الأصنام و للمخلصين بتوحيده، و يعنى بقوله رجلا فيه شركاء أنّه يعبد آلهه مختلفه و أصناما، و هم متشاجرون متعاسـرون هـذا يأمره و هـذا ينهاه و يريـد كلّ واحد منهم أن يفرّده بالخدمه ثمّ يكل كلّ منهم أمره إلى الآخر ويكل الآخر إلى آخر فيبقى هو خاليا من المنافع و هذا حال من يخدم جماعه مختلفه الآراء و الأهواء و هو مثل الكافر.

و أمّا مثل المؤمن الموحّد فرجل سلم أى خالص يخدم مالكا واحدا لا يشوب بخدمته خدمه غيره و لا يأمل سواه و من كان بهذه الصفه نال ثمره خدمته لا سيّما إذا كان المخدوم قادرا كريما حكيما.

و منها قوله تعالى فى سوره يونس:

«إِنَّما مَثَلُ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ »

ص:٣٥٢

«اَلْأَرْضِ مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فانّ هذا مثل ضربه اللّه للتّزهيد فى الدّنيا و التّرغيب فى الآخره فقد قيل إنّ المقصود بهذه الآيه تشبيه الحياه الدّنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثمّ الانقطاع و قيل إنّ المشبّه به النّبات على ما وصفه من الاغترار به ثمّ المصير إلى الزّوال و قيل إنّ المقصود تشبيه الحياه الدنيا بحياه مقدّره على هذه الأوصاف.

و على أىّ تقدير فمعنى الآيه أنّ مثل الحياه الدّنيا مثل الماء النّازل من السّماء المختلط بسببه نبات الأرض بعضه ببعض حتّى إذا أخذت الأرض حسنها و بهجتها و تزيّنت فى نظر أهلها و ظنّ مالكها أنّهم قادرون على الانتفاع بها باقتطاعها و حصادها أتاها أمر اللّه سبحانه أى عذابه و بلاؤه من برد أو برد فصارت محصوده مقلوعه يابسه كأن لم تقم على تلك الصّفه بالأمس.

و نحوه فى سوره الكهف: «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ مُقْتَدِراً ».

و نحوهما قوله سبحانه فى سوره الحديد: «اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي »

«اَلْآخِرَهِ عَذابٌ شَدِیدٌ ».

و منهـا قوله تعالی: «أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ ضَـرَبَ اللّهُ مَثَلاً کَلِمَهً طَیِّبَهً کَشَـجَرَهٍ طَیِّبَهٍ أَصْـلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِی السَّماءِ تُؤْتِی أُکُلَها کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَ یَضْرِبُ اللّهُ الْأَمْثالَ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ وَ مَثَلُ کَلِمَهٍ خَبِیثَهٍ کَشَجَرَهٍ خَبِیثَهٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ ».

فـانّه تعـالی شـبّه الکلمه الطیبه أعنی شـهاده أن لا إله الاّ اللّه أو کلّ کلام أمر به اللّه بالشّجره الطیبه التی أصـلها ثابت راسـخ فی الأرض و أغصانها فی السّـماء، و أراد به المبالغه فی الارتفاع تخرج هذه الشّجره ما یؤکل منها فی کلّ ستّه أشهر أو فی کلّ سنه أو کلّ غدوه و عشیّه.

و شبّه الکلمه الخبیثه و هی کلمه الکفر و الشّرک أو کلّ کلام فی معصیه اللّه بالشّجره الخبیثه اقتلعت جثّتها من الأرض مالها من ثبـات یعنی أنّ الکلمه الطیبه مثـل الشّـجره الطیبه ینتفع بها صاحبها عاجلا و آجلا، و الکلمه الخبیثه کالشّـجره الخبیثه لا ینتفع بها صاحبها و لا یثبت له منها نفع و لا ثمر.

و فی تفسـیر أهل البیت علیهم السّـلام(۱) أنّ الشّـجره الطیبه رسـول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و فرعهـا علیّ علیه السّـلام و عنصـر الشّـجره فاطمه و ثمرتها أولادها و أغصانها و أوراقها شـیعتنا ثمّ قال: إنّ الرّجل من شـیعتنا لیموت فیسـقط من الشّـجره ورقه و إنّ المولود من شـیعتنا لیولـد فیورق مکان تلک الورقه، و علی هذا فالمراد بقوله سـبحانه: تؤتی أکلها کلّ حین ما یفتی به الأئمه من آل محمّد شیعتهم فی الحلال و الحرام.

و فی روایه أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّـلام فی قوله: کلمه خبیثه کشـجره خبیثه، إنّ هـذا مثل بنی امیّه، و کیف کان فانّ المقصود من هذه الأمثال المضروبه فی القرآن و نحوها ممّا هی فوق حدّ الاحصاء هو تنبیه الخلق و تذکیرهم

۱- (۱) هذه الروایه مرویه فی تفسیر مجمع البیان عن ابن عقده عن أبی جعفر (علیه السلام) منه.

و ایقاظهم من نوم الغفله و الجهاله و حثّهم و ترغیبهم علی ملازمه المعرفه و التقوی و الطاعه.

و لذلک قال علیه السّلام اوصیکم بتقوی اللّه الذی ضرب لکم الأمثال، فانّ فی التّعبیر بهذه اللفظه إشاره إلی أنّ ضربها للتّقوی مما یجری أن یتّقیه الخلق، و کذلک المقصود بالأوصاف التی یذکرها بعد ذلک هو الجذب إلیه(۱) و الحثّ علیه أعنی قوله (و وقّت لکم الآجال) أی عیّنها لکم و کتبها بقلم القضاء فی أمّ الکتاب کما قال تعالی:

«وَ لِکُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا یَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ ».

فمن علم أنّ له أجلا إذا جاء لا یؤخّر و أنّ له إیابا إلی ربّه الذی یؤاخذ بما قدّم و أخّر فأجدر أن یخاف منه و یحذر (و ألبسکم الرّیاش و أرفغ لکم المعاش) أی أنزل علیکم لباسا یواری سوآتکم و ریشا و لباس التقوی(۲) و أوسع عیشکم و رزقکم من الطیبات لتطیعوه فی السر و الاعلان و لا تجاهروه بالکفر و العدوان کمال قال:

«لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ وَ لَئِنْ کَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِی لَشَدِیدٌ ».

(و أحاط بکم الاحصاء و أرصد لکم الجزاء) یعنی أنّه سبحانه محیط بکم عالم بعدد نفوسکم لا یشذّه منکم أحد، و هو تعالی أعدّ لکم جزاء أعمالکم(۳) «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ یَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَ مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَکُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِی النّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »(و آثرکم بالنّعم السّوابغ و الرفد

۱- (۱) أی التقوی.

۲- (۲) اقتباس من الآیه فی سوره الأعراف و هو قوله تعالی یا بنی آدم قد أنزلنا علیکم لباسا یواری سوآتکم و ریشا و لباس التقوی ذلک خیر ذلک من آیات اللّه لعلّهم یذّکّرون منه.

۳- (۳) اقتباس من الآیه.

الروافع) أی أنّه تعالی اختارکم بنعمه التامه الکامله «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً »(۱) و أعطاکم الصّلات الجلیله الرّفیعه العالیه (و أنذرکم بالحجج البوالغ) «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ »(۲) و «لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً »(۳)(فأحصاکم عددا و وظّف لکم مددا)یعنی انّه أحصا عددکم و عیّن مدّه عمرکم.

و إنّما أعاد علیه السّلام ذکر هذین الوصفین مع اغناء قوله: و وقّت لکم الآجال و أحاط بکم الاحصاء عنه، للتّاکید و المبالغه، لأنّ ذکر توقیت المدد و توظیف الآجال من أشدّ الجواذب إلی التّقوی، و کذلک المعرفه باحاطه علمه بجزئیات النّفوس و عدم شذوذ شیء منها عنه رادعه لها عن المهالک و المعاطب.

فان قیل: أیّ نکته فی الاتیان بالتّمییز أعنی عددا بعد لفظ الاحصاء مع أنّه لا ابهام فیه و لا خفاء بل هو مغن عنه؟ قلت: السّر فی ذلک کما فی قوله تعالی: و أحصی کلّ شیء عددا، و هو بیان أنّ علمه تعالی بالأشیاء لیس علی وجه اجمالیّ بل علی وجه تفصیلی، فانّ الاحصاء قد یراد به الاحاطه الاجمالیّه کما قال تعالی: و إن تعدّوا نعمه اللّه لا تحصوها، أی لا تقدر و اعلی حصرها إجمالا فضلا عن التّفصیل.

و ذلک لأنّ أصل الاحصاء أنّ الحاسب إذ بلغ عقدا معیّنا من عقود الأعداد کالعشره و المأه و الألف وضع حصاه لیحفظ بها کمیّه ذلک العقد فیبنی علی ذلک حسابه و قوله (فی قرار خبره و دار عبره) أراد به أنّه سبحانه عیّن لکم المدد فی مقرّ البلاء و الاختیار و دار الاتّعاظ و الاعتبار.

و هی الدّار التی (أنتم مختبرون فیها) بما أعطاکم اللّه فیها «لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » و المفسد من المصلح حتّی یزید فی إحسان المحسن و یؤاخذ بعصیان المسیء

۱- (۱) اقتباس من الآیه.

۲- (۲) اقتباس من الآیه.

۳- (۳) اقتباس من الآیه فی سوره النساء.

(و محاسبون عليها) أى على نعيمها كلّا أو بعضا على ما مضى تحقيقا و تفصيلا فى شرح كلامه الثمانين و مضى هناك أيضا توضيح الاتعاظ بالدّنيا و الاعتبار فيها فليراجع ثمّه.

ثمّ إنّه عليه السّلام لما وصّى بالتّقوى و أمر بلزومه بذكر بعض الجواذب إليه أكّده و علّله بقوله:(فانّ الدّنيا رنق مشربها)و هو كنايه من كدر لذّاتها من حيث شوبها بالتّعب و المصائب و الهموم و الأحزان(ردغ مشرعها) لأنّ مواردتنا و لها و الشّروع فيها من مزالق الاقدام عن سواء الصّراط إلى طرفى التفريط و الافراط، و ذلك لكثره الشبهات و غلبه المشتبهات (يونق منظرها) لما فى ظاهرها من الحسن و البهجه و الرّدغ و النضره الموجبه لاعجاب الناظرين إليها و التذاذهم بها (و يوبق مخبرها) لما فى باطنها من السمّ القاتل الباعث على و بوق المتناولين لها و هلاك المفتتنين بها، و وقوعهم فى الخزى العظيم و العذاب الأليم.

و هى (غرور حائل) لأنّها تغرّ الخلق و تخدعهم بزخرفها و زبرجها فيتوهّمون دوامها و ثباتها ثمّ تنتقل عنهم و تتغيّر فى زمان يسير و مدّه قليله(و ضوء آفل)استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن فى عيون الغافلين من قولهم على فلان ضوء إذا كان حسن المنظر يعنى إنّها ذو حسن و ضياء إلّا أنّ حسنها قليل لا يدوم و يغيب فلا يبقى (و ظلّ زائل) أى يستريح فيها أهلها و يستظلّون بها إلّا أنّها فى معرض الفناء و الزّوال (و سناد مائل) يستند إليها الغافلون و يعتمدون عليها مع أنّها لا ثبات لها و لا قرار.

(حتّى إذا أنس نافرها و اطمئنّ ناكرها) أى إذا استأنس بها من كان باقتضاء عقله نافرا عنها و سكن إليها من كان بمقتضى فطرته منكرا لها(قمصت بأرجلها)كالدّابه القامصه الممتنعه عن ركوب الانسان المولّيه عنه.

و قمصها كنايه عن امتناعها على الانسان حين حضور أجله كأنّها تدفعه برجليها مثل الدّابه الموصوفه، و الاتيان بصيغه الجمع مع أنّ الدّابه لها رجلان من باب التغليب و اعتبار اليدين و إنّما عبّر بالرّجل دون اليد لكون القمص إلى الرّجل أنسب.

ص:۳۵۷

(و قنصت بأحبلها) كالقناص الذى يقنص الصيد و يصيده بشركه و حبائله و هو كنايه عن تمكن العلايق الدّنيويّه و حبائل محبتها و الهيآت الرّديّه المكتسبه عنها فى عنقه بحيث لا يتمكّن من الامتناع و التجنّب عنها كالصّيد الواقع فى الشّرك (و أقصدت بأسهمها)كالرّامى الذى يرمى بسهامه فيصيب الغرض و لا يخطئه و أسهمها كنايه عن الأمراض و أسباب الموت.

(و أعلقت المرء أوهاق المنيّه) أى أعلقته حبالها يعنى ما تجذب بها إلى الموت من ساير أسبابه أيضا (قائده) بتلك الحبال (له إلى ضنك المضجع) و ضيق القبر (و وحشه المرجع) و هو إشاره إلى ما يجده أهل الدّنيا من الوحشه عند مفارقه الأموال و الأولاد و الأحبّه (و معاينه المحلّ) أى مشاهده الموضع الذى يحلّ به بعد الموت و هو دار الآخره (و ثواب العمل) أى جزائه من خير أو شرّ لا الجزاء بالمعنى الأخصّ الذى هو عوض الطاعه.

(و كذلك الخلف بعقب السلف) أى هكذا حال الخلف بعد السّلف يفعل الدّنيا بهم مثل ما فعلت بأسلافهم، و كذلك هم فى الدّنيا يعملون مثل ما عمله آبائهم (فلا نقلع المنيه) منهم (اختراما و لا يرعوى الباقون اجتراما) يعنى لا يكفّ المنيّه عن إهلاكهم و استيصال نفوسهم و لا يرتدع الباقون منهم عن جرمهم و جرائرهم بل (يحتذون مثالا) و يقتدون بأمثالهم الماضين فى الأعمال و الأفعال (و يمضون) على ذلك (أرسالا) و متتابعا (إلى غايه الانتهاء و صيور الفناء) أى الى منتهى ما يسيرون إليه بمطايا الأبدان و عاقبه ما يكون أمرهم عليه من الفناء و العرض على الملك الدّيان أقول: و نرجو من اللّه سبحانه عند ذلك الرّحمه و الغفران بالكرم و الامتنان.

الترجمه

وصيت ميكنم شما را أى بندگان خدا بتقوى و پرهيزكارى خدا چنان خدائى كه بيان فرمود از براى شما مثل ها، و معين كرد از براى شما أجل ها و بپوشانيد شما را لباس هاى فاخر و وسعت داد بشما با طعام هاى طيّب و طاهر، و احاطه كرد بشما احاطه كردنى و مهيا نمود از براى شما جزاى عمل هاى شما را و برگزيد

ص:۳۵۸

شما را بنعمت های تامه کامله و عطایای جلیله عالیه، و ترساند شما را با حجت های واضحهٔ بالغه و شمرد شما را شمردنی و تعیین نمود از برای شما مدتهای أعمار در مقرّ امتحان و اختبار و در سرای اعتبار.

شما امتحان شدگانید در دار فانی و حساب کرده شدگانید در آن بنعمت ها و زندگانی، پس بدرستی دنیا ناصاف است محلّ آبخوردن آن گل آلود است محلّ آب برداشتن آن تعجب می آورد در نظر جاهلان تماشاگاه آن و هلاک می سازد محل آزمایش آن در وقت التذاذ بلذات آن، و آن فریبنده است تغییر یابنده، و صاحب حسن است فرو رونده، و سایه ای است زائل شونده و تکیه گاهی است میل نمایند.

تا زمانی که انس گیرد بأو نفرت کننده از او و خواطر جمع شود بأو انکار کنندهٔ او، بر جهد بپاهای خود که بیندازد او را بر زمین مذلت، و شکار کند او را بدامهای خود تا گرفتار شود به مشقت و محنت، و برساند باو تیرهای مرگ و هلاکت در حالتی که کشنده باشد او را بضیق و تنگی خوابگاه و وحشت بازگشت و به مشاهده کردن جای جزا و ثواب کردار.

و همچنین است حال پس آیندگان بعد از پیش رفتگان و رحلت نمایندگان نه امساک می کند مرگ از استیصال نمودن، و نه باز می ایستند باقی ماندگان از جرم و گناه کردن، بلکه اقتدا می کنند بر مثال گذشتگان و می گذرند پیاپی تا بغایت نهایت که عبارتست از موت و عاقبت امر که عبارتست از فنا و فوت.

الفصل الثالث

اشاره

حتّی إذا تصرّمت الامور، و تقضّت الدّهور، و أزف النّشور، أخرجهم من ضرائح القبور، و أوكار الطّيور، و أوجره السّباع، و مطارح المهالك، سراعا إلى أمره، مهطعين إلى معاده، رعيلا صموتا،

قیاما صفوفا، ینفذهم البصر، و یسمعهم الدّاعی، علیهم لبوس الاستکانه، و ضرع الإستسلام و الذّلّه، قد ضلّت الحیل، و انقطع الأمل، و هوت الأفئده کاظمه، و خشعت الأصوات مهینمه، و ألجم العرق، و عظم الشّفق، و أرعدت الأسماع لزبره الدّاعی إلی فصل الخطاب، و مقایضه الجزاء و نکال العقاب، و نوال الثّواب.

اللغه

(صرمت) النّخل قطعته و انصرم اللّیل و تصرّم ذهب و (قضّ) الشیء یقضّه قطعه و (أزف) شخوص فلان یأزف أزفا من باب تعب قرب و دنا و منه قوله: أزفت الآزفه، أی قربت القیامه و دنت، سمّیت بذلک لأنّ کلّ ما هو آت قریب و (نشر) الموتی نشورا من باب قعد حیّوا و نشرهم اللّه یتعدّی و لا یتعدّی، و قد یتعدّی بالهمزه یقال أنشرهم اللّه و قال تعالی: و إذا شاء أنشره، أی أحیاه بعد إماتته.

و (الضّریح) الشّق فی وسط القبر فی جانب فعیل بمعنی مفعول و (اوجره) السّباع جمع و جار بالکسر و هو جحرها الذی تأوی إلیه و (هطع) یهطع من باب منع أسرع مقبلا و أهطع فی عدوه أسرع و منه قوله تعالی: مهطعین إلی الدّاع، أی مسرعین إلیه فی خوف.

و (الرّعیل) القطعه من الخیل و الجماعه من النّاس و (الصّموت) جمع صامت کالصّمت و الصّمات مصدر بمعنی السّکوت من صمت یصمت من باب قتل و (اللّبوس) بفتح اللاّم ما یلبس قال تعالی: و علّمناه صنعه لبوس، یعنی الدّرع و (الاستکانه) الخضوع و (ضرع) له یضرع من باب منع ضراعه ذلّ و خضع، و ضرع ضرعا من باب تعب لغه و ضرع ضرعا و زان شرف ضعف، و تضرّع إلی اللّه ابتهل و (کظم) یکظم کظما من باب ضرب و سکت و رجل کظیم و مکظوم مکروب.

ص:۳۶۰

و (الهينمه) الصّوت الخفىّ و (الجم العرق) بلغ الفم فصار كاللجام و (الشفق) الخوف و (ارعدت الاسماع) بالبناء على المجهول أخذتها الرّعده و (الزّبره) من زبره زبرا من باب ضرب زجره و نهره و (قايضته) به بالياء المثناه التّحتانيّه عارضته عرضا بعرض و (نكل) به تنكيلا صنع به صنعا يحذر غيره، و النّكال اسم منه أو هو العقوبه و (النّوال) العطا.

الاعراب

سراعا، منتصب على الحال من مفعول أخرج و كذلك المنصوبات بعده، و لبوس الاستكانه مرفوع على الابتداء قدّم عليه خبره للتّوسع، و قوله إلى فصل الخطاب متعلّق بالدّاعى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الكلام قد ساقه عليه السّلام لبيان ما يحلّ على النّاس بعد الموت و يلحق بهم من شدايد القيامه و أهوالها و أشار به إلى النّشر و المعاد فقال (حتّى إذا تصرّمت الامور و تقضت الدّهور) أى تعطلت امور النّاس بموتهم و انقضت الازمان و تقطعت (و أزف النّشور) أى دنى و قرب وقت احيائهم بعد إماتتهم أمر اللّه سبحانه بنفخ الصّور فنشرهم و حشرهم.

و (أخرجهم من ضرايح القبور) ان كانوا مدفونين فيها (و أو كار الطيور) ان كانوا أكيل طير (و أوجره السّباع) إن كانوا فريسه سبع (و مطارح المهالك) ان قتلوا فى معركه حرب و نحو ذلك و بالجمله ينشرهم اللّه و يأتى بهم جميعا أينما كانوا (سراعا إلى أمره) و قضائه غير لابثين (مهطعين الى معاده) غير مماكسين كما قال تعالى فى سوره ق «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعاً ذلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسِيرٌ » أى يسرعون إلى أمره بلا مكث و تأخير، و فى سوره القمر:

«يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلى شَيْ ءٍ نُكُرٍ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا »

«يَوْمٌ عَسِرٌ ».

(رعيلا صموتا قياما صفوفا) أى جماعه ساكتين قائمين صافين لا يقدرون على الكلام و لا يرخّص لهم فى القعود كما قال تعالى فى سوره النّبأ «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ » أى بنو آدم على أحد التّفاسير «وَ الْمَلائِكَهُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً » و فيها أيضا «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً ».

روى فى المجمع عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه سئل عن هذه الآيه فقال: يحشر عشره أصناف من امّتى أشتاتا قد ميّزهم اللّه من المسلمين و بدّل صورهم فبعضهم على صوره القرده، و بعضهم على صوره الخنازير، و بعضهم منكوسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثمّ يسحبون عليها، و بعضهم عمى يتردّدون، و بعضهم صمّ بكم لا يعقلون، و بعضهم يمضغون ألسنتهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذّرهم أهل الجمع، و بعضهم مقطّعه أيديهم و أرجلهم، و بعضهم مصلّبون على جذوع من النّار، و بعضهم أشدّ نتنا من الجيف، و بعضهم يلبسون جبابا سابغه من قطران لازقه بجلودهم.

فأمّا الذين على صوره القرده فالقتاه من النّاس، و أمّا الذين على صوره الخنازير فأهل السّحت، و أمّا المنكوسون على رؤوسهم فآكله الرّبا، و العمى الجائرون فى الحكم، و الصمّ البكم المعجبون بأعمالهم، و الذين يمضغون ألسنتهم العلماء و القضاه الذين خالف أعمالهم أقوالهم، و المقطّعه أيديهم و أرجلهم الذين يؤذون الجيران، و المصلّبون على جذوع من نار فالسّعاه بالنّاس إلى السلطان، و الذين أشدّنتنا من الجيف فالذين يتمتّعون بالشّهوات و اللذات و يمنعون حقّ اللّه فى أموالهم، و الذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر و الخيلاء.

(ينفذهم البصر) بصر الجبّار تعالى أى لا يخفى أحد منهم مع كثرتهم عن ادراكه سبحانه و لا يعزب عن علمه كما قال فى سوره الحاقه: «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ »

«خافِيَةٌ »(و يسمعهم الدّاعی) یعنی أنّهم مع هذه الکثره أیضا یشملهم و یحیط بهم عموم دعاء الدّاعی إلی فصل الخطاب و یسمع آخرهم کما یسمع أوّلهم نداء المنادی إلی الموقف و الحساب، و إلیه الاشاره بقوله تعالی فی سوره ق.

«یَوْمَ یُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَکانٍ قَرِیبٍ یَوْمَ یَسْمَعُونَ الصَّیْحَهَ بِالْحَقِّ ذلِکَ یَوْمُ الْخُرُوجِ ».

قال الطبرسی: و إنّما قال من مکان قریب لأنّه یسمعه الخلایق کلّهم علی حدّ واحد فلا یخفی علی أحد قریب و لا بعید فکأنّهم نودوا من مکان یقرب منهم (علیهم لبوس) الخضوع و الخشوع و (الاستکانه و ضرع) التذلل و (الاستسلام و الذله) من هول هذا الیوم و فزعه کما قال سبحانه فی سوره طه:

«وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَیِّ الْقَیُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ».

قال الطبرسی أی خضعت و ذلت خضوع الأسیر فی ید من قهره و المراد خضع أرباب الوجوه و استسلموا الحکم للحیّ الذی لم یمت و لا ـ یموت، و إنّما اسند الفعل إلی الوجوه لأنّ أثر الـذّلّ یظهر علیها، و قیل المراد بالوجوه الرّؤساء و القاده و الملوک أی یذلّون و ینسلخون عن ملکهم و عزّهم، و فی سوره المعارج:

«یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً کَأَنَّهُمْ إِلی نُصُبٍ یُوفِضُونَ خاشِعَهً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهٌ ذلِکَ الْیَوْمُ الَّذِی کانُوا یُوعَدُونَ ».

أی یخرجون من القبور مسرعین کأنّهم یسعون إلی علم نصب لهم خاضعه أبصارهم لا یستطیعون النّظر من هول ذلک الیوم و تغشیهم المذلّه (قد ضلّت الحیل) أی الحیل الدّنیویّه فلا یستطیعون الخلاص ممّا هم فیه بالحیله و التّدبیر کما کانوا یخلصون من بعض آلام الـدّنیا بها (و انقطع الأمل) أی أملهم فی الدّنیا لامتناع عودهم إلیها و انقطاع طمعهم عنها (و هوت الأفئده کاظمه) أی خلت من الفرح و السّرور بل و من کلّ شیء حال کونها ساکته أو مکروبه و محزونه و هو مأخوذ من قوله تعالی

فی سوره إبراهیم:

«مُهْطِعِینَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لا یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَواءٌ ».

قال الطبرسی: مهطعین أی مسرعین و قیل یرید دائمی النظر إلی ما یرون لا یطرفون مقنعی رؤوسهم أی رافعی رؤوسهم إلی السّماء حتّی لا یری الرّجل مکان قدمه من شدّه رفع الرأس و ذلک من هول یوم القیامه و قال مورج: معناه ناکسی رؤوسهم بلغه قریش لا یر إلیهم طرفهم أی لا یرجع إلیهم أعینهم و لا یطبقونها و لا یغمضونها و إنّما هو نظر دائم و أفئدتهم هواء أی قلوبهم خالیه من کلّ شیء و قیل خالیه من کلّ سرور و طمع فی الخیر لشدّه ما یرون من الأهوال کالهواء الذی بین السّماء و الأرض و قیل معناه و أفئدتهم زائله عن مواضعها قد ارتفعت إلی حلوقهم لا تخرج و لا تعود إلی أماکنها بمنزله الشیء الذاهب فی جهات مختلفه المتردّد فی الهواء و قیل معناه خالیه عن عقولهم (و خشعت الأصوات مهینمه) أی حال کونها ذات هینمه و خفاء قال:

«وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً ».

قال فی مجمع البیان: أی خضعت الأصوات بالسّکون لعظمه الرّحمن، و الهمس هو صوت الاقدام أی لا تسمع من صوت الاقدام أی لا تسمع من صوت أقدامهم إلاّ صوتا خفیّا کما یسمع من أخفاف الابل عند سیرها و قیل الهمس إخفاء الکلام و قیل معناه إنّ الأصوات العالیه بالأمر و النّهی فی الدّنیا ینخفض و یذلّ أصحابها فلا یسمع منهم إلاّ الهمس (و الجم العرق) أی بلغ أفواههم، قال الشّارح المعتزلی: و فی الحدیث أنّ العرق لیجری منهم حتّی أنّ منهم من یبلغ رکبتیه، و منهم من یبلغ صدره، و منهم من یلجمه و هم أعظمهم مشقّه.

أقول: و عن الارشاد عن الصّادق علیه السّلام فی حدیث إنّ الغنی لیوقف للحساب و یسیل منه العرق حتّی لو شرب منه أربعون بعیرا لصدر، و یأتی لهذا مزید تفصیل فی شرح المختار المأه و التّاسع و الثمانین إنشاء اللّه (و عظم الشّفق) و فی بعض الرّوایات أنّ شعر رأس النّاس و بدنهم یبیض من شدّه الخوف و الاشفاق بعد ما

کان أسود(۱) (و ارعدت الاسماع لزبره الدّاعی إلی فصل الخطاب) أی أخذتها الرّعده و الاضطراب من زجر الدّاعی و نهره و هیبه صوته قال الطبرسی فی تفسیر قوله «وَ اسْتَمِعْ یَوْمَ یُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَکانٍ قَرِیبٍ ».

قیل إنّه یناد المناد من صخره بیت المقدّس أیتها العظام البالیه و الأوصال المنقطعه و اللحوم المتمزّقه قومی لفصل القضاء و ما أعدّ اللّه لکم من الجزاء و قیل إنّ المنادی هو إسرافیل یقول یا معشر الخلائق قوموا للحساب (و مقایضه الجزاء) مبادلتها و معاوضتها (و نکال العقاب) إن کسبت یداه فی الدّنیا سیئه (و نوال الثّواب) إن اقترف فیها حسنه.

«فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ »

تنبیه و تحقیق

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه کبعض الخطب الآتیه نصّ صریح فی ثبوت المعاد الجسمانی و علیه قد دلّت الآیات القرآنیّه مما ذکرناها و ما لم یذکر، و السّنن

۱- (۱) روی فی الکافی باسناده عن یزید الکناسی عن أبی جعفر علیه السلام قال: إنّ فتیه من أولاد ملوک بنی اسرائیل کانوا متعبّدین و کانت العباده فی أولاد ملوک بنی اسرائیل و أنهم خرجوا یسیرون فی البلاد لیعتبروا فمرّوا بقبر علی ظهر الطریق قد سفی علیه السافی لیس منه الاّ رسمه فقالوا لو دعونا اللّه الساعه فینشر لنا صاحب هذا القبر فسایلنا کیف و جد طعم الموت فدعوا اللّه تعالی قال فخرج من ذلک القبر رجل أبیض الرأس و اللحیه ینفض رأسه من التراب فزعاشا خصا بصره الی السماء، فقال لهم: ما یوقفکم علی قبری فقالوا: دعوناک لنسألک کیف وجدت طعم الموت فقال لهم: لقد سکنت فی قبری تسعه و تسعون سنه ما ذهب عنّی ألم الموت و کربه و لا خرج مراره طعم الموت من حلقی.فقال «لواظ» له: متّ یوم متّ و أنت علی ما نری أبیض الرأس و اللّحیه؟ قال: لا و لکن لما سمعت الصیحه اخرج اجتمعت تربه عظامی الی روحی فبقیت فیه فخرجت فزعا شاخصا بصری مهطعا إلی صوت الداعی فابیضّ لذلک رأسی و لحیتی، منه.

النّبويه المتواتره بل هو ضرورى الدين و عليه اتفاق المسلمين و مع ذلك كلّه لايعباء بخلاف الحكماء و منعهم منه بناء على امتناع اعاده المعدوم من حيث امتناع عود أسبابه بعينها من الوقت و الدّوره الفلكيه المعيّنه و غيرهما و ربّما قال بعض الحكماء أى حكماء الاسلام بجواز عود المثل و ربّما قلّد بعضهم ظاهر الشّريعه فى أمر المعاد الجسمانى، و إثبات السّعاده و الشقاوه البدنيّه مع الرّوحانيّه.

قال الصّدر الشّيرازى فى شرح الهدايه للميبدى: و اعلم أنّه قد زعمت الفلاسفه الطبيعيّون و اوساخ الدّهريه الذين لا اعتداد بأقوالهم و آرائهم فى الملّه و لا فى الفلسفه انكار المعاد مطلقا للانسان زعما منهم أنّه متكوّن من مزج و امتزاج لهذا الهيكل المحسوس بما له من القوى و الأعراض و ذلک يفنى بالموت و لا يبقى فيه إلّا الموادّ العنصريه و لا اعاده للمعدوم فمهما فسد لا يرجى له عايده فحكموا بأنّه إذا مات مات و نيل سعادته أو شقاوته قد فات كما حكى اللّه عنهم فى كتابه المجيد:

«ما هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا » مثل العشب و المرعى فيصير غثاء أهوى فلهذا السّبب أنكروا النّبوه المنذره بالبعث و فوايدها و أصرّوا صريحا على منع نشر موايدها، و فى هذا تكذيب العقل على ما يراه المحقّقون من أهل الفلسفه و الشّرع على ما قرّره المحقّقون من أهل الملّه.

و اتّفق المحقّقون من الفلاسفه و الملّيين على ثبوت المعاد و حقيّته لكنّهم اختلفوا فى كيفيّته.

فذهب جمهور المسلمين على أنّه جسمانىّ فقط، لأنّ الرّوح عندهم جسم سار فى البدن سريان الزّيت فى الزّيتون و ماء الورد فى الورد و النّار فى الفحم.

و ذهب جمهور الفلاسفه إلى أنّه روحانىّ فقط، لأنّ البدن ينعدم بصوره و أعراضه فلا يعاد و النّفس جوهر مجرّد باق لا سبيل إليه للفساد.

و ما تزيّن به كثير من علماء الاسلام كأصحابنا الاماميّه و الشّيخ الغزالى

ص:۳۶۶

و الكعبى و الحلبى و الرّاغب الاصفهانى هو القول بالمعادين: الرّوحانى و الجسمانى جميعا ذهابا إلى أن النّفس جوهر مجرّد يعود إلى البدن، و هذا رأى كثير من الصّوفيّه و الكراميّه و به يقول جمهور النّصارى و التّناسخيّه.

قال الامام الرّازى إلاّ أنّ الفرق أنّ المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردّها إلى البدن لا في هذا العالم بل فى الآخره، و التّناسخيّه بقدمها و ردّها إليه فى هذا العالم و ينكرون الآخره و الجنّه و النّار.

أقول: و ممّن قال بالمعادين الشّيخ الرّئيس أبو علىّ بن سينا قال فى محكىّ كلامه من الشفا: يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشّرع و لا سبيل إلى إثباته إلاّ من طريق الشّريعه و تصديق خبر النبوّه و هو الذى للبدن عند البعث و خيرات البدن و شروره معلومه لا تحتاج أن تعلم، و قد بسطت الشّريعه الحقه التى أتانا بها سيّدنا و مولينا محمّد صلّى اللّه عليه و آله حال السّعاده و الشّقاوه اللتين بحسب البدن.

و منه ما هو مدرك بالعقل و القياس البرهانى و قد صدّقه النبوّه و هو السّعاده و الشّقاوه البالغتان الثابتتان بالمقائيس اللتان للأنفس و إن كانت الأوهام منّا تقصر عن تصوّرها الآن، لما نوضح من العلل و الحكماء الالهيّون رغبتهم فى اصابه هذه السّعاده أعظم من رغبتهم فى إصابه السّعاده البدنيّه بل كأنّهم لا يلتفتون إلى تلك و ان اعطوها و لا يستعظمونها فى جنب هذه السّعاده التى هى مقاربه الحقّ الأوّل انتهى كلامه.

و قال المحقّق الشّيرازى أيضا فى شرح الهدايه: اعلم أنّ إعاده النّفس إلى بدن مثل بدنها الذى كان لها فى الدّنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه فى القيامه كما نطقت به الشّريعه من نصوص التّنزيل و روايات كثيره متظافره لأصحاب العصمه و الهدايه غير قابله للتّأويل كقوله تعالى:

«قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ »

ص:۳۶۷

«مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » «فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ » «أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ » أمر ممكن غير مستحيل فوجب التّصديق بها لكونها من ضروريّات الدّين و إنكاره كفر مبين و لا استبعاد أيضا فيها بل الاستبعاد و التّعجب من تعلّق النّفس إليه فى أوّل الأمر أظهر من تعجّب عوده إليه إلى أن قال: و لا يضرّنا أيضا كون البدن المعاد غير البدن الأوّل بحسب الشّخص لاستحاله كون المعدوم بعينه معادا و ما شهد من النّصوص من كون أهل الجنّه صردا مردا، و كون ضرس الكافر مثل جبل أحد، و كذا ما روى من قوله يحشر بعض النّاس يوم القيامه على صوره يحسن عندها القرده و الخنازير، يعضد ذلك، و كذا قوله: كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها.

فان قيل فعلى هذا يكون المثاب و المعاقب باللذات و الآلام الجسمانيّه غير من صدرت منه الطاعات و الخيرات و ارتكب المعاصى و الشّرور.

قلنا: العبره فى ذلك الجوهر المدرك و هو النّفس و لو بواسطه الآلات و هى باقيه بعينها و كذا المادّه و السنخ كالأجزاء الأصليّه فى البدن أو غيرها و لهذا يقال للشّخص مع انتقاله من الصّبا إلى الشّيخوخيّه و التّجدّدات و الاستحالات الواقعه فيما بين أنّه هو بعينه و إن تبدّلت الصّور و الهيآت و كثير من الأعضاء و الآلات و لا يقال لمن جنى فى الشّباب و عوقب فى المشيب أنّه عقاب بغير الجانى انتهى.

و أنت إذا أحطت خبرا بالأقوال فى المسأله فلا بأس بالاشاره إلى بعض شبه المنكرين مع إبطال شبههم حسبما اشير إليه فى الكتاب العزيز قال سبحانه:

«أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ »

ص:۳۶۸

«قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِی أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ هُوَ بِکُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ».

روی أنّ امیه بن خلف أو العاص بن وائل السّهمی أو أبی بن خلف و هو المرویّ عن الصّادق علیه السّلام أیضا جاء بعظم بال متفتّت و قال: یا محمّد أ تزعم أنّ اللّه یبعث هذا؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: نعم و یدخلک جهنّم فنزلت الآیه، و هو المراد بالانسان فی الآیه و إن کان الحکم جاریا فی حقّ کل من ینکر البعث و الحشر إذ العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب علی ما تقرّر فی الاصول فالمعنی:

أو لم یعلم الانسان أنا خلقناه من نطفه، ثمّ نقلناه من النّطفه إلی العلقه، و من العلقه إلی المضغه، و من المضغه إلی العظام، و کسونا العظام لحما، ثمّ أنشأناه خلقا آخر کامل العقل و الفهم، فاذا کمل عقله و فهمه صار متکلّما مخاصما، فمن قدر علی مثل هذا فکیف لا یقدر علی الاعاده و الاحیاء مع أنّها أسهل من الانشاء و الابتداء؟ ثمّ أکّد سبحانه الانکار علیه فقال: و ضرب لنا مثلاً أی ضرب المثل فی إنکار البعث بالعظم البالی وفتّه بیده، و نسی خلقه، أی ترک النّظر فی خلق نفسه مع أنّه من أدلّ الدلائل علی جواز البعث و إمکانه، لما ذکرناه من أنّه مخلوق من نطفه متشابهه الأجزاء مع کونه مختلف الأعضاء إذ لو کان خلقه من أشیاء مختلفه الصّور لأمکن أن یقال العظم خلق من جنس صلب و اللحم من جنس رخو و کذلک الحال فی کلّ عضو، و لما کان خلقه من متشابهه الأجزاء مع اختلاف صوره کان ذلک دلیلا علی کمال الاختیار و القدره.

مضافا إلی القوّه العاقله و الفاهمه و الناطقه التی أعطاها اللّه له و أبدعها فیه فقدر معها علی المخاصمه و الاحتجاج مع أنّ تلک القوّه لم تکن فی النطفه أصلا و لم تکن من مقتضیاتها و دلاله ذلک علی الاختیار و الاقتدار أقوی.

ثمّ إنّ المنکرین للبعث منهم من لم یذکر فیه دلیلا و لا شبهه و إنّما اکتفی

بمجرّد الاستبعاد و ادّعى الضروره و البداهه فى استحاله المعاد و هم الأكثرون و يدلّ عليه ما حكاه تعالى عنهم فى غير موضع كما قال: و قالوا أ إذا ظللنا فى الأرض ء إنّا لفى خلق جديد، أ إذا متنا و كنا ترابا و عظاما ء إنّا لمبعثون، ءإنّك لمن المصدّقين أ إذا متنا و كنّا ترابا و عظاما ءإنّا لمدينون إلى غير ذلك.

و مثلها ما حكاه هنا بقوله: قال من يحيى العظام و هى رميم، على طريق الاستبعاد، و هو المراد بالمثل الذى ضربه الانسان المذكور و لما كان استبعاده من جهه التفتّت و التفرق اختار العظم للذكر لبعده عن الحياه لعدم الاحساس فيه و وصفه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلا و التفتّت و قال: هى رميم، و قد دفع اللّه سبحانه بقوله: و نسى خلقه، إذ لو كان تدبّر فى خلقه و عرف قدره خالقه و اختياره و علمه لما استبعد ذلك.

و منهم من ذكر شبهه و إن كان مرجعها بالأخره إلى الاستبعاد أيضا و هى على وجهين:

أحدهما أنّه بعد العدم لا يبقى شىء فكيف يصحّ على المعدوم الحكم بالوجود و دفعها بقوله. قل يحيها الّذى أنشأها أوّل مرّه، يعنى كما خلق الانسان و لم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده و إن لم يبق شيئا مذكورا.

و ثانيهما أنّ من تفرّق أجزاؤه فى مشارق الأرض و مغاربها و صار بعضه فى أبدان السباع، و بعضه فى جدران الرّباع و بعضه فى ضرايح القبور و بعضه فى أو كار الطيور كيف يجمع.

و أبعد من ذلك أنّه قد يأكل الانسان سبع و يأكل السّبع طاير و يأكل الطائر إنسان آخر، و من المعلوم أنّ أجزاء المأكول يصير جزء بدن الآكل فاذا حشر الانسان و الحيوان على ما هو المذهب الحقّ فتلك الأجزاء المفروضه إمّا أن تعاد فى بدن الآكل أو فى بدن المأكول أو هما معا، فان اعيدت فى بدن الآكل لزم أن لا يعاد المأكول، و إن اعيد المأكول لزم أن لا يعاد الآكل و إن كان الثالث لزم المحال، لأنّ الجزء الواحد لا يكون فى موضعين.

فقال تعالى فى إبطال هذه الشّبهه: و هو بكلّ خلق عليم، و توضيحه أنّ فى

بدن الآكل أجزاء أصليّه و أجزاء فضليّه، و فى المأكول كذلك، فاذا أكل الانسان سبع صار الأصلى من أجزاء المأكول فضليا من أجزاء الآكل و الأجزاء الأصليّه للآكل هى ما كان له قبل الاكل، و اللّه بكلّ خلق عليم، يعلم الأصلى من الفضلى فيجمع الأجزاء الاصليّه للآكل و ينفخ فيها روحه، و يجمع الأجزاء الاصليّه للمأكول فينفخ فيها روحه، و كذلك يجمع الأجزاء المتفرقه من البقاع و الأصقاع بحكمته الشّامله و قدرته الكامله.

ثمّ بالغ سبحانه فى إبطال إنكارهم بقوله: الذى جعل لكم من الشّجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توفدون، و وجه المبالغه هو أنّ الانسان مشتمل على جسم يحسّ به و حياه ساريه فيه و هى كحراره جاريه فيه، فان استبعدتم وجود حراره و حياه فيه فلا تستبعدوه فانّ النار فى الشّجر الأخضر الذى يقطر منه الماء أعجب و أغرب و أنتم تشهدونه حيث إنّكم منه توقدون.

و إذا حقّقت ما ذكرناه و وضح لك صحّه المعاد الجسمانى وضوح الشّمس فى رابعه النّهار:

ظهر لك فساد ما ربّما قيل أو يقال: من أنّ الآيات المشعره بالمعاد الجسمانى ليست أكثر و أظهر من الآيات المفيده للتّجسّم و التّشبه و الجبر و القدر و نحو ذلك و قد وجب تأويلها قطعا و صرفها عن ظواهرها.

قلنا دلّ هذه الآيات أيضا إلى بيان المعاد الرّوحانى و أحوال سعاده النّفس و شقاوتها بعد مفارقه الأبدان و الأجسام على وجه يفهمه العوام، فانّ الأنبياء مبعوثون إلى كافّه الخلق للارشاد بقدر الاستعداد إلى سبيل الحقّ و تكميل النفوس بحسب القوّه النظريه و العمليه و تبقيه النظام المفضى إلى صلاح الكلّ.

و ذلك بالتّرغيب و التّرهيب بالوعد و الوعيد و البشاره بما يعتقدونه لذّه و كمالا و الانذار عمّا تعدونه ألما و نقصانا و أكثرهم عوام تقصر عقولهم لا ـ يفهمون عالم الأشباح و المحسوسات عن ذات المبدأ الأوّل و الشّريعه تحاكيها بمثالاتها المأخوذه من المبادى الجسمانيه و تحاكى الأفعال الالهيه بأفعال المباد المدنيّه من الملوك و السلاطين القهارين و هكذا.

ص:۳۷۱

فوجب أن يخاطبهم الأنبياء فى باب المعاد بما هو مثال للمعاد الحقيقى ترغيبا و ترهيبا للعوام و تتميما للنظام و لهذا قيل إنّ الكلام مثل و أشباح للفلسفه.

وجه ظهور الفساد أنّ الذّهاب إلى المجاز إنّما هو عند تعذّر إراده الحقيقه و المصير إلى التأويل عند عدم إمكان الظاهر كما فى آيات الجبر و القدر و التجسّم، و ما نحن فيه ليس من هذا القبيل إذ لا تعذّر ههنا سيّما على قول من يقول بكون البدن المعاد مثل الأوّل لا عينه.

و حمل كلام الشريعه و نصوص الكتاب على الأمثال و الأشباح و الاشاره إلى معاد النفس و الرّعايه لمصلحه العامّه التوجب «توجب ظ» نسبه المتصدّعين للشرع إلى الكذب فيما يتعلّق بالتبليغ و القصد إلى تضليل أكثر الخلائق و التعصّب طول العمر لترويج الباطل و إخفاء الحقّ لأنهم لا يفهمون من الكلام إلّا ظاهره الّذى لا حقيقه له على ما زعمه هذا القائل، و ما هذه إلّا فريه بيّنه و بهتان عظيم.

و بذلك كلّه ظهر أنّ ما حكاه فى شرح البحرانى من تأويل بعض الفضلاء كلام الامام عليه السّلام فى هذا الفصل على ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحانى مما لا طائل تحته بل تطويل الكتاب بمثل تلك التأويلات البارده الفاسده موجب لتفويت الوقت و تضييع القوّه القدسيّه.

عصمنا اللّه سبحانه من هفوات الجنان، و عثرات اللسان بحق محمّد و آله البرره الكرام عليه و عليهم السّلام إلى يوم البعث و القيام.

هدايه و ارشاد

فى الاشاره إلى معنى الحشر على ما حقّقه صدر المتألّهين فى كتابه المسمّى بمفاتح الغيب و ايراد بعض الأخبار الوارده فى ذلك و ما يناسب ذلك.

فاعلم أنّ الزّمان علّه التّغير و التعاقب و الاحتجاب بوجه، و المكان علّه التفرّق و التكثّر و الاغتياب بوجه، فهما سببان لاختفاء الموجودات و احتجاب بعضها عن بعض، فاذا ارتفعا فى القيامه ارتفع الحجب بين الخلائق فيجتمع الخلائق كلّهم و الأوّلون و الآخرون قل إنّ الأوّلين و الآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم فهى يوم الجمع

ذلک یجمعکم لیوم الجمع ذلک یوم التغابن.

و بوجه آخر، ذلک یوم الفصل لأنّ الدّنیا دار مغالطه و اشتباه یتشابک فیها الحقّ و الباطل و یتعانق فیها الوجود و العدم و الخیر و الشرّ و النور و الظلمه و فی الآخره یتقابل المتخاصمان و یتفرّق المتخالفان، و یوم تقوم الساعه یومئذ یتفرّقون.

و فیها یتمیّز التشابهان، لیمیز الخبیث من الطیّب، و ینفصل الخصمان، لیحقّ الحقّ و یبطل الباطل، لیهلک من هلک عن بیّنه و یحیی من حیّ عن بیّنه.

و لا ـ منافاه بین هذا الفصل و ذلک الجمع بل هذا یوجب ذلک، هذا یوم الفصل جمعناکم و الأوّلین، و الحشر أیضا بمعنی الجمع، و حشرناهم فلم نغادر منهم أحدا إذا عرفت ذلک فأقول قال سبحانه:

«وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِیهِ أُخْری فَإِذا هُمْ قِیامٌ یَنْظُرُونَ وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها وَ وُضِعَ الْکِتابُ وَ جِیءَ بِالنَّبِیِّینَ وَ الشُّهَداءِ وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ وَ وُفِّیَتْ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِما یَفْعَلُونَ ».

قال الطبرسیّ فی تفسیر الصور: و هو قرن ینفخ فیه إسرافیل و وجه الحکمه فی ذلک أنها علامه جعلها اللّه لیعلم بها العقلا آخر أمرهم فی دار التکلیف ثمّ تجدید الخلق فشبه ذلک بما یتعارفونه من بوق الرحیل و النزول و لا یتصوّره النفوس بأحسن من هذه الطریقه، و قوله: فصعق من فی السموات و من فی الأرض، أی یموت من شدّه تلک الصّیحه التی تخرج من الصّور جمیع من السموات و الأرض یقال: صعق فلان إذا مات بحال هائله شبیهه بالصیحه العظیمه.

و اختلف فی المستثنی بقول إلاّ ـ من شاء اللّه، و فی المجمع روی مرفوعا هم جبرئیل و میکائیل و إسرافیل و ملک الموت و فی روایه أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله سأل جبرئیل

عن هذه الآيه من ذا الذى لم يشاء اللّه أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء متقلّدون أسيافهم حول العرش.

و قوله: ثمّ نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون، أراد النفخه الثانيه و يسمّى النفخه الاولى بنفخه الصعق، و الثانيه بنفخه البعث أى ثمّ نفخ فيه نفخه اخرى فاذا هم قائمون من قبورهم يقلّبون أبصارهم فى الجوانب، و قال الطبرسى أى ينتظرون ما يفعل بهم و ما يؤمرون به.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى باسناده عن ثوير بن أبى فاخته عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال:

سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء اللّه، فقيل له فأخبرنى يا بن رسول اللّه كيف ينفخ فيه؟ فقال: أما النّفخه الاولى فانّ اللّه يأمر اسرافيل فيهبط إلى الأرض و معه الصّور و للصّور رأس واحد و طرفان و بين رأس كلّ طرف منهما إلى الآخر ما بين السماء و الأرض، فاذا رأت الملائكه إسرافيل و قد هبط إلى الدّنيا و معه الصور قالوا: قد أذن اللّه فى موت أهل الأرض و فى موت أهل السّماء.

قال: فهبط إسرافيل بحظيره القدس و هو مستقبل الكعبه فاذا رأوه أهل الأرض قالوا: قد أذن اللّه عزّ و جلّ فى موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخه فيخرج الصّوت من الطرف الذى يلى الأرض فلا يبقى فى الأرض ذو روح إلّا صعق و مات، و يخرج الصّوت من الطرف الذى يلى السّماوات، فلا يبقى فى السّماوات ذو روح إلّا صعق و مات إلّا إسرافيل.

قال: فيقول اللّه لاسرافيل: يا إسرافيل مت، فيموت إسرافيل فيمكثون فى ذلك ما شاء اللّه، ثمّ يأمر السّماوات فتمور و يأمر الجبال فتسير و هو قوله:

«يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً ».

يعنى يبسط و يبدّل الأرض غير الأرض يعنى بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزه ليس عليها جبال و لا نبات كما دحاها أوّل مرّه و يعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّه

مستقلاّ بعظمته و قدرته.

قال: فعند ذلک ینادی الجبّار جلّ جلاله بصوت من قبله جوهری (جهوری خ ل) یسمع أقطار السّماوات و الأرضین: لمن الملک الیوم؟ فلا یجبه مجیب، فعنـد ذلک یقول الجبّار عزّ و جلّ مجیبا لنفسه: للّه الواحد القهّار، و أنا قهرت الخلائق کلّهم و أمّتهم إنّی أنا اللّه لا إله إلاّ أنا وحدی لا شریک لی و لا وزیر و أنا خلقت خلقی بیدی و أنا أمّتهم بمشیّتی و أنا أحیاهم بقدرتی.

قال: فینفخ الجبّار نفخه اخری فی الصّور فیخرج الصّوت من أحد الطرفین الذی یلی السّماء فلا یبقی فی السّموات أحد إلاّ حیّ و قام کما کان، و یعود حمله العرش، و یحضر الجنّه و النّار و یحشر الخلائق للحساب.

قال الرّاوی: فرأیت علیّ بن الحسین یبکی عند ذلک بکاء شدیدا.

فـان قلت إذا فنت الأجساد و انعـدمت الأجسام فما الفائـده فی خطاب لمن الملک؟ قلنا: ما یصـدر عن الحکیم العلیم لا بـدّ و أن یکون متضـمّنا للحکمه و المصـلحه و إن کانت مختفیه عنـدنا، و یمکن أن یکون فیه اللطف بالنّسبه إلی المکلّفین من حیث إنّ المخبر الصّـادق إذا أخبرهم بوقوع ذلـک الخطـاب یوجب ذلـک حقاره الـدّنیا فی نظرهم و عـدم اغترارهم بملکها و سلطنتها و یوجب زیاده علمهم بقدره اللّه و عزّته و بتفرّده فی تدبیر العالم، تعالی علوا کبیرا هذا.

و روی علیّ بن إبراهیم أیضا عن أبی عبـد اللّه علیه السّـلام قال: و أتی جبرئیل رسول اللّه و أخذ بیده و أخرجه إلی البقیع فانتهی به إلی قبر فصوت بصـاحبه فقال: قم باذن اللّه فخرج منه رجل أبیض الرّأس و اللحیه یمسـح التّراب عن وجهه و هو یقول: الحمد للّه و اللّه أکبر، فقال جبرئیل: عـد باذن اللّه تعالی، ثمّ انتهی به إلی قبر آخر فقال: قم باذن اللّه، فخرج منه رجل مسوّد الوجه و هو یقول: یا حسـرتاه یا ثبوراه، ثمّ قال له جبرئیل: عـد إلی ما کنت فیه باذن اللّه تعالی، فقال: یا محمّـد هکـذا یحشـرون یوم القیامه، فالمؤمنون یقولون هذا القول و هؤلاء یقولون ما تری.

و فی الأنوار النّعمانیه للسید الجزائری قال روی شیخنا الکلینیّ قدّس اللّه روحه و تغمّده اللّه برحمته فی الصحیح عن یعقوب الأحمر قال: دخلنا علی أبی عبد اللّه علیه السّلام نعزّیه باسماعیل فترحّم علیه ثمّ قال: إنّ اللّه تعالی نعی إلی نبیّه نفسه فقال: إنک میّت و إنّهم میّتون، و کلّ نفس ذائقه الموت ثمّ أنشأ علیه السّلام یحدّث فقال:

إنه یموت أهل الأرض حتّی لا یبقی أحد، ثمّ یموت أهل السماء حتّی لا یبقی أحد إلاّ ملک الموت و حمله العرش و جبرئیل و میکائیل.

قال: فیجیء ملک الموت حتّی یقف بین یدی اللّه تعالی فیقول له، من بقی؟ و هو أعلم، فیقول: یا ربّ لم یبق إلاّ ملک الموت و حمله العرش و جبرئیل و میکائیل فیقال له قل لجبرئیل و میکائیل فلیموتا فتقول الملائکه عند ذلک یا ربّ رسولیک و أمینیک، فیقول تعالی: إنّی قضیت علی کلّ نفس فیها الرّوح الموت.

ثمّ یجیء ملک الموت حتّی یقف بین یدی اللّه عزّ و جلّ فیقول له: من بقی؟ و هو أعلم، فیقول: یا ربّ لم یبق إلاّ ملک الموت و حمله العرش، فیقول: قل لحمله العرش فلیموتوا، ثمّ یجیء کئیبا حزینا لا یرفع طرفه فیقول له من بقی؟ و هو أعلم، فیقول: یا ربّ لم یبق إلاّ ملک الموت، فیقول له: مت یا ملک الموت، فیموت.

ثمّ یأخذ الأرض بیمینه و السّماوات بشماله فیقول: أین الذین کانوا یدعون معی شریکا؟ أین الذین یجعلون معی الها آخر؟ و فی الأنوار أیضا إنّ النّفخه الأولی هی اللّتی للهلاک تأتی النّاس بغته و هم فی أسواقهم و طلب معایشهم فاذا سمعوا صوت الصّور تقطعت قلوبهم و أکبادهم من شدّته فیموتوا دفعه واحده، فیبقی الجبّار جلّ جلاله فیأمر عاصفه فتقلع الجبال من أماکنها و تلقاها فی البحار و تفور میاه البحار و کلّما فی الأرض و تسطح الأرض کلّها للحساب فلا یبقی جبل و لا شجر و لا بحر و لا وهده و لا تلعه فتکون أرضا بیضاء حتّی أنّه روی لو وضعت بیضه فی المشرق رایت فی المغرب، فیبقی سبحانه علی هذا الحال مقدار أربعین سنه.

فاذا أراد أن یبعث الخلق قال مولینا الصّادق علیه السّلام أمطر السّماء علی الأرض

أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال و نبتت اللحوم و يأمر اللّه تعالى ريحا حتّى تجمع التّراب الذى كان لحما و اختلط بعضه ببعض و تفرّق فى البرارى و البحار و فى بطون السّباع فتجمعه تلك الريح فى القبر.

فعند ذلك يجىء إسرافيل و صوره معه و يأمره بالنفخه الثانيه، و ينفخ فيه النفخه الثّانيه فاذا نفخ تركّبت اللّحوم و الأعضاء و أعيدت الأرواح إلى أبدانها و انشقّت القبور فخرج النّاس خائفين من تلك الصّيحه ينفضون التّراب عن رؤوسهم، فيجىء إلى كلّ واحد ملكان عند خروجه من القبر يقبض كلّ واحد منهما عضدا منه فيقولان له:

أجب ربّ العزّه، فيتحيّر من لقائهما و يأخذه الخوف و الفزع حتّى أنّه فى تلك الساعه يبيض شعر رأسه و بدنه بعد ما كان أسود.

و عند ذلك يكثر فى الأرض الزلزال حتّى يخرج ما فيها من الأثقال و يشيب كلّ الأطفال و تضع كلّ ذات حمل حملها و ترى النّاس سكارى و ما هم بسكارى و لكن عذاب اللّه شديد.

و فى روضه الكافى باسناده عن ثوير بن أبى فاخته قال: سمعت علىّ بن الحسين عليهما السّلام يحدّث فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال: حدّثنى أبى أنّه سمع أباه علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يحدّث النّاس.

قال إذا كان يوم القيامه بعث اللّه تبارك و تعالى النّاس من حفرهم عزلاّ مهلاجردا فى صعيد واحد يسوقهم النّور و يجمعهم الظلمه حتّى يقفوا على عقبه المحشر، فيركب بعضهم بعضا و يزدحمون دونها فيمنعون من المضى فيشتدّ أنفاسهم و يكثر عرقهم و يضيق بهم أمورهم، و يشتدّ ضجيجهم و يرتفع أصواتهم.

قال عليه السّلام و هو أوّل هول من أهوال القيامه قال: فتشرف الجبّار تبارك و تعالى عليهم من فوق عرشه فى ظلال من الملائكه فيأمر ملكا من الملائكه فينادى فيهم: يا معشر الخلائق انصتوا و استمعوا مناد الجبّار، قال: فيسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم.

قال: فتتكسر أصواتهم عند ذلك و يخشع أبصارهم و يضطرب فرايصهم و تفزع

قلوبهم و یرفعون رؤوسهم إلی ناحیه الصّوت مهطعین إلی الداعی قال: فعند ذلک یقول الکافر: هذا یوم عسر.

قال: فیشرف الجبّار عزّ ذکره علیهم فیقول: أنا اللّه لا إله إلاّ أنا الحکم العدل الذی لا یجور الیوم أحکم بینکم بعدلی و قسطی لا یظلم الیوم عندی أحد، الیوم آخذ للضعیف من القویّ بحقّه و لصاحب المظلمه بالمظلمه بالقصاص من الحسنات و السّیئآت و اثیب علی الهبات و لا یجوز هذه العقبه عندی ظالم و لا أحد عنده مظلمه إلاّ مظلمه یهبها لصاحبها و اثیبه علیها و آخذ له بها عند الحساب فتلازموا أیّها الخلایق و اطلبوا بمظالمکم عند من ظلمکم بها فی الدّنیا، و أنا شاهد لکم علیهم و کفی لی شهیدا.

قال: فیتعارفون و یتلازمون فلا یبقی لأحد له عند أحد مظلمه أو حقّ إلاّ لزمه بها.

قال: فیمکثون ما شاء اللّه فیشتدّ حالهم و یکثر عرقهم و یشتدّ غمّهم و یرتفع أصواتهم بضجیج شدید فیتمنّون المخلص منه بترک مظالمهم لأهلها.

قال: و یطلع اللّه عزّ و جلّ علی جهدهم فینادی مناد من عند اللّه تبارک یسمع آخرهم کما یسمع أولهم: یا معشر الخلایق انصتو الداعی اللّه تبارک و تعالی و اسمعوا إنّ اللّه تبارک و تعالی یقول: أنا الوهّاب إن أحببتم أن تواهبوا فواهبوا و إن لم تواهبوا أخذت لکم بمظالمکم.

قال: فیفرحون بذلک لشدّه جهدهم و ضیق مسلکهم و تزاحمهم.

قال علیه السّلام فیهب بعضهم مظالمهم رجاء أن یتخلّصوا مما هم فیه و یبقی بعضهم فیقول:

یا ربّ مظالمنا أعظم من أن نهبها.

قال علیه السّلام فینادی مناد من تلقاء العرش أین رضوان خازن الجنان جنان الفردوس قال: فیأمر اللّه عزّ و جلّ أن یطلع من الفردوس قصر من فضّه بما فیه من الآنیه و الخدم قال: فیطلعه علیهم فی حفافه القصر الوصایف و الخدم.

قال فینادی مناد من عند اللّه تبارک و تعالی: یا معشر الخلایق ارفعوا رؤوسکم فانظروا إلی هذا القصر، قال: فیرفعون رؤوسهم فکلّهم یتمنّاه، قال: فینادی مناد

من عند اللّه یا معشر الخلایق هذا لکلّ من عفی عن مؤمن، قال: فیعفون کلّهم إلاّ القلیل.

قال: فیقول اللّه عزّ و جلّ لا یجوز إلی جنّتی الیوم ظالم و لا یجوز إلی ناری الیوم ظالم، و لا أحد من المسلمین عنده مظلمه حتّی یأخذها منه عند الحساب أیّها الخلایق استعدّوا للحساب.

قال: ثمّ یخلّی سبیلهم فینطلقون إلی العقبه یلوذ بعضهم بعضا حتّی ینتهوا إلی العرصه و الجبار تبارک و تعالی علی العرش قد نشرت الدواوین و نصبت الموازین احضر النبیّون و الشهداء و هم الأئمه یشهد کلّ إمام علی أهل عالمه بأنّهم قد قام فیهم بأمر اللّه عزّ و جلّ و دعاهم إلی سبیل اللّه.

قال: فقال له رجل من قریش: یابن رسول اللّه إذا کان للرّجل المؤمن عند الرّجل الکافر مظلمه أیّ شیء یأخذ من الکافر و هو من أهل النّار؟ قال: فقال له علیّ بن الحسین علیهما السّلام: تطرح من المسلم من سیئآته بقدر ما له علی الکافر فیعذب الکافر بها مع عذابه بکفره عذابا بقدر ما للمسلم قبله من مظلمه.

قال: فقال له القرشیّ فاذا کانت المظلمه لمسلم عند مسلم کیف یؤخذ مظلمته من المسلم؟ قال: یؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فیزاد علی حسنات المظلوم.

قال: فقال له القرشیّ: فان لم یکن للظالم حسنات، قال: للمظلوم سیئات یؤخذ من سیئات المظلوم فیزاد علی سیئات الظالم.

الترجمه

تا آنکه چون بریده شود کارها و بسر آید روزگارها و نزدیک شود زنده شدن مردها، خارج می نماید ایشان را خدای تبارک و تعالی از میانهای قبرها و از آشیان های مرغ ها و ماواهای درنده ها و محل افتادن و هلاکشدن آنها، در حالتی که شتابان باشند بسوی أمر پروردگار سرعت کننده باشند بمعاد آفریدگار جمع شوندگان ساکت شدگان ایستادگان صف کشیدگان.

ص:۳۷۹

نافذ می شود در ایشان نظر ربّ الارباب می شنواند ایشان را خوانندهٔ بسوی فصل خطاب، بر ایشانست لباس خضوع و فروتنی و زاری تسلیم و خواری بتحقیق که کم شده باشد در آن روز حیل ها و بریده شود آرزوها.

و خالی می شود قلبها از فرح و سرور در حالتی که ساکت باشند و ترسان باشد صوتها در حالتی که نهان باشند و رسیده شود عرق بدهان و بزرگ شود ترس از گناهان و مضطرب می باشد گوشها بجهت زجر و هیبت صوت ندا کننده بسوی حکم و خطاب فاصل در میان حق و باطل و به عوض دادن جزا به آن چه کرده اند از خیر و شر در دنیا، و گرفتار شدن حذرناک عذاب و عقاب و عطا کردن أصناف ثواب.

الفصل الرابع

اشاره

عباد مخلوقون اقتدارا، و مربوبون اقتسارا، و مقبوضون احتضارا، و مضمّنون أجداثا، و کائنون رفاتا، و مبعوثون أفرادا، و مدینون جزاء، و ممیّزون حسابا، قد أمهلوا فی طلب المخرج، و هدوا سبیل المنهج، و عمّروا مهل المستعتب، و کشفت عنهم سدّف الرّیب، و خلّوا لمضمار الجیاد، و رویّه الارتیاد، و أناه المقتبس المرتاد، فی مدّه الأجل، و مضطرب المهل، فیا لها أمثالا صائبه، و مواعظ شافیه، لو صادفت قلوبا زاکیه، و أسماعا واعیه، و آرآء عازمه، و ألبابا حازمه، فاتّقوا اللّه تقیّه من سمع فخشع، و اقترب فاعترف، و وجل فعمل، و حاذر فبادر، و أیقن فأحسن، و عبّر

ص:۳۸۰

فاعتبر، و حذّر فازدجر، و أجاب فأناب، و راجع فتاب، و اقتدى فاحتذى، و أرى فرأى، فأسرع طالبا، و نجا هاربا، فأفاد ذخيره، و أطاب سريره، و عمر معادا، و استظهر زادا، ليوم رحيله، و وجه سبيله، و حال حاجته، و موطن فاقته، و قدّم أمامه لدار مقامه، فاتّقوا اللّه عباد اللّه جهه ما خلقكم له، و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه، و استحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز لصدق ميعاده، و الحذر من هول معاده.

اللغه

(قسره) على الأمر قسرا من باب ضرب قهره و اقتسره كذلك و (حضره) الموت و احتضره اشرف عليه فهو فى النّزع و هو محضور و محتضر بالفتح.

قال الطريحى: و فى الحديث ذكر الاحتضار و هو السوق سمّى به قيل لحضور الموت و الملائكه الموكلين به و إخوانه و أهله عنده، و فلان محتضر أى قريب من الموت و منه إذا احتضر الانسان وجه يعنى جهه القبله و (الاجداث) جمع الجدث كأسباب و سبب و هو القبر و هذه لغه أهل تهامه و أمّا أهل نجد فيقولون جدف بالفاء و (الرفات) كالفتات بالضّم لفظا و معنا و هو ما تناشر من كلّ شيء و (المنهج) كالنهج و المنهاج الطريق الواضح و (العتبى) بالضّم الرّضا و استعتبه أعطاه العتبى كأعتبه و طلب إليه العتبى من الأضداد.

قال الفيومى عتب عليه عتبا من بابى ضرب و قتل لامه فى تسخط و أعتبنى الهمزه للسبب أى أزال الشكوى و العتاب و استعتب طلب الاعتاب و العتبى اسم من الاعتاب و (السّدف) جمع سدفه، كغرفه و غرف و هى الظلمه و (ضمر) الفرس ضمورا من

باب قعد و ضمر ضمرا من باب قرب قلّ لحمه و هزل، و ضمرته و أضمرته أعددته للسباق و هو أن تعلفه قوتا بعد السّمن أى يعلف حتّى يسمن ثمّ يرد إلى قوته الأوّل ليخفّ لحمه و ذلك فى أربعين يوما، و المضمار الموضع الذى تضمر فيه الخيل.

و (الرّويه) الفكر و التّدبر و هى كلمه جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفا و هى من روأت فى الأمر بالهمز أى نظرت فيه و (الارتياد) الطلب و (تأنّى) فى الأمر تمكث و لم يعجل و الاناه و زان حصاه اسم منه و (المقتبس) كالقابس هو طالب العلم و النار و (صاب) السّهم الغرض صوبا من باب قال و صابه يصيبه من باب باع كأصابه وصل الغرض و ما أخطاه، و فى المثل و فى الخواطى سهم صائب و (حزم) فلان رأيه حزما أتقنه و (التقيه) كالتّقوى اسم من اتقيت اللّه اتقاء و (اقترف) لأهله اقترافا اكتسب من مال حلال أو حرام و (حذر) الشّىء و حاذره خافه.

و يحتمل أن يراد من حاذر كثره الخوف بناء على أن زياده المبنى تدلّ على زياده المعنى و (عبر) أى أرى العبر كثيرا بناء على أنّ التّشديد دليل المبالغه و (زجره) زجرا منعه و نهاه كازدجر فانزجر و ازدجر فازدجر يستعمل مطاوع ازدجر و هو غريب و (أفاد) المال استفاده و أعطاه و هو من الأضداد و (استظهرت) به استعنت و (المقام) بضمّ الميم مصدر كالاقامه يقال قام بالمكان اقامه و مقاما و (كنه) الشّىء حقيقته و غايته و نهايته يقال عرفته كنه المعرفه.

و (نجز) الوعد نجزا من باب قتل تعجل و النّجز مثل قفل اسم منه و يعدّى بالهمزه و الحرف فيقال أنجزته و نجزت به إذا أعجلته و استنجز حاجته و تنجّزها طلب قضاءها ممّن وعده إيّاها.

الاعراب

عباد خبر مبتداء محذوف، و اقتدارا و اقتسارا منصوبان على التّميز، و احتضارا منصوب على الحال المؤكده من قبيل قوله ولّى مدبرا فيئول بالمشتقّ أى مقبوضون محتضرين، مثل قولهم اجتهد وحدك أى منفردا، و أجداثا مفعول فيه و هو و إن لم يكن من ظروف المكان المبهمه أعنى الجهات السّت و ما أشبهها من عند ولدى

ص:۳۸۲

و نحوهما إلا أنّه قد انتصب بفى مقدّره لما فى الكلام من معنى الاستقرار كما قال الرّضىّ.

و أما انتصاب نحو قعدت مقعده و جلست مكانه و نمت مبيته فلكونه متضمّنا لمصدر معناه الاستقرار فى ظرف فمضمونه مشعر بكونه ظرفا لحدث بمعنى الاستقرار كما أنّ نفسه ظرف لمضمونه بخلاف نحو المضرب و المقتل فلا جرم لم ينصبه على الظرفيه إلّا ما فيه معنى الاستقرار اه، و إفرادا منصوب على الحال كانتصاب فردا فى قوله تعالى:

«وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَهِ فَرْداً ».

و جزاء مصدر على غير لفظ فعله و حسابا منصوب بنزع الخافض و ما قاله البحرانى من انه مصدر منصوب بغير فعله ليس بشىء و فى طلب المخرج فى للظرفيّه المجازيه كما فى قولهم فى نفس المؤمنه مأئه من الابل أى فى قتلها، فالسّبب الذى هو القتل متضمّن للدّيه تضمّن الظرف للمظروف، و هذه هى التى يقال إنّها للسّببيه.

و مهل المستعتب بحذف الموصوف مفعول مطلق مجازى من غير المصادر أى امهلوا و عمروا مثل مهل المستعتب، و ما توهّمه الشّارح البحرانى من أنّه مصدر فاسد، و قوله فى مدّه الأجل متعلق بقوله خلوا، و قوله فيا لها أمثالا صائبه منادى تفخيم و تعجّب، و انتصاب أمثالا على التميز من الضمير المبهم.

قال الرّضىّ فى باب التميز من شرح الكافيه: و قد يكون الاسم فى نفسه تاما لا لشىء آخر أعنى لا يجوز إضافته فينصب عنه التميز و ذلک فى شيئين: أحدهما الضمير و هو الأكثر و ذلک فى الأغلب فيما فيه معنى المبالغه و التفخيم كمواضع التعجّب نحو يا له رجلا و يالها قصّه و يا لک ليلا إلى آخر ما قال، و ذخيره و سريره منصوبان على المفعول به.

و قوله: جهه ما خلقكم اه قال الشّارح المعتزلى نصب جهه بفعل مقدّر تقديره و اقصدوا جهه ما خلقكم له يعنى العباده فحذف الفعل و استغنى عنه بقوله

فاتّقوا اللّه لأنّ التّقوى ملازمه لقصد المكلّف العباده فدلّت عليه و استغنى بها عن إظهاره.

قيل و يجوز انتصابها على الظرفيه أى اجعلوا تقواكم فى تلك الجهه أى نظرا إلى تلك الجهه لا للرّياء و السمعه، و الحذر بالجرّ عطف على التّنجّز.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل مسوق لشرح حال النّاس و الكشف عن أوصافهم و التّنبيه على ما خلقوا لأجله و ما يصير أمرهم إليه و استدرج ذلك بمواعظ شافيه و نصايح وافيه، و المقصود بذلك كلّه تنبّههم عن نوم الغفله و الجهاله و افاقتهم من سكر الحيره و الضّلاله.

فقوله (عباد مخلوقون اقتدارا) يعنى أنّ النّاس الذين شرحنا حالهم و ذكرنا كيفيّه حشرهم و معادهم هم عباد خلقهم اللّه سبحانه من قدرته التّامّه الكامله و حكمته الجامعه البالغه و ليس خلقهم لذواتهم و من اتّصف بذلك لا يجوز له العصيان لخالقه و بارئه.

(و مربوبون اقتسارا) أى مملوكون من قهر و غلبه و ربّاهم اللّه سبحانه من صغرهم إلى كبرهم لا عن اختيار منهم حتّى يكون لهم الخيره فى معصيه ربّهم و مالكهم (و مقبوضون احتضارا) أى مقبوضون بالموت محتضرين إلى حضره ذى العزّه فيجازيهم بالحسنه و السّيئه (و مضمّنون أجداثا) أى فى قبور هى دار الوحده و الوحشه (و كائنون رفاتا) و عظاما فتاتا أى أجزاء شتاتا (و مبعوثون افرادا) أى وحدانا لا مال لهم و لا ولد كما فسّر بذلك قوله تعالى:

«وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ».

قال فی مجمع البیان: أی جئتمونا وحدانا لا مال لکم و لا خول و لا ولد و لا حشم و قیل واحدا واحدا علیحده و قیل کلّ واحد منکم منفردا من شریکه فی الغیّ و شفیقه کما خلقناکم أوّل مرّه أی خلقناکم فی بطون امّهاتکم لا ناصر لکم و لا معین و قیل معناه ما روی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: تحشرون حفاتا عراتا عزلا، و العزل هم الغلف.

و روی إنّ عایشه قالت لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین سمعت ذلک: و اسوأتاه ینظر بعضهم إلی سوءه بعض من الرّجال و النّساء قال: صلّی اللّه علیه و آله: لکلّ امرء منهم یومئذ شأن یغنیه و یشغل بعضهم عن بعض.

و ترکتم ما خوّلناکم وراء ظهورکم، معناه ترکتم ما ملّکناکم فی الدّنیا ممّا کنتم تتباهون به من الأموال خلف ظهورکم، و المراد ترکتم الأموال فی الدّنیا و حملتم من الذّنوب الأحمال و استمتع غیرکم بما خلفتم و حوسبتم علیه فیا لها حسره (و مدینون جزاء) أی مجزیّون بأعمالهم جزاء إن خیرا فخیرا و إن شرّا فشرّا.

«مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَلا یُجْزی إِلاّ مِثْلَها وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ ».

(و ممیزون حسابا) أی فی حساب یعنی بتمیّز المؤمن من المجرم و التقیّ من الشّقیّ و الجیّد من الرّدیّ فی یوم الحساب و مقام المحاسبه کما قال سبحانه:

«وَ امْتازُوا الْیَوْمَ أَیُّهَا الْمُجْرِمُونَ ».

أی اعتزلوا من أهل الجنّه و کونوا فرقه علی حده.

نقل أنّه إذا جمع اللّه الخلق یوم القیامه بقوا قیاما علی أقدامهم حتّی یلجمهم العرق فینادون یا ربّنا حاسبنا و لو إلی النار فیبعث اللّه ریاحا فتضرب بینهم و ینادی مناد: و امتازوا الیوم أیّها المجرمون، فتمیّز بینهم فصار المجرمون إلی النار و من کان فی قلبه ایمان صار إلی الجنّه.

(قد امهلوا فی طلب المخرج) یعنی أنّ اللّه سبحانه أمهلهم فی دار الدّنیا لطلب نجاتهم و خلاصهم من الظلمات إلی النور و خروجهم من الضلاله إلی السداد و من الغوایه إلی الرشاد (و هدوا سبیل المنهج) أی هداهم اللّه تعالی بما جعل لهم من العقول و بعث إلیهم من الأنبیاء و الرّسل إلی المنهج القویم و الصّراط المستقیم الموصل لسالکه إلی حظیره القدس و جنّه الفردوس.

(و عمروا مهل المستعتب) یعنی أعطاهم اللّه العمر و أمهلهم فی الدّنیا مثل مهل من یطلب رضائه و اعتابه أی إزاله اللّوم و الشکوی عنه و لما کان من یطلب إزاله اللّوم عنه و یقصد رجوعه عن غیّه بمهل طویلا و یداری شبّه علیه السّلام مهله اللّه لخلقه مدّه أعمارهم لیرجعوا إلی طاعته و یعملوا صالحا بذلک فافهم جیّدا.

(و کشفت عنهم سدف الرّیب) أی ازیلت عنهم ظلمات الشکوکات و الشّبهات بما منحهم اللّه من العقول مؤیدا بالرّسل(و خلّوا لمضمار الجیاد)أی خلاهم اللّه و ترکهم فی الدّنیا لیضمروا أنفسهم و یستعدّوا السّباق فی الآخره کما یترک الجیاد من الخیل فی المضمار و تضمر لیحصل لها الاستعداد للمسابقه و یحاز بها قصب السّبق و یؤخذ بها السّبق.

و فی الاتیان بلفظه الجیاد تنبیه علی أن یکونوا من جیاد مضمارهم و قد مرّ توضیح تشبیه الدّنیا بالمضمار فی شرح الخطبه السابعه و العشرین فلیراجع (و) کذلک خلّوا ل (رویه الارتیاد و أناه المقتبس المرتاد) أی للتّفکر فی طلب الحق و لیتأنوا أناه المتعلّم للعلوم الحقّه المحتاج فی تعلّمه إلی التأنّی و المهله الطالب للأنوار الالهیّه لیهتدی بها فی ظلمات الجهل و الغفله (فی مدّه الأجل) الذی عیّنه سبحانه لهم (و مضطرب المهل) الذی قدّر فی حقّهم.

ثمّ نبّه علیه السّلام علی کمال کلامه و فضل موعظته و عرّض علی عدم القلوب الحامله لها بقوله (فیا لها أمثالا صائبه و مواعظ شافیه) أی أمثالا مطابقه لممثلاتها متّصفه بالصّواب خالیه عن الخطاء و مواعظ شافیه لأمراض الجهل مبرئه عن آلام الهوی (لو صادفت) تلک الأمثال و المواعظ (قلوبا) طاهره (زاکیه و أسماعا) حافظه

(واعيه) أى قلوبا مستعدّه لقبول الهدايه و أسماعا قابله لحفظ النّصيحه (و آراء عازمه) قاصده على الرّشد و السّداد (و ألبابا حازمه) متقنه لما فيه الصّلاح و الرّشاد.

و عن معانى الأخبار: الحزم أن تنتظر فرصتک و تعاجل ما أمكنک.

و فى الحديث: الحزم بضاعه و التّوانى اضاعه و فيه: الظفر بالحزم و الحفر «الحزم ظ» باجاله الرّأى و الرأى بتحصين الأسرار.

قال بعض شرّاح الحديث أشار إلى أسباب الظفر القريب و المتوسّط و البعيد فالحزم أن تقدم العمل للحوادث الممكنه قبل وقوعها بما هو أبعد عن الغرور و أقرب إلى السّلامه، و هو السبب الأقرب للظفر بالمطالب و المتوسط هو إجاله الرّأى و إعماله فى تحصيل الوجه الأحزم و هو سبب أقرب للحزم، و الأبعد هو اسرار ما يطلب و هو سبب أقرب للرّأى الصّالح إذ قلّ ما يتمّ رأى و يظفر بمطلوب مع ظهور إرادته، هذا.

و فى روايه الحزم فى القلب و الرّحمه و الغلظ فى الكبد، و الحياء فى الرّيه.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد التّنبيه على فضل موعظته و الاشاره إلى أسباب قبول الموعظه حثّ على التّقوى أيضا و رغّب فيها لكونها الغرض الأصلى من هذه الخطبه فقال.

(فاتّقوا اللّه) تقيّه مثل (تقيّه من سمع) نداء اللّه (فخشع) قلبه للّه (و اقترف) الاثم و الشّقاء (فاعترف) بالتّقصير و الخطاء (و وجل) العقبى (فعمل) الحسنى (و حاذر) العقوبه (فبادر) المثوبه (و أيقن) أجله (فأحسن) عمله (و عبّر) بما فيه اتّعاظ و اعتبار (فاعتبر) و حصل له انابه و انزجار (و حذر) بالسّخط و النّكال (فازدجر) و انزجر عن سوء الأعمال (و أجاب) دعوه الدّاع إذا دعاه (فأناب) إلى ربّه حين ناداه (و راجع) عقله و تفكر (فتاب) عمّا فرط و قصر (و اقتدى) بالأنبياء و المرسلين (فاحتذى) حذ و عباد اللّه المتّقين (وارى) الآيات فى الآفاق و الأنفس (فرأى) الحقيقه بعيان الحس.

(فأسرع) إلى الخير (طالبا) راغبا (و نجى) من الشرّ (هاربا) راهبا

ص:۳۸۷

(فافاد ذخيره) لسلوك سبيل الرّحمن (و أطاب سريره) من الرّجس و دنس الشّيطان (و عمر معادا) بصالح الأعمال (و استظهر زادا) من التّقى و مكارم الخصال (ليوم رحيله) من الدّنيا (و وجه سبيله) إلى العقبى (و حال حاجته) فى الحشر و المعاد (و مواطن فاقته) يوم التّياد (و قدم) التّقوى (أمامه) ليكون عدّه (لدار) مقيله و (مقامه فاتّقوا اللّه) سبحانه يا (عباد اللّه) و اقصدوا (جهه ما خلقكم له) من تحصيل العرفان و اليقين و تكميل الاخلاص فى الدّين كما قال عزّ من قائل «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ » «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ».

(و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه) بقوله: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَهٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » و قوله: «كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ».

(و استحقّوا منه) تعالى (ما أعدّ) ه (لكم) و هيأه فى حقّكم و يشير به بقوله «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ ».

و استحقاق ذلك إمّا (بالتّنجزّ لصدق ميعاده) أى بطلب انجاز وعده الصّادق و التماس وفائه بالجزاء اللائق، و ذلك الطلب إنّما هو بعد الاقبال بالطاعات و الاجتهاد فى إتيان الصّالحات (و) إمّا بـا (الحذر من هول معاده) و هو إنّما يكون بالارتداع من الخطيئات و الازدجار عن السّيئآت، وفّقنا اللّه سبحانه للاقبال و الابتهال و للانتهار و الانزجار و أنّى لنا بذلك مع ما نحن عليه من الاغترار بالدّنيا و لذّاتها و الافتتان

بشهواتها.

كانّا نرى أن لا نشور و أنّنا سدى مالنا بعد الفناء بصائر

ألا لا و لكنّا نغرّ نفوسنا و تشغلنا اللذّات عمّا نحاذر

و كيف يلذّ العيش من هو موقن بموقف عدل حين تبلى السرائر

الترجمه

ايشان بندگانند مخلوق شده از روى قدرت فاعل مختار، و مملوك از روى قهر و جبر بى اختيار، و قبض كرده شده در حالتى كه محتضرند و مرتحل بدار قرار، و نهاده شده اند در درون قبور و گرديده اند اجزاء متفرّقه چون هباء منثور، و مبعوث شده اند در حالتى كه منفردند از أهل و مال، و جزا داده شده اند جزا دادنى بحسب اعمال، و تميز داده شده اند در مقام حساب ربّ الأرباب.

بتحقيق كه مهلت داده شده اند در دنيا بجهه طلب خروج از ظلمت جهالت و راه نموده شده اند براه راست رشادت و معمّر شده اند و مهلت داده شده همچو مهلت كسى كه طلب كننده باشد رضا و ازالۀ ملامت حضرت عزّت را از خود بتوبه و انابت و زايل گردانيده شده است از ايشان ظلمات شك و گمان با بيّنه و برهان، و واگذاشته شده اند در دنيا از براى رياضت دادن نفس أمّاره بواسطۀ حمل كردن بأسباب تقوى و أثقال طاعت چون رياضت دادن و لاغر نمودن اسبهاى خوب از براى سبقت در ميدان مسابقت.

و همچنين واگذاشته شده اند از براى تفكّر در طلب حق و از براى تأنّى كردن همچو تأنّى كردن طالب نور الهى بتحصيل سعادت و جوينده آن بكسب كمالات در مدت اجلى كه معين شده است بر ايشان و محل اضطراب مهلتى كه مقدر شده است در حقّ ايشان، پس أ يقوم تعجب نمائيد از اين پندها از حيثيت مثلهاى موصوفه بدرستى و صواب و نصيحتهاى شفا دهنده بأمراض نادانى و جهالت اگر برسد بقلوب متّصفه بجودت و ذكاوت، و بگوشهاى حفظ كنندۀ نصيحت، و برأيهاى صاحب عزم و علوّ همت، و بعقلهاى صاحب حزم و بلند مرتبت.

پس بپرهیزید از خدا همچو پرهیز نمودن کسی که شنید امر خدا را پس فروتنی نمود بخدا و کسب گناه کرد پس اعتراف بتقصیر نمود و ترسید از آخرت پس عمل شایسته نمود و حذر نمود از عقوبت پس بشتافت بسوی طاعت، و یقین کرد بأجل پس نیکو کرد عمل را و عبرت داده شد پس قبول عبرت نمود و ترسانیده شد از عذاب و سخط پس منزجر شد از معصیت و إجابت نمود دعوت را پس رجوع نمود بزبان معذرت، و مراجعه نمود به عقل خود پس توبه کرد از خطیئت و اقتدا نمود بأنبیاء و مرسلین پس تابع شد بسلف صالحین.

و نموده شد به وی آیات قدرت پس معرفت رساند بحقیقت پس سرعت کرد بسوی خیر در حالتی که طالب و راغب بود و نجات یافت از شر در حالتی که گریزان و هارب بود، پس کسب نمود ذخیره را از برای سلوك سبیل رحمان، و پاکیزه نمود باطن خود را از رجس و شرك شیطان، و معمور نمود معاد خود را بصالح اعمال، و پشت قوی کرد بتوشه برداشتن از تقوی و محاسن خصال از برای رحلت خود در دنیا و جهت راه خود به عقبی و برای حال احتیاج خود و موضع درویشی خود و فرستاد پیش از خود توشهٔ طاعت از برای سرای اقامت.

پس بپرهیزید از خدا ای بندگان خدا، و قصد نمائید جهت آنچه را که خلق نمود شما را از برای آن که عبارت است از تحصیل معرفت و عبادت با اخلاص نیّت، و بترسید از خدا بنهایت آنچه ترسانید شما را از نفس خود و استحقاق پیدا کنید از او آن چیزی را که مهیا کرده است از برای شما با طلب وفا نمودن مر وعدهٔ صادق او را و با حذر نمودن از هول معاد او.

و معلوم است که این طلب وفا و این حذر متصوّر نمی شود مگر با اقبال بطاعات، و با ارتداع از سیئات، اللهمّ وفّقنا بحقّ محمّد سید السادات.

الفصل الخامس

اشاره

جعل لکم أسماعا لتعی ما عناها، و أبصارا لتجلو عن عشاها، و أشلاء

ص:۳۹۰

جامعه لأعضائها، ملائمه لأحنائها، فی ترکیب صورها، و مدد عمرها، بأبدان قائمه بأرفاقها، و قلوب رائده لأرزاقها، فی مجلّلات نعمه، و موجبات مننه، و حواجز عافیته، و قدّر لکم أعمارا سترها عنکم، و خلّف لکم عبرا من آثار الماضین قبلکم من مستمتع خلاقهم، و مستفسح خناقهم، أرهقتهم المنایا دون الآمال، و شذّبهم عنها تخرّم الآجال، لم یمهّدوا فی سلامه الأبدان، و لم یعتبروا فی أنف الأوان، فهل ینتظر أهل بضاضه الشّباب إلاّ حوانی الهرم، و أهل غضاره الصّحّه إلاّ نوازل السّقم، و أهل مدّه البقاء إلاّ آونه الفناء مع قرب الزّیال، و أزوف الانتقال، و علز القلق، و ألم المضض، و غصص الجرض، و تلفّت الإستغاثه بنصره الحفده و الأقرباء، و الأعزّه و القرناء، فهل دفعت الأقارب؟ أو نفعت النّواحب؟ و قد غودر فی محلّه الأموات رهینا، و فی ضیق المضجع وحیدا، قد هتکت الهوامّ جلدته، و أبلت النّواهک جدّته، و عفت العواصف آثاره، و محی الحدثان معالمه، و صارت الأجساد شحبه بعد بضّتها، و العظام نخره بعد قوّتها، و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها، موقنه بغیب أنبائها، لا تستزاد من صالح عملها، و لا تستعتب من سیّیء زللها، أ و لستم أبناء القوم

ص:۳۹۱

و الآباء؟ و إخوانهم و الأقرباء؟ تحتذون أمثلتهم، و تركبون قدّتهم و تطاون جادّتهم، فالقلوب قاسيه عن حظّها، لاهيه عن رشدها، سالكه فى غير مضمارها، كأنّ المعنىّ سواها، و كأنّ الرّشد فى إحراز دنياها.

اللغه

(عنيته) عنيا من باب رمى قصدته و عناه الأمر أهمّه و (عشى) عشا من باب تعب ضعف بصره و أبصر نهارا و لم يبصر ليلا فهو أعشا و المرأه عشواء و (الأشلاء) جمع الشّلو مثل أحمال و حمل و هو العضو و قال فى القاموس الشّلو بالكسر العضو و الجسد من كلّ شىء.

و (الحنو) بالفتح و الكسر كلّ ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج و اللّحى و الضلع و من غيره كالقف و الحقف و كلّ عود معوج فى القتب و الرحل و السّرج و الحنو أيضا الجانب و عن النهايه ملائمه لا حنائها إى معاطفها و (الرّفق) النّفع يقال ارتفقت به اى انتفعت و قال فى القاموس: الرّفق بالكسر ما استعين به، و يروى بارماقها بدل بارفاقها و هو جمع الرمق بقيّه الرّوح.

و (مجلّلات النعم) ما تعم الخلق من جلل الشىء تجليلا أى عم، و منه السحاب المجلّل و هو الذى يجلّل الأرض بماء المطر أى يعمه و فى حديث الكافى و العيون الامام كالشّمس الطالعه المجلّله بنورها للعالم و (المستمتع) اسم مكان من استمتعت بكذا انتفعت به و (الخلاق) بالفتح النّصيب و (المستفسح) محلّ الفسحه و هى السّعه (و الخناق) ككتاب الحبل الذى يخنق به يقال خنقه يخنقه خنيقا ككتف إذا عصر حلقه حتّى يموت فهو خانق و خناق، و ربّما يطلق الخناق على الحلق يقال اخذه بخناقه و مخنقه أى بحلقه.

و (أرهقت) الشّىء أدركته و أرهقت الرّجل أمرا يتعدّى إلى مفعولين أعجلته و كلفته حمله و (الأنف) بضّمتين أوّل الأمر و (بضض) الرّجل بالفتح و الكسر بضاضه

و بضوضه فهو بضّ أى رخص الجسد رقيق الجلد ممتلى و (الحوانى) جمع الحانيه و هى العله التى تحنى شطاط (۱) الجسد و تمنعه عن الاستقامه و (الهرم) محركه أقصى الكبر و (الغضاره) طيب العيش و السّعه و النّعمه و (الاونه) جمع أوان كأزمنه و زمان و (العلز) بالتّحريك خفّه و هلع يصيب المريض و الأسير و المحتضر و رجل علز أى هلع لا ينام و (المضض) محرّكه وجع المصيبه (جرض) بريقه ابتلعه بالجهد على همّ و حزن و أجرضه اللّه بريقه أغصّه و (التّلفت) و الالتفات بمعنى و هو الانصراف يقال التفت إليّ التفاتا انصرف بوجهه نحوى و التّلفت أكثر منه و (الحفده) الأعوان و الخدم، و قيل أولاد الأولاد.

و النساء (النّواحب) اللّاتى يرفعن أصواتهنّ بالبكاء من النّحب و هو شدّه البكاء و يروى النّوادب بدلها و (غادره) مغادره تركه و بقاه و (هتك) السّتر و غيره جذبه فقطعه من موضعه و (الهامه) من الحيوان ماله سمّ يقتل كالحيّات و الجمع الهوام كدابّه و دواب و ربّما يطلق على ما لا يقتل كالحشرات و (نهكته) الحمى نهكا من باب ضرب هزلته و جهدته و أضنته(۲) و نهكه السّلطان بالغ فى عقوبته و النّاهك و النهيك المبالغ فى الأشياء و (الجده) بكسر الجيم مصدر يقال جد يجد من باب ضرب يضرب جده إذا صار جديدا و هو ضدّ البلى و (عفت) بالتّخفيف و يروى بالتّشديد و (شحب) لونه من باب جمع و نصر و كرم شحوبا و شحوبه تغير من هزال أو جوع أو سفر و (تستعتب) بالبناء على المفعول و (القدّه) بكسر القاف و الدّال المهمله الطريقه و (المعنى) بالتّشديد و المعنى و المعناه و المعنيه بمعنى واحد.

الاعراب

لفظه عن فى قوله لتجلو عن عشاها إمّا زايده أو بمعنى بعد كما جوزه الشّارح المعتزلى مستشهدا بقول الشّاعر لعجب حرب وائل عن حيال اى بعد حيال فيكون قد حذف المفعول و التّقدير لتجلو الاذى بعد عشاها، و الأظهر ما قاله الشارح

۱- (۱) الشطاط كسحاب و كتاب القامه و حسن القوام.

۲- (۲) ضن ضنا من باب رضى مرض مرضا محامرا كلّما ظن ببرئه نكس.

البحرانی من أنّ عن لیست بزایده لأنّ الجلاء یستدعی مجلوا و المجلوّ عنه فذکر المجلوّ و أقامه مقام المجلوّ عنه فکأنّه علیه السّلام قال لتجلو عن قواها عشاها، و فی ترکیب صورها متعلّق بملائمه، و قوله: بأبدان متعلّق بجعل و الباء للمصاحبه، و الباء فی بأرفاقها للصّله و علی روایه بأرماقها إمّا للسّببیّه أو للاستعانه.

و قوله فی مجلّلات نعمه متعلّق بمقدّر حال من فاعل جعل أو من ضمیر الخطاب فی لکم أی جعل لکم الأسماع حالکونکم فی مجلّلات نعمه، و من مستمتع خلاقهم بیان للعبر، و دون فی قوله دون الآمال بمعنی عند، و جمله لم یمهدوا فی محلّ النّصب علی الحال من مفعول أرهقتهم.

فهل ینتظر اه استفهام انکاریّ توبیخیّ من قبیل قوله سبحانه: أ تعبدون ما تنحتون، و کلمه إلّا فی المواقع الثّلاثه أعنی قوله: إلّا حوانی الهرم، و إلاّ نوازل السّقم، و إلاّ آونه الفناء إن کانت للاستثناء فیتوجه علیه أنّ الاستثناء المفرّغ غیر جایز فی الکلام الموجب، و إن کانت بمعنی غیر کما یظهر من شرح البحرانی ففیه أنّ إلّا بمعنی غیر لا یجوز حذف موصوفها کما یجوز حذف موصوف غیر یقال جائنی غیر زید و لا یصحّ أن یقال جائنی إلّا زید کما صرّح به ابن هشام و غیره، و بذلک فرّقوا بین إلّا و کلمه غیر.

و یمکن توجیهه بأن یقال إنّ إلّا للاستثناء و إنّ جواز التّفریغ هنا لاستقامه المعنی و حصول الفایده کما جوّزوه فی قولهم قرأت إلّا یوم کذا معلّلین بأنّه لا یبعد أن یقرأ فی جمیع الأیام إلّا الیوم المعیّن، فعلی هذا التّوجیه یکون المراد بالکلام أنّه ینتظر هؤلاء جمیع اللذائذ الدّنیویّه و الشّهوات النّفسانیه إلّا حوانی الهرم و نوازل السّقم فافهم.

و الباء فی قوله بنصره الحفده، متعلّق بالاستغاثه، و قوله فهل دفعت الأقارب استفهام انکاری إبطالی علی حدّ قوله أ فأصفاکم ربّکم بالبنین، و قوله و قد غودر فی محلّ النصب علی الحال و العامل نفعت، و کذلک رهینا و وحیدا منتصبان علی الحال و العامل غودر، و هکذا جمله قد هتکت و أبلت و عفت و محی اه، و قوله: و صارت عطف

على غودر، و جمله لاتستزاد و لا تستعتب فى محلّ النّصب أيضا على الحاليه، و قوله أ و لستم استفهام تقريرىّ.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ صدر هذا الفصل تذكير لعباد اللّه بضروب نعم اللّه سبحانه و منّته عليهم و تنبيه على الغايه من تلك النّعم، و ذيله مسوغ لبيان حال السّلف ليعتبر به الخلف فقوله عليه السّلام(جعل لكم أسماعا لتعى ما عناها و أبصارا لتجلو عن عشاها)إشاره إلى النّعمتين العظيمتين اللتين أعطاهما اللّه سبحانه لخلقه مع الاشاره إلى ما هو الغرض منهما.

فالمقصود أنّه سبحانه خلق لانتفاعكم قوّه سامعه لتحفظ ما أهمّها و قوّه باصره لتجلو العشا عن الابصار، فعلى هذا يكون قوله و أبصارا اه من باب الاستخدام حيث اريد بالابصار القوّه و بضمير عشاها الراجع إليه العضو المحسوس المخلوق من الشّحم المركب من السّواد و البياض، فبتلك القوه حصل له الادراك و الابصار بعد ما لم يكن فى نفسه مبصرا مدركا فكانت جلاء عن عشاها.

و يوضح ذلک ما رواه فى البحار من المناقب لابن شهر آشوب مما أجاب الرّضا عليه السّلام بحضره المأمون لضباع بن نصر الهندى و عمران الصّابى عن مسائلهما قال عمران: العين نور مركبه أم الرّوح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السّلام: العين شحمه و هو البياض و السّواد و النّظر للرّوح دليله إنک تنظر فيه و ترى صورتک فى وسطه و الانسان لا يرى صورته إلاّ فى ماء أو مرآه و ما اشبه ذلک.

قال ضباع إذا عميت العين كيف صارت الرّوح قائمه و النظر ذاهب؟ قال عليه السّلام كالشّمس طالعه يغشاها الظلام، قالا: أين تذهب الرّوح؟ قال عليه السّلام، أين يذهب الضوء الطالع من الكوه فى البيت إذا سدّت الكوه، قالا: أوضح لنا ذلک، قال عليه السّلام الرّوح مسكنها فى الدّماغ و شعاعها منبثّ فى الجسد بمنزله الشمس دارتها(۱) فى السّمآء

۱- (۱) قال فى القاموس الدار المحلّ يجمع البناء و العرصه كالداره و فى المصباح الداره داره القمر و غيره سمّيت بذلک لاستدارتها منه.

و شعاعها منبسط على الأرض فاذا غابت الدّاره فلا شمس و إذا قطعت الرّاس(۱) فلا روح.

فانّ غرض السّائل أنّ المدرك هو العضو أمّ الرّوح تبصر الأشياء و هذا منظره، فاختار عليه السّلام الثانى و علله بأنّ العضو مثل ساير الأجسام الصقيله يرى فيها الوجه كالماء و المرآه فكما أنّها ليست مدركه لما ينطبع فيها فكذا العين و غيرها من المشاعر هذا.

و قد اشير إلى منافع السمع و البصر و بعض حكمهما فى حديث المفضل المعروف عن الصادق عليه السّلام حيث قال:

انظر يا مفضّل إلى هذه الحواس الخمس التى خصّ بها الانسان فى خلقه و شرف بها على غيره كيف جعلت العينان فى الرّأس كالمصابيح فوق المناره ليتمكّن من مطالعه الأشياء و لم تجعل فى الأعضاء التى تحتهنّ كاليدين و الرّجلين فتعرضها الآفات و يصيبها من مباشره العمل و الحركه ما يعلّلها و يؤثّر فيها و ينقص منها، و لا فى الأعضاء التى وسط البدن كالبطن و الظهر فيعسر تقلّبها و اطلاعها نحو الأشياء.

فلمّا لم يكن لها فى شىء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواسّ و هو بمنزله الصّومعه لها، فجعل الحواسّ خمسا تلقى خمسا لكيلا يفوتها شىء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان و لم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعه.

و خلق السّمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب و كذلك ساير الحواسّ. ثمّ يرجع هذا متكافئا فلو كان بصر و لم يكن الألوان لما كان للبصر معنى، و لو كان سمع و لم يكن أصوات لم يكن للسّمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا فجعل لكلّ حاسه محسوسا يعمل فيه و لكلّ محسوس حاسّه تدركه.

۱- (۱) الرأس مذكر و تأنيث الفعل كانه لاشتماله على الاعضاء الكثيره ان لم يكن من تحريف النساخ، بحار.

و مع هـذا فقـد جعلت أشـياء متوسّـطه بين الحواس و المحسوسـات لاـ يتمّ الحواسّ إلّا بها كمثل الضـياء و الهواء فانّه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصـر لم يكن البصـر يدرك اللون، و لو لم يكن هواء يؤدّى الصّوت إلى السّـمع لم يكن يدرك الصوت فهل يخفى على من صـحّ نظره و اعمل فكره انّ مثل هـذا الـذى وصـفت من تهيئه الحواس و المحسوسات بعضـها يلقى بعضا و تهيئه أشـياء اخر بها يتمّ الحواسّ لا يكون إلّا بعمـد و تقـدير من لطيف خبير؟ فكّر يا مفضل فيمن عـدم البصـر من النّاس و ما يناله من الخلـل فى اموره فـانّه لاـ يعرف موضع قـدمه و لا يبصـر ما بين يـديه فلا يفرق بين الألوان و بين المنظر الحسن و القبيـح فلا يرى حفره إن هجم عليهـا و لاـ عـدوّا إن هوى إليه بسيـف، و لاـ يكون له سبيل إلى أن يعمل شـيئا من هـذه الصّـناعات مثل الكتابه و التّجاره و الصّياغه حتّى أنّه لو لا نفاد ذهنه لكان كالحجر الملقى.

و كـذلك من عـدم السّـمع يختـلّ فى امور كثيره فانّه يفقـد روح المخاطبه و المحاوره و يعـدم لـذّه الأصوات و اللحون الشّـجيه المطربه، و تعظم المؤنه على النّاس فى محاورته حتّى تبرّموا به و لا يسـمع شـيئا من اخبار النّاس و أحاديثهم حتّى يكون كالغايب و هو شاهد و كالميّت و هو حىّ.

و قوله(و أشـلاء جـامعه لاعضائهـا)الظـاهر أنّ المراد بالشّلو هنـا العضو و ليس كنـايه عن الجسـد كما زعمه البحرانى إذا لأبـدان مـذكوره بعـد ذلك فيلزم التكرار مع أنّ اراده الجسـد على تقدير صـحّتها لا حاجه فيها إلى الكنايه لما قد عرفت من اشتراكه لغه بين الجسد و العضو.

فان قلت: إراده العضو ينافيها قوله عليه السّلام جامعه لأعضائها، إذ الشىء لا يجمع نفسه.

قلت: يمكن توجيهه بمـا وجّهه الشّارح المعتزلى من جعل المراد بالأشـلاء الأعضاء الظاهره و بالأعضاء الأعضاء الباطنه و لا ريب أنّ الأعضاء الظاهره تجمع الأعضاء الباطنه (ملائمه لأحنائها فى تركيب صورها و مدد عمرها) أى جعل الأعضاء مناسبه

موافقه للجهات و الجوانب التی جعلت فیها ملائمه لها فی صورها الترکیبیّه.

مثلا جعل الیدین فی الیمین و الیسار أنسب من کونهما فی الرّأس، و کون العینین فی الرّأس أولی من کونهما فی الظهر أو البطن و کذلک کون ثقب الأنف فی أسفله أنسب و أحسن من کونه فی أعلاه، و کون المثانه و المعده فی أسافل البدن ألیق و هکذا و قد مرّ حکمه بعض ذلک فی روایه المفضّل و ستعرف البعض فی التّبصره الآتیه مضافا إلی الحسن و البهجه و الالتیام و المناسبه المقرّره فی هذه الصّور المجعوله ألا تری أنّ من لم یکن له حاجب فوق عینه أو سقطت الأشفار من طرف عینه کیف یکون قبیح الصّوره کریه المنظر، و هکذا سایر الأعضاء، هذا کلّه لو کان الحنوفی کلامه بمعنی الجانب و الجهه، و لو جعلناه بمعنی العضو المعوج فیکون المراد أنّه تعالی جعل الأعضاء المستقیمه من البدن ملائمه للأعضاء المعوّجه فی صورها المرکبه فلا یناسب المستقیمه موضع المعوّجه و لا المعوّجه موضع المستقیمه و لا یصادم حسن الاستقامه للاعوجاج و لا الاعوجاج للاستقامه، إذ کلّ منهما فی موقعهما حسن و أحسن فتبارک اللّه أحسن الخالقین.

و أمّا قوله علیه السّلام: و مدد عمرها، فالظاهر أنّه أراد به أنّ اللّه جعل مدد عمر کلّ من الأعضاء ملائمه للآخر مقارنه له بحیث لا یفنی بعض الأعضاء قبل فناء الآخر فیکون الکلام محمولا علی الغالب فافهم.

و قوله علیه السّلام (بأبدان قائمه بأرفاقها و قلوب رائده لأرزاقها) أی قائمه بمصالحها و منافعها أو أنّ قوامها باستعانه أرواحها علی الرّوایه الاخری السّالفه فی بیان اللغه و قلوب طالبه لأرزاقها جالبه لها إلیها.

و الضمیر فی أرزاقها یحتمل رجوعه إلی الأبدان و رجوعه إلی نفس القلوب، و علی الأوّل فالمراد بالرّزق الرّزق الجسمانی، و علی الثّانی فالمراد به الرزق الرّوحانی أعنی العلوم الحقّه و المعارف الشرعیه و العقائد الالهیّه الموجبه للسّعاده فی الدّارین، و المحصله للعزّه فی النّشأتین، فانّ القلب هو الطالب الجالب لتلک الأرزاق إلی نفسها کما أنّه هو الطالب الجالب للأرزاق إلی البدن و لو بتوسط الآلات البدنیّه.

ص:۳۹۸

إذ هو العالم باللّه، و هو المتقرّب إلى اللّه، و هو المحصّل لرضوان اللّه، و هو السّاعى إلى اللّه، و هو المكاشف بما عند اللّه، و هو فى الحقيقه سلطان مملكه البدن يستخدم الآلات و الجوارح يأمرها و ينهيها و يستعملها استعمال المالك لعبده و السّلطان لرعيّته، و تحقيق ذلك موقوف على شرح حال القلب و معرفه عجائب صفاته.

فأقول: إنّ القلب كما حقّقه الغزالى يطلق على معنيين:

أحدهما اللحم الصّنوبرى الشّكل المودع فى الجانب الأيسر من الصّدر، و هو لحم مخصوص و فى باطنه تجويف و فى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الرّوح و معدنه، و هو بهذا المعنى موجود للانسان و الحيوان و الحىّ و الميّت، و مرئى بحسّ العيان و يدركه الحيوان بحاسّه البصر كما يدركه الانسان و لا يتعلّق به غرضنا فى المقام.

الثّانى هو جوهره لطيفه ربّانيّه نورانيّه روحانيّه لها تعلّق بالقلب الجسمانى الذى ذكرناه و هى حقيقه الانسان و بها تمامه و كماله و هو المدرك العالم العارف و هو المخاطب و المطالب، و له جنود و أعوان و أنصار فمن تلك الجنود ما يرى بالأبصار كالأعضاء الظاهره من اليد و الرّجل و العين و الاذن و اللسان و نحوها، و ما لا يرى بالابصار كالحواس الباطنه و الشّهوه و الغضب و نحوها، فجميعها خادمه للقلب منقاده لحكمه مسخّره له و قد خلقت مجبوله على طاعته لا تستطيع له خلافا و لا عليه تمرّدا.

فاذا أمر العين بالانفتاح انفتحت و بالانطباق انطبقت و الرّجل بالحركه تحرّكت و بالسّكون امتثلت و اللسان بالكلام تكلّم و بالسّكوت أمسک، و كذا ساير الأعضاء.

و إنّما افتقر إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب و الزّاد لسفره الذى يجب له سلوكه و لأجل مسيره خلق، و هو السّفر إلى اللّه و قطع المنازل إلى لقائه و مركبه البدن و زاده المعرفه و الأسباب التى توصله إلى الزّاد و تمكّنه من التّزوّد هو العمل الصالح.

فليس يمكن العبد أن يصل إلى اللّه ما لم يسكن البدن و لم يجاوز الدّنيا، فانّ المنزل الأدنى لا بدّ من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى، فالدّنيا مزرعه الآخره و هى منزل من منازل الهدى و إنّما سمّيت الدّنيا لكونها أدنى المنزلتين فاضطرّ إلى أن يتزوّد من هذا العالم.

فالبدن مركبه الذى يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهّد البدن و حفظه و إنّما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء و يطلب له ما يناسبه من الرّزق و أن يدفع عنه ما ينافيه و يضارّه من أسباب الهلاك، فافتقر لأجل جلب الغذا إلى جندين باطن و هو الشّهوه، و ظاهر و هو الأعضاء الجالبه للغذا من اليد و نحوها.

فخلق فى القلب من الشّهوات ما كان محتاجا إليه و خلقت الأعضاء لكونها آله للشّهوه و افتقر لأجل دفع المضارّ و المهلكات أيضا إلى جندين: باطن و هو الغضب الذى به يدفع المهلكات و ينتقم من الأعداء و ظاهر و هو الجوارح التى بها يعمل بمقتضى الغضب من اليد و الرّجل و نحوهما.

ثمّ المحتاج إلى الغذا ما لم يعرف الغذا لم يحصل له شهوه الغذاء فافتقر للمعرفه إلى جندين، باطن و هو إدراك السّمع و البصر و الشّم و اللمس و الذّوق، و ظاهر و هو العين و الاذن و الأنف و غيرها.

فجمله جنود القلب منحصره فى ثلاثه أصناف: صنف باعث و مستحثّ إمّا إلى جلب النّافع الموافق كالشهوه، و إمّا إلى دفع الضار المنافى كالغضب، و قد يعبّر عن هذا الباعث بالاراده، و الصّنف الثّانى هو المحرّك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد و يعبّر عنه بالقدره و هى مبثوثه فى ساير الأعضاء لا سيّما العضلات منها و الأوتار، و الصّنف الثّالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس و هى قوّه البصر و السّمع و الشمّ و الذّوق و اللمس المبثوثه فى الأعضاء المعيّنه و قوّه التخيل و التّحفظ و التفكر و نحوها المودعه فى تجاويف الدّماغ.

و هذه كلّها ممّا قد أنعم اللّه بها على ساير أصناف الحيوان سوى الآدمى إذ

للحيوان أيضا الشّهوه و الغضب و الحواس الظاهره و الباطنه فكلاهما شريكان فيها و إنّما اختصّ الانسان بما لأجله عظم شرفه و علا قدره و استأهل القرب.

و هو راجع إلى علم و إراده أمّا العلم فهو العلم بالامور الدّنيويّه و الاخرويّه و الحقائق العقليه و هذه امور وراء المحسوسات و لا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكليّه الضّروريّه من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأنّ الشّخص الواحد لا يتصوّر أن يكون فى مكانين فى حاله واحده، و هذا حكم منه على كلّ شخص و معلوم أنّه لم يدرك بالحسّ إلاّ بعض الأشخاص فحكمه على الجميع زايد على ما أدركه الحسّ، و إذا فهمت هذا فى العلم الظاهر الضّرورى فهو فى ساير النّظريّات أظهر.

و أمّا الاراده فانّه إذا أدرك بالعقل عاقبه الأمر وجهه المصلحه فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهه المصلحه و إلى تعاطى أسبابها و الاراده لها، و ذلك غير إراده الشّهوه و إراده الحيوانات، بل ربّما يكون على ضدّ الشّهوه.

ألا ترى أنّ الشّهوه تنفر عن الفصد و الحجامه، و العقل يريدها و يطلبها و يبذل لها المال، و الشّهوه تميل حين المرض إلى لذايذ الأطعمه و العقل يردعها عنها، و لو خلق اللّه العقل العارف بعواقب الامور و لم يخلق هذا الباعث المحرّك للأعضاء على العمل بمقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التّحقيق.

فاذا اختصّ قلب الانسان بعلم و اراده يمتاز بهما من ساير الحيوان، و من هذه الجمله ظهر أن خاصيّه الانسان العلم و الحكمه، و للعلم مراتب و درجات لا تحصى من حيث كثره المعلومات و قلّتها و شرف المعلوم و خسّته، و من حيث إنّ حصوله قد يكون بالهام ربّانىّ على سبيل المكاشفه كما للأنبياء و الأولياء و قد يكون بطريق الكسب و الاستدلال، و فى الكسب أيضا قد يكون سريع الحصول و قد يكون بطىء الحصول.

و فى هذا المقام تتباين منازل العلماء و الحكماء و الأولياء و الأنبياء، فدرجات الترقى غير محصوره إذ معلومات اللّه سبحانه غير متناهيه و مراقى هذه الدّرجات

ص:۴۰۱

هی منازل السّایرین إلی اللّه و لا حصر لتلک المنازل و إنّما یعرف کلّ سالک منزله الذی بلغه فی سلوکه فیعرفه و یعرف ما خلفه من المنازل.

و أمّا ما بین یدیه فلا یحیط به علما کما لا یعرف الجنین حال الطفل، و لا الطفل حال الممیّز و لا الممیّز حال المراهق، و لا المراهق حال العاقل و ما اکتسبه من العلوم النّظریه، فکذا لا یعرف العاقل ما افتتح اللّه علی أولیائه و أنبیائه من مزایا لطفه و رحمته «ما یفتح اللّه للنّاس من رحمه فلا ممسک لها» و هذه الرّحمه مبذوله بحکم الجود و الکرم من اللّه سبحانه غیر مضنون بها علی أحد و لکن إنّما تظهر فی القلوب المتعرضه لنفحات الرّحمه کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

إنّ لرّبکم فی أیّام دهرکم لنفحات ألا فتعرّضوها، و التعرّض لها إنّما هو بتطهیر القلب و تزکیته من الکدر و الخبث الحاصلین من الأخلاق المذمومه.

فظهر بذلک معنی تمام الانسان و کماله و خاصّته التی بها امتاز عن سایر أفراد الحیوان و تحقّق أنّ البدن مرکب للقلب، و القلب محلّ للعلم، و العلم هو مقصود الانسان و أنّ العلم و المعرفه هو الذی خلق الانسان لأجله کما قال:

«وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ ».

أی لیعرفون کما ظهر لک معنی رزق البدن و زاد القلب، و اتّضح أنّ القلب هو الطالب الجالب للرّزق و الزاد لاصلاح المعاش و المعاد.

و قوله علیه السّلام (فی مجلّلات نعمه و موجبات مننه) العطف بمنزله التّفسیر یعنی أنکم متنعّمون بنعمه العامه الشّامله و آلائه التّامه الکامله الموجبه لمنّته سبحانه علیکم فالمراد بمجلّلات النّعم ما أنعم بها علی جمیع الموجودات و المخلوقات بمقتضی رحمته الرّحمانیّه کما قال سبحانه: «أَعْطی کُلَّ شَیْ ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدی ».

و بموجبات المنن أنّ تلک النّعم موجبه لمنه اللّه سبحانه علیهم فلا بدّ أن یقوم العبد بلوازم الشّکر و الامتنان، و لا یقابل بالطغیان و الکفران، و أعظم ما منّ اللّه به علی عباده أن هداهم للاسلام و الایمان و أرشدهم إلی سلوک سبیل الجنان و بعث فیهم

رسولا يدلّهم على الهدى و ينجيهم من الرّدى كما قال تعالى:

«لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ».

و قوله (و حواجز عافيته) قال الشّارح المعتزلى: أى فى عافيه تحجز و تمنع عنكم المضار.

أقول: و هو مبنىّ على كون الاضافه من قبيل إضافه الصّفه إلى الموصوف، و الأظهر الأقوى أنّ الاضافه لاميّه، و المراد الموانع التى تمنع العافيه عن الزّوال و العدم، و تكون عائقه عن طريان المضارّ و الآلام و عروض الأوجاع و الأسقام على الأبدان و الأجسام، و على أىّ تقدير فالمراد بها نعمه الصّحه و السّلامه التى هى من أعظم نعم اللّه سبحانه، بل هى رأس كلّ نعمه و بها يدرك كلّ لذّه و بهجه.

ثمّ قال (و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم) و هذا أيضا من أعظم ما أنعم اللّه تعالى به على خلقه إذ فى إظهار مدّه العمر عليهم مفاسد لا تحصى كما أنّ فى إخفائها منافع جاوزت حدّ الاستقصاء كما أشار إليها سادس الأئمه و صادق الامّه أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد سلام اللّه عليهما و على آبائهما و أولادهما الطّيبين الطاهرين حيث قال فى حديث المفضّل: تامّل الآن يا مفضّل ما ستر عن الانسان علمه من مدّه حياته، فانّه لو عرف مقدار عمره و كان قصيرا لم يتهنّأ بالعيش مع ترقّب الموت و توقّعه لوقت قد أعرفه، بل كان يكون بمنزله من قد فنى ماله أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر و الوجل من فناء ماله و خوف الفقر على أنّ الذى يدخل على الانسان من فناء العمر أعظم ممّا يدخل عليه من فناء المال لأنّ من يقلّ ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك و من أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس.

و إن كان طويل العمر ثمّ عرف ذلك وثق بالبقاء و انهمك فى اللذات و المعاصى و عمل على أنّه يبلغ من ذلك شهوته ثمّ يتوب فى آخر عمره و هذا مذهب لا يرضاه

ص:۴۰۳

اللّه من عباده و لا يقبله ألا ترى لو أنّ عبدا لك عمل على أنّه يسخطك سنه و يرضيك يوما أو شهرا لم تقبل ذلك منه و لم يحلّ عندك محلّ العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك و نصحك فى كلّ الامور فى كلّ الأوقات على تصرّف الحالات.

فان قلت: أو ليس قد يقيم الانسان على المعصيه حينا ثمّ يتوب قبل توبته؟ قلنا: إنّ ذلك شيء يكون من الانسان لغلبه الشّهوات له و تركه و تركه مخالفتها من غير أن يقدّره فى نفسه و يبنى عليه أمره فيصفح اللّه عنه و يتفضّل عليه بالمغفره.

فأمّا من قدّر أمره على أن يعصى ما بدا له ثمّ يتوب آخر ذلك فانّما يحاول خديعا من لا يخادع(۱) أن يتسلّف التلذّذ فى العاجل و يعد و يمنّى نفسه التّوبه فى الآجل و لأنّه لا يفى بما يعد من ذلك، فانّ النزوع من الترفّه و التلذّذ و معاناه(۲) التّوبه و لا سيما عند الكبر و ضعف البدن أمر صعب و لا يؤمن على الانسان مع مدافعه التوبه أن يرهقه الموت فيخرج من الدّنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين و قد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتّى يحلّ الأجل و قد نفد المال فيبقى الدّين قائما عليه.

فكان خير الأشياء للانسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقّب الموت فيترك المعاصى و يؤثر العمل الصّالح.

فان قلت: و ما هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته و صار يترقّب الموت فى كلّ ساعه يقارف الفواحش و ينتهك المحارم.

قلنا: إنّ وجه التّدبير فى هذا الباب هو الذى جرى عليه الأمر فيه، فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوى و لا ينصرف عن المساوى فانّما ذلك من مرحه و من قساوه لا من خطاء فى التدبير كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفا لقول الطبيب لا يعمل بما أمره و لا ينتهى عمّا ينهاه عنه و لم ينتفع بصفته لم يكن

۱- (۱) اى اللّه سبحانه م.

۲- (۲) اى مشقتها.

الاسائه فی ذلک للطبیب بل للمریض حیث لم یقبل منه.

و لئن کـان الانسـان مع ترقبه الموت کـلّ سـاعه لا یمتنع عن المعاصـی فانّه لو وثق بطول البقاء کان أحری أن یخرج إلی الکبایر الفظیعه فترقّب الموت علی کلّ حال خیر له من الثقه بالبقاء.

و إن کـان صـنف من النّـاس ینهون عنه و لا یتّعظون به فقـد یتّعظ به صـنف آخر منهم و ینزعون عن المعاصـی و یؤثرون العمل الصالح و یجودون بالأموال و العقایل النفیسه و الصّدقه علی الفقراء و المساکین فلم یکن من العدل أن یحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصله لیضیع أولئک حظّهم.

و بالجمله فقد وضح، و اتضح کلّ الوضوح أنّ سترمدد الأعمار عن الخلق من جلایل النعم و أعظم ما منّ اللّه سبحانه به علیهم.

و مثله نعمه اخری هی أیضا من أسبغ الآلاء و أسنی النّعماء من حیث کونها موجبه للتّجافی عن دار الغرور جاذبه إلی دار السّرور باعثه علی السّـعاده الأبـدیّه موقعه فی العنایه السّـرمدیّه (و) هی أنّه سـبحانه (خلف لکم عبرا) تعتبرون بها و أبقی آثارا تتـذکّرون منهـا (من آثـار الماضـین قبلکم) من الأهلین و الأقربین و الأولین و الآخرین و ممّن کان أطول منکم أعمارا و أشـدّ بطشا و أعمر دیارا (من مسـتمتع خلاقهم و مسـتفسح خناقهم) أی الدّنیا التی کانت محلّ استمتاعهم بخلاقهم و انتفاعهم بحظوظهم و انصبائهم و محلّ الفسحه لأعناقهم من ضیق حبائل الموت و دار امهالهم من انشاب مخالب الفناء و الفوت.

فـأنتم فیهـا «کَالَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ کانُوا أَشَـدَّ مِنْکُمْ قُوَّهً وَ أَکْثَرَ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً فَاسْـتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْـتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِکُمْ کَمَا اسْـتَمْتَعَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ بِخَلاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ کَالَّذِی خاضُوا »(۱)«أُولئِکَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ »(۲)(أرهقتهم المنایا دون الآمال و شذّبهم عنها تخرّم الآجال) ای اخترمتهم أیدی المنون(۳) من قرون بعد

۱- (۱) ای کالخوض الذی خاضوه.

۲- (۲) اقتباس من الآیه فی سوره التوبه.

۳- (۳) المنون المنیه لانها تقطع المدد قال الفراء المنون مؤنثه و تکون واحدا و جمعا.

قرون فحالت بينهم و بين الآمال و فرّقتهم من الأولاد و الأموال:

تخرّمهم ريب المنون(۱) فلم تكن لتنفعهم جنّاتهم و الحدائق(۲)

و لا حملتهم حين ولّوا بجمعهم نجائبهم و الصّافنات السّوابق

و زاحوا(۳) عن الأموال صفرا و خلّفوا ذخايرهم بالرّغم منهم و فارقوا

(لم يمهّدوا فی سلامه الأبدان و لم يعتبروا فی انف الأوان) أی لم يهيئوا فی حال الصّحه و السّلامه ليوم المعاد و لم يعتبروا فی أوّل الأزمنه بالعبر النّافعه بل الكلّ مال عنها و حاد، فالشّباب للهرم و الصّحه للسّقم و الوجود للعدم بذلک جرى فی اللوح القلم.

(فهل ينتظر أهل بضاضه الشّباب إلاّ حوانی الهرم، و أهل غضاره الصّحه إلاّ نوازل السّقم، و أهل مدّه البقاء إلاّ آونه الفناء) و العدم استفهام على سبيل الانكار و التّوبيخ عما ينتظر الشّبان النّاعمه الجسد الرّقيقه الجلد غير حوانی الهرم التی تحنی ظهورهم و عما ينتظر أهل النعمه و الصّحه غير نوازل السّقم التی تنزل عليهم و عمّا ينتظر المعمرون بطول أعمارهم غير الفناء و العدم الذی يفنيهم.

و إنّما و بخّهم على ذلک لأنّ من كان مصير أمره إلى الهرم و السّقم و الفناء و الزّوال ينبغی أن يأخذ العده و الذّخيره لنفسه و ينتظر ما يصير أمره إليه و يراقبه و لا يشتغل بغيره.

فهؤلاء لما قصروا هممهم فی غير ذلک و أوقعوا أنفسهم فی مطارح المهالک

۱- (۱) ريب المنون حدثاته.

۲- (۲) اعلم أنّ هذا البيت وساير الأبيات التی أنشدناها فی شرح هذا الفصل و هكذا بعض الفقرات التی أوردناها مأخوذه من مناجاه الامام زين العابدين علیّ بن الحسين (عليهما السلام) و ندبته التی رواها أبو عيينه الزهری، و انما اقتبسناكل ذلک من كلامه لانّ كلام المعصوم يصدق بعضه بعضا، و اللّه الهادی الى سواء السبيل منه.

۳- (۳) أی زالوا.

و بّخهم علیه السّلام بذلک و أکّد بقوله (مع قرب الزیال) و ازوفه (و ازوف الانتقال) و قربه (و علز القلق) و هلعه (و ألم المضض) و وجعه (و غصص الجرض) و شجاه (و تلفت الاستغاثه بنصره الحفده و الأقرباء و الأعزّه و القرناء) أراد أنّهم فی حال سکرات الموت یلتفتون إلی أهلهم و أولادهم و یقلّبون وجوههم ذات الیمین و ذات الشّمال إلی أحبّتهم و عوّادهم یستغیثونهم و یستنصرونهم فلا یقدرون علی النصره و الاغاثه و یستعینونهم و یستنجدونهم فلا یستطیعون الانجاد و الاعانه:

أحاطت به آفاته و همومه و أبلس(۱) لما أعجزته المعاذر

فلیس له من کربه الموت فارج و لیس له مما یحاذر ناصر

و قد حشات خوف المنیه نفسه تردّدها دون اللّهاه الحناجر

(فهل دفعت الأقارب أو نفعت النّواحب) أو انتفع بسلطانه أو ذبّ الموت عنه جنوده و أعوانه.

فما صرفت کفّ المنیّه إذ أتت مبادره تهوی إلیه الذّخایر(۲)

و لا دفعت عنه الحصون التی بنا و حفّ بها أنهارها و الدّساکر(۳)

و لا قارعت عنه المنیّه خیله و لا طمعت فی الذّب عنه العساکر

(و قد غودر فی محلّه الأموات رهینا و فی ضیق المضجع وحیدا) و التحق بمن مضی من أسلافه و من وارته الأرض من الافه.

و أضحوا رمیما فی التراب و أقفرت(۴) مجالس منهم عطلت و مقاصر(۵)

۱- (۱) و الابلاس الیأس من رحمه اللّه و منه سمی ابلیس و الابلاس ایضا الانکسار و الحزن و المعاذر جمع المعذره و جشأت نفسه انهضت و جاشت النفس ارتفعت من حزن أو فزع و اللهات الهنه المطبقه فی أعلی سقف الفم و الحنجره الحلقوم منه م.

۲- (۲) فاعل صرفت

۳- (۳) الدسکره القریه و الصومعه و الارض المستویه و بیوت الأعاجم یکون فیها الشراب و الملاهی و الجمع دساکر ق

۴- (۴) ای خلت

۵- (۵) لعلّه جمع المقصوره هی الدار الواسعه

و حلّوا بدار لا تزاور بينهم و أنّى لسكّان القبور التّزاور

فما أن ترى إلّا جثى(۱) قد ثووا بها(۲) مسنّمه(۳) تسفى عليه الأعاصر(۴)

(قـد هتكت الهوام جلـدته و ابلت النّواهـك جـدته) أى قطع هو ام الأرض جلده و صار طعمه للعقارب و الحيّات و الحشرات الموذيـات و اخلقت مبالغـات الـدّهر التى أجهـدته و أضـننته و هزلته جـدته و نضـره شـبابه، فصـار خلقا باليا بعـد ما كان جـديد اغضـيضا طريّا بمصائب الـدّهر و نوائبه و أوصابه و أتعابه (و عفت) الرّياح (العواصف آثاره و محى) النوائب و (الحدثان معالمه) فلم يبق فى وجه الارض منه خبر و لا عن قبره عين و لا أثر، حيث فقدته العيون و توالت عليه السّنون (و صارت الأجساد شحبه) متغيّره هزله (بعد بضّتها) و نعومتها و امتلائها (و العظام نخره) باليه متفتته (بعد قوّتها) و شدّتها (و الأرواح مرتهنه) مقبوضه (بثقل أعمالها) و أحمالها كما قال تعالى:

«كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ ».

أى محبوس بعمله حتّى يعامل بما يستحقّه و يجازى بما عمله إن عمل طاعه اثيب و إن عمل معصيه عوقب، و فى سوره المدّثر «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاّ أَصْحابَ الْيَمِينِ » قال الطبرسىّ: أى مرهونه بعملها محبوسه به مطالبه بما كسبته من طاعه أو معصيه، فالرّهن أخذ الشىء بأمر على أن لا يرد إلّا بالخروج منه فكذلك هؤلاء الضّلال قد اخذوا برهن لافكاك له، و الكسب هو كلّ ما يجتلب به نفع أو يدفع به

ص:۴۰۸

۱- (۱) جمع جثوه اى تربه مجموعه، لغه

۲- (۲) أى أقاموا

۳- (۳) أى مرتفعه و منه قبر مسنّم

۴- (۴) هى ريح تثير الغبار يرتفع الى السماء كأنه عمود.

ضرر و يدخل فيه الفعل و الا يفعل.

ثمّ استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال: إلّا أصحاب اليمين، و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم قال الباقر عليه السّلام: نحن و شيعتنا أصحاب اليمين، و قوله (موقنه بغيب أنبائها) أى متيقّنه بالأخبار الغيبيه التى أخبر بها الرّسل و أنبأ بها الكتب من أخبار القيامه من البرزخ و البعث و الحساب و الكتاب و الجنّه و النّار و ساير ما كانت غايبه عنه مختفيه له حتّى رآها بحسّ العين فحصل له اليقين بعد ما كانت منها فى ريب و ظنّ، كما قال تعالى:

«وَ إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ السّاعَهُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِى مَا السّاعَهُ إِنْ نَظُنُّ إِلاّ ظَنًّا وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ».

و قال سبحانه حكايه عن الكفّار و المجرمين:

«قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَ لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَ كُنّا نَخُوضُ مَعَ الْخائِضِينَ وَ كُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتّى أَتانَا الْيَقِينُ ».

أى كنّا نكذّب يوم الجزاء حتّى جاءنا العلم اليقين بأن عاينّاه، و قال سبحانه فى حقّ المتّقين:

«اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ ».

قال الطبرسى و إنّما خصّهم بالأيقان بالآخره و إن كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها و جحدهم ايّاها فى نحو ما حكى عنهم فى قوله «وَ قالُوا ما هِىَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا ».

ص:۴۰۹

فکان فی تخصیصهم بذلک مدح عظیم (لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سیّیء زللها) أی لا یطلب منها زیاده فی العمل الصّالح و لا یطلب منها التّوبه من العمل القبیح کما کان یطلب ذلک منها فی الدّنیا و ذلک لأنّ التّکلیف و العمل إنّما هو فی الدّنیا و الآخره دار الجزاء لا تکلیف فیها کما قال تعالی فی سوره الجاثیه:

«فَالْیَوْمَ لا یُخْرَجُونَ مِنْها وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ ».

أی لا یخرجون من النّار و لا یطلب منهم الاعتاب و الاعتذار لما قلناه من أنّ التکلیف قد زال، و فی سوره الرّوم:

«فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ ».

و کما أنّهم لا یطلب منهم التّوبه و المعذره فکذلک لا ینفعهم الاعتذار و الانابه کما قال سبحانه:

«فَإِنْ یَصْبِرُوا فَالنّارُ مَثْویً لَهُمْ وَ إِنْ یَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِینَ ».

أی إن یطلبوا إزاله اللوم و العقوبه و یسألوا رضا اللّه عنهم فلیس لهم طریق إلی الاعتاب و لا لهم نجاه من العقاب.

بلی أوردته(۱) بعد عزّ و منعه موارد سوء ما لهنّ مصادر

فلمّا رأی أن لا نجاه و أنّه هو الموت لا ینجیه منه الموازر(۲)

تندّم لو یغنیه طول ندامه علیه و أبکته الذّنوب الکبائر

وَ «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ کَلاّ إِنَّها کَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ ».

(أ و لستم أبناء القوم) الذین وصفنا حالهم و شرحنا مالهم (و الآباء و إخوانهم و الأقرباء) و أمثالهم.

ص:۴۱۰

۱- (۱) أی أوردته الدّنیا

۲- (۲) الموازر: الناصر

فهم فی بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم فیها بوال(۱) دواثر(۲)

خلت دورهم منهم و أقوت عراصهم و ساقتهم نحو المنایا المقادر

و خلّوا عن الدّنیا و ما جمعوا لها و ضمّنهم تحت التراب الحفایر(۳)

فلکم الیوم بالقوم اعتبار، و سوف تحلّون مثلهم دار البوار، فالبدار البدار و الحذار الحذار من الدّنیا و مکایدها و ما نصبت لکم من مصایدها، و تجلّی لکم من زینتها و استشرف لکم من فتنتها

و فی دون ما عاینت من فجعاتهاإلی رفضها داع و بالزّهد آمر

فجدّ و لا تغفل فعیشک زائلو أنت إلی دار المنیّه صائر

فهل یحرص علیها لبیب، أو یسرّ بلذّتها أریب، و هو علی ثقه من فنائها و غیر طامع فی بقائها، أم کیف تنام عین من یخشی البیات أو تسکن نفس من یتوقّع الممات أم کیف (تحتذون أمثلتهم و ترکبون قدتهم و تطئون جادّتهم) تفعلون مثل أفعالهم و تقتفون آثارهم و تسلکون مسالکهم و تقولون: «إنّا وجدنا آبائنا علی أمّه و إنّا علی آثارهم مقتدون»(فالقلوب قاسیه عن حظّها) جافیه عن إدراک نصیبها الذی ینبغی لها إدراکه (لاهیه عن رشدها) غافله عن طلب هدایتها (سالکه فی غیر مضمارها) الذی یلزم علیها سلوکه.

یعنی أنّ اللّازم علی القلوب تحصیل المعارف الیقینیّه و العقائد الحقّه و التفکّر فی آثار الجبروت و القدره و الاتّعاظ بالحکم و الموعظه الحسنه فهی لقسوتها و جفاوتها بکثره الذّنوب التی اقترفتها لم یبق لها قابلیّه و استعداد لادراک حظّها و نصیبها الذی ذکرناه و غفلت عن الاهتداء بالأنوار الالهیه و سلکت فی غیر جادّه الشریعه (کأنّ المعنیّ) و المقصود بالأحکام الشّرعیّه و التّکالیف الالهیّه (سواها و کأنّ الرّشد) الّذی امرت به (فی إحراز دنیاها).

۱- (۱) جمع بالیه

۲- (۲) من الدثور و هو الدروس

۳- (۳) لعلّه جمع الحفر و هو القبر

فیا عاقلا راحلا و لبیبا جاهلا و متیقظا غافلا ما هذه الحیره و السبیل واضح و المشیر ناصح، و الصّواب لائح، عقلت فاغفلت و أعرفت فأنکرت، و علمت فامهلت «فاهملت ظ» هذا هو الدّاء الذی عزّ دواؤه، و المرض الذی لا یرجی شفاؤه، إلی کم ذا التشاغل بالتّجایر و الأرباح إلی کم ذا التّهوّر بالسّرور و الأفراح، و حتّام التّغریر بالسّلامه فی مراکب النّیاح، کیف تتهنّأ بحیاتک و هی مطیّتک إلی مماتک أم کیف تسیغ طعامک و أنت منتظر حمامک(۱)

و لم تتزوّد للرّحیل و قد دناو أنت علی حال و شیکا مسافر(۲)

تخرّب ما یبقی و تعمر فانیاو لا ذاک موفور و لا ذاک عامر

و هل لک إن وافاک حتفک بغتهو لم تکتسب خیر لدی اللّه عاذر

أ ترضی بأن تفنی الحیاه و تنقضیو دینک منقوص و مالک وافر

فیا ویح نفسی کم أسوّف توبتیو عمری فان و الرّدی(۳) لی ناظر

و کلّ الذی أسلفت فی الصّحف مثبتیجازی علیه عادل الحکم قاهر

ملیک عزیز لا یردّ قضاؤهعلیم حکیم نافذ الأمر قادر

عنی کلّ ذی عزّ بعزّه وجههفکلّ عزیز للمهیمن(۴) صاغر

لقد خشعت و استسلمت و تضاءلتلعزّه ذی العرش الملوک الجبابر

فبک إلهنا نستجیر یا علیم یا خبیر، من نؤمل لفکاک رقابنا غیرک، و من نرجو بغفران ذنوبنا سواک، و أنت المتفضّل المنّان القائم الدّیان العائد علینا بالاحسان بعد الاسائه منّا و العصیان، یا ذا العزّه و السّلطان و القوّه و البرهان أجرنا من عذابک الألیم و اجعلنا من سکان دار النعیم یا أرحم الراحمین.

۱- (۱) الحمام: الموت

۲- (۲) الوشیک: السریع

۳- (۳) الردی: الهلاک

۴- (۴) المهیمن: القائم علی خلقه بأعمالهم و آجالهم و أرزاقهم أو الشاهد و الرقیب و الحافظ و الصاغر الذلیل و تضائلت أی صارت ضئیلا أی حقیرا ذلیلا، منه

تبصره

لما كان صدر هذا الفصل متضمّنا للاشاره إلى بعض الحكم و المصالح فيما جعله اللّه سبحانه للانسان من الأعضاء و الجوارح و كان توضيح ذلك موقوفا على التشريح أحببت أن اورد هنا شطرا يسيرا من ذلك مما صدر عن مصدر الولايه إذ تشريح جميع الأعضاء على ما حقّقه الحكماء و الأطبّاء مما يوجب الطول و يخرج عن الغرض و فيما نورده هدايه للمسترشد و كفايه للطالب.

فأقول: روى فى البحار من العلل و الخصال عن محمّد بن إبراهيم الطالقانى عن الحسن ابن علىّ العدوى عن عباد بن صهيب بن عباد بن صهيب عن أبيه عن جدّه عن الرّبيع صاحب المنصور قال:

حضر أبو عبد اللّه عليه السّلام مجلس المنصور يوما و عنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب فجعل أبو عبد اللّه عليه السّلام ينصت لقرائته، فلما فرغ الهندى قال له يا أبا عبد اللّه أ تريد ممّا معى شيئا؟ قال عليه السّلام: لا، فانّ معى ما هو خير ممّا معك قال: و ما هو؟ قال عليه السّلام:

اداوى الحارّ بالبارد و البارد بالحارّ و الرّطب باليابس و اليابس بالرّطب، و اورد الأمر كلّه إلى اللّه عزّ و جلّ و أستعمل ما قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و اعلم أنّ المعده(۱) بيت الداء و الحميه هى الدواء و اعود البدن ما اعتاد، فقال الهندى: و هل الطبّ إلاّ هذا.

فقال الصّادق عليه السّلام: أ فترانى من كتب الطبّ أخذت؟ قال: نعم قال عليه السّلام: لا و اللّه ما أخذت إلاّ عن اللّه سبحانه فأخبرنى أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟ قال الهندى:

لا بل أنا، قال الصّادق عليه السّلام: فأسألك شيئا؟ قال: سل، قال الصّادق عليه السّلام: أخبرنى يا هندى لم كان فى الرّأس شئون(۲) قال: لا أعلم، قال عليه السّلام: فلم جعل الشّعر عليه من فوق؟ قال: لا أعلم.

۱- (۱) المعده بالكسر و الفتح موضع الطعام.

۲- (۲) الشأن واحد الشئون و هى مواصل قبائل الرأس و ملتقاها و منها يخرج الدموع، صحاح

قال علیه السّلام: فلم خلت الجبهه من الشّعر؟ قال: لا أعلم قال علیه السّلام: فلم کان لها التّخطیط و أساریر؟(۱) قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم کان الحاجبان من فوق العینین؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعل العینان کاللوزتین؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعل الأنف بینهما؟ قال: لا أعلم.

قال علیه السّلام: فلم کان ثقب الأنف فی أسفله؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعلت الشّفه و الشّارب من فوق الفم، قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم أحدّ السن(۲) و عرض الضرس و الناب؟ قال: لا أعلم قال علیه السّلام: فلم جعلت اللحیه للرّجال؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم خلت الکفان من الشّعر؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم خلا الظفر و الشعر من الحیاه؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم کان القلب کحبّ الصنوبر؟ قال: لا أعلم.

قال علیه السّلام: فلم کانت الرّیه قطعتین و جعل حرکتها فی موضعها؟ قال: لا أعلم قال علیه السّلام: فلم کانت الکبد حدباء(۳) قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم کانت الکلیه کحبّ اللّوبیا؟ قال: لا أعلم، قال علیه السّلام: فلم جعل طیّ الرکبه إلی خلف؟ قال: لا أعلم، قال:

فلم آن حضرت(۴) القدم؟ قال: لا أعلم، فقال الصّادق علیه السّلام: لکنّی أعلم، قال: فأجب.

فقال الصّادق علیه السّلام: کان فی الرّأس شئون لأن المجوّف إذا کان بلا فصل أسرع إلیه الصداع فاذا جعل ذا فصول کان الصداع منه أبعد، و جعل الشعر من فوقه لیوصل بوصوله(۵) الادهان إلی الدماغ و یخرج بأطرافه البخار منه و یرد الحرّ و البرد

۱- (۱) الاساریر خطوط الجبهه جمع الاسرار و هی جمع السریر صحاح.

۲- (۲) المفهوم من الاخبار اختصاص السن بالمقادیم الحداد و الضرس بالمآخیر العراض و المفهوم من کلام أهل اللغه ترادفهما.

۳- (۳) حدب الانسان من باب تعب إذا خرج ظهره و ارتفع عن الاستواء فالرجل أحدب و المرأه حدباء فیومی

۴- (۴) رجل محضر القدمین اذا کانت قدمه تمسّ الأرض من مقدمها و عقبها و تحوی أخمصها مع دقه فیه صحاح.

۵- (۵) ای بسبب وصول الشعر الی الدماغ تصل الیه الادهان او هو جمع الوصل الی مثابته و اصوله و لا یبعد ان یکون فی الاصل باصوله فصحف بقرینه مقابله أطرافه، بحار.

الواردين عليه و خلت الجبهه من الشّعر لأنها مصبّ النور إلى العينين و جعل فيها التخطيط و الأسارير ليحبس العرق الوارد من الرّأس عن العين قدر ما يميطه(۱) الانسان من نفسه كالأنهار فى الأرض التى تحبس المياء.

و جعل الحاجبان من فوق العينين ليوردا من النّور عليهما قدر الكفايه ألا ترى يا هندى إنّ من غلبه النّور جعل يده بين عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه، و جعل الأنف فيما بينهما ليقسم النّور قسمين إلى كلّ عين سواء و كانت العين كاللّوزه ليجرى فيها الميل بالدواء و يخرج منها الداء، و لو كانت مرّبعه أو مدوّره ما جرى فيها الميل و ما وصل إليها دواء و لا خرج منها داء.

و جعل ثقب الانف فى أسفله لينزل منه الأوداء المنحدره من الدّماغ و يصعد فيها الأراييح(۲) إلى المشام و لو كان فى أعلاه لما ينزل داء و لا وجد رائحه، و جعل الشّارب و الشّفه فوق الفم لحبس ما ينزل من الدّماغ عن الفم لئلّا يتنغّص على الانسان طعامه و شرابه فيميطه(۳) عن نفسه و جعلت اللّحيه للرّجل ليستغنى بها عن الكشف(۴) فى المنظر(۵) و يعلم بها الذكر و الأنثى.

و جعل السنّ حادا لأنّ به يقع العضّ و جعل الضرس عريضا لأنّ به يقع الطحن و المضغ و كان الناب(۶) طويلا ليشدّ الأضراس و الأسنان كالاسطوانه، فى البناء، و خلا الكفّان من الشعر لأنّ بهما يقع اللمس فلو كان بهما شعر مادرى

۱- (۱) اى يزيله و ينحيّه

۲- (۲) جمع أرياح و هو جمع الريح.

۳- (۳) اى يحتاج الى ازاله ما ينزل من الدماغ عند الاكل و الشرب عن نفسه م

۴- (۴) عن كشف العوره

۵- (۵) متعلّق بقوله يستغنى.

۶- (۶) لعلّ وجه كونه سندا من بين ساير الاسنان أنه لطوله يمنع وقوع الاسنان بعضها على بعض فى بعض الاحوال كما أنّ الاسطوانه يمنع السقف من السقوط، بجار

الانسان ما يقابله(۱) و يلمسه، و خلا الشعر و الظفر من الحياه لأنّ طولهما سمج يقبح و قصهما حسن فلو كان فيهما حياه لآلم الانسان لقصّهما.

و كان القلب كحبّ الصنوبر لأنه منكس فجعل رأسه رقيقا ليدخل فى الرّيه فيتروح عنه ببردها لئلا يشيط (۲) الدماغ بحرّه، و جعلت الرّيه قطعتين ليدخل مصاعظها(۳) فتروح عنه بحركتها، و كانت الكبد حدباء ليثقل المعده و تقع جميعه عليها فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار.

و جعلت الكليه كحبّ اللوبيان لأنّ عليها مصبّ المنى نقطه(۴) بعد نقطه فلو كانت مرّبعه أو مدوّره لاحتبست النقطه الاولى الثانيه فلا يلتذّ بخروجها الحىّ إذ المنى ينزل من فقار الظهر الى الكليه فهى كالدّوده تنقبض و تنبسط ترميه أوّلا فأوّلا إلى المثانه كالبندقه من القوس.

و جعل طىّ الرّكبه إلى خلف لأنّ الانسان يمشى إلى ما بين يديه(۵) فتعدل الحركات و لولا ذلک لسقط فى المشى، و جعلت القدم متحضره لأنّ الشّىء إذا وقع على الأرض جميعه نقل(۶) ثقل حجر الرّحى و إذا كان على حرفه دفعه الصّبى

۱- (۱) كأنه كان يعامله فصحف مع أنّ اكثر ما يلمس يكون مقابلا بحار

۲- (۲) أى يحترق منه

۳- (۳) أى بين قطعتى الريه

۴- (۴) استعيرت النقطه هنا للشىء القليل و القطره بحار

۵- (۵) أى يميل فى المشى الى قدامه و لو كان طى الركبه من القدام لانتهى ايضا من هذا الجانب فيسقط بحار

۶- (۶) و ذلک لامتناع الخلاء لانه اذا لم يكن بين السطحين هواء أصلا لم يمكن رفع احدهما عن الآخر فيرتفعان معا. و لو كان بينهما هواء قليل يرتفع لكن بعسر لتوقفه على تخلل هذا الهواء و دخول الهواء من خارج أيضا فحضر القدم يوجب وجود هواء كثير تحت القدم فاذا رفع القدم يدخل تحت ما لصق بالارض من قدام القدم و عقبه الهواء من الأطراف بسرعه و بسهوله فلا يعسر رفعه، بحار

و إذا وقع علی وجهه صعب ثقله علی الرجل.

فقال الهندی: من أین لک هذا العلم؟ فقال علیه السّلام: أخذته عن آبائی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عن جبرئیل عن ربّ العالمین جلّ جلاله الذی خلق الأجساد و الأرواح، فقال الهندی: صدقت و أنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه و أنّک أعلم من أهل زمانک.

الترجمه

گردانید حق سبحانه و تعالی از برای شما گوشها را تا این که حفظ نمایند و نگه بدارند آنچه که مهمّ باشد ایشان را و ضروری، و آفرید چشمها را تا این که روشنی بخشند از شب کوری، و خلق فرمود اعضاء ظاهره که جمع کنندهٔ اعضای باطنه بودند در حالتی که مناسب و موافق بودند با اطراف و جوانب متناهیهٔ خود در ترکیب صورتهای آنها و مدتهای عمرهای آنها با بدنهائی که قائمند بمنافع خود و با قلبهایی که طالبند مر رزقهای خود را در حالتی که شما در توی نعمت های کامله می باشید و أسباب منتهای شامله و موانع صحّت بدن از أمراض و محن.

و مقدّر فرمود از برای شما عمرها که پوشانید آنها را از شما و باقی گذاشت از برای شما عبرتها از آثار گذشتگان پیش از شما از محل لذت یافتن ایشان با نصیب خودشان و از مکان گشاده بودن ریسمان مرگ از گردن ایشان.

شتاب نمود ایشان را مرگ ها بی رسیدن بآرزوها، و متفرق ساخت ایشان را از آرزوها بریده شدن أجلها در حالتی که مهیا نساختند از عمل های شایسته در سلامتی بدنها، و عبرت نگرفتند از عبرت های نافعه در اول زمانها.

پس آیا انتظار می کشند أهل قوت و امتلاء جوانی مگر قد خم کنندهای پیری و ناتوانی را، و أهل خوشی صحت و تن درستی مگر نازل شوندهای بیماری را، و أهل مدت بقا مگر زمانهای فنا و نابودی را با وجود نزدیکی مفارقت و قرب

انتقال بسوی آخرت و با وجود جزع اضطراب و درد مصیبت و بسیار بگلو ماندن آب دهان از اندوه و محنت و با وجود این طرف و آن طرف نگریستن برای فریاد رس خواستن بیاری دادن اعوان و خویشان و اولاد و عزیزان.

پس آیا دفع نمود مرگ را از او خویشان، یا نفع بخشید گریهٔ گریه کنندگان و حال آنکه ترک کرده شد در محلهٔ مردگان محبوس گناه و در تنگی خوابگاه بی یار و همراه بتحقیق که پاره نمود حشرات الأرض پوست تن او را و کهنه نمود لاغر کنندگان تازگی بدن او را، و مندرس نمود بادهای سخت جهنده اثرهای او را و محو نمود حوادث روزگار علامتهای او را، و بگردید بدنها متغیّر و لاغر بعد از تازگی و قوّت، و استخوانها پوسیده و متفرّق بعد از توانائی و شدّت.

و روحها گرد کرده شد ببار گران گناهان در حالتی که یقین کننده باشند باخبار غایبه از ایشان، طلب نمی شود از آنها زیاده کردن از اعمال صالحه، و طلب نمی شود از ایشان راضی کردن حق از اعمال باطله، آیا نیستید شما پسران قوم خود و پدران ایشان، و برادران قوم خود و خویشان ایشان، اندازه می گیرید در کارها بر مثلهای آنها، و سوار می شوید بر طریقهٔ ایشان در اقوال و افعال، و سلوک می کنید در راههای ایشان بهمه حال.

پس قلبها سختند از قبول بهرهٔ سودمند خود، غافلند از طلب هدایت خود سالکند در غیر میدان با منفعت خود، گویا که مخاطب و مقصود بأوامر و نواهی غیر از آن دلهاست، و گویا که رشادت و مصلحت آنها در حفظ متاع دنیاست.

هذا آخر الجزء الخامس من هذه الطبعه الجدیده الثمینه القیمه، تم تصحیحه و تهذیبه و ترتیبه بید العبد «السید ابراهیم المیانجی» عفی عنه و عن والدیه و وقع الفراغ فی العشر الاول من شهر رجب الاصب ۱۳۷۹ و یلیه ان شاء الله الجزء السادس و اوله: «الفصل السادس» من المختار الثانی و الثمانین، و الحمد للّه رب العالمین

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ.ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹


مرکز تحقیقات رایانه ای
قائمیه
اصفهان
WWW
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹